مناهج علم اللغة

من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي

تأليف
بريجيته بارتشت

ترجمه وعلق عليه وقدم له
أ.د. سعيد حسن بحيري





هذه ترجمة عربية لكتاب:

Bartschat Brigritte:

Methoden der Sprachwissenschaft

von Hermann Paul bis Noam Chomsky

Berlin : Erich Schmidt Verlag

1996

مناهج علم اللغة

من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي

١

مناهج علم اللغة
من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكى
د. سعيد حسن بحيرى

الطبعـــة الأولى
(طبعة مؤسسة المختار)
طبعة مزيدة ومنقحة
١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م

رقم الإيداع : ١٩٦٣٦/ ٢٠٠٤
الترقيم الدولى: I.S.B.N. 977 - 382 -034- 3

مؤسسة المختار
للنشـــر والتـــوزيـــع

القاهرة : ٦٥ شارع النزهة ـ مصر الجديدة
تليفون : ٢٩٠١٥٨٣
Email:Mokhtar.est@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى والديّ رحمهما الله

فهرس المحتوى

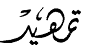
الموضــوع	الصفحة
٢ ـ ٢ـ ٣ علم التنميط اللغوى	٧٢ ـ ٧٦
٢ـ ٢ ـ ٤ علم الاجتماع اللغوى	٧٦ ـ ٧٧
٢ـ ٢ ـ ٥ مجالات بحثية أخرى	٧٧ ـ ٧٩
٢ ـ ٣ تأثير بودوان فى علم لغة القرن العشرين	٧٩ ـ ٨٠
٢ ـ ٤ بيـانات المراجع	٨١ ـ ٨٢
الفصل الثالث: فردينان دى سوسير (١٨٥٧ـ١٩١٣)	٨٣ ـ ١١٤
٣ ـ ١ سيرة فردينان دى سوسير العلمية	٨٣ ـ ٨٦
٣ ـ ٢ تأثيــرات من علـم اللغــة والعلوم المجــاورة (النحاة الجدد، وايتنى، دوركايم)	٨٦: ٨٨
٣ ـ ٣ «بحث » حــول نظـام الحــركــات الأصلى للغات الهـندوأوربية	٨٨ : ٩٢
٣ ـ ٤ «الدروس» القضايا الأساسية فى علم اللغة العام ..	٩٣ : ٩٤
٣ ـ ٤ ـ ١ موضـوع علم اللغة العـام ثنائيات دى سوسـير	٩٥ : ١٠١
٣ ـ ٤ ـ ٢ اللغة نظام علامات	١٠١ : ١٠٥
٣ ـ ٤ ـ ٣ «القيـمة» اللغـوية	١٠٥: ١٠٦
٣ ـ ٥ تقــويم نقــدى، تأثيــر دى ســوســيــر فى علم لغة القـرن العشرين	١٠٦ : ١١٢
٣ ـ ٦ بيــانات المراجع	١١٢ : ١١٤

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع | الصفحة

الموضـــوع | الصفحة

الموضـــوع	الصفحة



بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

يتفرد هذا الكتاب الذى أقدمه مترجماً إلى القارىء العربى الكريم فى تناوله تأريخ علم اللغة الحديث، وتتبع مراحل تطوره بأنه برصد مسارات الأفكار اللغوية لدى عدد من أهم علماء اللغة فى العصر الحديث، إذ يعد تاريخ علم اللغة فى رأى المؤلفة جزءاً من تاريخ العلم بوجه عام، يجب العناية به. ويمكن دون شك من خلال رصد هذه الأفكار تحديد الأدوار التى قام بها كل عالم، والجهود التى بُذلت لبناء علم اللغة الحديث. وقد استطاعت من خلال مناقشة الأفكار التى تضمنتها المؤلفات الأصلية لبعض الشخصيات اللغوية المحورية أن تحدد بوضوح الملامح الأساسية التى تتسم بها مناهج علم اللغة الحديث، وأن تبرز بجلاء الإسهام الحقيقى لتلك الشخصيات من خلال متابعة دقيقة للأفكار المهمة التى طرحت فى مؤلفاتهم الأصلية، والإضافات أو التعديلات أو التغييرات المؤثرة التى أسهمت فى تشكيل اتجاهات متميزة فى البحث اللغوية.

لقد اتخذت المؤلفة نهجاً لم تَحِد عنه فى معالجة الموضوعات التى طرحتها فى كتابها، إذ إنها لم تستق مادتها فى التأريخ اللغوى من المراجع والشروح، وإنما رجعت إلى المؤلفات الأصلية حتى يكون عَرضها موثقاً، وتكون مناقشتها للآراء الأصلية مناقشةً مباشرة، ويكون استنباطها من النصوص الأصلية مباشرةً. ولذلك دعت الحاجة فى مواضع كثيرة إلى العناية بالشروح والتعليقات على المواد الأصلية. واهتمت كذلك بتوظيف النقول، وتفسير ما غَمُض فيها، يساعدها على ذلك حاسة نقدية قوية وخلفية علمية ومعرفية لا غنى عنها لمن يريد الخوض فى تأريخ الأفكار وتتبع مساراتها عبر أزمنة مختلفة. وقد سلكت فى ذلك مسلكاً وسطاً، فلم تبنِ فصول كتابها على أساس المدارس أو الاتجاهات اللغوية فى مراحل

زمنية متتابعة كأغلب المؤلفات التى عنيت بالتأريخ لعلم اللغة الحديث، ولم تُقَسِّم فصوله على عدد من الشخصيات اللغوية المهمة كما فعلت بعض المؤلفات الأخرى فى هذا المجال، وإنما مزجت بين هذا وذاك، وجعلت همها الأكبر تحديد المهام التى طرحت فى هذا العلم، والمناهج التى وضعت لأداء هذه المهام.

ومن ثم كان بعض الفصول يحمل عنوان مدرسة من المدارس اللغوية (الأول والرابع والخامس والسادس والسابع)، وبعضها يحمل اسماً من أسماء الشخصيات اللغوية، مثل جان بودوين دى كورتينى وفردينان دى سوسير وناعوم تشومسكى. ويتحدد فى عنوان الكتاب المدة الزمنية التى أُخِذَت بعين الاعتبار فى المعالجة، فلم تُدْرَج تحت العنوان الذى اختارته المؤلفة، وهو «مناهج علم اللغة، من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكى»، إلا التيارات الفكرية والمناهج اللغوية التى طرحت فى تلك الفترة الزمنية، من سنة ١٨٧٠م (تقريباً) حتى سنة ١٩٦٠م (تقريباً). ولذا كان هرمان باول بوصفه منظراً للنحاة الجدد، وناعوم تشومسكى بوصفه مؤسساً ومرشداً روحياً للنحو التوليدى ــ كما ذكرت المؤلفة فى المقدمة ص ٢٦ ــ الحدين الفاصلين. ولم ترَ فى ذلك تقييداً زمنياً فحسب، بل تقييداً مضمونياً أيضاً، إذ إنها لم تتجاوز معالجة معلومات تلك الفترة الزمنية أساساً، وكانت إشاراتها عابرة، وبطريق الإحالة، إذا ما اقتضى الأمر الرجوع إلى أفكار مهمة كان لها تأثير واضح فى المدارس والتيارات والمناهج والشخصيات الداخلة فى الفترة الزمنية التى حُدِّدَت معلماً لبداية الكتاب ونهايته.

ومما يميز هذا الكتاب أيضاً أن مؤلفته قد نشرته للمرة الأولى نشرة متواضعة بغرض تعليمى سنة ١٩٨٥م، ثم أعيد طبعه أكثر من مرة، وظلت المؤلفة، وهى من ألمانيا الديمقراطية سابقاً، مثل جرهارد هلبش الذى ترجمتُ له كتابه «تاريخ علم اللغة الحديث»، ونُشِر منذ عام تقريباً؛ فهى تعرض فى كتابها أيضاً تطور هذا العلم من وجهة نظر باحثة لها صلة وثيقة بعلم اللغة فى بلدان أوربا الشرقية، ويتضح ذلك فى عمق تناول الأفكار اللغوية للعالم البولندى دى كورتينى، وعلماء مدرسة براغ وبخاصة العالم الروسى تروبتسكوى، والعالم الفذ المتعدد المواهب

الثرى فى إنتاجه بلغات عدة، الروسى الأصل أيضاً رومان ياكوبسون ــ ظلت تنقح كتابها وتعدله وتضيف إليه طيلة عشر سنوات. وظهرت الطبعة الأخيرة له فى برلين سنة ١٩٩٦م، وهى الطبعة التى اعتمدتها للترجمة.

وقد حافظت المؤلفة على طريقة واحدة فى الأغلب فى عرض الموضوعات، فقد حرصت على أن تبدأ حين تتناول شخصية أو مدرسة لغوية، بنبذة تأريخية موجزة عنها، ثم تنتقل بعد ذلك إلى مناقشة آرائها وأفكارها وتصوراتها من خلال نقول محددة من نصوص المؤلفات الأصلية كما أشرت إلى ذلك آنفاً. وتعرض النصوص باللغات الأصلية فى الأغلب كما هى الحال بالنسبة للنصوص الألمانية والانجليزية. أما النصوص الفرنسية والروسية وغيرها فترجع فيها إلى الترجمات الألمانية لها (فى الأغلب قامت هى نفسها بالترجمة). وحرصت بشكل واضح على إبراز أسماء العلماء والمفاهيم الأساسية والعبارات المهمة بخط مغاير لخط الكتاب بوجه عام، فتكون أحياناً بحروف ثقيلة وأحياناً بحروف مائلة، وقد حافظتُ على الالتزام بذلك قدر المستطاع فى نص الترجمة.

ويلاحظ هنا كذلك إلى جانب القيمة البالغة فى استقاء المعلومات والأفكار اللغوية من المادة الأصلية، حيث قُدِّمت موثقةً بصورة مباشرة من الأصول، لم يصبها أدنى تشويه أو تزييف أو تزيد أو اختصار أو إضافة أو تعديل أو تغيير، مثلما يحدث فى المؤلفات التى تؤرخ لعلم اللغة معتمدةً على مراجع ثانوية، لا تضم سوى ما فهمه مؤلفوها من الكتب الأصول. واهتمت المؤلفة كذلك بإضافة معلومات خاصة حول المراجع فى المتن، وأردفت بكل فصل قائمةً وافية بالمراجع مرتبةً ترتيباً هجائياً حسب أسماء المؤلفين، مثبتةً دون تمييز بين المراجع الأساسية التى اعتمدت عليها، والمراجع الثانوية التى يمكن الإفادة منها لمن يريد مزيداً من التفصيل حول الموضوعات المعالجة.

ويغلب على لغة المؤلفة الوضوح سواء فى العرض أو فى التعليق على النصوص بطريق الاستنباط منها أو تفسيرها أو نقدها إلا فى بعض المواضع التى

استلزم الغموض فيها إضافة بعض الهوامش لإيضاح قصد المؤلفة الوارد فى المتن. وقد تدرج نهجها فى النقل، ففى البداية اتخذت نهج المختارات، ثم تغير الأمر فيما بعد إلى الاستعانة بنص كامل متصل، أدخلت فيه اقتباسات أصلية. فهى تقدم كتاباً للقراء المهتمين من كل الحقول المعرفية، تطلعهم فيه على أهم التيارات اللغوية منذ فترة تاريخية مبكرة (أواخر القرن التاسع عشر الميلادى) وحتى المرحلة المبكرة للنحو التوليدى فى الخمسينيات والستينيات. وأكد النهج الذى اتبعته الآثار السلبية — دون أن تذكر ذلك صراحةً — التى تنجم عن جعل دراسة النصوص الأصلية فضلةً. ولذا فإنها تأمل أن تثير بمعلوماتها واقتباساتها الاهتمام بدراسة النصوص الأصلية الكاملة.

وقد قسمت المؤلفة كتابها ثمانية فصول بخلاف المقدمة التى حددت فيها المادة، والمنهج، وطريقة العرض والتناول والاستنتاج، والهدف الأساسى من تأليف الكتاب. وخُصِّص الفصل الأول لمدرسة النحاة الجدد، الذين أحدثوا بآرائهم الجديدة ثورة فى البحث اللغوى الذى كانت السيادة فيه لقرون عدة لدراسة اللغات الهندوجرمانية. ومن أهمهم بروجمان وأوستهوف وديلبروك وبراونه وسيفرز وباول وليسكين. وقد درسوا جميعهم فى ليبزج على يد علماء اللغات فى الهندوجرمانية، ثم انقلبوا على التصورات الفلسفية المثالية والميتافزيقية عن اللغة والتطور اللغوى، وطالبوا بوصف الحقائق (الوقائع) التى يمكن ملاحظتها ليس غير. وشكَّل التجريد والعامل النفسى والآلية الصارمة وتفسير الواقعة اللغوية وفق قوانين مطردة لا تعرف الشذوذ الإطار المنهجى لبحوثهم اللغوية، واستطاعوا بذلك أن يكونوا اتجاهاً متفرداً فى الدرس اللغوى، كان لمبادئه فى تحليل الظواهر اللغوية ووصفها وصفاً علمياً دقيقاً تأثيرٌ بالغ العمق فى الاتجاهات اللغوية اللاحقة دون استثناء.

وخُصِّص الفصل الثانى لعالم اللغة البولندى جان بودان دى كورتينى، وصَدَّرته بسيرة علمية مفصلة له، ثم عرضت أفكاره مفصلةً فى أهم مجالات البحث التى اشتغل بها، مبرزةً عنايته البالغة بالعوامل النفسية فى دراسة تطور

اللغات، وإصراره على اعتبار اللغات الفردية هى الحقيقة النفسية الوحيدة، وعدم فصله الدراسة الوصفية عن الدراسة التاريخية، إذ إن «سكون اللغة حالة خاصة من ديناميتها». ومن أهم المجالات التى عُنِى بها بودوان الأصوات والصرف والنحو والاشتقاق وعلم المعاجم وعلم اللهجات والتنميط اللغوى. وكشفت آراؤه عن علاقة وثيقة بآراء النحاة الجدد؛ تتأرجح بين القبول والرفض ومن أهم محاور نهجه فى البحث اللغوى تقديم النظرة التاريخية للغة على غيرها، والاهتمام بالقوانين التى تعمل فيها وتحدد حياتها وتطورها، والنظر إلى اللغة على أنها أداة ونشاط، لا تحيا إلا داخل حامليها، والحفاظ على الموقف النفسى فى المعالجة، ودراسة اللغة الحية، لغة الفرد فى المقام الأول، وعدم استبعاد العوامل الاجتماعية برغم سيادة مذهبه النفسى، وكذلك عدم الفصل بين الصوت والمعنى، ويرتبط ذلك بتحليله الوظيفى للفونيم سواء فى الفونولوجيا أو المورفونولوجيا. وأثرت جهوده فى دراسة الفونيم تأثيراً كبيراً فى استمرار تطور فروع مهمة فى علم اللغة، وكذلك فى مجال التنميط اللغوى، وطور نظرية اللغات الخليط (الهجين)، وبحث بعمق التنوعات الاجتماعية والاحتكاكات اللغوية ولغات الأقليات ولغة الأطفال واللغات المساعدة العالمية، وقد انتهت إلى نتيجة لم يصرح بها أحد من قبل فى هذه الجرأة، وهى: إن كثيراً من آراء بودوان تتوازى مع آراء فردينان دى سوسير، الذى كان قد درس كذلك إرث النحاة الجدد فى ليبزج.

وفى الفصل الثالث (فردينان دى سوسير) بدأت أيضاً بسيرة ذاتية مختصرة له، ثم انتقلت بعد ذلك إلى مبحث أساسى يتناول تأثير أفكار بودوان وواينتى والنحاة الجدد فى نظريته اللغوية، هذا بالنسبة لتأثير علم اللغة. أما من خارج علم اللغة فقد تأثر بعلم الاجتماع وبخاصة فى صياغة دوركايم وشوشارت، وخُصِّص مبحث آخر للبحث الذى حقق لدى سوسير شهرة واسعة، وهو «نظام الحركة الأصلى للغات الهندوأوربية» الذى قدم فى عرض شامل علاقات تحول الحركة فى تلك اللغات، وتوصل إلى استنتاجات مهمة حول إعادة بناء المكون الحركى الأصلى. وخُصِّص مبحث تال لمناقشة بعض الموضوعات المحورية فى كتابه المشهور

«الدروس» الذى أطلقت عليه «القضايا الأساسية فى علم اللغة العام». وبدأت بإيضاح تقسيماته أولها التفريق بين اللغة الإنسانية، واللغة المعينة (اللسان) والكلام، وتأكيد دى سوسير على أن موضوع علم اللغة هو اللغة المعينة، وتُجمِل السمات المميزة الأربعة لتلك اللغة، ثم انتقلت إلى ثنائية التزامن فى مقابل التعاقب، وثنائية المجال (النطاق) الخارجى، والمجال (النطاق) الداخلى. وخُصِّص مبحث لفكرة: اللغة نظام للعلامات، ومبحث لفكرة: «القيمة» اللغوية.

وفى الفصل الرابع (حلقة لغويى براغ) بدأت بنبذة عن تأسيس حلقة «علم اللغة الوظيفى» ومؤسسيها، ثم يُخَصِّص مبحث آخر لتأثير بودوان فيها فى المرحلة الأولى ثم ظهور أثر دى سوسير فى مرحلة تالية، وبخاصة أفكاره حول فهم اللغة على نظام مترابط من العلامات، البحث التزامنى للغة، وختمته بتأثير علم النفس (الجشتالت) فيها، وحددت مجالات البحث الرئيسية لباحثى هذه الحلقة، وهى الفونولوجيا والصرف والنحو وعلم الدلالة، والعناية كذلك بعلم اللهجات وعلم الشعر ومشكلة لغة الكتابة. وخُصِّص مبحثان لعالمين ينتميان إلى هذه الحلقة غير أنهما من أصل روسى، كان لهما أثر بالغ فى تطوير الدرس اللغوى لهذه الحلقة، وهما تروبتسكوى التى أبرزت جهوده فى الفونولوجيا ووضع نظرية للفونيم وتحليلاته الصوتية الرائدة، ومبدأ التقابلات وأنواعها، والتلازمات المورفولوجية، وأفكاره كذلك حول المورفوفونولوجيا، وتصوراته العميقة حولا مفهوم «الرباط اللغوى». وحَظِى ياكوبسون أيضاً بمبحث مستقل تناول بحوثه فى الفونولوجيا وتقديمه نموذجاً لغوياً عالمياً مكوناً من اثنى عشر زوجاً من العلامات الثنائية المتقابلة إلى جانب تطويره المبدأ الفونولوجى المهم فى التحليل وهو مبدأ السمات الفارقة، وناقشت بعض بحوثه فى المورفولوجيا وعلم الدلالة معاً لأنهما مترابطان لديه، ثم فى علم العلامات (السيميوطيقا)، ثم فى علم الشعر، وخُتِم ببحث ماتيسيوس فى النحو وجهود البراغيين فى تطوير دائرة البحث فى اللغة.

وفى الفصل الخامس (الجلوسماتية) خُصِّص المبحث الأول لتأسيس الجلوسماتية وبنيوية كوبنهاجن، وأهم مؤسسيها، مثل: هيلمسليف وبروندال وأولدال. وقَدمتُ لكل منهم سيرة ذاتية مختصرة. وكما هى الحال فى الفصول

السابقة خُصِّص مبحث لتأثيرات علم اللغة والعلوم المجاورة فى الجلوسماتية. وأبرزت إصرار هيلمسليف على أن يتبع أفكار دى سوسير حتى النهاية، وبخاصة فهم اللغة على أنها نظام من العلامات، وتأكيد أهمية نظام العلاقات والأفكار المتعلقة بالشكل والمادة، هذا من جهة علم اللغة. أما تأثير العلوم المجاورة فيتجلى من خلال تأثير مذهب الوضعية الجديدة فى تلك المدرسة، وكذلك تأثرها ببحوث حلقة فيينا الفلسفية والمنطقية، وبخاصة فى تأسيس علم المنطق الرياضى، وتعميق المعارف القيمة لنظرية العلم ومنهجيته. ثم ناقشت النقاط المهمة فى كتاب هيلمسليف «مداخل إلى نظرية لغوية» وبخاصة ثنائياته: التعبير ــ المضمون، والشكل ــ المادة، ومفهومه حول شبكة العلاقات، ومكونات نظريته اللغوية، وثنائية العلامات ــ الصور، واللامتغيرات ــ المتغيرات، وأخيراً جهوده فى مجالات بحثية أخرى. وخصصت مبحثاً مستقلاً لكتاب أولدال «جبر اللغة»، قدمت فيه مثالاً مفصلاً لذلك التحليل الجبرى الجلوسماتى للغة. وتجمل فى الخاتمة أهم إسهامات الجلوسماتية فى البحث اللغوية.

وفى الفصل السادس (علم اللغة الوصفى) تَصَدَّر موضوع الاستقلال النسبى لتطور علم اللغة البنيوى الأمريكى، وجهود مؤسسيه الثلاثة: بواز، وسابير، وبلومفيلد، ثم تُخَصَّص مبحثاً آخر لمناقشة مدى تأثير دى سوسير، وإبراز تأثير علم النفس السلوكى، وتقديم رؤية عامة عن المبادىء الأساسية للسلوكية (وبخاصة تجارب بافلوف وواطسون) التى أثرت فى نظرية بلومفيلد حول اللغة. وخُصِّص مبحث آخر لمناقشة أهم الأفكار التى طرحت فى كتاب بلومفيلد العمدة «اللغة» المكون من ثمانية وعشرين فصلاً فى وصف كل مستوى من مستويات النظام اللغوى، والقرابة اللغوية، والأسر اللغوية، والتغير اللغوى، والاستعمال اللغوى وأنظمة الكتابة وموضوعات أخرى كثيرة وهو ما يزال مدخلا مفيداً فى بعض موضوعات اللغة، وأفردت لموضوعى الاستعمال اللغوى والمعنى اللغوى حديثاً مستقلاً، والفروض التى طرحت فى مقالة «مجموعة من المسلمات لعلم اللغة» حول خمسة مجالات. وفى مبحث محور النحو لدى من خَلَف بلومفيلد يُتَناول

مفهوم المكونات المباشرة، والتحليل التوزيعى، ثم مقال ولس حول تحليل المكونات المباشرة الذى يقوم على إجراءين أساسيين هما: التجزىء والتصنيف، كما يحدد المكونات المباشرة من خلال أوجه الاستبدال والتوسيع. وتختتم جهد ولس بشرح ما قصده بفروضه الخمسة. وفى المبحث الخاص بزليج هاريس حددت بالتفصيل محاور كتابه «علم اللغة البنيوى»، ثم انتقلت إلى بحوثه حول تحليل الخطاب (النص) ووضعه أسس نظرية تحويلية لم ينكر تشومسكى تلميذه إفادته منها. فقد مهَّد هاريس من خلال توسيعه للوصف ليشمل النصوص، واستكماله المناهج بمجموعة وسائل التحويلات النحوية ــ الطريقَ لفهم جديد للنحو، وجد دعائمه المهمة نظرياً فى النحو التوليدى، فى نماذج ناعوم تشومسكى. وتختتمه بتحديد الخصائص البارزة لعلم اللغة الوصفى الأمريكى.

وفى الفصل السابع تطرح من خلال رؤية جامعة مقتضبة أوجه الاختلاف وأوجه الاتفاق بين اتجاهات علم اللغة البنيوى (المدارس الكلاسيكية). ويلاحظ أنها قد ذُكرت فى الفهرس عنوان الفصل فقط، ولكنى رأيتُ أن أبرز النقاط العشرة التى ذكرتها فى المتن والفهرس على حد سواء.

وفى الفصل الثامن والأخير (ناعوم تشومسكى) تشير إلى ضرورة عرض نظرة عامة حول نماذجه التوليدية فى خاتمة الكتاب، بدأت فيها بالسيرة العلمية لأكثر علماء اللغة شهرة وتأثيراً الذى شُبِّهت الثورة التى أحدثها فى البحث اللغوى بالثورة الكوبرنيكية. وخصصت مبحثاً للنماذج التوليدية فى المرحلة الأولى، وآخر للنماذج التوليدية فى المرحلة الثانية، يضم ستة محاور. وتختتمه بمبحث عن التطور اللاحق للنظرية النحوية بصورة موجزة للغاية.

وينبغى ــ فى الواقع ــ أن أشير إلى أمرين مهمين، الأول أن المؤلفة لم تُذَيِّل كتابها بقائمة بالمصطلحات التى وردت فى المتن مكتفية بإبرازها ببنط ثقيل. وهو أمر لم أستحسنه، ورأيت أنه من المفيد أن تُضاف إلى الكتاب قائمة بأهم المصطلحات ليفيد منها القارىء مباشرة إذا ما أراد ذلك دون أن يبذل مجهوداً ووقتاً

للعثور على ضالته فى ثنايا الترجمة. أما الأمر الثانى فهو الهوامش والتعليقات فإنى أعتذر للقارىء لأننى أحسست بعد مراجعة الترجمة أكثر من مرة أنى أطلت فى بعض المواضع، ولكنى كنت مضطراً لذلك لعدة أسباب، وإن لزم أن أؤكد أن ما حذفت منها أكثر مما أثبتُ، فلم أذكر إلا ما وجده ضرورياً ومفيداً للقارىء العربى دون تزيد أو تصنع. ومن هذه الأسباب: استخدام المؤلفة مصطلحات لا عهد للمداخل اللغوية باستخدامها. ومن ثم كانت الحاجة ماسة إلى توضيحها، وكذلك لجوء المؤلفة فى بعض المواضع إلى التلميح دون التصريح، فتشير فى عبارتها إلى قصدها إشارة عابرة ظناً منها أن القارىء قادر بفطنته على التقاط الإشارة وتفسيرها، وكذلك عزوف المؤلفة عن الاهتمام بتفصيل فكرة أو رأى أو وجهة نظر أشبعتها المؤلفات الأخرى فى تاريخ علم اللغة الحديث بحثاً، ولكن لما كان المترجَم من هذه المؤلفات إلى العربية محدوداً، وأغلب المراجع التى اعتمدت عليها المؤلفة فى تأريخها غير معروفة لمن لا يعرف الألمانية، فقد وجدت أن أُقَدِّم إيضاحاً لما ورد فى المتن عابراً برغم أهميته، ولكن بإيجاز شديد.

وقد حرصت على ذكر أمثلة المؤلفة مع ترجمتها إلى العربية حتى يظهر غرضها من التمثيل، إذ إنه ربما يضيع فى الصياغة العربية، كما أنى لم أسوغ لنفسى أى وجه من أوجه التصرف فى الترجمة. فقد تحريت نقل النص كما ورد فى الأصل كاملاً، وأثبتُ صفحات النص الأصلى بوضع أرقامها فى النص المترجَم جهة اليسار. أخيراً آمل أن تكون ترجمة هذا المدخل إثراءً للغة وتحفيزاً للبحث فى اللغة، وإضافة جديدة لمعلومات موثقة للقراء المهتمين بعلم اللغة ومسائله وقضايا. وقد بذلت كل جهد ممكن لتقديم نص واضح سليم دقيق. ولذا يسعدنى أن أتلقى ملحوظات القراء الكرام وتصويباتهم للإفادة منها إن شاء الله تعالى.

والله هو الموفق والهادى إلى سواء السبيل...

القاهرة — سعيد حسن بحيرى

١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م

فى الواقع ما نحن فيه كنا فيه تاريخياً فى ٩
الوقت نفسه أو بشكل أدق، على نحو
ماكنا عليه ـــ {. . . . .} لا يكون الماضى
إلا جانباً: وهكذا فما نحن فيه هو
الجماعى الخالد غير منفصل عما يرتبط بما
كنا فيه تاريخياً . . . فما بلغه كل جيل
فى علم ما فى إنتاج عقلى ما، هو جزء
موروث، اشترك العالم السابق كل فى
جمعه . . .

ج. ف. هيجل محاضرات
فى تاريخ الفلسفة
المجلد الأول[1]

دون معرفة تاريخ العلم يمكن ألا تفهم العمليات الحالية، وألا تدرك مسارات التطور المستقبلية أيضاً إدراكاً استشرافياً؛ هذا الملمح الفعلى لتاريخ العلم يسرى على كل علم وعلى نشاط علمى. وهى تقتضى أن يلاحظ فى تاريخ العلم جزء من تاريخ أفكار الإنسانية وأن يوضح ما المهام الذى طرحها العلم فى أزمنة مختلفة، وما المناهج التى عدها فيها مناسبةً لأداء هذه المهام. ويعنى هذا بالنسبة لنا أن نتتبع تطور علم اللغة فى سياق الفكر المجمل للعصر من جهة استمرار الموضوعات المتبادلة وعدم استمرارها، وبحث علاقة المناهج بعضها ببعض وبالعلوم المجاورة.

---

(١) ليبزج ١٩٧١، ٨٦ ـ ٨٨.

ويعرض هذا الكتاب لهذه المطالب من تاريخ العلم. فقد نشأ من مختارات «نصوص مشروحة» فى التاريخ الحديث لعلم اللغة، لا ينبغى أن يظل تاريخها السابق لا يذكر عنه شيء:

«فالمؤلفة تقرأ منذ عدة سنوات «تاريخ علم اللغة فى القرنين التاسع عشر والعشرين» فى جامعة ليبزج، وتخطط بوجه خاص للحصول على درجة جامعية ١٠ عليا. ولم يكن علم اللغة العام موجوداً فى جمهورية ألمانيا الديمقراطية/ نهجاً دراسياً، فلم يُدْرَس فى المناهج الدراسية لدراسات فقه اللغة المفردة تاريخ العلم، غير أنه فيما بعد عند الإعداد للدكتوراه تأكد أن هذا الإهمال عيب خطير يجب أن يسوى بالاستعانة على الأقل بالمصادر المتاحة. وهكذا نشأت فى البداية سلسلة من المحاضرات ــ فلم يكن البحث ممكناً بسبب وضع المراجع السائد فى جمهورية ألمانيا الديمقراطية والصعب تحققه للمحايدين ــ ولا يستطيع المرء أن يتوقع من مستمعيه أن يكونوا قد علموا ودرسوا كل المؤلفات المهمة. ومن ثم فقد جمعت المؤلفة بادى الأمر النصوص الأصلية ذاتها ــ بمجهود كبير إلى حد ما ــ ونُشِرَت فى بعض نسخ قليلة. وفى منتصف الثمانينيات واتت الفرصة لنشر المادة التعليمية بطريقة الأوفسيت فى طبعة جامعية خاصة بها. وأمكن أن يضاف آنذاك إلى النصوص الأصلية (فى مستلات) شروح يقدم فيها مؤلفها تحديد موقعه فى تاريخ العلم وتوضيح صلاته بالعلوم المجاورة، وبدءاً من هنا اختصر مضمون الأجزاء المطولة من النص، وأضيفت معلومات خاصة بالمراجع إلى المراجع المستأنفة. وامتدت الموضوعات من مدرسة النحاة الجدد حتى علم اللغة الوصفى، وطبعت النصوص ذاتها بلغتها الأصلية. ونشر العمل المكون من ٤٣٥ صفحة فى جزءين (الجزء الأول سنة ١٩٨٥، والثانى سنة ١٩٨٨)؛ وذاع بسرعة فى المعاهد العليا فى جمهورية ألمانيا الديمقراطية لدرجة أنه كان قد ظهرت هنا نشرة ــ وإن كانت شبه رسمية فقط ــ لمجال تعليمى، لم توجد له مادة سواها، وتبعاً لذلك كان الإقبال عليها كبيراً.

وهكذا فقد أمكن أن يفيد الكتاب المقدم هنا الآن من مادة تعليمية مجربة لسنوات، ومن جهة أخرى يُتبع فيه تصور منقح كلية:

ـ لم يعد يطابق البناء نهج المختارات، بل قُدِّم نص متصل، أدخلت فيه اقتباسات أصلية.

ـ مع هذه الاقتباسات سُلِك مسلك لغوى على النحو التالى: ما دامت الكتب مقدمة فى صياغة ألمانية فإنه تستعمل هذه الصياغة، أما النصوص الانجليزية غير المترجمة فيُبقى عليها كما هى فى الأصل، والنصوص الفرنسية والروسية فأقدم لها ترجمات لى.

ـ أدرج حديثاً فصلٌ عن المرحلة المبكرة للنحو التوليدى فى الخمسينيات والستينيات. وواكبت المختارات علم اللغة الأمريكى حتى علم اللغة الوصفى فقط.

وطبقاً لذلك استكملت بيانات المراجع المدينة للظروف، الضئيلة فى عددها. وربما يعد ذلك التغيير من أقوى التغيرات اللافتة للنظر. فقد ألحقت المراجع بكل فصل. ولم تُرَتَّب وفق المراجع الأساسية والمراجع الثانوية؛ وأمام الاختيار المطروح، هل ينبغى أن تقدم المؤلفات فى ترتيب زمنى حسب سنة الظهور أم فى ترتيب ألفبائى/ حسب أسماء المؤلفين، فقد انتهيت إلى (الترتيب) الأخير. ١١

ـ أبرزت بحروف ثقيلة أسماء ومفاهيم مهمة، تشكل نوعاً من الخيط المرشد خلال كل فصل. وبحروف مائلة قدمت بوجه خاص أوجه الإبراز فى النصوص الأصلية.

وقد حوفظ على التوجيه المستمر إلى دائرة القراء المخاطبين من قبل أيضاً. فالكتاب يرغب فى أن يطلع طلاب فروع علم اللغة والعلوم المجاورة بوجه خاص، بل ومن البدهى أيضاً القراء المهتمين من كل الحقول على أهم التيارات اللغوية فى التاريخ المبكر. ولا يرغب فى أن يجعل دراسة النصوص الأصلية فضلةً، بل على العكس من ذلك تأمل المؤلفة أن تثير بمعلوماتها واقتباساتها الاهتمام بدراسة النصوص الأصلية الكاملة. ولم يخطط هذا الكتاب للملمين بموضوعه.

إن العنوان «مناهج علم اللغة، من هرمان باول حتى تشومسكى» هو برنامج فى الوقت نفسه. فهو يشيـر من جهة إلى أن المدة الزمنية من سنة ١٨٧٠ (تقريباً) حتى سنة ١٩٦٠ (تقريباً) قـد أخذت بعين الاعتبار، ومن جـهة أخرى إلى أن ثمة تحديداً للـنقاط المهمـة (الصعـبة) قد اتبع؛ تحـديداً يؤطر بوعى التيـارات والمناهج الأخـرى فى ذلك الوقت. ووضعـت مدرسـة النحـاة الجدد منطلقـاً، واستعـين باتجاهات نشأت بوصفها رد فعل واعٍ على هذا المذهب التعليمى الثرى للغاية، أى علم اللغة البنيوى فى صياغاته المختلفة.

وقد تناولنا فى الفصل الأول النحـاة الجدد، وفى مقدمتهم كـارل بروجمان وهرمان باول، وانتظامهما فى علم اللغـة منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر وفى مجـال العلم فى هذا القرن بوجه عـام، وبخاصة صلاتهـما بالوضعـية وعلم نفس الفرد(٢). ويُوصل تقـويمٌ لهذه المدرسة ونـقدٌ لها من الداخـل والخارج إلى الفصل الثانى الذى يُقدم فيه واحد من كبار لغويى القرنين التاسع عشر والعشرين، وهو البولندى جان أ. ن. بودوين دى كورتينى بأفـكاره فى علم اللغة، بل ببحوثه أيضاً الموجهة إلى علم الأصوات/ علم الأصوات الوظيفى، وفى التنميط اللغوى. وتعقب مـوجزاً للنظرية اللغـوية لدى فردينان دى سوسـير (الفصل الثـالث) حلقةُ لغويى براغ (الفصل الرابع)، والجلوسماتيـة أى البنيوية الدنمراكية (الفصل الخامس) وعلم اللغـة الوصفى (الفـصل السـادس). وفى الفـصل السابع اختـصـرت أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف بين «المدارس الكلاسيكية لعلم اللغة البنيوى» المعالجة من الفصل الرابع حتى السادس.

١٢ /ونتـيجـة لذلك فـإن هرمـان باول بوصـفه منـظراً للنحـاة الجدد وناعـوم تشومسكى بوصفه مؤسساً ومرشداً روحـياً للنحو التوليدى هما الحدان الفاصلان، بينهـما نُـظِّمت نصوص هذا الكـتاب. ومع ذلك فلم يقـدم بذلك تقـيـيداً زمنيـاً فحسب، بل تقييداً مضمونياً أيضاً.

ولم تُتناول هنا الفلسفة اللغوية فى القرنين التـاسع عشر والعشرين (لا يذكر

---

(٢) لا ينبغى أن توضح هنا اقتباسات أكثر تفصـيلاً عما فى الفصل التالى، كيف استطاعت تلك المدرسة أن تحتل مكاناً سامياً.

إلا أهم ممثليها . ف هومبولت ــ هـ. شتاينتال ــ أ. أ. پوتبنيا ــ أ. مارتى ــ هـ. بولر)، ولم يُتناول بحث المضمون اللغوى، والجغرافيا اللغوية واتجاهات أخرى؛ لأنه لا يلزم أن يكون مرجعاً موسوعياً، بل مدخلاً عاماً.

ومن البدهى أن يستتبع ذلك المطلب مقتضيات أيضاً فى أسلوب العرض ومفرداته. واستغنى عن عمد عن المبالغة فى استعمال المصطلحات التقنية termini technici وعن الأسلوب المدرسى. وتأمل المؤلفة أن تكون قد صنعت بهذه الطريقة كتاباً محبباً للقراء.

مراجع حول موضوعات الكتاب بوجه عام

T.A. Amirova, B.A. Ol'chovikov, Ju.V. Roždestvenskij (1980): Abriß der Geschichte der Linguistik. Leipzig.

Ju.D. Apresjan (1971): Ideen und Methoden der modernen Linguistik. Berlin.

H. Arens (²1969): Sprachwissenschaft. Der Gang ihrer Entwicklung von der Antike bis zur Gegenwart. Freiburg/München (Taschenbuchausgabe in 2 Bänden: Frankfurt 1974).

H.E. Brekle (1987): Was heißt und zu welchem Ende studiert man Sprachwissenschaftsgeschichte?. In: Zur Theorie und Methode der Geschichtsschreibung der Linguistik. Analysen und Reflexionen (Hrsg. P. Schmitter). Tübingen.

G. Helbig (⁸1989): Geschichte der neueren Sprachwissenschaft. Opladen.

R.H. Robins (1973): Ideen- und Problemgeschichte der Sprachwissenschaft. Mit besonderer Berücksichtigung des 19. und 20. Jahrhunderts. Frankfurt/M.

ب. بارتشَت　　　　　　سبتمبر ١٩٩٥

الفصل الأول

١ ـ مدرسة النحاة الجدد

١ ـ ١ ممثلو مدرسة النحاة الجدد الرئيسيون

١٣ / فى السبعينيات من القرن التاسع عشـر اتحد فى ليبزج مجموعة من العلماء الشبان فى دراسات فـقه اللغة ا لمتباينة، الذين مهـدوا لمرحلة جديدة فى علم اللغة التاريخى ـ المقارن. وأثروا تحت اسم «النحاة جدد» تأثيـراً كبيراً فى علم اللغة على الصعيد العالمى وعبر عقـود. ومن هؤلاء عالم فقه اللغة القديم والدراسات الهندو جرمـانية كـارل بروجمـان (١٨٤٩ ـ ١٩١٩)، وعالما الدراسـات الألمانية اللغـوية والهندوجرمانية(*) هرمان باول (١٨٤٦ ـ ١٩٢١) وهرمان أوسـتهوف (١٨٤٧ ـ ١٩٠٩) وعالم الدراسات السـلافية أوجست لسكين ومن الأعضـاء غير الألمان فى هذه المجموعة يجب أن يذكـر الدنمراكى كارل فِرنر (١٨٤٦ ـ ١٨٩٦)، والبولندى جـان بودوين دى كورتينى (١٨٤٥ـ ١٩٢٩) والسـويسـرى فردينان دى سـوسيـر (١٨٥٧ـ ١٩١٣).

وقد خُصِّص للأخيرين بسبب أهميـتهما للتطور التالى لعلم اللغة العام لكل منهما فصل خاص فى هذا الكتاب.

حصل ***كارل بروجمان*** Karl Brugmann سنة ١٨٧٧ على الأسـتاذية لدى عالم اللغة اليـونانية القديمة وحضـارتها جيورج كورتيوس فى ليـبزج. وكان بعد ذلك فى البداية محـاضراً فى الجامعة، ثم لبى نداء العمل أستاذاً كـرسياً لفقه اللغة الكلاسيكى لمدة ثلاث سنوات فى جامعـة فرايبورج فى برايسجاو i.Br. وعاد سنة ١٨٨٧ إلى ليبزج حين حُوِّل كرسى تدريس جيـورج كورتيوس بعد وفاته لفقه

(*) ظهر مصطلح "indogermanisch" هندوجرمانى لأول مرة عام ١٨٢٣، واستعمله بوت Pott عام ١٨٣٣، وقد ورد مـصطلح Indo - European فى الإنجليزية بدايـة من ١٨١٤، ولا يخفى على القارىء إيثار العلماء الألمان المتفردين فى هذه الدراسات استعمال المصطلح الأول. (المترجم)

اللغة (الكلاسيكى) من أجله بالذات إلى كرسى تدريس علم اللغة الهندوجرمانى وحتى وفاته سنة ١٩١٩ عمل بروجمان إذن ما مجموعُه حوالى ٤٠ سنة فى ليبزج، وحصل بوصفه عالم الدراسات الهندوجرمانية على شهرة لا مثيل لها فى بحث علم اللغة التاريخى ـ المقارن وتدريسه. وهو أيضاً الذى أيد اسم «النحاة الجدد» (الذى أُطْلِق) على هذه المجموعة، وَثَبَّته، فحسب كلامه كان فى الحقيقة حلاً لحيرة، إذ لم يخطر على باله اسم مناسب ـ وفى الواقع كان «النحاة الجدد» الاسم التهكمى فيما يراد من إطلاق العميد آنذاك فريدريش تسارنكه على تلك الجماعة التى كانت وقتذاك فى الثلاثينيات (قارن تواريخ الحياة لممثلى المجموعة السابق إيرادها)(*). ويجب أن يبرز بوجه خاص من المؤلَّف الجامع الغنى لكارل بروجمان «البحوث المورفولوجية فى عدة مجلدات فى مجال اللغات الهندوجرمانية» (بدءًا من سنة ١٨٧٨ مع هرمان أوستهوف)، و«نحو اللغة اليونانية» (١٩٠٠) الذى أكمله ونقحه ادوارد شفايتسر، ظل إلى الوقت الحاضر كتاباً تعليمياً مهماً.

/ وحصل ***هرمان باول*** Hermann Paul سنة ١٨٧٢ على الأستاذية كذلك ١٤
فى ليبزج. وفى السنة ذاتها بدأ أيضاً ـ بالاشتراك مع ڤيلهلم براونه ـ إصدار «إسهامات فى تاريخ اللغة والأدب الألمانيين». وفى سنة ١٨٧٤ دُعى إلى فرايبورج فى برايسجاو فى البداية أستاذاً كرسياً غير عامل (متفرغاً)، وفى سنة ١٨٧٧ أستاذاً كرسياً (عاملاً) للغة والأدب الألمانيين. وفى سنة ١٨٩٣ لبى نداء جامعة ميونخ، التى مثَّل فيها حتى ١٩١٦، أى حتى السبعين من عمره الدراسات اللغوية والأدبية الألمانية. وقد أعاقه مرض عينه الذى كان قد ظهر فى سنة ا لدراسة زمناً من حياته. وفى سنة ١٩١٤ بدأ يفقد بصره كلية بسبب انفصال فى الشبكية، ولذلك

(*) يتضح هنا أن علة إطلاق «النحاة الجدد» على هذه المجموعة الشابة تهكمية من جيل كبار فقهاء اللغة، كما تؤكد المراجع اللغوية. وانفرد روبنز بأنه لقب ذو إيحاء سياسى حين قال فى الموجز ص ٢٩٧: وقد تصادف لأستوف وبروجمان أن يعلنا هذه الآراء بشكل منهجى باعتبارها آراء أساسية لعلم اللغة التاريخى، وأن يقبلا بفرح لقب «القواعديين الجدد (Junggrammatiker) بوصفه لقباً رسمياً، وهو لقب ذو إيحاء سياسى أصلاً أطلق على مجموعة من العلماء الشبان فى ﻟﻴﺒﺰج حيث كانوا يعملون. (المترجم)

ربما أعقب ذلك أيضاً تقاعده سنة ١٩١٦. ولم يستطع أن ينهى أعماله الأخيرة إلا بمساعدة آخرين عملوا ما يمليه عليهم.

وقد عُنى هرمان باول بوصفه عالماً فى الدراسات اللغوية والأدبية الألمانية بتاريخ اللغة الألمانية، والعَروض، وتاريخ النصوص، وتاريخ علم اللغة. ومن أشهر مؤلفاته فى هذه المجالات نحو اللغة الألمانية الفصحى الوسطى "Mittelhochdeutsche Grammatik" (١٨٨١)، ونحو اللغة الألمانية «الجرمانية» "Deutsche Grammatik"(*) (٥ مجلدات من ١٩١٦ — ١٩٢٠)، ومعجم اللغة الألمانية «الجرمانية» "das „ Deutsche Wörterbuch" (١٨٩٧). وقد عرفت مؤلفاته عدداً كبيراً من الطبعات (التى نقحها هو نفسه إلى حد ما أيضاً)، وهكذا ظهرت فى سنة ١٩٨٩ الطبعة ٢٣ من كتابه «نحو اللغة الألمانية الفصحى الوسطى»، وسنة ١٩٩٢ الطبعة ٩ من معجم اللغة الألمانية.

وقد عالج هرمان باول بوصفه عالماً فى الدراسات الهندوجرمانية قضايا منهجية بوجه خاص؛ فأدخل اهتماماً قوياً بالفلسفة اللغوية فى مناقشة موضوعات النحاة الجدد ـ تكونت فى أثناء زمن دراساته فى برلين بتأثير حاييم شتاينتال المحاضر هناك ـ ويعد منظراً ومنظماً لمدرسة النحاة الجدد. أما مؤلفه الأساسى فى تلك الموضوعات فهو «أسس تاريخ اللغة Prinzipien der Sprachgeschichte » (الطبعة الأولى ١٨٨٠)، قارن حول ذلك ما يرد تحت ١ ـ ٢ ـ ٢.

وحصل ***هرمان أوستهوف*** Hermann Osthoff أيضاً سنة ١٨٧٥ فى ليبزج على الأستاذية، «ببحوث فى مجال بناء الجذر الاسمى فى اللغات الهندوجرمانية». ودُعى سنة ١٨٧٧ إلى هايدلبرج. وعمل هناك بدءاً من ١٨٧٨ أستاذاً كرسياً.

(*) ربما كان الأفضل أن يُترجم عنوان هذا الكتاب إلى نحو اللغة الجرمانية، لأنها المقصودة وكذلك المعجم إلى معجم اللغة الجرمانية فالمقصود اللغة الألمانية القديمة لا الحديثة. وقد نبه رويتز إلى ذلك فى إشارة ذكية إلى ضرورة فهم كتاب جريم Deutsche Grammar القواعد الجرمانية لا القواعد الألمانية. (المترجم)

وظل فى اتصال بالخطابات مع ليبزج ــ وفى سنة ١٩٩٣ نشرت على سبيل المثال رسائل أوستهوف إلى كارل بروجمان من ١٨٧٥ ــ ١٩٠٤ (نشرتها أ. اينهاوسر). ونشر أوستهوف بالاشتراك مع بروجمان بدءاً من ١٨٧٨ «البحوث المورفولوجية فى مجال اللغات الهندوجرمانية». وقد عولجت مقدمة المجلد الأول من هذه النشرة المكونة من عدة مجلدات بسبب أهميتها البالغة، معالجة خاصة تحت ١ـ٢ـ٢.

ويشغل **أوجست لسكين** August Leskien مكانة خاصة داخل مدرسة النحاة الجدد. وقد عُدَّ أحياناً بسبب علاقته العلمية بأوجست شلايشر (قارن ١ـ٢ـ١) من جانب، وبسبب الفارق العُمرى من جانب آخر، أستاذاً للنحاة الجدد، وليس عضواً فى هذه المدرسة. ومن جهة أخرى يرى مؤرخو الدراسات السلافية فيه قطب هذه المدرسة. وفى الحقيقة الفارق العمرى ضئيل، بل يدخل بالأحرى فى الحسبان أن
15 لسكين قد حصل فى وقت مبكر جداً قبل الآخرين على/ منصب الأستاذية (سنة
١٨٧٠ أستاذاً مساعداً، وسنة ١٨٧٦ أستاذاً كرسياً للدراسات السلافية فى ليبزج). ومن سنة ١٨٧٠ حتى وفاته سنة ١٩١٦ عمل فى هذه الجامعة، فى العقود الأخيرة إلى جوار كارل بروجمان ــ كلاهما أسس السمعة العالمية لعلم اللغة التاريخى ــ المقارن(*) فى ليبزج، وينبغى أن يعرضا أيضاً مترابطين. ويعد من أهم مؤلفات أوجست لسكين «المرجع فى اللغة البلغارية القديمة (السلافية الكنسية)» (١٨٧١)، ونحو اللغة البلغارية القديمة (السلافية الكنسية)» (١٩٠٩) ــ ظهر كلاهما فى عدة طبعات ــ والكتاب الفائز بجائزة جمعية يبلونوفسكى(Societas Jablonoviana ١٨٧٦) «التصريف فى اللغات السلافية ــ الليتوانية والجرمانية »

"Die Deklination im Slavisch - Litauischen und Germanischen".

(*) يبدو أن مصطلح Vergleichende Grammatik («القواعد المقارنة» الذى ظل يستعمل كثيراً عنواناً لعلم اللغة المقارنة والتاريخى) قد وضعه شليجل. وفى الواقع كانت مقارنة الصرف التصريفى والاشتقاقى للسنسكرينية واللغات الهندوأوربية الأخرى، وبشكل خاص اللاتينية واليونانية، هى التى ركز عليها علماء الدراسة المقارنة الأوائل. (المترجم)

١ ـ ٢ التقليد والتجديد فى تفكير النحاة الجدد اللغوى

١ـ٢ ـ ١أوجه التصادم المباشر فى الأفكار بالنسبة للنحاة الجدد

فى مطلع القرن التاسع عشر كان قد أسس فرانتس بوپ (١٧٩١ ـ ١٨٦٧)، وياكوب جريم (١٧٨٥ ـ ١٨٦٣)، وراسموس راسك (١٧٨٧ ـ ١٨٣٢) والكسندر فوستوكوف (١٧٨١ ـ ١٨٦٤) الدراسات التاريخية المقارنة، التى ينعكس فيها روح عصر الرومانسية مع عودة الوعى بتاريخ الشعوب وتاريخها اللغوى، وتحديد السنسكرينية بأنها لغة هندوجرمانية(١)(*) . وكان ياكوب جريم قد سوَّى بين النحو العلمى والنحو التاريخى. وكان كتابه «نحو اللغة الألمانية (الجرمانية)» (١٨١٩ وما بعدها) فى الواقع نحواً مقارناً للغات الجرمانية.

وقد كان مماله أهمية إلى جانب ذلك كتاب فرانتس بوپ «النحو المقارن للسنسكرينية والزرادشتية والأرمينية واليونانية واللاتينية والليتوانية والسلافية القديمة والقوطية والألمانية» (بدءاً من ١٨٣٣) ، بل والأقل شهرة أيضاً لأسباب لغوية «بحوث فى مجال النوردية، أو أصل اللغة الايسلاندية (ظهرت بالدنماركية سنة ١٨١٨، والعنوان الأصلى هو: "Undersögelse on det gamle Nordiske

---

(١) فى محاضرة للمستشرفين الانجليز، لوليام جونز الذى كان يعمل قاضياً فى البنغال، أمام الجمعية الآسيوية فى كلكتا سنة ١٧٨٦، طبعت سنة ١٧٨٨ فى البحوث الآسيوية.

(*) وردت العبارة المعنية فى فقرة من تقرير جونز وردت فى الموجز ص ٢٢٤. إذ يقول: وفى سنة ١٧٨٦ قرأ السير وليم جونز Sir W. Jones، وكان قاضياً فى المحكمة البريطانية فى الهند، ورقته الشهيرة فى الجمعية الملكية الآسيوية فى كلكتا التى أثبت فيها ـ من دون شك ـ القرابة التاريخية للسنسكرينية، اللغة الكلاسيكية للهند، مع اللاتينية واليونانية واللغات الجرمانية. فقد ورد فى تقريره: اللغة السنسكرينية مهما يكن قدمها، لغة ذات تركيب عجيب، وهى أكثر كمالاً من اليونانية، وأغزر إنتاجاً من اللاتينية، وأكثر منهما تهذيباً بشكل رائع، وهى فوق ذلك على قرابة بكل منهما فى جذور الأفعال وصور القواعد معاً، قرابة أقوى من أن تكون نتاجاً للمصادفة، وهى قرابة قوية فى الواقع لدرجة أن أى عالم فى الفيلولوجيا لا يمكنه أن يفحص اللغات الثلاث جميعاً، دون أن يعتقد أنها نشأت عن أصل معين مشترك ربما لم يعد موجوداً، كما أن هناك مسوغاً مشابهاً، برغم أنه ليس قوياً تماماً، لافتراض أن كلاً من القوطية والسلتية تشتركان فى نفس الأصل مع السنسكرينية. (المترجم)

"aller islandske Sprogs Oprindelse" لراسموس راسك، وكذلك «شروح حول اللغة السلافية» المتخذ مدخلاً إلى نحو هذه اللغة، جمعت حسب أقدم آثاره الكتابية» (١٨٢٠ العنوان الأصلى الروسى „Rassuždenie o slavjanskom jazyke, služašče vvedeniem k grammatike sego jazyka, sostavljaemoj po drevnejšim onogo pis'mennym pamjatnikam") لالكسندر فوروفيتش فوستوكوف.

/ وربما كان من غير الممكن أن توجد بحوث النحاة الجدد دون هذه المرحلة ١٦
فى تطور العلم. ومع ذلك لم تكن التصحيحات فقط ضرورية بالتفصيل، بل وجب أن يعاد تمحيص التصور الكلى من الناحية المنهجية وأن يوضع على أساس أكثر دقة.

إنه أوجُست شلايشر August Schleicher (١٨٢١ ــ ١٨٦٨) الذى يمثل همزة وصل على نحو خاص بين علم اللغة التاريخى ــ المقارن المبكر فى القرن التاسع عشر والنحاة الجدد. وقد ضم بوصفه أستاذاً لعلم اللغة المقارن والسنسكريتية فى يينا Jena إلى دراساته اللغوية السلافية والبلطية(*). وفى أثناء منصب الأستاذية السابق له فى براغ أشيعت عنه معرفة رائعة بالتشيكية، وقد نشر ١٨٥٢ «علم الصيغ فى اللغة السلافية الكنسية»، وسنة ١٨٥٦ المجلد الأول من «مرجعه فى اللغة الليتوانية، وهو «نحو اللغة الليتوانية». أما مؤلفه الرئيس فهو: "Compendium der vergleichenden Grammatik der indogermanischen Sprachen" موجز النحو المقارن للغات الهندوجرمانية (١٨٦١/ ١٨٦٢).

وقد استخدم عند سعيه إلى بحوث لغوية تاريخية أكثر دقة مصطلح "Lautgesetz" (القانون الصوتى) الذى لم يكن بعد قد مُورس لديه فى نظام من المفاهيم، ولم يصر مفهوماً مركزياً إلا فى علم مناهج النحاة الجدد(**) ــ فقد كان

(*) اللغات البلطية: مجموعة من اللغات الهندوأوربية: اللاتفيانية والليتوانية والبروسية القديمة.

(**) من المؤكد أن مفهوم القانون الصوتى ليس من اختراع النحاة الجدد، فقد كان له ظهور لدى جريم ويوب، وإن سلما بوجود استثناءات بشكل واضح. وعلى الرغم من تأكيد شلايشر على الاطراد فقد سلم هو أيضاً بحدوث التطورات الشاذة بوصفها شواهد اتيملولوجية. غير أنه صار على يد النحاة الجدد مبدأً صارماً، لا يجيز أى استثناء. (المترجم)

أوجست لسكين تلميذه وخليفته لمدة قصيرة فى يينا، قبل أن يدعى إلى ليبزج. (انظر ما يلى ١ ــ ٢ ــ ٢).

وقد نشأت دقة البحث لدى شلايشر من ميوله إلى العلوم الطبيعية. فقد دافع، مثل دارون، ولكن بشكل مستقل عنه، عن أفكار التطور. والمظهر لذلك كتابه «نظرية دارون وعلم اللغة» (١٨٦٣)، نشر على أنه رسالة مفتوحة إلى السيد د. ارنست هيكل أستاذ كرسى علم الحيوان ومدير متحف الحيوان فى جامعة يينا (أعيد طبعه لدى كورنر (١٩٨٣) وكريستمان (١٩٧٧)). إن اللغة بالنسبة لشلايشر مثل الكائن الحى»[٢] الذى مثل كل كائن حى ينمو ويزدهر ويتدهور[*]. والتطور اللغوى يحدث وفقاً له بالتبادل مع تطور الإنسانية والحضارة الإنسانية، فقد وجد عصر ازدهار اللغات فى زمن ما قبل التاريخ، أما اللغات الحديثة فتعكس مرحلة التدهور. ومن المنطقى أن ينتج عن ذلك مطلب بحث الأحوال اللغوية المبكرة للغاية ــ على نحو ما كان ياكوب جريم قد رأى هدف البحوث اللغوية التاريخية فى رد كل الصيغ اللغوية المعاصرة إلى مراحلها الأقدم. وقد توج شلايشر هذا البرنامج البحثى بوضع حكاية خرافية فى أصلها الهندوجرمانى («الشاة والجياد»)
١٧ ومع ذلك فإن النتيجة، الساخرة غالباً، / وإن كانت بسبب ما استتبع إعادة البناء جديرة بالإعجاب، تتضمن خطأ فكرياً حقيقياً: فقد تألفت الصيغ المعاد بناؤها فى طبقة لغوية موحدة، على الرغم من أنه ليس من الممكن إثبات أن هذه الصيغ ــ بافتراض أنها قد أعيد بناؤها بشكل صحيح ــ قد استخدمت فى وقت واحد، أى من الجيل ذاته من المتكلمين.

أما التعبير عن فهم بيولوجى للكائن الحى فهو تعبير شلايشر أيضاً المشهور

---

(٢) قارن مفهوم الكائن الحى فى القرن الثامن عشر.

(*) اعتبر شلايشر نفسه عالماً طبيعياً، فقد رأى أن موضوعه ــ اللغة ــ بوصفها نظاماً من الأنظمة الطبيعية للعالم ــ يجب أن يعالج بمناهج العلم الطبيعى، وهو نظام له مراحل نشأة ونضج وتدهور بشكل مستقل عن إرادة متكلميه أو وعيهم. ولقد تطلع إلى علم الأحياء فى بحثه عن نموذج علمى لعلم اللغة التاريخى. (المترجم)

«نظرية شجرة النسب "Stammbaumtheorie"، عرض القرابة اللغوية بين اللغات الهندوجرمانية (استخدم عالمياً بدلاً من ذلك مصطلح «هندوأوربية») فى صورة شجرة مع جذور وساق وفروع؛ عرضها سنة ١٨٥٠ فى: «لغات أوربا من خلال رؤية منظمة». وظلت هذه النظرية متغلغلة فى قرننا إلى حد بعيد أكثر من بقائها تعميماً واضحاً لمعارف لغوية تخصصية، حتى وإن كانت قد هوجمت وصححت بعد ظهورها بوقت قصير[٣].

ولتبسيط التيارات اللغوية فى القرن التاسع عشر، وبخاصة إبراز البحوث الشديدة الثراء فى الفلسفة اللغوية ليلهلم فون هومبولت وحاييم شتاينتال وغيرهما، ينبغى أن ينظر إلى الاتجاهين المرتكزين على جريم وشلايشر على أنهما تصادم فكرى حاسم بالنسبة لجيل النحاة الجدد.

١ ـ ٢ ـ ٢ موضوعات النحاة الجدد ومناهجهم الرئيسية

لقد درست موضوعات النحاة الجدد ومناهجهم الرئيسية، التى تطورت فى هذه المدرسة، من خلال مؤلفين مهمين؛ مقدمة المجلد الأول من: «بحوث مورفولوجية فى مجال اللغات الهندوجرمانية لـ ك. بروجمان وهـ. أوستهوف، و«أسس تاريخ اللغة» لـ هـ. باول».

---

(٣) كذا من خلال «نظرية الموجات اللغوية» ليوهانس شميت بوجه خاص.

(*) أوضح روبنز فى موجزه ص ٢٩١ هذه النظرية أو النموذج بأنه أقام عن طريقه العلاقات بين اللغة الأم وبين اللغات الهندوأوربية المعروفة. ولقد افترضت لكل منها لغة أم مشتركة Grundsprache (مثل اللاتينية المنطوقة المعروفة بوصفها أماً للغات الرومانسية) وأرجعت كل هذه الأسر الفرعية إلى Ursprache (لغة أصلية) واحد، تمتلك خصائص مشتركة بينها كلها. وهذا السلف المشترك للغات الهندوأوربية يمكن إعادة بنائه عن طريق مقارنة الصيغ المتماثلة المدلل عليها فى الأسر الفرعية المختلفة، كما أن النظام الكامل للغات فى علاقاتها التاريخية قد أقيم فى شكل الشجرة. وهذه الصيغ المعاد بناؤها كانت بالطبع مختلفة عن الصيغ المعروفة (وعن الصيغ المخمنة فى لغات معروفة بشكل جزئى كما فى النقوش المهشمة). وقد شرع شلايشر فى ممارسة تمييزها بعلامة نجمية (من هنا نشأ المصطلح المتأخر «صيغ منجمة»). (المترجم)

ففى سنة ١٨٧٨ ظهر المجلد الأول من «بحوث مورفولوجية فى مجال اللغات الهندوجرمانية» ويُصَدِّره المؤلفان بروجمان واستهوف بمقدمة(٤)، بدآها على النحو التالى:

«منذ ظهور كتاب شيرر Scherer «فى تاريخ اللغة الألمانية» (برلين ١٨٦٨)، وفى الواقع من خلال الباعث المنطلق من هذا الكتاب تغيرت معالم وجه علم اللغة المقارن تغيراً كبيراً، فقد شق منهجٌ للبحث لنفسه منذ ذلك مساراً، وكسب باستمرار أتباعاً، منهج يختلف اختلافاً جوهرياً عن المنهج الذى انتهجه النحو المقارن فى نصف القرن الأول من وجوده (١٨٧٨، III)(*).

١٨ / ينتقد بروجمان البحث اللغوى آنذاك، فقد هوجم موضوع بحثه، اللغات الهندوجرمانية دون إيضاح المسائل الأساسية مسبقاً، مثل: كيف تحيا اللغة الإنسانية وكيف تتطور بوجه عام؟ ما العوامل التى تؤثر عند التكلم، كيف تتفاعل عند التغير اللغوى؟

يجمل كارل بروجمان قائلاً:

لقد بُحثت اللغات باجتهاد شديد، ولكن لم يبحث ***الإنسان المتكلم*** إلا بحثاً ضئيلاً للغاية (١٨٧٨، III استقيت أوجه الإبراز هنا وفى الاقتباسات التالية من الأصل).

وقد وصفت هذه المقدمة بعد وقت قليل بأنها **عقيدة** Kredo، شهادة هذه المدرسة. إنها توضيح أساسى لزم أن يكون مبدأً للأتباع، بل أن يقدم فى الوقت

(٤) ذكر بروجمان فيما بعد أن نص «المقدمة» قد ألفه هو وحده، ولكن أوستهوف قد وقع عليها معه.

(*) الاقتباسات هنا من مقدمة أهم مؤلف لاستهوف وبروجمان، وهى فى الحقيقة جديرة بالترجمة للغة العربية لأهميتها البالغة، فهى ليست عقيدة أو شهادة هذه المدرسة فحسب، بل هى دستورها فى العمل، وتذكر مختصرة فى أغلب المواضع، وعنوانها الكامل هو: Morphologische Untersuchungen auf dem Gebiete der indgermanischen Sprachen «بحوث مورفولوجية فى مجال اللغات الهندوجرمانية». (المترجم)

نفســه حججاً أيضــاً للنقاش آنذاك طيلة ما يقـرب من عشر سنوات حول المعـالجة المنهجية فى بحوث تاريخية ــ مقارنة:

بيد أنه يمكــن فى هذا الموضع أيضاً أن نرجو نقــادنا المحتــملين كل مرة أن يلاحظوا ما المبادىء التى انطلقنا منها لتقرير هذا الفرض أو ذاك. للأسف للمرء فى السنوات الأخيرة فى مرات عدة أحكام حول اتجاهنا رافضة بشكل شديد العموم أو يستحسن بعض الآراء التى طرحهــا هذا الاتجاه، تلك التى لا تثبت إلا أن حالات الأحكام المعنية لم تتدبر بعد مطلقاً ما الدوافع التى قادتنا إلى اتباع هذا المنهج بعينه وليس منهجاً آخر (١٨٧٨، XIX).

فى الفقرات التالية تُقَدم أهم الآراء من تلك المقدمة.

١ ــ اللغة بالنسـبة للنحاة الجـدد ليست كائناً حـياً بل هى **نشاط نفسى فيزيائى**. ليست كائناً حـياً خارج البشر وإلى جوارهم بل هى نشــاط تابع للبشر الذين يستخدمونها:

لآلية الـكلام الإنسانية جـانبان؛ جـانب نفسى، وجـانب بدنى. ويجب أن يكون الهدف الأساسى للباحث اللغـوى المقارن إيضاح نوع نشاطه، ذلك لأنه بناء على معرفة أكثر دقة بنظام هذه الآلية الروحية ــ الجسدية وطريقة فعلها فقط يمكنه أن يكون تصوراً عما هو ممكن لغوياً بوجه عام [...] (١٨٧٨، III).

هكذا فقط يستطيع الباحث أن يعرف أيضاً كيف تنفذ التجديدات اللغوية فى الجمـاعة اللغوية، وذلك انطلاقــاً من متكلميــن فرادى، ذلك أنه: بالنسبــة للنحاة الجدد مــا هو واقعى ليس إلا لغة الفرد، فـالأساس النفسى لهـذه المدرسة هو علم نفس الفرد لهربرت[٥]. إذ إن كل تغيرات اللغـة يمكن أن تفهم/ وأن توضح من ١٩
الأفراد المتكلمين فقط. وقد كان هذا النشاط النفسى الفيزيائى للإنسان عند التعامل مع اللغة واحـداً فى كل الأزمنة، وهكذا يمكن للمرء أن يوضح (يفســر) عمليات لغوية فى أزمنة سحيقة بالقوانين ذاتها مثلما يفسرها فى الوقت الحاضر.

(٥) يوهان فـريدريش هربرت J.F. Herbart (١٧٧٦ ــ ١٨٤١) فـيلســوف وعـالم نفس وتربوى من كونجسبرج قوى التأثير.

٢ ـ وبناءً على كون الإنسان قد وضع فى القلب يفسر أيضاً التقويم الجديد لكى الأحوال اللغوية المبكرة للغاية بما فيها اللغة الأصل.

فاللغة الأصل Ursprache بالنسبة لمدرسة النحاة الجدد هى افتراض. وتقويم الأحوال اللغوية السحيقة بأنها زمن الازدهار، والحَط من الفترات الأحدث بوصفها تعبيراً عن التدهور ـ على نحو ما رأى أوجست شلايشر الأمر ـ بالنسبة لهم استنتاج خاطىء. فلا يمكن للمرء أن يبحث كيف تحيا اللغات وتتطور إلا من خلال التاريخ اللغوى المسجل فى آثار لغوية، والمسجل عن نحو أفضل فى اللغة المعاصرة واللهجات(*). وحسب مبدأ الانتقال من المعروف إلى المجهول يجب على المرء لذلك أن ينطلق من اللغة الحالية، وبمساعدة المعارف المكتسبة على هذا النحو ينفذ إلى الأحوال اللغوية الأقدم. ومن المسوغ وسيلةً لهذه المعرفة أن يعاد بناء صيغ لغوية أصلية مفردة. ومع لا يمكن أن يعاد بناء حال لغوية كلية. فالمرء لا يستطيع مطلقاً أن يثبت أنه قد وُجِد جيل من المتكلمين قد عرف وتكلم فى الوقت نفسه كل الصيغ التى أعاد بناءها أوجست شلايشر كلها مثلاً.

ولما كانت هذه الفرضية بالنسبة لعلم مناهج النحاة الجدد فرضية مركزية فينبغى أن يدلل عليها باستشهاد أطول:

لقد كان إعادة بناء اللغة الهندوجرمانية الأساسية حتى الآن الهدف الرئيس دائماً ولب البحث اللغوى المقارن كله، وكان من نتيجة ذلك أن المرء فى كل بحث قد يمم وجهه شطر هذه اللغة الأصل دائماً. وعُنِى داخل اللغات المفردة المعروفة لنا من خلال الآثار الكتابية [...] بالفترات السحيقة الأشد قرباً من اللغة الأصل فقط تقريباً [...]. وكُوِّنت من صيغ الفترات اللـ ـية السحيقة المتاحة تاريخياً

(*) صرفوا النظر عن الـ Ursprache بوصفها واقعاً مفترضاً قبل تاريخى ووجهوه إلى المادة الموجودة فى المدونات المكتوبة ولهجات الوقت الحاضر المنطوقة. وقد أكدوا على اللغات الحية وعلى عدم ملاءمة حروف اللغات الميتة إعطاء معلومات عن نطقها الفعلى، وجعلوا اللهجات المنطوقة لأوربا ميداناً حيوياً للبحث العلمى فيما يمكن أن تلقيه من ضوء على التغيير اللغوى.
(المترجم)

الصيغ الهندوجرمانية الأساسية. وسرعان ما جعلت هذه الأخيرة آنذاك فيها المعيار العام للحكم على التكوينات اللغوية التاريخية، ***حيث حصل علم اللغة المقارن أساساً بمساعدة الصيغ الهندوجرمانية الأصلية على تصوراته العامة عن الكيفية التى تحيا بها اللغات ويستمر بناؤها ويتغير***. (١٨٧٨، V/VI).

يبد أنه من الضرورى أن يتغير هذا الموقف. فالباحث يحتاج إلى جمع للمادة، يسجل ما أمكن التغيرات اللغوية دون فجوات عبر القرون، وكلما ازداد قرب النصوص من الوقت الحاضر كان وضع الانطلاق أكثر ملائمة، لأن: الباحث اللغوى: [...] يجب أن يتحرر آخر الأمر من كل فكرة كلية، يحتاج المرء بوصفه عالم الدراسات الهندوجرمانية المقارنة إلى أن يعنى بالمراحل المبكرة جداً للغات الهندوجرمانية فقط حين تقدم مادة لغوية، توضع فى الاعتبار لإعادة بناء اللغة الهندوجرمانية الأصلية. (١٨٧٨، VII).

٢٠ / وغالباً ما استشهد بالموجز التالى لمهام اللغوية:

وهكذا: فالباحث اللغوى المقارن هو وحده ذلك الذى يخرج من دائرة بخار الورش المعبَّأ بالافتراضات التى شُكِّلت فيها الصيغ الهندوجرمانية الأساسية، إلى الهواء النقى للواقع الملموس والحاضر، للوقوف هنا على ما حالت أبداً النظرية الغامضة دون معرفته، فهو فقط الذى يمكنه الوصول إلى تصور صحيح عن طريقة حياة الصيغ اللغوية وطريقة تغير بنيتها، وأن يظفر بتلك الأسس المنهجية التى لا يمكن للمرء مطلقاً أن يتوصل بدونها فى البحوث اللغوية التاريخية إلى نتائج جديرة بالتصديق [...]. (١٨٧٨، IX)(*).

(*) ورد هذا الاستشهاد مبتوراً مع بعض التغييرات فى الموجز لروبنز ص ٢٩٩، إذ يقول: اللغوى المقارن وحده هو الذى ينبذ جو الحلقات الدراسية المعبأ بالافتراضات الذى تتم فيه صياغة جذور الأسرة الهندوجرمانية، ويظهر فى الضوء الساطع للواقع الحاضر الملموس من أجل أن يحصل من هذا المصدر على المعلومات التى لا يمكن أن تمنحه إياها النظرية الغامضة، ويمكنه بذلك الوصول إلى عرض صحيح لحياة الصيغ اللغوية وتحولاتها. (المترجم)

ولا يجوز للمرء بوجه خاص أن يقتصر على اللغة، «على الكتابة» يجب عليه أن يوفق في تجاوز أوصاف وتصنيفات نحوية، لأنه لا شيء يُظفر به حين يُعطى للشيء اسمٌ، دون أن يُسبر جوهره. لقد صار «سبر جوهر اللغة» الموضوع المركزي للنحاة الجدد.

٣ ــ المفهوم المفتاح لمدرسة النحاة الجدد هو مفهوم ***القانون الصوتي***. فقد استخدم النحاة الجدد هذا المفهوم الذي أنشيء من قبل لدى ياكوب جريم، وأدخله أوجست شلايشر مصطلحاً، للارتفاع بعلم اللغة إلى علم القوانين. وقد ركزوا، بتأثير من الوضعية من الناحية الفلسفية وحفز من خلال نجاح علم الأصوات وبخاصة فسيولوجيا الصوت (علم وظائف الأعضاء الصوتية)، علمهم على الحقائق الممكن ملاحظتها، ومن ثم قاموا ببحوث تاريخية مقارنة بوجه خاص في التطور الصوتي وفي علم الصرف. هنا أحسوا «بأرض ثابتة تحت أقدامهم»، ووجدوا أنفسهم أقرب إلى العلوم الطبيعية(*). فمن هذه العلوم استعاروا أيضاً مفهوم القانون، وعالجوا في البداية القوانين الصوتية مثل القوانين الطبيعية، أي أنهم أكدوا خواصها الحتمية، إذ «لا شذوذ في القوانين الصوتية»، التي تعمل بقانون «الضرورة العمياء للطبيعة "mit der blinden Notwendigkeit der Natur"»:

كل تغير صوتي، ما دام يعتور (يطرأ) بشكل آلي، يتم وفق قوانين لا شذوذ فيها، أي أن اتجاه الحركة الصوتية لدى جميع أتباع الجماعة اللغوية هو نفسه

(*) أراد القواعديون الجدد أن يجعلوا علم اللغة التاريخي علماً منضبطاً متوافقاً مع تلك الطبيعة التي حققت تقدماً مدهشاً في القرن التاسع عشر، وكان منها علم الجيلولوجيا على وجه ملحوظ، وقد آمن علماء القرن التاسع عشر بقوة بعمومية القوانين الطبيعية التي فهمت فهماً صحيحاً، كما أن اتساق الطبيعة كان دجمة dogma (عقيدة) سائدة. وفي ظل هذه الروح كتب أوستهوف عن القوانين الصوتية التي تسير وفقاً للضرورة العمياء، وبشكل مستقل عن إرادة الأفراد، مع أن اللغة ليست كياناً عضوياً فوق شخصي بنشأتها وحياتها، كما أكد همبولت وشلايشر من قبل، ودى سوسير من بعد (تحت تأثير دوركايم)، فاللغة ببساطة تحقق وجودها من خلال الأفراد الذين يكونون جماعة لغوية، والتغيرات اللغوية عبارة عن تغييرات في عادات الأفراد الكلامية. الموجز ص ٢٩٨، ٢٩٩، وانظر كذلك صـ ٣٠٧، ٣٠٨. (المترجم)

دائماً باستثناء حالة دخول انقسام لهجى، وكل المفردات التى يظهر فيها الصوت قد أخضع لحركة صوتية فى إطار العلاقات ذاتها، يعتورها التغير دون استثناء. (١٨٧٨، XIII).

ومع ذلك يحاول المرء ابتداء أن ينظر إلى استثناءات قائمة فعلاً على أنها نتيجة قوانين لم تعرف بعد.

٤ ــ بيد أنه ما لبث أن قاد الدور المحورى للإنسان المتكلم ومن ثم للنشاط
الكلامى المقتضى نفسياً أيضاً النحاة الجدد إلى إدخال مبدأ تأثير ***القياس***
Analogie تكملةً لمفهوم «القانون الصوتى». وتبين أقوال متأخرة أن ممثلى هذه
المدرسة قللوا من الاعتزاز دائماً/ باللاشذوذ بمفهوم العلم الطبيعى، ومن ثم ظهر ٢١
مفهوم القانون أقل حفزاً دائماً. وهكذا حدد دلبروك Delbrück[٦] فى سنوات
متأخرة أن القوانين الصوتية ليست شيئاً آخر سوى أوجه انتظام، تظهر فى لغة
وزمان محددين، ولا تسرى إلا عليهما.

وقد عدت تأثيرات القياس (أى تداعيات الصيغة) بين الصيغ اللغوية للحاضر منذ مدة طويلة بدهية. وكما يعرض الاقتباس التالى ينبغى لذلك أيضاً أن «يُقر دون حرج» للفترات الأقدم والسحيقة عمل أبنية القياس.

ولما تجلى بوضوح أن تداعى الصيغة، أى البناء الجديد للصيغ اللغوية على طريق القياس، وأنه يؤدى فى حياة اللغات ***الحديثة*** دوراً مهماً جداً، فإن هذا النوع من التجديد اللغوى يجب أن يُقَر دون حرج أيضاً للفترات ***الأقدم والسحيقة***، {...}، يجب أن يستفاد من مبدأ التفسير هذا على النحو ذاته أيضاً، فى تفسير الظواهر اللغوية فى فترات متأخرة، ولا يجوز أن يلفت ذلك النظرَ فى كثير أو قليل حين تواجهنا أبنية قياس فى الفترات اللغوية الأقدم فى المحيط ذاته أو حتى فى محيط أكبر، كما هى الحال فى الفترات الأحدث والأكثر حداثة. (١٨٧٨، XIII/XIV).

(٦) برتولد دلبروك (١٨٤٢ ــ ١٩٢٢) كان بدءاً من سنة ١٨٧٠ ــ خليفة لشلايشر ولسكين ــ أستاذ علم اللغة المقارن والسنسكريتية فى يينا.

ومع ذلك فتداعى الصيغة هو مخرج أخير لا يجوز للمرء أن يلجأ إليه إلا حين لا ترصد القوانين الصوتية أى تفسير، وتجبرنا إلى حد ما على اللجوء إلى تفسير من خلال تأثير القياس:

إن تداعى الصيغة ما يزال بالنسبة لنا أيضاً «الملاذ الأخير ultimum refugium»، فالفارق هو فقط أننا نواجه هذه فى وقت مبكر للغاية وكثيراً جداً من الأخريات، وذلك لأننا نعامل ذلك بدقة معاملة القوانين الصوتية، ولأننا مقتنعون بأن أجرأ افتراض لتأثير القياس، حين يكون فى مجال الممكن، يزعم بشكل متزايد أنه سيصير «مُصَدَّقًا» أكثر من أوجه الخرق العشوائية للقوانين الصوتية الآلية، (١٨٧٨، XVII/CVII).

وهكذا فالقياس المقتضى نفسياً أيضاً ليس عشوائياً، بل يعمل وفق آليات ثابتة يجب معرفتها.

أخيراً يصوغ بروجمان الموجز المتزن التالى، بل والبعيد المدى للنقاش حول القانون الصوتى وتأثير القياس:

الشيء الأساسى إلى حين هو أن يكون لدى المرء الإرادة الحسنة لأن يتعلم من حقائق التطورات اللغوية الحديثة وأن يستفيد من اليقين المتعلم للفترات اللغوية الأقدم. (١٨٧٨، XVIII).

٢٢ / وبعد ظهور المقدمة بسنتين ظهر كتاب «***أسس تاريخ اللغة*** Prinzipien der Sprachgeschichte» لهرمان باول، أى سنة ١٨٨٠[٧]. وقد أدى الكتاب فى نقاش النحاة الجدد حول موضوع علم اللغة ومناهجه دوراً يمكن مقارنته بدور «المقدمة». ولذلك كان يتحدث أحياناً عن «أسس تاريخ اللغة» أيضاً على نحو ما يتحدث عن «الكتاب المقدس للنحاة الجدد». قام هرمان باول هنا بإدخال تنظيم

(٧) يوجد له حتى الآن ثمانى طبعات ـ صحح الطبعات الأولى منها ووسعها هـ. باول نفسه، وظهرت الطبعة الأخيرة سنة ١٩٦٨ (كطبعة للدراسات سنة ١٩٧٠ ـ اقتبس هنا من هذه الأخيرة).

الدراسات اللغوية التـاريخية ـ المقارنة فى نسق العلوم بمنح مدرسـة النحاة الجدد إطاراً نظرياً، وعـزو مكان الصدارة لهـا ـ أخيـراً ربما كان القـصد الأهم ـ بين الاتجـاهات اللغوية فى عصرها. وقد بين دوافع كتابه فى مقدمة «الأسس» بالنظرات التالية:

منذ نهاية السبعينيات فى القرن التاسع عشر خاصة التُمِس اتجاه شق طريقه، اتجاه يدفع إلـى تحول جذرى للمناهـج. وعند الخلاف الـذى بدأ حـول ذلك ظهر بجلاء مدى شدة عـدم الوضوح حول عناصر علـمه الـذى كان مـا يزال لدى كثير من الباحـثين اللغويين. هذا الخـلاف بالذات قد قـدم الباعث الأقـرب لنشوء هذه المقالـة. وهى تود ما أمكنهـا ذلك أن تـسهم فى أن تؤدى إلى توضـيح الرؤى وأن تهدف إلى الإفـهام على الأقل بين أولئك الذيـن يـتوفر لديهم عـقل مفـتوح على الحقيقة. (١٩٧٠، ٦).

ولذلك عـد هرمان باول من الأهمـية بمكان أن يعـالج كل الموضوعـات ما أمكن التى يمكن أن يكون لها أهمية لنظرية التطور اللغوى. ومع ذلك لا ينبغى أن يُتناول فى «أسس تاريـخ اللغة» هـذا العرض الشـامل لكل مـجـالات علم اللغـة التاريخى ـــ المقـارن، بل الفرضيـات ذات الخلفية النظرية التى ذكـرت آنفاً، على نحو مـا يوجد فى المقـدمة وفى أجزاء من البـاب الأول «عمـوميات حـول جوهر التطور اللغوى» وفى مقدمات الطبعة الثانية والرابعة أيضاً.

١ ــ عد هـ. بـاول اللغة ***علم ثقافة (حضارة)*** Kulturwissenschaft وقسم العلوم بشكل مجمل إلى علوم الطبيعة وعلوم الثقافة. وعلوم الطبيعية يمكن أن تكون علوم طبـيـعة تاريخـية أو علـوم قوانين مـحضـة. ويعـد من الأخيـرة الرياضيات والفـيزياء والكيميـاء وعلم النفس (كذا!). أما علم اللغة فـعلم ثقافة، ولكنه ذو طبيعة خاصة، لأنه:

/ لا يوجد فرع للثقافة يمكن أن يتـعرف معه على شروط التطور بمثل هذه الدقة، مثلمـا هى الحال مع اللغة، ومن ثم لا يوجد علم للثـقافة يمكن أن توصل مناهجه إلى تلك الدرجة من الكمال مثل مناهج علم اللغة. (١٩٧٠، ٥). ٢٣

ذلك يقربه من علوم الطبيعة دون أن يتبعها. فمن خصوصية كل علم للثقافة التأثر بالعوامل النفسية. ويؤكد هرمان باول هذه الأفكار بالكلمات التالية:

العنصر النفسى هو العامل الجوهرى فى كل حركة ثقافية، فكل شىء يدور فى فلكه، ومن ثم فعلم النفس هو الأساس الأخص (الأوجه) لكل علم للثقافة مدرك بحاسة أسمى، غير أن العامل النفسى ليس لذلك العامل الوحيد؛ فلا توجد ثقافة دون أساس نفسى محض [...]. (١٩٧٠، ٦، القطع فى النص الكلى فى الأصل).

مع اللغة على وجه الدقة لا يجوز أن تهمل وفق هـ. باول العوامل الفيزيائية أيضاً، إذ يجب أن تبحث فى تضافرها مع العوامل النفسية.

ولذلك يُحتاج إلى جانب علم النفس إلى معرفة أيضاً بالقوانين التى تتحرك العوامل النفسية للثقافة وفقاً لها. (١٩٧٠، ٦/٧).

(قارن: «اللغة نشاط نفسى فيزيائى» فى مقدمة بحوث مورفولوجية «صرفية» ("Morphologische Untersuchungen").

كل علم للثقافة هو علم للمجتمع، لأنه لا يتيح الثقافة إلا المجتمع، وهو يجعل من الإنسان جوهراً تاريخياً.

ويكمل باول:

ومن المؤكد لروح الإنسان المستقلة أيضاً وجود تاريخ تطور لها، وذلك بمراعاة علاقتها بجسده ومحيطه، غير أن الموهوبة ذاتها قادرة على أن تجلب لها ثقافة بدائية للغاية فقط، ربما انقطعت بموته. وفقط من خلال نقل ما ظفر به الفرد إلى أفراد آخرين ومن خلال تعاون أفراده عدة من أجل الغرض ذاته يُتاح نموٌ عبر هذه العوائق المتلاصقة. (١٩٧٠، ٧).

وهكذا فالفيصل هو التأثير المتبادل للأفراد بعضهم فى بعض ــ وعلاوة على ذلك يؤثر هـ. باول مصطلح «علم الثقافة» على «علم إنسانى»، لأن المرء يستطيع بذلك أن يدخل فى الاعتبار أيضاً موضوعات مادية، أطلق عليها «ثقافة مادية».

ويجب أن يلاحظ أن علوم الثقافة موجهة أساساً توجيهاً تاريخياً. سوف تفصل فيما يلى نتائج هذه الفكرة بالنسبة لعلم اللغة تفصيلاً خاصاً.

٢٤ / ٢ ـ علم اللغة بوصفه علماً للثقافة هو علم تاريخى، وله أيضاً بوصفه علم قوانين[٨] صلات بعلوم الطبيعة[*]. وضع هـ. باول الآن «***علماً للأسس (المبادىء)*** Prinzipienwissenschaft وسيلةً بين هذه الأضرب من العلوم، علم، يعنى بالشروط العامة لحياة الشىء المتطور تاريخياً، ويعالج المشكلة التالية:

كيف يكون تطور تاريخى ما فى إطار شرط القوى والعلاقات المستمرة ممكناً، أى تقدم من أبسط الأبنية وأكثرها بدائية إلى الأبنية الأشد تعقيداً؟ (١٩٧٠، ٢).

ويتضمن علم الأسس أحكاماً أخرى للبحث، وهكذا فإنه يستوعب مسائل منهجية فى الوقت نفسه أيضاً، وبذلك فهو ليس نظرية محضة حتى وإن دعمته بداهة أفكار نظرية. فأساس علم للمناهج يقدم شرحاً لعلم المبادىء حيث إن هـ. باول يطالب بنقل طريقة النظر المعتادة بالنسبة لعلوم الطبيعة إلى علم الثقافة؛ علم اللغة.

وباختصار: علم الأسس يشرح العلاقات التى تعد أساس عمليات التطور التاريخية ويستند إلى نتائج علوم القانون (وعلم النفس أيضاً) دون أن يفقد استقلاله بوصفه علماً خاصاً.

---

(٨) قارن «القوانين الصوتية».

(*) رأى بعض العلماء أن مبادىء القواعديين الجدد لم تأت بجديد، ولكنها مجرد صياغة لما كان يفعله اللغويون المقارنون والتاريخيون على أى حال، وهذا بمعنى ما واضحٌ بشكل كاف. فالقواعديون الجدد كانوا إلى حد كبير ينطلقون مما كانت تتضمنه الخبرة الحقيقية بالموضوع، مميزين لها عن الافتراضات غير الضرورية والمضللة. وكان هذا فضلاً فى حد ذاته كما هو الشأن فى أى تقييم فى النظرية العلمية والمنهج العلمى، فضلاً عن أنهم ـ فى تحديدهم للأسس التى يقوم عليها العلم ـ قد قطعوا شوطاً طويلاً نحو التأكيد على أن التفكير المشوش غير المنضبط، هو الذى يقبل الحجج الباطلة والصلات الاتلمجية الزائفة. الموجز ص ٣٠٢، ٣٠٣. (المترجم).

ومع ذلك فقد وجد باول بالتحدد عند تفسير القوانين الصوتية صيغات حذرة جداً. ولما كان واعياً كل الوعى بموقع علم اللغة داخل علوم الثقافة وليس علوم الطبيعة، فقد أقر أيضاً بالوضع المختلف للقوانين فى كلان التسمين للعلوم بوصفهما مهمين لعلم اللغة.

٣ ـ وبالنسبة لهرمان باول يؤدى ***الفرد*** دوراً حاسماً فى الخلق والتطور اللغويين. فالإبداع اللغوى ـ وغير الاصطناعى (المفتعل) الموجود يومياً أيضاً ـ هو حسب هـ. باول إبداع فرد مفرد دائماً، ولا يقوم به مطلقاً أشخاص عدة معاً، كما هى العادة فى الاقتصاد والسياسة. ومع ذلك تجرى العمليات اللغوية لدى الأفراد المختلفين فى انتظام كبير، وهو ما يعد جوهرياً لإمكانية معارف علمية دقيقة.

ويجب أن يفسر التطور اللغوى أيضاً من خلال التأثير المتبادل للأفراد بعضهم فى بعض. فالأبنية اللغوية تخلق بوجه عام دون قصد واعٍ. وكل ما يصل إلى اللغة بطريق اصطناعى يكون حسب كلماته عرضة «للعب بطاقاتها». وبذلك
يعنى هـ. باول أن الاستعارات وأشكال الخلق الجديدة وما أشبه تُخضع فى اللغة **٢٥**
المعنية/ للقواعد السارية، أى تتكيف فى نطقها وتصريفها.... إلخ.

اعتمد باول على **وجهة نظر علم نفس الفرد** حين كتب:

على الأرجح ثمة حقيقة ذات أهمية أساسية لا يجوز أن تغيب عن أعيننا مطلقاً، وهى أن كل تأثير متبادل نفسى محض، لا يتم إلا داخل روح فردية. فكل حركة للأرواح فيما بينها ليست **إلا وسيطاً مباشراً** بطريق نفسى. (١٩٧٠، ١٢) (طبعت الفقرة لدى هـ. باول بحروف متباعدة).

أحرزت هذه الفقرة الأخيرة التى صيغت فى بادى الأمر فصلاً عن علم النفس القومى لموريتس لازروس Mortiz Lasarus وحاييم شتاينتال[٩]، مع نشر ڤيلهلم ڤونت Wilhelm Wundt مؤلفه «علم النفس القومى Völkerpsychologie (بدءاً

(٩) أصدر كلاهما بدءاً من سنة ١٨٦٠ «مجلة علم النفس القومى وعلم اللغة».

من ١٩٠٠ فى عشرة مجلدات)، أحرزت واقعاً خاصاً. ولذلك أفاد هـ. باول من «مقدمته للطبعة الرابعة» سنة ١٩٠٩ فى الغالب فى الجدل مع أقوال فونت:

ربما يُتوقع من الطبعة الجديدة بوجه عام جدلٌ مع المجلد الأول لمؤلَّف فونت «علم النفس القومى» (ليبزج ١٩٠٠، ١٩٠٤). للأسف لا يمكننى إلا أن أعارض هذا المؤلَّف بقدر ما يورد من إشارات بالتفصيل أيضاً، بل إنى أرفض كل الرفض نقاطه الأساسية [...].

يضع فونت، كما يبين العنوان الكلى لمؤلفه الضخم، علم النفس القومى إلى جوار علم نفس الفرد، وبشكل كامل الجدية فى مفهوم، حاربته فى مقدمة كتابه [...]. ففى رأيه تقع تغيرات اللغة من خلال تغيرات فى روح الشعب، وليس من خلال تلك التغيرات فى الأرواح المفردة. والمشكلة التى تحتل بالنسبة لى قلب البحث، وهى سؤال: كيف يتم التأثير المتبادل للأفراد فيما بينهم، هى بالنسبة لفونت ليست مشكلة على الإطلاق. (١٩٧٠، V/ VI).

ويختتم باول جدله بمحاولة فونت أن يقرر فى اللغة بالكلمات التالية:

فى بعض أوجه النقد لمؤلَّف فونت أُعْرِبَ عن التفاؤل بأنه يمكن أن ينطلق منه ذاته إصلاح جوهرى لعلم اللغة. إننى لا أستطيع أن أشاطر ذلك التوقع. (١٩٧٠، VI).

٤ ـ بالنسبة لهرمان باول النظرة العلمية للغة هى دائماً النظرة التاريخية. ذلك النهج فقط يمكن أن يتناسب و«الموضوع المتطور تاريخياً (١٩٧٠، 1). هذه الفرضية هى الأكثر تغلغلاً فى كتابه «أسس تاريخ اللغة». وقد أكدت المكانة الاحتكارية المأمولة لعلم اللغة التاريخى ـ المقارن، / وصيغت ـ كرد فعل على نقد السويسرى ٢٦
فرانتس ميستلى Franz Misteli ـ صياغة أكثر تأكيداً منذ الطبعة الثانية:

كان علىَّ أن أبرر فى ايجاز شديد أننى اخترت عنوان ***أسس تاريخ اللغة***. فقد يعترض معترض بأنه توجد نظرة علمية أخرى للغة غير النظرة التاريخية[١٠] يجب أن أنكر ذلك. فما وضّح بالنسبة للنظرة غير التاريخية والنظرة

(١٠) يشير باول فى هامش فى هذا الموضع إلى ميستلى.

العلمية للغـة هو فى الأساس ليس شيئاً غـير نظرة تاريخية ناقصة، ناقصة بسبب الملاحظ تارة، وبسبب مادة الملاحظة تارة أخرى(*). وبمجرد أن يتجاوز المرء التقرير المجرد لتفـصيلات، وبمجرد مـحاولة فهم السيـاق وإدراك الظواهر فإنه يخطو على أرضيـة تاريخيـة أيضاً. وإن كان من المـمكن أيضاً أن يكون بدونهـا فى جلاء من أمره. (١٩٧٠، ٢٠).

حول هذه الفـرضيـة نشب الخلاف فى الرأى، وطور المدافعـون عن التناول التزامنى فـى جدلهم معـها مـواقفهم (مـثلاً جان بـودوان دى كورتينى وف. دى سوسير، قارن الفصل التالى).

تتعارض هذه الفرضية المصاغة صـياغة حادة للغاية، للوهلة الأولى تعارضاً ظاهراً مع مطلب مدرسة النحـاة الجدد المدون فى مقدمة «البحـوث المورفولوجية»، ببحث الأحوال اللغوية الحديثة والأحـدث. حقاً لم يعرض ــ إذا ما نظر إلى الأمر عن كثب ــ ممثلو هذه المدرسة لهذه المهمة فى أعـمالهم الخاصة. وهكذا فمن جهة بُرِّر الهجوم الشـديد على هذه الصياغة لـ هـ. باول ــ الموضع المستـشهد به على نحو أكثر شيوعاً من «أسـس علم اللغة» بوجه عام ــ من حيث إن باول قد طالب فى الحقيقة بدراسات تاريخية مـقارنة، ومن جهة أخرى لا حاجة لأن يَعْنى منظور تاريخى فى ذاته أنه لا يجـوز أن يكون موضوع البـحث اللغوى إلا أحـوالاً لغوية واقعـة فى الماضى فقط، غيـر أن هذا التفكير المنهـجى لم يؤد أى دور فى النقاش المعاصر حول مؤلَّف هرمان باول.

١ـ٣ علاقات بالعلوم الإنسانية المجاورة

الفلسفة وعلم النفس

ينبغى أن نجـمل مرة أخرى الصلات المذكورة فى مـواضع عدة تحت ١ ــ ٢ بالعلوم المجاورة.

(*) لم ير باول معالجة اللغة معالجة علمية فى غيـر المعالجة التاريخية. وقد فصل هذا الرأى فى كتابه فى تحد شديد لأوجه المعالجة الأخرى. (المترجم)

أولاً: لم يصدر عن ممثلى مدرسة النحاة الجدد أية أقوال عن خياراتهم الفلسفية، غير أن الصورة الظاهرة لأعمالهم العلمية تشير بوضوح بشكل موضوعى ٢٧ إلى مذهب الوضعية Positivismus. / فهذا الاتجاه الفلسفى الذى أسسه أوجست كونت(١١) يؤكد دور «الحقائق الوضعية» فى مقابل الفلسفة التأملية، فقد أحس علماء معينون من علوم الطبيعة الصاعدة بقوة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر بأنهم منجذبون إلى برنامجه، فكانت الوضعية نقطة التجمع الفلسفية للعلوم الدقيقة. توجه النحاة الجدد إلى هذه البحوث، وعرفوا إلى جانب ذلك نجاح بحوث دقيقة من الجوار المباشر أيضاً، أى من علم الأصوات، وبلفظ أدق من علم وظائف الأعضاء الصوتية. وتحولوا عن علم الطبيعة «البيولوجيا» فى رد فعل على تصور الكائن الحى الذى عرفوه فى تفسير أوجست شلايشر، بل كان قد صعد علم الفيزياء ليصير العلم المرشد للعلوم الوضعية. فقد استخدمت القوانين الفيزيائية مثل قانون الغاز المثالى(*) من النحاة الجدد نموذجاً لإنشاء قوانين لغوية، وفى حالتهم القوانين الصوتية. وقد تحدث النحاة الجدد فى صحوتهم البحثية الأولى بكل جدية عن «القوانين الصوتية العاملة بالضرورة العمياء للطبيعة»، صورة مأمولة لا يمكن بداهة أن يكون لها وجود (قارن ما يلى أيضاً فى علاقاتها بعلم النفس).

وكان وضعياً أيضاً أن مناهج بحث المادة قد حركت إلى القلب ــ وليس بناء نظرية، بل كانت الحقائق ذاتها هدف العمل العلمى، وكان التخلى شبه الكامل عن بناء نظرية قد أدى إلى أن الحقائق قد تجاورت بلا وسيط إلى حد ما، وبشكل ذرى ولم تربط أو نادراً ما رُبطت بأنظمة. ومن المحتمل أن النحاة الجدد قد رأوا بوجه عام أن تنتظم الحقائق فى أنظمة، ولكن لم يعن بحقيقة أن ما تراعيه لم يتبع المهام

---

(١١) المؤلف الأساسى لأوجست كونت (١٧٩٨ ــ ١٨٥٧) هو:
Cours de philosophie positive" ("dt.,, Positive Philosophie) ,, محاضرات الفلسفة الوضعية، ٦ مجلدات ١٨٣٠ ــ ١٨٤٢.

(*) يعنى بقانون الغاز المثالى das vom idealen Gas قانون حرارة ضغط الغاز.

(المترجم)

الموضوعة ذاتها أو المقدمة سلفاً من خلال موقفهم الفلسفى الأساسى. ــ لا خلاف فى أن ممثلى هذه المدرسة استهدفوا ببرنامجهم البحثى نجاحات عظيمة، سيكتب عنها بالتفصيل فيما يلى (انظر ما يلى ١ــ٤ بصفة خاصة).

ثانياً: سرعان ما اصطدمت كل محاولات ممارسة علم اللغة بوصفه علماً دقيقاً بحواجز لا يمكن تجاوزها، وبخاصة تلك التى يقيمها الفرد المتكلم (والسامع) من خلال وجوده المجرد. فقد عمل النحاة الجدد له حساباً، إذ أدركوا فى اللغة (بشكل أدق: فى الكلام) «نشاطاً نفسياً فيزيائياً»، نشاطاً يعزى إليه جانب «روحى» أيضاً إلى جانب «الجانب الجسدى». وقد قبلوا/ فى علم النفس العلم الأساسى ٢٨
الذى لا خلاف عليه، أساسه الأسمى، غير أنه يفهم تحت ذلك علم نفس تجريبى دقيق، يعده لذلك أيضاً من «العلوم القانونية البحتة». ففى فهمهم ــ وقد صاغ ذلك هرمان باول صياغة غاية فى الوضوح ــ لا يمكن أن يكون ذاك (أى علم اللغة) إلا علم نفس للفرد. الفرد فقط ظهر واقعاً، المتكلم المفرد فقط، وليس جماعة لغوية ذات حياة خاصة لا يمكن تحديدها. لقد كان باول أيضاً هو الذى صرح باسم المصدر النفسى للنحاة الجدد: يوهان فريدريش هربرت J. F. Herbart (قارن هامش ٥)، الذى اشتغل على القانونين النفسيين: وعى الذات الاستبطانى Apperezeption، والتداعى Assoziation. وعلى العكس من ذلك لم يستطع هـ. باول أن يفعل شيئاً حيال علم النفس القومى، الذى عرفه فى أثناء حياته العلمية فى ضربين: ذلك الذى عرفه من م. لازروس ود. شتانيتال (قارن هامش ٩)، وفيما بعد من ڤيلهلم ڤونت، وقد تناولناه فيما سبق.

١ــ٤ تأثير مدرسة النحاة الجدد فى علم اللغة فى عصرهم

يجب أساساً أن تحدد هذه النظرة العامة موضوع التأثير المتفرد للنحاة الجدد المتجاوز عصرهم ومكانهم، لأن هذه المدرسة قد أمسكت ــ دون مبالغة ــ بزمام علم اللغة فى أوربا كلها (وبناء على ذلك) عبر عدة عقود (يجب أن نبين تحت ١ ــ٥ كون ذلك لم يُؤثر تأثيراً إيجابياً فحسب). فمن نقطة انطلاقها ليبزج أكد النحاة

الجدد السيطرة المطلقة لمناهجهم البحثية داخل الدراسات الهندوجرمانية، وكذلك ــ من خلال السطوة الكبيرة التى اكتسبها ممثلوها ــ السيطرة فى مقابل ممثلى دراسات فقه لغة أخرى.

وينبغى أن يذكر هنا آخر الأمر على الهامش، أنه يُلقى المثال التالى ضوءاً مميزاً على المناخ العلمى لذلك العصر: ففى ليبزج عمل فى الوقت ذاته ــ باهتمام قوى بعلم اللغة العام ــ عالم الدراسات الصينية هانزجيورج كونون فون جابلنتس (١٨٤٠ ــ ١٨٩٣)، الذى، دون كرسى فى الجامعة، وبذلك دون كرسى وصوت فى الكلية، لم يقبله علماء الدراسات الهندوجرمانية شريكاً فى النقاش، على الرغم من أنه قد جلب أفكاراً بالغة القيمة إلى نقاش علم اللغة العام (قارن جابلنتس (١٨٩١/ ١٩٦٩). ولقد تبنى ــ هـ. باول ــ أفكاره خاصة حول وظيفة النحو، وصارت مثمرة من خلال هذه الوساطة لعلم اللغة فى القرن العشرين بوجه خاص، وفى الحقيقة ليس بطريق مباشر من خلال مؤلفات جابلنتس ذاتها، وقد تمتع على العكس من ذلك بوصفه عالماً فى الدراسات الصينية بسلطان كبير. وعدا ذلك لبى جابلنتس سنة ١٨٩٠ نداءً إلى برلين، وهو ما يعنى بوجه عام علامة على الاستسلام للمقادير فى مقابل الموقف الفيلولوجى فى ليبزج.

لنعد إلى تأثير النحاة الجدد فى البحث المقارن ــ التاريخى داخل الدراسات
الهندوجرمانية. كما ذُكر كان كارل/ بروجمان وأوجست لسكين اللذين عملا فى ٢٩
الأربعينيات فى جامعة ليبزج، ويمثلان القطب الهادىء فى نقاش علم اللغة. لقد خرَّجا أجيالاً من اللغويين حسب فهمهما العلمى، احتفظوا بالكراسى العلمية ذاتها، وواصلوا من جهتهم حمل تأثير مدرسة النحاة الجدد. وقد عُدَّت ليبزج فى ذلك العصر «مركز العالم فى علم اللغة»، وكانت الدراسة لبعض الفصول الدراسية فى هذه الجامعة من البرنامج الإيجابى إلى حد ما. وكانت شهادات لغويى ليبزج توصية رائعة عند شغل وظائف جامعية. وكان أرشيف جامعة ليبزج فى تلك العقود مثل معجم للغويين: جان بودوان كورتينى (بولندا)، وفردينان دى سوسير (سويسرا)، وليونارد بلومفيلد (الولايات المتحدة الأمريكية)، ولوسيان تنيير (فرنسا)، ونيكولاى

سرجيفتش تروبتسكوى (روسيا) ورودلف تورنيزن (سويسرا) ــ لم تذكر إلا بعض أسماء ــ درست فى ليبزج، فقد أنهوا إلى حد ما دراسة فيلولوجية، وأرادوا أن يعمقوا معارفهم. وصاروا جميعهم فيما بعد لغويين فطاحل فى بلادهم.

وعلى نحو آخر أيضاً صارت عالمية بحوث النحاة الجدد واضحة، وفى ١٩١٢ تأسست من خلال تعهد بروجمان بوجه خاص «جمعية الدراسات الهندوجرمانية» بوصفها اتحاداً عالمياً لعلماء الدراسات الهندوجرمانية؛ وأصدروا «الكتاب السنوى للدراسات الهندوجرمانية» باعتباره نوعاً من خدمة المحاضرات العلمية.

ويجب أن يقال باختصار أنه لا يستطيع أحد أن يجادل فى الخدمة المتفردة لهؤلاء الباحثين بالنسبة لتأسيس فهم علمى لعلمَىْ الأصوات والصيغ (الصرف). وأُلّفت فى ذلك الوقت مؤلفات لا نظير لها، مثل كتاب كارل بروجمان «الأساس فى النحو المقارن للغات الهندوجرمانية "Grundriss der vergleichenden Grammatik der indogermanischen Sprachen" (١٨٨٦ وما بعدها).

تناول فيه ما يقرب من سبعين لغة ولهجة هندوجرمانية، وقد وُسِّع بالاشتراك مع برتهولد دلبروك ثلاثة مجلدات أيضاً للنحو، وكتاب أوجست لسكين «المرجع فى اللغة البلغارية القديمة (السلافية الكنسية القديمة) Handbuch der altbulgarischen (altkirchenslavischen) Sprache" (١٨٧١)، وكتاب هرمان باول «نحو الألمانية الفصحى الوسطى» Mittelhochdeutsche Grammatik (١٨٨١)، وذلك ليس إلا لذكر ثلاثة من أشهرها (انظر أعمالاً أخرى تحت ١ ــ ١).

١ ــ ٥ نقد الأتباع والخصوم

يقصد «بنقد الأتباع» نقاطاً بحثية نشأت داخل هذه المدرسة ذاتها، ولم يتشكك فيها اتجاه النحاة الجدد، بل إنها سعت إلى تصحيح آراء خاطئة بشكل واضح. ومن ذلك نقد برتهولد دلبروك الموجه إلى لا شذوذ القوانين الصوتية. وفى بعض الأحيان فقط تبنى أفكار النحاة الجدد البولندى جان بودوان دى كورتينى الذى خصص له الفصل التالى، ولذلك لا ينبغى أن نتناوله فى هذا الموضع

بالتفصيل. واستمر فردينان دى سوسير/ فى التخلى عن آرائه التى أخذها فى الأصل ٣٠
عن النحاة الجدد (الفصل الثالث). وقد تجادل باحثون آخرون مع هذه المدرسة، دون أن يشعروا بأنهم مرتبطون بها. ومع ذلك فمن المميز أنه فى تلك العقود لم يكن النقاش حول موضوع علم اللغة ومناهجه ليجاوز مدرسة النحاة الجدد.

أما النقد الأساسى إلى النحاة الجدد فقد تحدد عبر عقود فى النقاط التالية بوجه خاص:

* فى مبدأ لا شذوذ القوانين الصوتية (وبخاصة من قِبل هوجو شوشارت H. Schuchardt ــ متخصص فى الدراسات الرومانية والكويولية(*)، ومن قبل فردنياند فرِده F. Wrede ــ باحث فى ا للهجات)؛

* فى الفصل بين تاريخ اللغة وتاريخ الشعب، وفى عزل اللغة عن حامليها، وقد تحقق فعلاً برغم تصريحات مغايرة مثلاً فى مقدمة «بحوث مورفولوجية» فى عملهم البحثى (بخاصة من قبل جان بودوين دى كورتينى وفيلهلم فونت)؛

* فى الاقتصار على الأصوات والصيغ دون مراعاة المضامين اللغوية (بخاصة من قبل كارل فوسلر K. Vossler، متخصص فى الدراسات الرومانية، ممثل «الفلسفة اللغوية الجمالية»)؛

* وبوجه خاص فى تحديد علم اللغة وتاريخ اللغة، وفى عرض اللغة على أنها جملة من الحقائق المفردة (من قبل جان بودوين دى كورتيناى، وفردينان دى سوسير).

(*) الكريولى: أحد مواليد جزائر الهند الغربية أو أميركا اللاتينية المتحدرين من أصل أوربى أو من أصل أسبانى بخاصة ــ أبيض متحدر من نزلاء بعض الولايات الأمريكية الفرنسيين أو الأسبان الأولين، ولكنه لا يزال يحتفظ بلغته وثقافته الأصليتين ــ شخص يجرى فى عروقه مزيج من الدم الفرنسى (أو الإسبانى) والزنجى يتكلم لهجة من لهجات الفرنسية أو الإسبانية. والكريولية: الفرنسية التى ينطق بها كثير من الزنوج فى الجزء الجنوبى من لويزيانا. (المترجم)

B. Bartschat (1979): Der Beitrag H.G.C. von der Gabelentz' zur Entwicklung der allgemeinen Sprachwissenschaft. In: Linguistische Studien Reihe A 59. Berlin.

B. Bartschat (1992): August Leskiens Syntaxbild. In: Slavistische Beiträge Band 292 (Slavistische Linguistik 1991). München.

F. Bopp (1833-1852): Vergleichende Grammatik des Sanskrit, Zend, Armenischen, Griechischen, Lateinischen, Litauischen, Altslavischen, Gothischen und Deutschen (3 Bände). Berlin.

K. Brugmann (1878ff.) s. u. H. Osthoff.

K. Brugmann (1885): Zum heutigen Stand der Sprachwissenschaft. Straßburg.

K. Brugmann (und B. Delbrück, 1886-1900): Grundriß der vergleichenden Grammatik der indogermanischen Sprachen. Kurzgefaßte Darstellung der Geschichte des Altindischen, Altiranischen (Avestischen und Altpersischen), Altarmenischen, Altgriechischen, Lateinischen, Umbrisch-Samnitischen, Altirischen, Gotischen, Althochdeutschen, Litauischen und Altkirchenslavischen. Straßburg [unveränderter Nachdruck der 2.Auflage 1897-1916: de Gruyter Berlin 1967].

K. Brugmann (1900): Griechische Grammatik. München (siehe auch unter E. Schwyzer).

H. H. Christmann (Hrsg., 1977): Sprachwissenschaft des 19. Jahrhunderts [Wege der Forschung CDLXXIV]. Darmstadt.

E. Coseriu (1969): G. v. d. Gabelentz et la linguistique synchronique. In: H. G. C. von der Gabelentz. Die Sprachwissenschaft. Nachdruck. Tübingen.

E. Coseriu (1980): Vom Primat der Geschichte. In: Sprachwissenschaft 5, 2.

J. Dietze (1966): August Schleicher als Slawist. Berlin.

E. Einhauser (1989): Die Junggrammatiker: Ein Problem für die Sprachwissenschaftsgeschichtsschreibung. Trier.

E. Einhauser (Hrsg., 1992): Lieber freund ... Die Briefe Hermann Osthoffs an Karl Brugmann 1875-1904. Trier.

H.G.C. von der Gabelentz (1891/1969): Die Sprachwissenschaft. Ihre Aufgaben, Methoden und bisherigen Ergebnisse. Leipzig. 1969: Nachdruck der 2. Auflage von 1901 (Hrsg. G. Narr und U. Petersen). Tübingen.

J. Grimm (1819-1837): Deutsche Grammatik Bd. 1-4. Göttingen.

K. R. Jankowsky (1972): The Neogrammarians. The Hague.

E.F.K. Koerner (Hrsg., 1983): August Schleicher. Linguistics and evolutionary theory: three essays / by August Schleicher, Ernst Haeckel, and Wilhelm Bleek; with an introduction by J. Peter Maher; edited by Konrad Koerner. Amsterdam.

A. Leskien (1876): Die Declination im Slavisch-Litauischen und Germanischen. Preisschrift der Societas Jablonoviana. Leipzig.

A. Leskien (1871/[10]1990): Handbuch der altbulgarischen (altkirchenslavischen) Sprache. Heidelberg.

A. Leskien (1909): Grammatik der altbulgarischen (altkirchenslavischen) Sprache. Heidelberg.

A. Leskien (1919): Litauisches Lesebuch mit Grammatik und Wörterbuch (= Idg. Bibliothek, hrsg. v. H. Hirt und W. Streitberg. 1. Abt., 1. Reihe: Grammatiken 12). Heidelberg.

H. Osthoff, K. Brugmann (1878 ff.): Morphologische Untersuchungen auf dem Gebiete der indogermanischen Sprachen. Leipzig [Photomechanischer Nachdruck als „Documenta Semiotica, Serie I Linguistik“ bei Georg Olms Verlag Hildesheim/New York 1974/75].

H. Osthoff (1879): Das physiologische und psychologische Moment in der sprachlichen Formenbildung. Berlin.

H. Paul (1880/[8]1970): Prinzipien der Sprachgeschichte. Halle [8. Aufl. 1968; Studienausgabe dieser Auflage als „Konzepte der Sprach- und Literaturwissenschaft 6“. Tübingen 1970].

H. Paul (1881/[23]1989): Mittelhochdeutsche Grammatik. Niemeyer: Halle/Tübingen.

H. Paul (1897/[9]1992): Deutsches Wörterbuch. Niemeyer: Halle/Tübingen.

H. Paul (1916-1920): Deutsche Grammatik (5 Bände). Halle.

R. Rask (1818): Untersuchungen auf dem Gebiete des Altnordischen, oder der Ursprung der isländischen Sprache [dänischer Originaltitel: Undersögelse om det gamle Nordiske eller islandske Sprogs Oprindelse]

M. Reis (1978): Hermann Paul. In: Beiträge zur Geschichte der deutschen Sprache und Literatur 100.

R. Růžička (1977): Historie und Historizität der Junggrammatiker. Sitzungsberichte der Sächsischen Akademie der Wissenschaften, Philologisch-historische Klasse, 119/3. Berlin.

A. Schleicher (1848-1850): Sprachvergleichende Untersuchungen. Band 1, 1848: Zur vergleichenden Sprachgeschichte; Band 2, 1850: Linguistische Untersuchungen: Die Sprachen Europas in systematischer Übersicht. Bonn.

A. Schleicher (1852): Die Formenlehre der kirchenslavischen Sprache, erklärend und vergleichend dargestellt. Bonn.

A. Schleicher (1856/57): Handbuch der litauischen Sprache. Band 1, 1856: Litauische Grammatik; Band 2, 1857: Lesebuch und Glossar. Prag.

A. Schleicher (1861/62): Compendium der vergleichenden Grammatik der indogermanischen Sprachen. Kurzer Abriß einer Laut- und Formenlehre der indogermanischen Ursprache, des altindischen (sanskrit), alteranischen (altbaktrischen), altgriechischen, altitalischen (lateinisch, umbrisch, oskisch), altkeltischen (altirischen), altslavischen (altbulgarischen), litauischen und altdeutschen (gotischen). 2 Bände. Weimar.

A. Schleicher (1863): Die Darwinsche Theorie und die Sprachwissenschaft. Offenes Sendschreiben an Herrn Dr. Ernst Haeckel, ord. Professor der Zoologie und Direktor des Zoologischen Museums an der Universität Jena. Weimar [Wiederabdruck in H. H. Christmann (1977) und in E.F.K. Koerner (Hrsg., (1983)].

A. Schleicher (1868): Eine Fabel in indogermanischer Ursprache. In: Beiträge zur vergleichenden Sprachforschung 5.

H. Schuchardt (1885): Über die Lautgesetze. Gegen die Junggrammatiker. Berlin [Auch in: Hugo Schuchardt-Brevier. Ein Vademecum der allgemeinen Sprachwissenschaft, zusammengestellt und eingeleitet von Leo Spitzer. Halle 1922; reprographischer Nachdruck der 2. Aufl. 1928: Darmstadt 1976].

E. Schwyzer (1990[6]): Griechische Grammatik: auf der Grundlage von Karl Brugmanns Griechischer Grammatik. München.

L. Seppänen (1984): Hermann Paul. In: Sprache und Literatur in Wissenschaft und Unterricht 54. 15. Jg., 2. Halbjahr.

A. Ch. Vostokov (1820): Darlegungen über die slavische Sprache, als Einführung in die Grammatik dieser Sprache dienend, zusammengestellt nach ihren ältesten Schriftdenkmälern [russischer Originaltitel: Rassuždenie o slavjanskom jazyke, služašče vvedeniem k grammatike sego jazyka, sostavljaemoj po drevnejšim onogo pis'mennym pamjatnikam; Handschrift, erst 1856 veröffentlicht]

W. Wundt (1900-1920): Völkerpsychologie. Eine Untersuchung der Entwicklungsgesetze von Sprache, Mythus und Sitte (10 Bde., Band I: Die Sprache). Leipzig.

٢ ـ جان بودوان دى كورتينى

٣٣

٢ ـ١ سيرة بودوان العلمية

جان اجناسى نيسيسلاف بودوان دى كورتينى[١] من أهم الشخصيات داخل علم اللغة فى القرنين التاسع عشر والعشرين. ينحدر من أسرة بولندية ذات أصل فرنسى (نزحت سنة ١٧١٧ من افيسنيه Avesnes). وُلِد سنة ١٨٤٥ بالقرب من وارسو، التى كانت تابعة آنذاك ــ فى زمن عقب تقسيم بولندا ثلاثة أقسام ــ لامبراطورية القياصرة الروسية. درس فى جامعة وارسو وحصل على الدكتوراه فى ليبزج، درس فى جامعات روسية (سان بطرسبورج وكازان) وروسية ــ ألمانية (دوربت) ونمساوية (كراكاف). وآب وهو متقدم فى السن سنة ١٩١٨ عائداً إلى الجامعة البولندية آنئذ فى وارسو. فقد أحس بودوان دائماً بأنه بولندى، ومن ثم عاش القسم الأكبر من حياته ممثلاً للأقلية الوطنية، حيث يتضح ذلك من ملامح كثيرة من شخصيته العلمية.

كان بودوان عالماً فى السلافية والهندوجرمانية ومنظراً لغوياً. وأعماله التى كتب القسم الأعظم منها بالبولندية والروسية مبعثرة للغاية[*]، وقد صعب نشرها إلى حد ما فى الفترات التى كانت متاحة فيها. ولكون آرائه النظرية اللغوية بوجه خاص أيضاً فى بعض مؤلفات مكتوبة بالألمانية والفرنسية فإنها كانت معروفة فى الخارج معرفة ضئيلة إذا ما قدرت قيمتها. ولهذا السبب طالب رومان ياكوبسون سنة ١٩٢٩ فى تأبينه بكتاب عن «بودوان» على نموذج كتاب «هوجو شوشارت» الذى أصدره

---

(١) فى المؤلفات الروسية ايان الكساندروفيتش بودوين دى كورتينه.

(*) لم يلق اهتماماً كافياً فى الأوساط العلمية وإن كان فى منزلة دى سوسير، لأن مؤلفاته ظلت مبعثرة، ولم يبدأ الاهتمام به وبخاصة من الروس إلا بعد إدانة مار، وبعد رفع الحظر اللغوى أو بالأحرى العقائدى عند فونولوجيا تروبتسكوى، وبدأت أفكاره تزدهر فيما بعد فى الغرب. ونشر أحد أتباعه وهو ل. ف. شيربا Šcerba مقالة تحت عنوان «بودوان دى كورتينى وأهميته بالنسبة لعلم اللغة». (المترجم)

ليوشيتسر. ومع ذلك لم يظهر إلا سنة ١٩٦٣ نشرة بأعماله بالروسية فى مجلدين، وفى سنة ١٩٧٢ نشرة انجليزية، وبدءاً من ١٩٧٤ نشرة بولندية، وفى سنة ١٩٨٤ نشر ى. موجدن J. Mugdon بعض مقالات بودوان المكتوبة بالألمانية(٢).

وبذلك يمكن أن يوضح تأثير بودوان الكبير على التطور العلمى بأنه تربى
فى ليبزج من خلال الدراسة والحصول على الدكتوراه داخل إرث النحاة الجدد.
لقد شارك ذلك حقاً فى تعليل قيامه بتراسل علمى مع هرمان باول، وفردينان دى
سوسير، وهو جو شوشارت، ويوسى ميكولا (فنلندا) وانطوان مييه (فرنسا)،
وأوتو يسبرسن (الدنمراك) وآخرين./ وأخيراً قد درس الملهمون المشاركون فى ٣٤
تأسيس حلقة لغويى براغ رومان ياكوبسون وسيرجى كرسزيوسكى(*) ونيكولاى
تروبتسكوى فى جامعات روسية، تلامذة لبودوان.

لنقدم بادى الأمر موجزاً مختصراً عن سيرته العلمية، فقد أكمل بودوان دى كورتينى دراسته فى وارسو (فى «سكولا جلوفنا»، المدرسة البولندية العليا، التى يمكن ألا يطلق عليها فى الامبراطورية الروسية جامعة) خلال توقفه للدراسة فى ألمانيا ١٨٦٧/١٨٦٨، وذلك فى يينا لدى أوجست شلايشر. وكان سنة ١٨٧٠ فى ليبزج أول طالب دكتوراه لدى أوجست لسكين ورسالته «تأثير القياس فى تصريف اللغة البولندية» Die Wirkung der Analogie in die polnischen Deklination (قارن بودوان أيضاً (١٨٧٠/ ١٨٦٨)). وبهذا العمل أسهم بودوان بشكل حاسم فى خلق جداول النحاة الجدد التصريفية (النماذج) مع حجرى الزاوية القانون الصوتى والقياس (قارن الفصل الأول). وفى الفقرات التالية سوف يشرح إلى أى مدى ظل ملتزماً بهذا الاتجاه فيما بعد أيضاً.

(٢) قارن البيانات البيليوجرافية الأدق تحت ٢ ـ٤ فى نهاية الفصل.

(*) كان كورتينى يعد تلميذه كرسزيوسكى أنبه تلاميذه، فقد أسهم ذلك التلميذ الموهوب بمناقشاته مع أستاذه فى أثناء إقامته فى كازان فى بلورة مفهوم «الفونيم» بشكل نهائى، بل لقد أطلع بودوان فى ١٨٨١ ـ ١٨٨٢ دى سوسير على أفكار كروسزيوسكى فى لقائهما فى الجمعية الباريسية لعلم اللغة جين انتخب بودوان عضواً فيها. (المترجم)

وعند عودة بودوان إلى روسيا كان فى بادى الأمر بدءاً من سنة ١٨٧١ مدرساً لعلم اللغة العام والمقارن فى سان بطرسبورج، ثم لبى سنة ١٨٧٤ نداءً إلى كازان، فى البداية محاضراً، وبدءاً من ١٨٧٦ حصل على منصب أستاذ عامل. ويمكن أن تعد السنوات الثمانى التالية فى جامعة كازان ــ وبسبب التلاميذ والمساعدين الممتازين أيضاً ــ الأهم بالنسبة لإنتاجه العلمى. وقد قُدِّرت فترة كازان فى الفقرة الخاصة بإسهام بودوان فى علم الأصوات/ وعلم الأصوات الوظيفى. ــ وفى سنة ١٨٨٣ دُعِى بودوان إلى دوربت، بلدة استنية(*) داخل الامبراطورية الروسية، فى جامعتها كانت لغتا التدريس الروسية والألمانية. وفى الثمانينات تماماً تولى فى دوربت حملة قوية للتحويل إلى الروسية (وقد غُيِّر اسم البلد نفسها إلى يورايف "Jur'ev"). شغل بودوان بالإضافة إلى ذلك مكانة على طريقته، انظر ما يلى ٢ ــ٢ ــ ٣. الآن صارت البلدة استنية مرة أخرى، وحملت اسمها القديم تارتو Tartu ، **وجامعتها لها شهرة عظيمة إلى اليوم** .

وفى سنة ١٨٩٣ انتقل بودوان إلى جامعة كراكوف/ Karków كراكو Krakau، بلدة تتبع آنذاك المملكة النمساوية. وكان له هناك أيضاً تلاميذ، صاروا فيما بعد علماء مهمين (مثل هنريك أولازين، وكزيميرتس نيتش). وكان عليه أن يغادر كاراكو سنة ١٩٠١، إذ لم يمد منصبه أستاذاً الذى حصل عليه بوصفه بولندياً إلا لأجل محدود فقط. فعاد إلى بطرسبرج، وتولى الكرسى العلمى لعلم اللغة المقارن والسنسكريتية. ويعد تأسيس مدرسة بطرسبورج، إلى جانب مدرسة كازان، بلغوييها الذين اشتهروا فيما بعد مثل ماكس فاسمر M. Vasmer ول. ق تشربا L. V. Scerba وا. د. بوليفانوف E. D. Polivanov المرحلة الثانية المهمة فى حياة بودوان العلمية. ــ وحين أعيد تأسيس الدولة البولندية سنة ١٩١٨ عقب الحرب العالمية الأولى، رجع بودوان إلى وطنه، وتولى وهو فى سنة الثالثة والسبعين منصب أستاذ غير متفرغ لعلم اللغة فى جامعة وارسو. ــ يلاحظ على الهامش: أن تعاطفه

(*) estländisch = estnisch صفة تتعلق بايستلاند، واللغة الاستنية هى لغة الاستن تتبع الأسرية اللغوية الفنلاندية المجرية.

مع الأقليات قد قدره اتحاد هذه الأقليات داخل جمهورية بولندا (الأوكرانيين، والروس البيض، والألمان، واليهود، والليتاونيين) حيث نصبه/ مرشحاً لمنصب رئيس ٣٥
الدولة. وفى عام ١٩٢٩ توفى جان بوادون دى كورتينى.

٢ـ٢ أهم مجالات البحث لدى بودوان دى كورتينى

شكل بودوان دى كورتينى منظوراً للتساؤلات اللغوية، فقد بحث إلى جانب الموضوعات النظرية العامة، فى علم الأصوات والصرف والنحو وعلم المعاجم، والاشتقاق وعلم اللهجات والتنميط اللغوى وغير ذلك أيضاً، ودرس هذه المجالات. ولا تبين بيانات المراجع فى آخر الفصل إلا اختياراً صغيراً جداً من قائمة من منشوراته البالغة ما يقرب من ٤٠٠ عملاً. وفيما يلى سيقدم فى إيجاز: آراء بودوان فى موضوع علم اللغة ومناهجه (٢ـ٢ـ١) وأعماله فى علم الأصوات/ وعلم الأصوات الوظيفى (٢ـ٢ـ٢) وتجديداته فى مجال التنميط اللغوى (٢ـ٢ـ٣) وأعماله اللغوية الاجتماعية وبخاصة فى البحث اللهجى (٢ـ٢ـ٤)، وكذلك تحت «مجالات بحثية أخرى» (٢ـ٢ـ٥) لغة الأطفال وإشكالية اللغات المعاونة العالمية.

٢ـ٢ـ١ موضوع علم اللغة ومناهجه

لم يدون بودوان آراءه حول علم اللغة مترابطة مطلقاً. ولذلك فإنها تصاغ فى الفرضيات العشر، التى جمعت من أعماله المفردة. بعضها عثر عليه فى محاضرته الأولى فى سان بطرسبورج سنة ١٨٧٠ (نشرت ١٨٧١م)، وقد استقيت الاقتباسات الواردة من ذلك النص. والمحاضرة بعنوان (مُترجم) هو «بعض ملحوظات عامة حول علم اللغة واللغة»، عقدها بعد حصوله على الدكتوراه فى ليبزج مباشرة وعودته من ألمانيا، ولذلك فهى جديرة بالملاحظة، لأنه فيها ما تزال علاقته بآراء النحاة الجدد طازجة للغاية:

١ ـ ليست النظرة الواصفة ولا النظرة البدهية للغة نظرة علمية، بل ليس علمياً حقيقة سوى النظرة التاريخية للغة مع تعميم الحقائق، وقصد الطاقات (القوى) والقوانين التى تعمل فى اللغة، وتحدد حياتها وتطورها.

ويختتم بودوان هنا برأى النحاة الجدد (الذى صاغه هـ. باول خاص فيما بعد مختصراً، قارن ١ـ٢ـ٢):

«ينظر الاتجاه العلمى حقاً، التاريخى، الجينى(*) إلى اللغة على أنها مجموعة من ظواهر واقعية، حقائق واقعية، ويجب نتيجة لذلك أن يعد العلم الذى يعنى باختيار هذه الحقائق، من العلوم الاستقرائية. وتكمن مهمة العلوم الاستقرائية فى ١ ـ تفسير الظواهر من خلال المقارنة، و٢ـ القصد إلى القوى والقوانين، أى/ للمقولات أو المفاهيم الأساسية، التى تربط الظواهر ٣٦
وتعرضها كسلسلة متصلة من السبب والنتيجة. (١٩٦٣، ٥٥).

وبالنسبة لمفهوم النحاة الجدد «القانون الصوتى» اتخذ بودوان فيما بعد موقفاً متباعداً بعض الشىء. وفى سنة ١٩١٠ رفض فى مقالة بالبولندية[٣] الآلية فى عملها، وأكد أن ثمة شبكة كاملة من العوامل المؤثرة التى تتكامل، بل لا يمكن أن تتعارض أيضاً، يجب ملاحظتها؛ ومن ثم ينبغى على المرء أن يتجنب مفهوم «قانون».

ويلاحظ حول منهج علم اللغة أن المصطلحين «علم اللغة المقارن»، و«البحث اللغوى المقارن» (أعطى بين قوسين المصطلحات الألمانية أيضاً) هما حشو (Tautologie أو تكرير بلا فائدة)؛ لأن المقارنة عملية من العمليات الحتمية فى كل العلوم، ترتكز عليها عملية التفكير بوجه عام: فإذا كان الرياضى يقارن بين الكميات، ويحصل بذلك على معلومات لأفكاره التأليفية والاستنباطية فإنه لا يمكن للمؤرخ أن يستخلص أية نتائج إلا من خلال مقارنة بين مراحل تطور متباينة لشكل ظاهرة إنسانية محددة. [...]. فالدور الذى تؤديه المقارنة فى علم اللغة تؤديه فى كل العلوم الاستقرائية. [...] وفضلاً عن ذلك فالمرء يمكنه أن يسمى

(٣) "Oprawach gtosowych" (حول القوانين الصوتية) ـ مع ملخص بالفرنسية ظهرا فى : Rocznik slowistyczny 3 و Kraków, 9/10.

(*) يترجم مصطلح "genetisch" إلى سلالى وأسرى ونسبى وغير ذلك ولكنى أميل إلى تعريبه الذى صار شائعاً فى العصر الحديث. (المترجم)

علماً مـا على نحو مـا يشاء، ويمكنه بوجه خـاص أن يعنونه بـ «مقـارن»، حين يعرف فقط أن المقـارنة هنا ليست الهدف، بل إنهاً ليـست إلا وسيلة من الوسائل، وأنها ليـست تميزاً وحيداً لعـلم اللغة، بل مادة مشـتركة لكل العلوم بلا اسـتثناء. (١٩٦٣، ٥٦/ ٥٧).

٢ ــ اللغة ليـست كائناً حـياً، بل هى أداة ونشاط، وهى لا تحـيا إلا داخل حامليها.

ذلك تحول للنحاة الجدد عن أوجست شلايشر، وقد وضعت اللغة فيما بعد فى مقـدمة «البحـوث المورفولوجيـة» ١٨٧٨ (قارن الفصل ١ــ٢ــ٢) بأنهـا نشاط نفسى فيزيائى(*). كتب بودوان:

من يعد اللغة كائناً حيـاً فهو يُشَخِّصها، وينظر إليها مـنفصلة عن حامليها، عن الإنسان، ويجب أيضاً أن يُعد قص أحد الفرنسيين محتملاً، فالكلمات وفقاً له سنة ١٨١٢ [عند الانسـحـاب من روسـيا، بريجـيتـه بارتشت] لا تصل إلى أذن السامع، لأنها تتجمد فى منتصف الطريق. (١٩٦٣، ٧٥/٧٦).

٣ ــ ينبغى أن يعـاد بناء الصيغ الأصلية، بل يـجب على الباحث أن يكون على يقين من أن إعادة البناء تؤدى إلى أبنية، وليس إلى صيغ لغوية واقعية.

وهذا أيضاً فـرض من فروض النحـاة الجدد الأسـاسية، كـتب بودوان سنة ١٨٧١:

(*) عنى بودوان بالعلاقات بين اللغـة والعوامل النفسية والاجتماعـية. وكان مفهومه عنهـا نفسياً بشكل أساسى، فهو يرى فى اللغة واقعة نفسـية أولاً. وهذا يعنى أن العوامل النفسية تحدد تطور اللغات. وقد لاحظ أن هذا التطور خاضع لعوامل تخص علم النفس الجمعى، إلا أنه استمر فى إبراز المظهر الفردى للغة، وفى تأكيـد «أن ليس هناك سوى الكلام الفردى»، وأن ما نسميه اللغـة الروسية يمثل خيالاً محضاً، إذ لا وجود للغة الروسية ولا لأية لغة قبليـة أو قومية على العموم. والحقيقة النفسية الوحيـدة هى اللغات الفـردية وبشكل أدق الأفكار اللغوية الفـردية. جورج مونان: علـم اللغة فى القرن العشرين صــ ٢٨، ٢٩. (المترجم)

/ من الأهمية بمكان ومن المحتم بالنسبة للعلم أن يعاد بناء «اللغات الأصل» و«اللغات الأساسية»(٤)، أى اللغات التى تعرض كل مجموعة من اللغات المعطاة حقيقة تحولاتها المتباينة. ويجب على المرء أن يلاحظ فى ذلك أن اللغات الأصل والأساسية كما أعيد بناؤها من قِبل العلم، لا تقدم أى مركب لظواهر واقعية، بل مركب فقط من الحقائق العلمية التى وُجِدت بطريق الاستنباط. (١٩٦٣، ٧٠، هامش ٣٥). ٣٧

٤ ـ الفيصل هو النظرة النفسية: القياس هو العامل النفسى عند التطور الصوتى؛ إذ ليست واقعاً من الناحية النفسية سوى لغة الفرد.

اتخذ بودوان مثل النحاة الجدد موقفاً أساسياً خاصاً بسيكلولوجية الفرد وحافظ عليه دائماً فيما بعد أيضاً. وقد أدى ذلك دوراً خاصاً بالنسبة لفهمه للفونيم، قارن ما يلى كذلك تحت ٢ـ٢ـ٢ .

ومع ذلك فقد انفصل بودوان، بداية من ذلك المؤلف المبكر سنة ١٨٧١، فى موضوعات معينة عن فرضيات نحو النحاة الجدد، ويتبع ذلك أيضاً:

٥ ـ يقبل مجالاً فرعياً لعلم اللغة الصرف (فى مقابل: علم اللغة التطبيقى)، الذى لا يعد علم لغة تاريخى، بل يبحث العلاقات بين اللغة وحاملى اللغة، أى (فى إرث هومبولت) تأثير رؤية الشعب للعالم فى تطور اللغة، وعلى العكس من ذلك مثل أوجه طرح لموضوعات ذات قرابة:

إذ تعالج فى المركب الثانى بعلم اللغة الصرف مسائل تقع خارج حدود الحقائق التاريخية: بداية اللغة الإنسانية [...]، والشروط النفسية ـ والفسيولوجية لوجودها المستمر، وتأثير رؤية الشعب للعالم فى تطور متميز للغة، والعكس بالعكس تأثير اللغة فى رؤية حامليها للعالم [...]. كثير من باحثى اللغة يعد هذه المسائل من الانثروبولوجيا وعلم النفس، غير أنه يبدو لى أنها، لما كانت تستند إلى

(٤) يقدم بودوان فى النص الروسى هذه المصطلحات بين قوسين بالألمانية.

اللغة، يجب أن ينظر إليـها من طرف علم اللغة أيضاً، ويجب أن تُخـضـع حقائق لحلها أكثر ما يُخضع لتاريخ اللغة. (١٩٦٣، ٧٤).

٦ ـ لم يؤكد بودوان أهمية اللغة الحية لعلم اللغة فحسب ـ هذا ما فعله النحاة الجدد أيضاً ـ بل درس هو نفـسه اللغات الحية. يدلل على ذلك دراسـاته الحقلية التى مارسهـا لعقود فى مجال علم اللـهجات (قارن ما يلى ٢ـ٢ـ٤)، وكـذلك أعماله فى علم وظائف الأعضاء الصوتية (٢ـ٢ـ٢) ولغة الأطفال (٢ـ٢ـ٥) وغير ذلك.

يصف الاقتبـاس التالى موقفه من بحث اللغـات الحية:/ (أولاً:) المادة المعطاة
٣٨ مباشرة، اللغات الحية للشعـوب بكل تنوعها، مثل تلك المادة تعرض اللغات التى تحيا فى الحضار والمتاحة للباحث. ويُعد منها لغـة الشعب، اللغة السائرة (المستعملة) لكل الطبقات الاجتماعية لهذا الشعب، وليس فقط لمرتدى القفطان وجلباب الفلاحين، بل لمرتدى السُّتْرَات (الحُلَل) أيضاً، ليس لغة ما يسـمى بالشعب البسيط فـقط بل اللغة المستعملة لدى ما يسمى الطبقة المثقفة أيضاً. (١٩٦٣، ٦٢، هامش ٢٧).

٧ ــ برغم القـبول الوحيـد للغة الفـرد لم يستبـعد مذهب بـودوان النفسى عوامل اجتماعية، فاللغة بالنسبة له ظاهرة نفسية ــ اجتماعية، والأفراد الذين وهبوا القدرة اللغوية، يجب أن ينظر إليهم من جانب اجتماعى أيضاً(*).

٨ ــ فى علـم الأصـوات يجب أن يجـرى فـصل صـارم بيـن الصـوت والحروف، ولـلفصل نتـائج أيضاً بالنسـبة للمـورفولوجـيا، ويجب أن يفـرق بين الصـوت (المادة المجردة) والفـونيم (الوحدة الـصوتيـة). وفى السنوات الأخيـرة، وبخاصة فى الفترة الثانية فى بطرسبورج صار للفونيم لدى بودوان تفسير نفسى جد قوى، قارن حول ذلك ٢ ــ ٢ ــ ٢. فى النص الموجـود فى محاضرة سنة ١٨٧٠ لم يعبر عن ذلك بعد، ولكن وردت الفكرة التالية:

٩ ــ الصوت والمعنـى مرتبطان ارتباطاً لا انفـصام له، فـلا يجب أن يبحث الشكل فقط، بل وظيفته أيضاً.

(*) عبر تروبتـسكوى عن ذلك التشابه بين نهـجى كل من كورتينى ودى سوسيـر بقوله: كان ف. دى سـوسيـر وى. دُوكورتينى اللغـويين الوحـيدين، لفـترة مـا قبل الحـرب، اللذين لم يعـدا النظام الفونولوجى ناتجاً عـرضياً، وطارئاً (أى غير صـحيح) لعملية ربط ذهنى، بل اعـتبراه نقطة انطلاق للبحث وأحد المبادىء الأساسية للمنهج. مونان ص٢٧ (المترجم)

يفصل بودوان بين علم وظائف الأعضاء الصوتية و«النظرة **المورفولوجية**» **أى** دور **الأصوات** فى **آلية** اللغة، حيث يشار **بذلك إلى تحليل** وظيفى بمفهوم الفونولوجيا (وحتى المورفونولوجيا، انظر الفصل الخاص بحلقة لغوى براغ).

١٠ ـ يوجد بالنسبة لبودوان ثنائيتان تعدان أساسيتين للنظرية اللغوية، الأولى بين القدرة الإنسانية على الكلام واللغات المفردة، والثانية بين اللغة بوصفها «طاقة كامنة» واللغة بوصفها عملية متكررة باستمرار فى الفهم بين البشر، ويضاف إلى ذلك تفريق للغة فى حال الثبات وفى حال الحركة، فلا يوجد بالنسبة له أى جمود فى اللغة، والثبات ليس إلا حالة خاصة للحركة. ونتيجة لذلك يجب تقويم مناهج ثابتة ومناهج متحركة بشكل متساوٍ للبحث اللغوى (قارن الفرضية ٥ و٦).

٢ـ٢ـ٢ علم الأصوات / علم الأصوات الوظيفى

٣٩ / عنى بودوان ببحث الصوت من خلال جوانب بالغة الاختلاف. فقد اهتم بالبحوث السمعية ـ وهكذا كان تلامذته هم الذين أسسوا أولى المعامل الصوتية فى روسيا (بوجورودیكاى فى كازان، وبوليتش فى سانت بطرسبورج)، وقد أسره التدوين الآلى للأصوات (ألقى سنة ١٨٨٣ فى كازان محاضرة «عن آلة فابر الناطقة»). ومن الجدير بالملاحظة فصله الصوت عن الحرف، ومطالبته بدراسات إحصائية لشيوع الحروف، وعمله التحضيرى لإصلاح قواعد الكتابة (والإملاء) فى اللغة الروسية (الذى استكمله فيما بعد تلميذه ليف تشربا Lev Scerba وآخرون، وقد حُقِّق بعد ثورة ١٩١٧) وما إلى ذلك.

بيد أن فصل بودوان بين الصوت والفونيم قد أثر التأثير الأكبر فى استمرار تطور علم اللغة فى هذا المجال (*). وغالباً ما حُدِّد بحثه الفونولوجى فى المراجع

(*) ويتمثل مفهوم الفونيم فى ضرورة التمييز بين الصوت الخام فى الكلام وبعبارة أخرى بين ما يلفظه المتكلم حقاً وشىء آخر هو الفونيم، أى ما يظن المتكلم أنه يلفظه والمستمع أن يسمعه. ويرى أن تتبع دراسة الأصوات الخام **للكلام** علمى الفيزياء والفيزيولوجيا أى علم **الأصوات** السمعى وعلم الأصوات اللفظى، ويجمعهما تارة تحت اسم «علم الأصوات الفيزيولوجى La Physiophonétique، وتارة تحت اسم على الصوت الإنسانى L' anthropophonie كما أعلن عن ضرورة تأسيس علم خاص أسماه علم الصوت النفسى La Psychophonie غايته دراسة الفونيمات، مونان ص/٣. (المترجم)

بفترة كازان، بل إن هذا الموضوع قد شغله منذ أقواله الأولى حول ذلك فى أولى محاضراته فى بطرسبورج سنة ١٨٧٠ طيلة حياته كلها. وفى الواقع صارت «مدرسة كازان» قيمة ثابتة فى تاريخ العلم. وليس آخر الأمر أيضاً بسبب مقالة رومان ياكوبسون سنة ١٩٦٠ (١٩٧١)(٥) الجديرة باعتبار كبير. ويطلق ياكوبسون عليها «مدرسة كازان فى علم اللغة البولندى»، مع اعتناء بكلا البولنديين بودوان دى كورتينى وكروسزيوسكى Kruszewski(*)؛ ويؤثر اللغويون الحاليون فى كازان أن يتحدثوا عن مدرسة كازان الدولية»، حيث عمل إلى الوقت الحالى أيضاً الروسى (ف. أ. بوجورودكى، والألمانى (. رادلوف) والتترى (ن. س. كوكرانوف وغيرهم (هكذا صيغ فى مؤتمر لتكريم بودوان سنة ١٩٨٩). كان فى القلب على كل حال بودوان دى كورتينى. ويعد الوصف بمدرسة مناسباً أيضاً. وقد بُحث بوجه خاص فى الأصوات والمورفولوجيا وعلم المعاجم فى لغات سلافية ولغات أخرى.

وفيما يلى نحب أن نتناول بإيجاز آراء بودوان فى الفونيم، حيث يُفرق فيها بين ثلاثة جوانب، فُصِّلت بشكل متوالٍ زمنياً إلى حد ما، وهى:

١ ـ الفونيم المكافىء النفسى للصوت

الأصوات أجزاء من مقاطع، دراستها مرتبطة بعلم الأصوات السمعى وعلم وظائف الأعضاء ارتباطاً وثيقاً، ويمكن قياسها قياساً موضوعياً.

---

(٥) حول ياكوبسون انظر الفصل الرابع.

(*) يرى جاكوبسون أن اكتشاف بودوان للطبيعة اللغوية للفونيم يرجع أساساً إلى مناقشات بودوان مع تلميذه الموهوب كروزيوسكى، بل يرى أن التلميذ قد تجاوز الأستاذ. ويقول شوجت Schogt الذى درس الموضوع بدقة كبيرة أنه من غير المنطقى أبداً أن ننسب أصل نظرية الفونيم إلى كروزيوسكى La linguistique, 1996/ 2p.16. فالحقيقة تكمن فى التفاعل المثمر بين الرجلين. وعلى أية حال فقد اعترف بودوان دوماً بدينه لكروزيوسكى فى هذا المجال. وذلك على الرغم من أنه أبدى أسفه فيما بعد لأن كروزيوسكى لم يستخلص من المعرفة التى وضعها تحت تصرفه كل ما كان منتظراً منه، حسب قول بودوان. مونان ص٣٠، ٣١. (المترجم)

الفـونيمـات تعمـيمـات، تصـورات ذاتية، دراسـتهـا مرتـبطة بعلمى النفس والاجتماع. وقد ألحق بودوان كلتا الوحـدتين بعلوم متباينة، وفى سنة ١٨٧٠ تحدث
٤٠ عن «علم وظائف الأعـضاء الصـوتى»،/ و«التـحليل الوظيـفى»، وفيـما بعـد عن «انثربولوجيا صوتية»، و«علم الأصوات النفسى». وفى «محاولة لنظرية فى التبادلات الصوتيـة، فصل من علم الأصـوات النفسى» (١٨٩٥) قـدم العلاقـات الموجودة فى الثمانينات للفونيم بشكله الصوتى. وحُدِّد من الناحية النفسية فقط على النحو التالى:

شرح بعض المصطلحـات وتحديدها: الفـونيم: تصور موحـد، تابع للعالم الصوتى، ينشـأ عن طريق مزج نفسى لانطبـاعات فى الروح متحـصلة من خلال نطق صوت بعينه = المكافىء النفسى للصوت اللغوى (١٩٨٥، ٩).

٢ـ الفونيم يتجزأ إلى أجزاء أصغر

أبرز بودوان هذا الجانب الثانى بداية فى «بعض فصول فى النحو المقارن للغات السلافية» (١٨٨١). فقد فرق ــ فى «حول القوانين الصوتية» (١٩١٠، ١٠ فى اللغة البولندية) ــ أ) عنـاصر نطقيـة («كينيمات»)، وب) عـناصر سمعـية (اكوسـمات)، بوصفها وحدات مزدوجة، أى أزواج تظهر فى الوقت نفسه، لا يمكن التفريق بينها.

٣ـ الفونيمات أجزاء من مورفيمات

تعنى «النظرة المورفولوجيـة» أن المرء يجب أن «يدرس دور الأصوات فى آلية اللغة» (١٨٧٠/١٨٧١). ليس للفونيمات ذاتها أى معنى، غير أنه يمكن أ) أن تصيِّر لهـا دلالة، أى تسـتـخدم للتـفـريق الدلالى، مـثل g : k فى الصوت الأول من: Garten: Karten (حديقة: بطاقات)، وب) توظف مـورفولوجيا، أى تؤدى وظائف مورفـولوجية، مثل التـغير فى الحركـة للتعبيـر عن العدد (Mutter : Mütter) «أم: أمهات» أو عن التصغير Diminutivum (Kuss : Küsschen) «لثمة: لُثَيْمَة».

وقد تبنى خَلَف بودوان الجـوانب من ١ ــ ٣ واستمروا فى تطويرهـا. فقد دخل الجانب النفسى (١) والجانب التفريقى (٢) فى نظرية الفونولوجيا، فى روسيا فى المدارس المختلفة لبطرسبورج وموسكو، وفى أوربا الغربية فى حلقة لغويى براغ

(ن. س. تروبتسكوى ور. ياكوبسون)، وصـارت نظرة بودوان المورفولوجية (٣) أساسَ مورفو (فـو) نولوجيا تروبتسكوى، وبتوسط ياكـوبسون بشكل خفى ولكنه واضح، أساسَ الفونولوجيا التوليدية فى الولايات المتحدة الأمريكية.

ويجب هنا لأسـباب تتعلق (بضـيق) المكان أن يتخلى عن تـناول ميكولاى كروسـزيوسكى (١٨٥١ ـــ ١٨٨٧)(*)، تلميـذ بودوان وشريكه العلمى فى فـترة كازان، الذى كان له نصيب أساسى فى تطوير الأفكار الفونولوجية والمورفولوجية. ويحال المهـتمون بـها إلى الأعمـال الأصلية الواردة فى بيـانات المراجع حول هذا الفصل وإلى المراجع الثانوية.

٢ـ٢ ـ٣ علم التنميط اللغوى

/ عُرِضَت تجـديدات بودوان المؤثرة على وجـه الإجمال فـى مجال التنـميط اللغوى Sprachtypologie بوجه خـاص فى الأعمـال التاليـة: تصورات علمـية ٤١
للسنوات الدراسيـة ١٨٧٦/ ١٨٧٧ (نشر ١٨٧٧) و١٨٧٧/ ١٨٧٨ (١٨٧٩)، وفى المحاضـرة الأولى فى دوربت ١٨٨٨ («حـول مهـام علم اللغة») ومـقالة (باللـغة الروسـية فى الأصل) «حـول خـاصيـة الخلط فى كل اللغـات»، وهى فى الأصل مـحاضـرة افتـتـاح سلسلة «النحـو المقارن للغـات السـلافيـة فى سـياق اللغـات الهندوأوربية الأخـرى»، وترجع إلى سنة ١٩٠٠. إن التنميـط المورفولوجى فى القرن التاسع عشر مرتبط فى خَلَف ـــ هومبولت باسم حـ. شتاينتال بوجه خاص، وتُوَصف الأنماط المقتـرحة فى الغالب بنمط لغـوى عازل ـــ لاصق ـــ متـصرف ـــ مدمج(**). وقد جاء النحاة الجدد فى نقاشهم حول هذه الأنماط بفكرتين: بالنسبة لهم لم تكن واقعـاً سوى بينما لغة الفـرد، اللغة الكلية مـجرد افتراض، ونتـيجة لذلك فالإلحاق بأنماط بالنسبـة للغات كلها مجرد افتراض، ويقتـضى قبول اللغات

(*) عبر دى سوسير بوضوح عن أفكار كل من بودوان وكروسز يوسكى بقوله: كان بودوان دى كورتنى وكروسزيوسكى أقرب الناس إلى الرؤية النظرية للغة، ودون الخروج عن الاعتبارات اللغوية البحتة. غير أنهما لم يكونا معروفين من مجموع العلماء الغربيين. مونان ص ٢٨. (المترجم)

(**) فى الأصل: isolierender - agglutinierender - flektierender - inkorporierender Sprachtyp.

الفـردية فقط أنه يوجـد «مزج لغـوى دون انقطاع»، فالمتـكلم يؤثر مع كل منطوق «فى أبعاد تصور السامع المتعلق باللغة» (هـ. باول).

تبنى بودوان فى موقفه الأسـاسى من التنميط هذه الحجج بدقة، وطور على أساسها تنميطاً لغوياً جديداً.

وفى سنة ١٨٧٧ دَوَّن فى تـصـوره تحت «تصنيف اللغــات» الموضـوعـات التالية: هل توافق القرابة الجينية ضرورة الاتفاق فى النمط المورفولوجى؟؛ ومبادىء التصنيـف المورفولوجى، ونقد تدرج الكـمال، وهل التصنيف المورفـولوجى ممكن بوجه عام؟، ومسألة اللغات الخليط.

وفى سنة ١٩٧٩ أكمل: مـا الجوانب المورفولوجيـة والنحوية التى يجب أن تسخر للتـصنيف المورفولوجى (البنيوى) للغـات؟ ــ وبهذا التحديد للمـوضوعات بالنسبـة لسلسلة محاضراتـه فى كازان حدد بودوان إجمـالاً فى نهاية السبعـينيات برنامجه فى التصنيف:

١ ــ يعنى التصنيف الأسرى (إلى عائلات لغـوية) وحده التخلى عن مقارنة لغات حـديثة فـيما يتـعلق بينائها النحوى بشــكل مسـتقل عـن وجــود القرابة اللغوية أو درجتـها. ويمكن لذلك أن يُستخدم بحث تنميطـى ضرورى فضلاً عن ذلك أيضاً لاكتشاف فصائل لغوية عالمية فى كل المستويات.

٢ ــ اللغات ذات القرابة الأسـرية ليست موحدة ضرورةً فـى بنائها النحوى، قارن الفرنسية التى تميل إلى الإلصاق Agglutination فى مقابل اللاتينية ذات النمط المتصرف، والانجليزية فى مقابل لغات جرمانية أخرى، التى تقترب من العزل كما فى اللغـة الصينيـة (التى ليست لهـا بها قـرابة) إلخ. /ويعنى ذلك أن البحث الـسُّلالى ٤٢
(النَّسَبى) والتصنيفى يجب أن يمارس كل منهما مستقلاً عن الآخر.

٣ ــ ثمة اسـتنتاج مهم، يفضى إلى نقـد البحث التنميطى الحـالى، نصه: ***الأنماط اللغـوية ليست أبدية ولا غير متـغير.*** وهو يلحق بالجانب المؤقت وهو

أن التنميط الصرفى يكاد يكون غير ممكن فى ذلك الوقت، إذ ما تزال توجد لغات كثيرة لم تُبحَث، وثمة جانب أساسى أيضاً، يجعل بودوان يتشكك بوجه عام فى إمكان الإلحاق الصارم بأنماط وجدواء، فاللغات الهندوأوربية التى تعد مثالاً لنمط تصريفى متكامل يتفتت بعضها عن بعض.

٤ ــ طور بودوان ***نظرية اللغات الخليط*** «الهجين» Mischsprachen (وبخاصة فى ١٨٨٨ و ١٩٠٠) بوصفها حجر الزاوية لتنميطه اللغوى، وقد شكلت منطلقها فرضية هرمان باول عن الخلط (المزج) اللغوى المستمر. وقد صاغ بودوان ذلك قائلاً: كل اللغات الموجودة والتى كان لها وجود فى وقت ما نشأت على طريق الخلط! «فاللغات الخليط هى أولاً وسائل التواصل الطبيعية التى نشأت حقيقة من خلال الخلط، والممكن ملاحظتها فى الوقت الحاضر مثل اللغات الهجين (مثلاً من الصينية والانجليزية فى جنوب الصين) واللغات الكريبولية وغيرها. وثانياً اللغات المصطنعة مثل الاسبرانتو وغيرها (قارن ٢ــ٢ــ٥). وبناءً على ذلك تشكك بودوين أيضاً فى نقاء أية لغة، ففى كل لغة وجدت عناصر أجنبية، وتبعاً لذلك تعد كل لغة خليطاً. ويمكن أن يحدث الخلط فى بعدين: بعد جغرافى ــ إقليمى، وبعد زمنى. ويقع الثانى مع التأثير المتبادل بين لغة دينية أو مقدسة قديمة ولغة حديثة، والأول شرط لكل خلط يجرى بطريق طبيعية. وبعبارته:

عاشت الشعوب والقبائل وتحيا فى تجاور مباشر أو متداخلة أيضاً. ويُوجد على حدود الشعوب والقبائل ضرورة التعدد اللغوى الذى يؤدى إلى الخلط «التهجين» اللغوى.

حياة البدو والحملات الحربية والخدمة العسكرية بوجه عام، وسلب النساء والعبيد فى القبائل المعتدية، وفيما بعد التجارة والتبادل العلمى... إلخ. ــ كل هذه عوامل، مشجعة على الخلط اللغوى (١٩٦٣، ٣٦٤).

ثم يناقش بودوان من خلال بعض اللغات العناصر المشاركة فى المزج، فيبين أن لهجات ــ ريزيا السلوفانية (قارن ٢ــ٢ــ٤) لا يمكن إيضاحها إلا من خلال

تأثير رومانى، إذ إنه من جهة أخرى قد تحولت لغة المستوطنين الألمان فى تلك المنطقة إلى السلوفانية، ويتعقب شركاء المزج الذين يمكن معرفتهم بالنسبة للغة اللتية(*)، والأرمينية(**) ولغات أخرى. الأرمينيون فى جوار القوقازيين، واللتيون إلى جوار الإستيين (لغتهم فنلاندية بحر الشرق)، والبلغار السلاف إلى جوار اليونانيين والألبان والرومينيين والأتراك ـ بهذه المقارنة بين مناطق لغوية متباينة أُسَرِيًا، ولكنها متجاورة إقليمياً قدم بودوان/ الباعث للنظرية المتأخرة عن الجماعات اللغوية على نحو ما طورت فى حلقة براغ (قارن الفصل الرابع). ٤٣

٥ ـ من الأهمية بمكان ما يُسمى **تفسير بودوان البنيوى للخلط «التهجين»**. فهو يحصل من جانبين: بداية يعنى الخلط بداهة استيعاب عناصر أجنبية، غير أن الخلط يتجلى كذلك فى أن الصيغ تُبَسَّط بشكل أسرع، وما إلى ذلك، قارن:

يتبين تأثير الخلط «التهجين» اللغوى فى اتجاهين: الأول يدخل الخلط فى اللغة المعطاة عناصر لغة أجنبية (كلمات، واستعمالات نحوية، وصيغ، ونطق)، والثانى يكون السببَ فى تخفيف درجة الاختلاف وقوته فى أجزاء مفردة للغات المعطاة ذاتها. ومن خلال تأثيره يطرأ تبسيط للصيغ وخلط (مزج) لها سريع للغاية، وكذلك زوال الاختلافات غير الضرورية وتأثير القياس، وفقدان التصريف، وإحلال صيغ مع حرف محله [...]، وفقد النبر المتحرك المتشكل موفولوجياً إلخ. (١٩٦٣، ٣٦٦).

(*) من أهم لغات البلطيق إلى جانب اللغة الليتوانية، وهى لغة جمهورية لاتفيا. (المترجم)

(**) فرع مستقل من أفرع الأسرة الهندية الأوروبية، دونت فى القرن الخامس الميلادى، ومر تاريخها المدون بمراحل متتابعة، وقد خضعت المنطقة اللغوية الأرمينية لدول كبرى مختلفة على مر التاريخ، فتأثرت بلغات الفرس والرومان والبيزنطيين والعثمانيين، وأدى هذا إلى تأثر بنية اللغة الأرمينية ومعجمها بهذه اللغات الكثيرة التى احتكت بها. (المترجم)

٦ ــ بتصور الخلط اللغوى نحت بودوان التنميط الحالى من الداخل إلى حد ما، وبالنسبة له اشتمل الخلط على عناصر معجمية وأسس البنية أيضاً، وهو يفسر كيف يمكن أن تتغير التبعية النمطية للغة ما. وقاد نقد بودوان للإلحاق المخطط بأنماط لغوية صارمة إياه إلى مقترحات خاصة حول تنميط جديد، يمكن أن يكون أكثر مناسبة للأنظمة اللغوية، فلم يطمح إلى **تصنيف**، بل إلى **وصف مقارن** بمراعاة جوانب فردية كثيرة من مستويات لغوية متباينة.

ينتج عن النقاط من ١ ــ ٦ منطقياً موقف بودوان من تقويم اللغات إلى لغات أفضل، ولغات أسوأ، ولغات أكثر تطوراً، ولغات أقل تطوراً. فهو يجرد من كل تقويم الأساس، مثلاً افتراض أن اللغات الهندوأوربية ا لمتصرفة هى قمة الكمال، وُصِف مثلاً بأنها فكرة متسرعة أو أنه زهو هندوجرمانى وصف الصينية العازلة بأنها بدائية نسبياً، إذ يمكن أن يلاحظ الاختلاط المستمر للأنماط فى كل مكان (قارن اتجاه الانجليزية إلى العزل).

٢ــ٢ــ٤ علم الإجتماع اللغوى

بداية من تزايد الاهتمام بالموضوعات الاجتماعية اللغوية (اللغوية الاجتماعية) لاحظ اللغويون أن بودوان قد أنجز فى هذا المجال أعمالاً تمهيدية مهمة. فقد بحث التنوعات الاجتماعية والاحتكاكات اللغوية ولغات الأقليات، حيث وفرت له محطات حياته الفرصة، فقد قابل هو نفسه بوصفه بولندياً فى الامبراطورية الروسية، فى كازان مثلاً قوميات هندوأوربية وتركية وفنلندية ــ أوغرية(*). ــ كانت لغة التعليم فى هذه الجامعة فى أقصى شرق روسيا بمرسوم/ ٤٤

(*) لغتهم فينو ــ أجريش finnougrisch (الفنلندية الأوغرية) وهى فرع كبير من عائلة اللغات الأورالية، وهى فرعان: الفرع الأوغرى المختلط باللغة المجرية (والمختلط أيضاً بلغات أوب جريش وهى خانتى ومانسى). والفرع الفينيشى ويضم لغات بحر الشرق (الفينيشية والاستناشية والكاريليشية والسبيشية). انظر:

G. Décsy: Einführung in die finnisch - ugrischen Sprachen, Wiesbaden 1965.

(المترجم).

هى الروسية، وفى تاوتو/ دوربت/ يورڤيف عاش إلى جانب الاستيين/ الألمان والروس أيضاً، وفى كاركو نمساويون وبولنديون وأكرانيون ويهود وغيرهم. لم يبق الإنسانى بودوان دى كورتينى ذلك مطلقاً بعيداً عن دراساته اللغوية، وقد حارب أيضاً بالنشر ضد المغالاة فى الوطنية Chauvinismus، والاضطهاد القومى واللغوى (قارن حول ذلك أيضاً كالفيه Calvet (١٩٧٨) وجلوك Glück (١٩٨٦).

غير أنه لا ينبغى أن يتناول ذلك بالتفصيل فيما يلى، بل دراسات حول التنوع الإقليمى بمساعدة ملحوظات عن اللهجات السلوفنية حول رزيا Resia فى شمال إيطاليا، وكان سنة ١٨٧٢ للمرة الأولى فى فريول Friaul فى منحة، ونهضت نتيجة لها «محاولة دراسة صوتية للهجات الرزيانية، التى بها حصل على الأستاذية. ثم كان بعد ذلك مراراً فى منطقة رزيا، ودرس استمرار تطور اللهجات المنطوقة فى هذه المنطقة، تأثرها بالمحيط الإيطالى، وتماثلها النشط مع المستوطنين المتحدثين بالألمانية. وفى المسائل التفصيلية ندت عنه فى ذلك الشأن صور من عدم الدقة أيضاً، مثل إصراره على عدم تسويغ الأساس التحتى الفينو ــ أوجريشى (الفنلندى ــ الأوغرى)، ولكن بشكل مجمل هذه هى الدراسات التى مارسها عبر عقود فى علم اللهجات على سبيل التمثيل.

ويجب أن يذكر فى هذا السياق أن بودوان طالب سنة ١٩١٢ بأكاديميات علمية للبلدان السلافية لتنسيق بحوثها اللهجية، حتى يمكن إنشاء خرائط لغوية على هذا الأساس. وفيما بعد أيد هذا الإيعاز، إذ يجرى العمل فى الأطلس اللغوى السلافى.

وكانت دراست بودوان اللهجية أيضاً دافعاً ومادة أساسية لبحوثه فى التنميط بمفهوم «اللغات الخليط» (قارن ٢ــ٢ــ٣)، فقد صارت بذلك عبر توثيق محض للموقف اللغوى فى منطقة جغرافية أساس بناء النظرية أيضاً.

٢ــ٥ مجالات بحثية أخرى

من عدد كبير من المجالات الأخرى التى عمل ونشر فيها بودوان ينبغى أن تذكر الآن أيضاً ***لغة الأطفال وإشكالية اللغات المساعدة العالمية***.

عالج أحد مؤلفات بودوان دى كورتينى المبكرة جداً اكتساب اللغة الأولى لدى الأطفال (انظر بودوان ١٨٦٩))، وقد عنى بهذا الموضوع فيما بعد باستمرار أيضاً (انظر مثلاً بودوان (١٨٨٥/ ١٨٨٦)). ولم يكن ذلك مجرد اهتمام نظرى. فقد صادفت قدرة بودوان على الملاحظة الدقيقة مجال نشاط رائع هنا. وأنهى بودوان بدقة كتاباً عن اكتسابهم اللغة، وبخاصة عن ابنته ايلينا (ولدت سنة ١٨٩٢؛ ملاحظاته حتى سن النضج!)، لأنها أمضت ــ إذ ولدت فى فترة كاراكو ــ أهم سنوات تعلمها اللغة فى محيط لغوى بولندى فى الغالب. وقد خَلَّف بودوان وراءه ما مجموعه ٤٧٣ كراسة أى ما يزيد على ١٣٠٠ صفحة مع ١١٤٥٢ ملاحظة لغوية (موجدن ١٩٨٤).

وبعد اختراع طبيب العيون البولندى لودفيج زامنهوف Ludwig Zamenhof الاسبرانتو Esperanto سنة ١٨٨٧، ولغات اصطناعية أخرى وبخاصة الإيدو Ido (سنة ١٩٠٧ على يد عالم المنطق الفرنسى ل. كوتورا L. Couturat)[٦]. بدأ بين اللغويين أيضاً النقاش حول مزايا اللغات المخترعة وفوائدها. وقد ذاع الخلاف علناً بين كارل بروجمان وأوجست لسكين من جهة (قارن بروجمان/ لسكين (١٩٠٧)) وبودان دى كورتينى (١٩٠٧) و(١٩٠٩) أيضاً وكذلك هويسلر Häusler (١٩٨١)) من جهة أخرى. فبينما سجل بروجمان/ لسكين فى الاسبرانتو «أخطاء فى البنية» وأوجه لا منطقية فى بناء الصيغ والكلمة، التى ينبغى أن تُعلَّم بشكل أكثر وضوحاً خالية من كل الاستثناءات وبسهولة خاصة، فقد قابلها بودوان بمطلب إنسانى أساسى: كانت كل محاولة حسب رأيه يمكن أن تعين على الفهم بين الشعوب، يجب أن يرحب بها، وإن لم توفق توفيقاً كاملاً. وكان بودوان إلى جانب إلى أوتو يسبرسن نائبى رئيس اللجنة الدائمة «الوفد الاحتفاء بلغة مساعدة عالمية». وعَدَّ المؤتمرات الدولية والحركة الدولية للشعوب المتحدثة بلغات محدودة،

(٦) تعنى إيدو فى الاسبرانتو «نجل، سليل».. وهكذا فإنها توصف بذلك بأنها لغة مشتقة من الاسبرانتو.

أقل انتشاراً مجالات تطبيق مستقبلية للغة مساعدة عالمية (قارن بودوان (١٩٠٧)، ومرة أخرى: (١٩٧٦). ويتبين هنا من جديد جهد بودوان طيلة حياته ــ وخارج تأثيره بوصفه لغوياً أيضاً ــ لمساعدة الأقليات وتشجيعها والحياة المشتركة السلمية بين جماعات لغوية متباينة. ج. بودوان دى كورتينى يمثل حُجيراً آخر من الفسيفساء لصورة العالم والإنسان.

٢ ـ ٣ تأثير بودوان فى علم لغة القرن العشرين

كتب أ. أ. ليونتيف A. A. Leont'ev سنة ١٩٦٠، الذى كان قد اشترك أيضاً فى إصدار النشرة الروسية لمؤلفات بودوان سنة ١٩٦٣:

> كل جيل لاحق من علماء اللغة يكتشف فيه شيئاً جدداً، يعد مهماً لهذه المرحلة فى تطور علم اللغة. وفى عصرنا أيضاً لدى بودوان دى كورتينى ما يقدمه. (اقتبس عن موجدن ١٩٨٤، ١٩٠).

/ وكان رومان ياكوبسون سنة ١٩٢٩ قد أبرز فى تأبينه مكانة بودوان المتفردة ٤٦
فى علم اللغة فى عصره: فقد شارك فى تأسيس مدرسة النحاة الجدد من خلال رسالته للدكتوراه فى ليبزج عن دور القياس النحوى، بل اتخذ مذهب النحاة الجدد فى مطالبته أيضاً بدراسة اللغات الحية فى جد وبحث اللهجات، واللغة المستعملة بين طبقات اجتماعية مفردة، ولغات خاصة مهنية، وباثولوجيا (علم أمراض) اللغة (لغة الأطفال وعوائق اللغة)؛ وقد نظر إلى اللغة بوصفها نشاطاً، وبحث وظائفها، كل ذلك إذن ليس فى عقب النحاة الجدد، بإيجاز: ليس من الممكن تحديد انتمائه لمدرسة ما، بل جعلت أصالته فى التفكير، التى تأصلت فى معرفة مؤكدة بالبحوث التاريخية ــ المقارنة، أحَد موسعى نهج علم اللغة فى القرن العشرين. ففهمه للفونيم وفهمه لشكل اللغة ووظيفتها بشكل مجمل وثنائياته التى تتعلق باللغة وتمس خاصية النظام فيها أيضاً، وليس آخراً تفسيره البنيوى للخلط «التهجين» اللغوى قد تبنته خارج روسيا/ الاتحاد السوفيتى بحوث حلقة براغ بوجه خاص (قارن الفصل الرابع).

إن كثيراً من آراء بودوان تتوازى مع آراء فردينان دى سوسير(*) (قارن الفصل الثالث)، الذى كان قد درس كذلك إرث النحاة الجدد فى ليبزج. عرف كل منهما الآخر، وعرف كل منهما أعمال الآخر: فقد كان بودوان فى سنتى ١٨٨١/١٨٨٢، بحصوله على منحه للسفر إلى الخارج فى فينيسيا وباريس. وهناك نجح دى سوسير فى التأثير فى قبول بودوين فى الجمعية اللغوية Sociéte de Linguistique بمناسبة توقفه فى باريس. وعلى النقيض من كتاب دى سوسير «دروس فى الألسنية العامة» لم يقدم بودوان دى كورتينى أى عرض متكامل لنظريته اللغوية؛ فآراؤه مبعثرة فى أعمال فردية، كما أن لغات النشر أيضاً تؤدى دوراً، حيث قدم دى سوسير، وليس هو آخر الأمر، الباعث الفكرى الحاسم لعلم اللغة البنيوى فى القرن العشرين

(*) يلح تروبتسكوى كثيراً فى مقالته التى نشرت عام ١٩٣٣ على تطابق مواقف هذين الطليعيين العملاقين فيما يتعلق بمفاهيم الدراسة الوصفية والدراسة التاريخية. ويشير قائلاً: «لقد ولدت نظريات سوسور وبودوان فى عصر يكاد يكون فيه مصطلح علم اللغة مرادفاً لعلم اللغة التاريخى، ولما كان علم اللغة التاريخى هذا تجزيئياً لا يدرس سوى تاريخ العناصر المنعزلة، فقد تعارض مع اتجاهات النظريات الحديثة الكلية والبنيوية. مما دفع سوسور وبودوان إلى الإلحاح على أهمية علم اللغة الثباتى Statique (السكونى، الوصفى حسب تعبير سوسور) ومشروعيته، وذلك من أجل الدفاع عن وجهة نظرهما (...)، ويمكن أن نلاحظ لدى بودوان هذا الموقف من علم اللغة التاريخى، على أن سوسور بالذات قد جعل من التعارض بين الدراسة الوصفية والدراسة التاريخية أحد القوانين الأساسية لنظريته». ولا يزال هذا الرأى صحيحاً حتى أيامنا هذه. لقد طرح بودوان بقوة، ومن خلال تعبير وايتنى الواضح مشروعية وجود علم اللغة الوصفى أو الثباتى (النقى من كل شائبة معيارية) إلى جانب علم اللغة التاريخى أو الديناميكى. مونان ص ٢٩. (المترجم)

B. Bartschat (1989): Die kritische Weiterentwicklung der morphologischen Typologie des 19. Jahrhunderts durch Jan Baudouin de Courtenay und H.G.C. von der Gabelentz. In: Jan Baudouin de Courtenay a lingwistyka światowa, siehe dort.

J. Baudouin de Courtenay (1869): Einige Beobachtungen an Kindern. In: Beiträge zur vergleichenden Sprachforschung.

J. Baudouin de Courtenay (1870): Die Wirkung der Analogie in der polnischen Deklination (Dissertation Leipzig; Teilveröffentlichung 1868 in „Beiträge zur vergleichenden Sprachforschung" Berlin).

I. A. Boduėn de Kurtenė (1871): Nekotorye obščie zamečanija o jazykovedenii i jazyke (Einige allgemeine Bemerkungen über Sprachwissenschaft und Sprache). Antrittsvorlesung am Lehrstuhl für vergleichende Grammatik der ide. Sprachen am 17./29. Dezember 1870 an der Universität St. Petersburg [Wiederabdruck in Boduėn de Kurtenė 1963].

J. Baudouin de Courtenay (1875): Opyt fonetiki rez'janskich govorov (Versuch einer Phonetik der Dialekte von Resia). Varšava/Peterburg.

J. Baudouin de Courtenay (1876): Rez'ja i Rez'jane (Resia und seine Bewohner). In: Slavjanskij Sbornik (Peterburg) t. 3, otd. 1.

J. Baudouin de Courtenay (1884): Übersicht der slavischen Sprachenwelt im Zusammenhang mit den andern arioeuropäischen (indogermanischen) Sprachen. Antrittsvorlesung, gehalten an der Universität Dorpat am 6./18. September 1883. Leipzig.

J. Baudouin de Courtenay (1888): Über die Aufgaben der Sprachwissenschaft. Erster Dorpater Vortrag [Wiederabdruck in J.I.N. Baudouin de Courtenay 1974: „O zadaniach językoznawstwa"].

J. Baudouin de Courtenay (1895): Versuch einer Theorie phonetischer Alternationen [Wiederabdruck in J. Baudouin de Courtenay 1984].

J. Baudouin de Courtenay (1895a): Materialien zur südslavischen Dialektologie und Ethnographie I. Resianische Texte, gesammelt in den JJ 1872, 1873 und 1877. St. Petersburg.

I.A. Boduėn de Kurtenė (1901): O smešannom charaktere vsech jazykov (Über den Mischcharakter aller Sprachen), Vorlesung St. Petersburg 1900 [Wiederabdruck in Boduėn de Kurtenė 1963].

J. Baudouin de Courtenay (1907): Zur Kritik der künstlichen Weltsprachen. In: Annalen der Naturphilosophie (Leipzig) 6 [Wiederabdruck in R. Haupenthal (Hrsg.) 1976: Plansprachen. Darmstadt].

J. Baudouin de Courtenay (1909): „Deklaro" (von der Redaktion aus dem Deutschen ins Ido übersetzt). In: Progreso (Paris), Yaro 1, No. 7.

J. Baudouin de Courtenay (1910): Klassifikation der Sprachen. Vortrag auf der Grazer 50. Versammlung deutscher Philologen und Schulmänner. In: Anzeiger für idg. Sprach- und Altertumskunde (Beiblatt zu Indogermanische Forschungen XXVI, 1-3) [Wiederabdruck in Baudouin de Courtenay 1984].

I.A. Boduėn de Kurtenė (1963): Izbrannye trudy po obščemu jazykoznaniju (Ausgewählte Werke zur allgemeinen Sprachwissenschaft) I-II (Hrsg. V.P. Grigor'ev, A.A. Leont'ev). Moskva.

A Baudouin de Courtenay Anthology. The Beginnings of Structural Linguistics (Übers. u. Hrsg.: Edward Stankiewicz). Bloomington/London 1972.

J.I.N. Baudouin de Courtenay (1974ff.): Działa wybrane (Ausgewählte Werke), Redaktionskomitee unter Vorsitz von Witold Doroszewski. Warszawa.

J. Baudouin de Courtenay (1984): Ausgewählte Werke in deutscher Sprache, mit einem Vorwort von Ewelina Małachowska (hrsg. von J. Mugdan). München.

Jan Niecisław Baudouin de Courtenay a lingwistyka światowa (J.N. Baudouin de Courtenay and the world linguistics). Materialien der internationalen Konferenz Warschau 4.-7.9.1979. Ossolineum 1989. Bodun de Kurten i sovremennaja lingvistika. K 140-letiju so dnja roždenija I. A. Boduėna de Kurtenė (Baudouin de Courtenay und die gegenwärtige Linguistik. Zum 140. Geburtstag von I. A. Baudouin de Courtenay). Kasan 1989.

K. Brugmann/A. Leskien (1907): Zur Kritik der künstlichen Weltsprachen. Straßburg.

M. di Salvo (1979): J. Baudouin de Courtenay and Linguistic Contacts in the Eastern Alpine Area. Report of an international conference held at Prato de Resia (Udine) 23-24 September 1979. In: Historiographia Linguistica 6.

G. Feudel (1976): J. Baudouin de Courtenay und F. de Saussure – zwei Traditionslinien in der Entwicklung der Sprachwissenschaft. In: Zeitschrift für Phonetik, Sprachwissenschaft und Kommunikationsforschung 29/5-6.

H. Glück (1986): Die Speisekarte der Sprachenfresser. Zur Aktualität von Jan Baudouin de Courtenay (1845-1929) für die sprachensoziologische Forschung. In: Germanistische Mitteilungen 23.

F. Häusler (1968, [2]1976): Das Problem Phonetik und Phonologie bei Baudouin de Courtenay und in seiner Nachfolge. Halle.

F. Häusler (1981): Baudouin de Courtenays Stellung zum Problem der Welthilfssprachen. In: Zeitschrift für Phonetik, Sprachwissenschaft und Kommunikationsforschung 34/3.

R. Jakobson (1929): Jan Baudouin de Courtenay. [Nachdruck: Th. Sebeok (ed.), Portraits of Linguists. Westport, Conn.: Greenwood 1966].

R. Jakobson (1971): The Kazan School of Polish Linguistics and its Place in the International Development of Phonology. In: Jakobson 1971-1979, Selected Writings II [poln. Original 1960: Kazańska szkoła polskiej lingwistyki i jej miejsce w światowym rozwoju fonologii. In: Biuletyn polskiego towarzystwa językoznawczego XX].

J. Klausenburger (1978): Mikołaj Kruszewski's Theory of Morphophonology. An Appraisal. In: Historiographia Linguistica 5.

E.F.K. Koerner (1972): J. Baudouin de Courtenay: His Place in the History of Linguistic Science. In: Canadian Slavonic Papers (Ottawa) 14 [Nachdruck: Koerner 1978: Towards a Historiography of Linguistics. Selected Essays. Amsterdam].

M. Kruszewski (1881): Über die Lautabwechslung. Kasan.

M. Kruszewski (1883): Očerk nauki o jazyke (Abriß der Wissenschaft von der Sprache). Kazan.

J. Mugdan (1984): Jan Baudouin de Courtenay (1845-1929). Leben und Werk. München.

J. Radwanska Williams (1993): A Paradigm Lost: The Linguistic Thought of Mikolaj Kruszewski. Philadelphia.

E. Stankiewicz (1976): Baudouin de Courtenay and the Foundations of Structural Linguistics. Lisse [Nachdruck aus „A Baudouin de Courtenay Anthology" 1972].

٢ ـ فردينان دى سوسير (١٨٢٧ ـ ١٩١٣)

٣ ـ ١ سيرة فردينان دى سوسير العلمية

ولد فردينان دى سوسير فى عائلة علماء فى جنيف(١). تجلى اهتمامه باللغات وبحثها فى وقت مبكر جداً، وقد شجعه على ذلك صديق للعائلة.

وفى أثناء فترة الدراسة فى جنيف اهتم باللغات الكلاسيكية والسنسكريتية. وقد اهتدى فى ذلك ـ بناءً على بحوث فى نصٍ لهيرودوت إلى أنه يجب أن يكون قد وجد فى اللغة الأصل الهندوأوربية أصوات أنفية مقطعية(٢).

فى أول الأمر بدأ سوسير فى جنيف دراسة علوم الطبيعة، ثم فى سنة ١٨٧٦ تبع أصدقاء له إلى ليبزج، وهناك تحول فى الحال إلى كلية الفلسفة (الآداب) ليدرس علم اللغة. وكان ذاك الزمن الذى كان قد طور فيه اتجاه النحاة الجدد أفكارهم الأساسية، وبلغ قمته الكبرى الأولى نشر «بحوث مورفولوجية» فى

---

(١) فقد كان جده نيكولاس ـ تيودور (١٧٦٧ ـ ١٨٤٥)، أستاذاً فى جنيف، عالماً فى الفيزياء والكيمياء والجيولوجيا وعلم المعادن، ووالده هنرى (١٨٢٩ ـ ١٩٠٥)، أستاذ فى جيسن وجنيف، كان عالماً فى الجيولوجيا، وقد وضع عن رحلات ممتدة إلى مكسيكو والولايات المتحدة الأمريكية والهند الغربية بين الأمريكيتين مجموعات عن علم المعادن. ولا يذكر كذلك من العدد الكبير من العلماء (والفنانين) فى عائلة دى سوسير إلا أخوة فردينان الثلاثة: هوراس رسام للأشخاص والطبيعة، وليوبولد فى البداية ضابط فى البحرية، ثم عالم فى الصينية، متخصص فى علم الفلك الصينى، ورينيه أستاذ فى الرياضيات فى واشنطن وجنيف، وقام أيضاً بدراسات فلسفية ومنطقية، وعنى كذلك باللغات الاصطناعية وعلاقتها باللغات الطبيعية.

(٢) ينبغى هنا أن يتناول بشكل أكثر دقة أن كارل بروجمان أيضاً ـ بشكل مستقل ـ قد وصل إلى هذه النتيجة ونشر سنة ١٨٧٦ هذا القانون «الأصوات الأنفية المشكلة للمقطع nasalis sonans. وكما وصف دى سوسير بالتفصيل فى مخطوط يوجد فى مكتبة جامعة جنيف، كان عند توقفه فى البيزج مندهشاً للغاية، فكم أشيد باكتشاف بروجمان هذا الذى وصل إليه هو نفسه سنة ١٨٧٢/ ١٨٧٣. ومع ذلك فإن علاقته الطيبة ببروجمان لم تكن لتعكر هذا التطابق الزمنى غير السار.

مجال اللغات الهندوجرمانيـة، المجلد الأول (١٨٧٨) مع المقدمة الخاصة بالبرنامج
لبروجمان/ وأوستهوف (انظر الفـصل الأول). وظل سوسير ٤ فصول دراسية فى ٥٠
ليبزج، واستمع إلى محاضرات لدى جـيورج كورتيوس (النحو المقارن) وأوجست
لسكين (السلافيـة والليتوانية)، وهاينريش هوبشـمان (الفارسية القـديمة) وهرمان
استهـوف (السنسكريتية) وغيـرهم. واشترك فى المناقشـات فى جمعيـة كورتيوس
النحوية، وفيـها قابل أيضاً كـارل بروجمان. وفى سنة ١٨٧٨ نشر سـوسير ثلاث
مقـالات فى "Mémoires de la Societé de linguistiquc" (بحـوث صغـيرة
للجمعيـة الغوية)، باريس من بينها: "Essai d'une distinction des différents
a indo -européens" (مقالة حول التـفريق بين صوت a فى اللغات الهندوأوربية
المختلفة)، عمل تمهيدى «البحث» يتحدث عنه فيما يلى تحت ٣ ـ٣.

حصل فـردينان دى سوسـير سنة ١٨٧٩ على الدكـتوراه فى برلين بـرسالة حول «استعمال الإضافة المطلقة فى السنسكريتية(*)». رسالته هذه للدكتوراه جديرة بالملاحظة لأنه نادراً تماماً فى ذلك الوقت أن يـعالج موضوع نحوى، غـير أنه بقى دائماً فى ظل «البـحوث الصـغيرة»، منهـا «بحث حول نظام الحـركة الأصلى فى اللغات الهندوأوربية» الذى نشره سنة ١٨٧٩ فى ليبزج(**).

(*) يلاحظ أن المصطلح الموجـود فى النص الألمانى absolutes Genetiv وترجـمتـه حـالة الإضافـة المطلقة. أما فى كتاب مـونان ص ٤٨ فتوجد عبارة: ثم كانت أطروحته للدكـتوراه حول حالة الجر المطلق فى اللغة السنسكريتية (جنيف ١٨٨١).

(**) ورد فى النص الألمانى لفظ Denkschrift ترجمة حـرفية للكلمة الفـرنسية Mémoire، وتعنى مذكرة كما ورد فى ترجمة د. نجيب غزاوى لكتـاب مونان، إذ ذكر العنوان كما يلى: (مذكرة حول النظام البدائى لأحـرف العلة فى اللغات الهندية الأوربيـة). حقق للعـالم الشاب البالغ من العـمر إحدى وعشرين عاماً، شهرة عالمية صاحبته حتى وفاته، وحتى بعد وفاته. ص ٤٨.

ولكنى آثرت ترجمة Mémoire إلى بحث «يقع فى ثلاثمائة صفحة وصفـحتين» وقد كانت السمة الغالبة على ما نشره دى سوسير، بحوث أو معالات صغيرة أو تعليقات وملحوظات، مقارنة بحجم المؤلفات آنذاك.

(المترجم)

وفي سنة ١٨٧٩ بدأ سوسير مساره الأكاديمي في باريس، وفي ذلك الوقت زاول نشاطه أيضاً سكرتيراً للجمعية اللغوية بباريس، وفي أثنائها تعرف بودوان دي كورتيني وأعماله اللغوية (قارن الفصل الثاني).

وفي سنة ١٨٩١ عاد سوسير إلى مسقط رأسه جنيف. وحتى يحصل على كرسي تعليمي في كوليج دي فرانس كان عليه أن يقبل الجنسية الفرنسية، حيث لم يستطع أن يقبل ذلك بوصفه مواطناً سويسرياً. ومن المؤكد إلى حد ما أنه قد أنشيء تعبيراً عن شكره في جنيف من أجله منصب أستاذ (غير متفرغ) للسنسكريتية وعلم لغة اللغات الهندوأوربية. وفي سنة ١٨٩٦ حُوِّل إلى منصب أستاذ عامل، وفي سنة ١٩٠٧ إلى كرسي تعليمي لعلم اللغة العام. وقد درس فردينان دي سوسير في جنيف حتى وفاته ١٩١٣. وبغض النظر عن أعماله المبكرة فنادراً مانشر(*)، بل ركز كلية على عمله أستاذاً في معهد عالٍ. ولم يوجد في تركته مخطوط كتاب، وإنما تحضيرات مفصلة لمحاضرات ومواد لتدريب الطلاب وما أشبه. في ثلاث دورات دَرَّس علم اللغة العام (١٩٠٧، ١٩٠٨/١٩٠٩، ١٩١٠/١٩١١)، وبدهي بالإضافة إلى ذلك محاضرات في السنسكريتية، بل إنه قد قام أيضاً بسلاسل من المحاضرات في الدراسات الألمانية. وتذكر غالباً محاضرته في ملحمة Nibelungenlied(**) وأبحاث دي سوسير الخلافية أيضاً حول الجناس التصحيفي Anagramm (Les anagrammes)، حيث يريد

(*) يذكر مونان ص ٤٨: وكل ما نشر بعد ذلك، تمَّ بعد وفاته ما عدا مجموعة مذكرات ومقالات وملاحظات نشرت في فترات متباعدة وجمعت بعد وفاته في كتاب:
Recueil des publications scientifique de Ferdinand de Sausure (Genève, sonor èdit, et Heidelberg. K. Winter edit, 1922) مجموعة منشورات فردينان دو سوسور العلمية. وهو مؤلف لم يحظ بالكثير من الاهتمام، ولذا فنحن لا نجده في كل المكتبات الجامعية. ولم تتح الفرصة لسوسور لإنهاء مقال طويل عن وايتني، كان يحضره بمناسبة وفاته عام ١٨٩٤، ولقد عثرنا على سبعين صفحة منه تحتوي على ملاحظات ناقصة.
(المترجم)

(**) ملحمة باللغة الألمانية الفصحى الوسيطة لمؤلف مجهول ترجع إلى القرن الثالث عشر.
(المترجم)

بمساعدتها أن يكتشف الرسائل المشفرة خلف نصـوص حقيقية لآثار مكتوبة، وكلها تتبع ذلك المجال.

لم تعرف نظرية سوسير اللغوية المؤثرة فـيما بعد حتى تاريخ وفاته المبكر إلا لدى سامعيه فى جنيف. ولم ينشر اللغويان شـارل باللى والبرت سيشهاى، وهما نفسـهما ليسـا تلمـيذين لفرديناند دى سـوسير، بمسـاعدة ملحـوظات آخرين على مـحـاضراته كـتـاب Cours de linguistique générale/ «دروس فى الألسنيـة 51
العامة» إلا سنة ١٩١٦، أى بعد وفاته، ومن ثم دُوِّنَ إذن من سوسير. حول تاريخ نشأة الإشكالية التى نتجت عن ذلك انظر تحت ٣ ـ ٤.

٣ـ٢ تأثيرات من علم اللغة ومن العلوم المجاورة

(النحاة الجدد، وايتنى، ودوركايم)

لأن فرديناند دى سـوسير، كـما ينبغى أن يُبَـين فى هذا الفصل، قـد شغل مكانة متصدرة فى علم لغة القرن العشـرين، فمن المهم للغاية إبراز الخلفية العلمية والمنهجية لنظريته اللغوية. ولا يجوز أيضاً أن ينشأ انطباع، مع دى سوسير وحده، أن علم اللغة الحديث قد بدأ من لا شىء إلى حد ما ـ ذلك تقديرخاطىء، لحسن الحظ لا يتردد إلا فى أعمال قليلة غير جادة.

كـان فرديناند دى سـوسيـر بالنسبـة لمعـاصريه مـؤلف «البحث الصـغيـر» "Mémoire" بوجه خـاص (انظر ما يلى ٣ ـ ٣). وكان قد تربى فى ليـبزج بين أحضان علم اللغة التـاريخى ـ المقارن، فكان خبيراً بمضامين مـدرسة النحاة الجدد ومناهجها. وفى ٣ ـ ٣ يُبين إلى مدى واضح انحرفت «هذه البحوث الصـغيرة» عن نموذج التفكير لدى النحاة الجدد. وحـين لا ينعكس ذلك بوجه عام أيضاً فإنه قد كان عـارفاً بعلماء الدراسات الهندوجـرمانية الأوائل بغيـر شك (قارن تأبين· شترايتبرج W. Streitberg ١٩١٣).

وقد أشير من قبل فى الفصل الثانى إلى أن سوسير عرف أعمال بودوان دى كورتْينى. وقد قدّر بودوان وكروزيوسكى تقديراً كبيراً، وأسف لأنهما لم يُعرفا فى

أوربا الغربيـة إلا معرفـة ضئيلة. وفى اتهـام نظريته اللغويـة يتبين تأثير اللغويين البولنديين فى مواضع كثيرة. ويذكر مفهوم الفونيم مثالاً لذلك؛ فإن تناول سوسير للفونيم على أنه ***وحدة النظام اللغوى*** له هنا مصدره، فقد كان متأثراً فيه بنظرة بودوين للجانب الاجتماعى إلى جوار الجانب الفردى للغة بوجه خاص أيضاً.

وثمـة لغوى آخـر تأثرت نظرية سـوسـيـر اللغوية به هـو عالم الدراسـات الهندوأوربية الأمـريكى و. د. وايتنى W. D. Whitney (١٨٢٧ ١٨٩٤). فقد كانت أوجـه التطابق المضمونيـة واضحة، وبخـاصة فى فهم اللغـة على أنها نظام علامات، والعلاقة بين الفرد والجماعة وبين اللغة والفكر. وقد ثُبُت أن سوسير قد عـرف تصورات نظرية لوايتنى، إذ يـذكره فى «الدروس» فى ثلاثة مـواضع. ومن تلك الأسباب يمكن أن يفتـرض كذلك معرفة مبكرة جداً لـسوسير بأفكار وايتنى: فقد كان قـد تُرْجِم عملاه: "Language and the Study of language" «اللغة ودراسة اللـغة»، و"Life and Growth of language" «حيـاة اللغة ونموها» إلى الألمانية (إمـا سنة ١٨٧٤وإما ١٨٧٦)، وقد أصـدر أوجست لـسكين كذلك كـتابه "Leben und Wachstum der Sprache" «حـياة اللغـة ونموها. و: أبرز كـارل
٥٢ بروجمان/ سنة ١٨٩٤ فى تأبينه لوايتنى تأثيره فيـه وفى جيله فى السبعينيات (من القرن التاسع عشر).

ويجب أن يلاحظ بالإضـافة إلى ذلك أن رواد التـخصـيص اللغوى ليـسوا وحـدهم يؤثرون فى تشكيل النظرية، بل توجـد أيضـاً صلات بالعلوم الأخـرى، وهى تأثيرات مباشـرة وأفكار ومناهج أيضاً، تشكل العصر على نحو مـعين، كما يقال «شىء فى الجـو» وتبنتها علوم كثـيرة. ففى تاريخ علم اللغـة يمكن للمرء أن يتعرف علم النفس على أنه ذلك العلم الأساسى(٣)، ففى قرننا تؤدى علوم البنية أيضاً ذلك الدور المجاوز. لقد تلقى سوسـير تأثيرات من خارج علم اللغة من علم

---

(٣) قارن بالنسبة لعلم نفس الفرد فى القرن التاسع عشر لدى هربرت، انظر الفصل الأول وبخاصة ١ـ٣ وقارن بالنسبة للقرن الـعشرين مثلاً الفصل الخاص بحلقة لغويى براغ من جـهة وعلم اللغة الوصفى من جهة أخرى.

الاجتمـاع بوجه خاص، وبشكل أكثر دقـة من علم الاجتماع الفرنسى فى صـياغة اميل دوركايم Emile Durkheim، وفى الواقع يوجـد خلاف شديد فى الـبحث حول إدخال أفكار اجتـماعية فى نظريته اللغوية ومـتى كان ذلك (أو هل لم يفعل ذلك إلا ناشـرا «الدورس»). ومع ذلك تبـدو حجـج تأثر آراء دى سوسـيـر بعلم اجتماع دوركايم مقنعة. فقـد استطاع سوسير أن ينقل عن اميل دوركايم الذى عد مرجعاً لا خلاف عليه، بعد أن كان قد وسع النهج الوضعى لدى أوجست كونت، عبـر «علم للمجتمع» إلـى علم مستقل، ـ ينقـل عنه خواص المجتمع فى مـقابل مجـموعـة من الأفراد. فـ «التصـورات الجمـعية» و«الواقـعة الاجتـماعـية» fait social[٤]، كلاهمـا يعمل «بسـلطة (أو قوة) غالـبة» بشكل مـستقل عـن الفرد، ويُلْزَم ذلك الفرد بها (قارن دوركايم (١٨٩٩/ ١٩٦١).

وتعكس ثنائية: اللغـة : الكلام (انظر تحت ٣ـ٤ـ١ مواضع نصيـة متوازية أيضاً من مؤلف دوركـايم ومؤلف دى سوسير) هذا الموقـفَ الأساسى القائم على أساس اجتمـاعى، وتبين الاختلافَ عن أساس النحـاة الجدد القائم على علم نفس الفرد. ولا يمكن أن تـكون أوجه الاتفاق أيضـاً فى الثنائية المفـهوميـة «التزامن ـ التعاقب» (قارن أيضاً ما يرد تحت ٣ـ٤ـ١) مصادفةً. فقد لوحظت فى توازيها مع علم الاجتماع الثـابت ـ وعلم الاجتماع المتحرك لهوجو شـوشارت من قبل أيضاً فى نقد «للدروس».

يبسط هنا عن قصـد شىء، وهو تَتَعَقَّب تحليلات حاذقة آراء سـوسير حول النظام اللغوى حتى القدم، غير أنه يمكن أن يسجل باختصار أنه قد وجدت بحوث ٥٣
لغوية واجتماعية خاصة فى القرن التاسع عشر، أثرت فى سوسير تأثيراً شديداً.

٣ـ٣ بحث حول نظام الحركة الأصلى للغات الهندوأوربية

كـتب فـرديناند دى سوسـيـر "Mémoire sur le systéme primtif des voyelles dans les langues indo - européennes" «بحث حول نظام الحـركة

(٤) فى علم الاجتماع الألمانى، ترجمتها بـ: sozialer Vorgang مألوفة.

الأصلى فى اللغات الهنـدوأوربية» بحثاً لحلقـة دراسية ١٨٧٧/١٨٧٨ فى ليبزج، ونشره هنـاك أيضاً سنة ١٨٧٩. وقد نشـر مرة أخـرى سنة ١٩٦٨ فى هيلدزهايم إعـادة طبع عن الأصل دون أدنى تغيـير فـيه، ومع ذلـك فلم يترجم مطلقـاً إلى الألمانية. ولهذا البحث حـجم جدير بالاحترام وهو ثلاثمائة وصفحـتان ومضمون غير عـادى. ويشغل هذا البحث موقع الصدارة فى تاريخ مناهج علم اللغـة. فهو من جهة مـثال عظيم للدراسات التاريخيـة المقارنة فى مدرسة النحاة الجـدد ــ فقد حللت فى عـرض شـامل عـلاقـات تحـول الحـركـة فى اللغـات الهندوأوربيـة، واستخلصت اسـتنتاجات حول إعادة بناء المكـون الحركى الأصلى الذى يسرى إلى يومنا هذا. ويتجاوز هذا البـحث من جهة أخرى فى نقاط جـوهرية مواقف النحاة الجدد، وينبغى الآن أن يشار إليها بالتفصيل.

ويمكن للمرء أن يحمل توجيه أفكار البحث فى أربع فرضيات؟:

١ ــ أُكِّد اكتشافُ الأصوات الأنفيـة المقطعية والأصوات المائعة (نذكر: على يد بروجمان وسوسير، كل منهما مستقل عن الآخر) بمادة جديدة. وفى ذلك يبرز سوسير أن: الأصوات الأنفية المقطعية الطويلة والأصوات المائعة تنشأ بإضافة عنصر إلى صيغ قـصيـرة؛ هذا العنصر يقدمـه سوسـير بـ "A"، ويطلق عليه «مـعامل صوتى»(*) (انظر ما يلى الفرضية٣).

٢ ــ انطلاقاً من بحث الحـركة "a" أعيـد بناء المحتـوى الكلى للحـركات الهندوأوربية الأصلية. يقول سوسير حول ذلك:

«الموضوع المباشرة لهذا البحث الصغير هو دراسة الصيغ المتنوعة التى يظهر فيها الصوت الهندوأوربى "a". أما الحركـات الأخرى فسوف يستـخدم فقط باعتـبار أنها ظواهر تترابط مع هذه الحركة "a"، وتقدم الفرصة لذلك، غـير أنه حين يتوصل إلى هدف المجال الواضح المعـالم؛ وهو أن صورة الحركـات الهندوأوربية قد تغيـرت أمام أعيننا شيئاً فشيئاً، ونرى كل الحركات قد تجمعت حول الـ "a" ــ حيث يصدر عنها

(*) المصطـلح هو "sonantischer Koeffizient" مكون من الاسم Koeffizient وهو مـصـطلح رياضى يعنى معامل، والصفة sonantischer وهى من الاسم sonant ويعنى الصوت أو الحركة المشكلة للمقطع.

سلوك جديد ــ فإنه يصير واضحاً أنه يوجد فى الحقيقة **نظام للحركات ككل،** نلاحظه، ويدخل ضمن عنوان هذا البحث (١٩٧٩، ١؛ الإبراز من المؤلف).

هنا يترك سوسير إذن المواقف الذرية غالباً للنحاة الجدد. ويبرز فيلهلم شترايتبرج ذلك فى تأبينه عند تقدير هذا البحث الصغير Mémoire بصفة خاصة.

/ تكمن أهمية (سوسير) المتفردة فى قدرة عقله على بناء النظام، وقوته التى ٥٤
لا تقارن هى التأليف Synthese؛ أى أن كل الملاحظات المفردة ليست بالنسبة له إلا أحجار أساس لبناء النظام موضوع بشكل منهجى (١٩١٤، ٢٠٣).

وقد تأكد فى ذلك ضمن ما تأكد أن السنسكريتية لا تمثل الحال القديمة للغاية المفترضة إلى الآن داخل اللغات الهندوأوبية، بل إنها حديثة نسبياً فى نظام الحركات بوجه خاص.

٣ ــ يصعب إثبات «المعامل الصوتى» الذى يقدمه بـ "A"، فى أية لغة هندوأوربية مستشهد بها. وقد حسبه سوسير من خلال إمكان إيضاحه بشكل منظم بتبادلات حركية معينة لوجوده فقط. فقد كانت الوظيفة وحدها فى البنية هى الفيصل لافتراض "A"، إذ لا يعنى سوسير بخواصه الصوتية ــ التى ربما كانت لها أهمية على الأرجح بالنسبة للنحاة الجدد ــ وإنما رد أفكاراً عن التحقيق الصوتى لهذا العنصر المجرد، بصورة تأملية[٥].

وقد أكمل التاريخ التالى لبحث عنصر البنية هذا: عالم الساميات الألمانى ــ الدنمراكى هرمان مولر H. Møller (١٨٥٠ ــ ١٩٢٣؛ ومن سنة ١٨٨٨ ــ ١٩٢١ فى جامعة كوبنهاجن) الذى عرف عقب نشر «بحث صغير» مباشرة توازيه مع الشفا السامية Schwa[*] واقترح لها اسم «الشفا الهندوجرمانية Schwa

---

(٥) ثمة تواز وارد غالباً حول ذلك من الفلك وهو حساب مسارات الكواكب، بل توجد بالأحرى إمكانات أداتية لرؤية هذه الكواكب.

(*) schwa שְׁוָא تعنى فى العبرية السكون وهى قسمان تامة السكون وسكون متحرك، فإذا وجد حرفان متتاليان تحتهما علامة السكون هذه كانت الأولى הַדְ أى تامة السكون والثانية לְדְ أى سكون متحرك وتسمى mobile مثل ؛ יִקְטְלוּ يقتلون.

«indogermanicum». ويعد موت سوسير، فى وقت معين، حين وُثِّق فيه فى فك نقوش كثيرة من آسيا الصغرى، أمكن أن يتعرف فى الحيثية عليها بوصفها لغة هندوأوربية. شاهد على اكتشاف المُعَامل الذى وضعه سوسير نظرياً. وفى الوقت اللاحق يفرق بين عدة مُعاملات متباينة، وقد سميت حسب مواضع نطقها المحتملة «الأصوات الحنجرية» Laryngale (Kehlkopflaute)(٦). الأصوات الحنجرية إذن عناصر صامتية اختفت فيما بعد حين نشأت أنماط أساسية لتحول الحركة.

وربما كان من المهم أن لا ننساق فى هذا الموضع وراء الافتراضات المتباينة التى تتجلى فى بقية الأصوات الحنجرية فى تلك اللغات الهندوأوربية التى لم يُستَطع أن يُثْبَت فيها الأصوات الحنجرية ذاتها؛ مثل افتراض تفسير صيغ متلاحقة يتجانس فيها الحرف الأول محددة فى اللغات الجرمانية وما إليها لا تفسير لها فى غيرها. يجب هنا حقاً أن يغض النظر عن أنه ثمة خلاف حول وضع الحقائق بوجه خاص.

55 / ومع ذلك يجب أن يتمسك بأن نظرية الأصوات الحنجرية التى عولجت معالجة مكثفة فى الدراسات الهندوأوربية فى قرننا ـ ترجع بلا شك إلى فردينان دى سوسير وهرمان مولر.

٤ ـ ليس «البحث الصغير»(*) هو العمل الوحيد فى علم الأصوات. فمن خلال التأليف الجدير بالإعجاب أقيمت علاقة بين الظواهر الصوتية والحقائق المورفولوجية، وعلى هذا النحو صارت التفسيرات الموفولوجية أيضاً ممكنة. ويوصف «البحث الصغير» غالباً بأنه «نظرية الجذر» ويجب أن يرى ذلك فى سياق المعامل الوارد تحت ٣. ويجيز المعامل A تقسيم كل الجذور الهندوأوربية إلى قسمين، وهما مقطعان مع A («جذور كامل، فى الدراسات الهندوجرمانية

---

(٦) يفرق أحياناً بشكل متضخم تقريباً بين عشرة أصوات حنجرية.

(*) نستخدم هذا العنوان اختصاراً للبحث الذى أشرنا إليه من قبل حول النظام الأصلى (البدائى) للحركات فى اللغات الهندوأوربية، على نحو ما يستخدم Mémoire للإشارة إلى هذا البحث بعينه، وكما يستخدم "cours" للإشارة إلى كتاب (دروس فى الألسنية العامة).

(المترجم)

الألمانية»، «قواعد عسيرة»،) ومقطع واحد دون A («جذور مقلصة أو «قواعد يسيرة»)، حيث ينشأ بذلك نظام للجذور واضح تماماً، بينما أصاب من قبل عدد كبير من أوجه عدم الاطراد والاستثناءات الصلة المنظمة بالعتمة. وقد لاحظ نقاد متأخرون حول هذا التأثير للبحث الصغير فى علم الصرف خاصةً أن سوسير لم يفصل الحقائق الصوتية عن الحقائق الصرفية فصلاً دقيقاً دائماً، وأن «نظرية الجذر» (من فضل القول أن هذه التسمية لا ترجع إلى سوسير نفسه) ربما لها وقع حماسى إلى حد ما أيضاً، لأن سوسير حيَّد كليةً الأفكار الدلالية، أى أنه لم يدخل فى الاعتبار دلالة الجذور الهندوأوربية.

لا يمكن أن يكون هدف هذا المبحث الإشارة إلى «البحث الصغير»، وإيصال معارف بذلك فى علم اللغة التاريخى ـ المقارن، بل ينبغى أن يُقدم على الأرجح انطباع عما استهدفه سوسير، والقليل أيضاً عن طريقته المنهجية. فيمكن أن يشار هنا فقط إلى الدقة الشديدة فى عرضه التى تصل إلى أشكال وجداول؛[7] فهى تعطى الانطباع بأنها حديثة بشكل يثير الدهشة، وينبغى أن تقرأ فى الأصل.

ويلاحظ فى ذلك أن مؤلف «البحث الصغير» كان طالباً فى سن العشرين. وتروى نادرة أيضاً، وهى أن العميد المحبوب لكلية الفلسفة فى ليبزج فريدريش تسارنكه F. Zarnke (الذى صاغ أيضاً ملحة فى النحاة الجدد) حين قُدِّمَ له سوسير، سأل هذا (الشخص) باهتمام إن كانت له قرابة باللغوى المشهور فردينان دى سوسير، مؤلف «البحث الصغير» "Mémoire". فهذا فى الحقيقة ليست له طبيعة البحث الطلابى، فهو مؤلف قد كُتب بشكل مقنع وعناية كبيرة ورؤية شمولية،/ أنجز بشكل أقوى من عمل تمهيدى خاص بنظرية لغوية، يفترض أحياناً لكتاب «دروس فى الألسنية العامة» الذى سيتحدث عنه فيما يلى. وعلى الهامش فقط، وإن كان مهماً أنه: قد عولج فى «البحث الصغير» نظام الحركة فى اللغة الهندوأوربية الأم، الهندوأوربية الأصلية Protoindoeuropäische أى ***لحال لغوية*** Sprachzustand ـ مع كل حذر ضرورى ـ، وليس لتغير لغوى (انظر ما يلى تحت ٣ ـ ٤ ـ ١ ثنائية «التزامن ـ التعاقب»). ٥٦

(٧) قارن مثلاً ص ١٣٥ جدول نظام حركات الجذر فى الهندوأوربية، وص ١٨٤ أشكال حول النمطين الأساسيين للجذور الهندوأوربية، وقانونين حول بناء هذه الجذور.

٣ـ٤ «الدورس»، القضايا الأساسية فى علم اللغة العام

فى سنة ١٩١٦ ظهر كتاب «دروس فى الألسنية العامة Cours de „linguistique générale" أحد أكثر الكتب تأثيراً فى علم لغة القرن العشرين. إن تأريخ نشوئه مهم لتقديره، لأنه يوضح جزءاً من الاختلافات فى الرأى، التى ظهرت فيما بعد بين علماء اللغة والمدارس اللغوية. وكما ذُكر من قبل لم ينشر سوسير فى حياته إلا القليل جداً. ففى جنيف حاضر ثلاث مرات حول علم اللغة العام وذلك فى ١٩٠٧، ١٩٠٨/١٩٠٩، و١٩١٠/١٩١١. غير أنه فى هذه السنوات قد استمر أيضاً فى تطوير نظرياته عن اللغة والنظرية اللغوية. وبعد وفاته سنة ١٩١٣ قرر اللغويان الموجودان من قبل شارل باللى والبرت سيشهاى، طالبين مبكرين لسوسير(*) أن يلتمسا الملحوظات على محاضراته فى علم اللغة العام وأن يجمعاها فى دراسة Monographie. وهكذا لم يظهر كتاب «دروس فى الألسنية العامة» إلا بعد وفاة سوسير، فلم يستطع أن يأذن به، وقد ثبت أنه من الصعوبة الشديدة أن يوجد من ثلاث دورات من المحاضرات نص متناسب فى كل أجزائه. ويضاف إلى ذلك أن الناشرَيْن كان لهما من قبل شخصية علمية خاصة، وأن تصوراتهما الخاصة قد ضُمنِّت بلا شك فى نص «الدروس»(**). يجب أن يُقدم ذلك، فيصير مفهوماً بذلك، لماذا تطور فى العقود التالية شرح Exegese منظم

(*) تناقض المؤلفة نفسها هنا إذ إنها أكدت من قبلُ عن باللى وسيشهاى أنهما ليسا تلميذين لدى سوسير، وعبارتها هى: .selbst nicht Studenten Ferdinand de Saussures. وقد قال مييه عن الكتاب: إنه عبارة عن صياغة لأفكار (سوسير) «من قبل اثنين من أهم تلامذته» ليس إلا. (المترجم)

(**) عالج مونان هذه القضية معالجة مسهبة بدءاً من ص ٥٦ حتى ٦٥ بدءاً من طرحه أسئلة جوهرية حول أصالة الكتاب، منها: كيف جُمع الكتاب؟، وما مدى صدق ملاحظات الطلبة التى كانت أساساً له؟ وإلى أى درجة كان نقل باللى وسيشهى لكلمات هذه الأمليات وأفكارها دقيقاً؟ وهل بإمكاننا التأكد من أننا نعرف مذهب سوسير الحقيقى. (انظر نقد مييى وبنفينست وانجلر وجوديل وغيرهم). واعترف الناشران بأنهما يحاولان تقديم صورة عامة عن فكر سوسور، من خلال «حل أكثر جرأة»، من خلال حل يمكن أن يقوم على نشر بعض المقتطفات فقط، كما اقترح عليهما البعض ذلك. مونان ص ٥٦. (المترجم)

لسوسير، وبخاصة أن المرء كان فى جنيف ذاتها قد اجتهد فى جد فى دراسة مخطوطات سوسير الأصلية وفى اختبار تناسب «الدروس» معها (أو لا شيء) (قارن مثلاً جودل Godel (١٩٥٧). وقد أتاحت التعارضات التى تظهر فى النص وأوجه الغموض فى القول، بناءً على ذلك أنه يمكن أن تستند عدة مدارس لغوية، لا يمكن حتى التوحيد بينها فى المجالات الفرعية، إلى سوسير، لأن كلاً منها انتقى من النص بدقة ما طابق تصوراته الخاصة. وسيكون التحقق من وقوع ذلك ضمن غيره موضوع الفصل التالى.

لنعد بدايةً إلى «الدروس». فقد كان فى البداية بلا شك ليس «أفضل المبيعات»، إذ إن عدد النسخ المباعة كانت فى السنوات الأولى ضئيل للغاية. أما فى نهاية العشرينيات فقد تغير ذلك. فقد نشأت مدارس لغوية عُنِيت بالنظرية اللغوية ووصف اللغات المعاصرة، وتبنت «الدروس» نموذجاً لآرائها الخاصة أو تأكيداً لها.

٥٧ / وفى سنة ١٩٣١ ظهرت ترجمة ألمانية أعدها هرمان لومل H. Lommel وقد اضطلع بالطبعة الثانية التى ظهرت سنة ١٩٦٧، وكان على لومل لذلك أن يصوغ عدداً ضخماً من المصطلحات الألمانية التى قُبلت بسرعة شديدة، واشتغل بها أجيال من علماء اللغة. وتلى ذلك ترجمات إلى لغات أخرى، بدهى أنه قد نشرت أيضاً طبعة فرنسية جديدة، أضيفت إليها سلسلة من طبعات مشروحة[٨].

وتعد طبعة لومل فى ترجمة العنوان أيضاً موفقة للغاية، فهو ليس ببساطة «دورة دراسية»، سلسلة محاضرات، بل قد عولجت فيه فى الواقع «القضايا الأساسية» فى علم اللغة العام، كل المجالات التى على علم اللغة أن يدرسها. وتعد بعض الفصول من الناحية النظرية أصعب من الأخرى، فليست كلها تتصف بالثورية revolutionär، وقد نسى ذلك أحياناً فى النشوة الأولى حول ذلك الكتاب[*].

(٨) قارن حول ذلك فى بيانات المراجع حول هذا الفصل وغيره المجلر Engler (١٩٦٨)، ودو مورو De Mauro (١٩٨٤).

(*) وصفه بنيفنيست بأنه (يشمل مجموعة ملاحظات عبقرية، يتطلب بعضها تفسيراً، ولا يزال بعضها الآخر يثير الجدل). (المترجم)

٣ـ٤ـ١ موضوع علم اللغة العام؛

ثنائيات سوسير

أبرز فردينان دى سوسير فى مقدمة «الـدروس» أنه توجد مهمة أساسية لكل علم، يجب أن تحد وأن تعرف هى ذاتها. وبالنسبـة لعلم اللغة فإن ذلك مهم بوجه خاص لأن كـثيـراً من العلوم من جهـة تعنى بالإنسان، ومن ثـم باللغة الإنسـانية أيضاً، ومن جهة أخرى قد بيَّن الماضى أيضاً أن علم اللغة فى خطر أن تمتصه علوم أخـرى (وبخاصـة علم النفس وعلم الفلـسفـة). إنه يوافق على الاحـتكاك بتلك العلوم المجاورة، غـير أن علم اللغة يجب أن يبـدأ من مواقع علم مستـقل، ويتبع ذلك أن يحدد موضوعاً خاصاً وأن يطور مناهج خاصة لبحثه.

وحتى يعثر على هذا الموضوع اختبر سـوسير بوصفه ممتحناً اللغة Langage (الكلام الإنسانى) واللغـة المعينة Langue (اللسان) والكلام parole (التحدث). ويحد هذه المفاهيم بعضها عن بعض على النحو التالى:

الكلام الإنسـانى، ككل، له أشكال كثـيرة وغـير مـتشابه، تـابع لمجالات مختلفة، فهو فيزيائى ونفـسى وفسيولوجى فى الوقت ذاته، ويتبع فضلاً عن ذلك المجال الفردى والمجال الاجتماعى، /ولا ينتظم فـى فصيلة من العلاقات الإنسانية ٥٨
لأن المرء لا يعرف كيف اشتقت وحدته (١٩٦٧، ١١).

ولذلك لا يمكن أن تكون اللغة، ***الكلام الإنسانى***، موضوع علم اللغة، لأنه يجب أن يشترك فيه كل العلوم العقلية وعلم وظائف الأعضاء. ويعقد سوسير مقارنة، وهى أن أعـضاء الكلام علاقتهـا بالكلام ضئيلة مثل الأجهـزة الكهربائية، تلك التى تستخدم فى إيصال الفبائية موريس، فلها علاقة بهذه الألفبائية.

أما اللغـة المعينة Langue (اللسان) على العكس من ذلك فـهى ليست إلا جزءاً معيناً، جوهرياً حقيقةً منه، كُلٌّ فى ذاته وأساس للتصنيف، وفى اللحظة التى نقر لهـا فيهـا بالمكانة الأولى بين حقـائق الكلام الإنسانى، نأتى بنظام طبـيعى فى مجموع لا يجيز أى تصنيف أخر. (١٩٦٧، ١١).

ويجمل سوسير السمات المميزة للغة المعينة فى أربعة نقاط (قارن ١٩٦٧، ١٧/١٨)(*):

١ ــ اللغة المعينة جزء اجتماعى من الكلام الإنسانى ومستقل عن الفرد الذى لا يمكن أن يخلقها ولا أن يغيرها لنفسه وحده؛ فهى تنشأ على أساس نوع من الاتفاق بين أعضاء الجماعة.

٢ ــ اللغة المعينة يمكن أن تبحث مستقلة عن الكلام، قارن ما تسمى «اللغات الميتة» التى لم تعد تُتحدث، ولكنها تُبحث وتُعلَّم.

٣ ــ اللغة المعينة حسب طبيعتها متجانسة فى ذاتها، نظام من العلامات، كلا جانبيه نفسى (انظر ما يلى ٣ــ٤ــ٢).

٤ ــ كل ما يتعلق باللغة يمكن تحديده، وأداة ذلك الكتابة.

هل اللغة المعينة الآن هى موضوع علم اللغة أم الكلام؟ هنا نتعرض للثنائية الأولى من ثنائيات دى سوسير:

اللغة المعينة فى مقابل الكلام

اللغة المعينة اجتماعية (فقط ما يهم الجماعة يدرج فى اللغة)، فهى تستوعب ما هو جوهرى، وتسعى من خلال معايير ثابتة إلى الثبات وتوجهها قواعد، وهكذا: فاللغة المعينة هى شكل.

الكلام هو الحديث الفعلى، فردى، يستوعب ما هو عارض بدرجة أقل أو أكثر، ويسعى إلى الدينامية، ويجيز نشوء القياسات، وهكذا: فالكلام مادة.

ونجمل ذلك بكلام دس سوسير:

(*) ينقل مونان عن المجلـر أن مذهب سوسور يقوم على مجموعة من التقسيمات نُسبت إلى «هوس التقسيم» لديه. وإذا كان سوسور مهووساً حقاً فقد وعى تماماً هذا الهوس، إذ كتب يقول: تقسم اللغة إلى خمس أو ست ثنائيات أو أزواج من القضايا». انظر تفصيل هذه الثنائيات فى كتاب مونان: علم اللغة فى القرن العشرين من ص ٤٩ حتى ٥١.

المترجم

/ فى الوقت تُفصل فيه اللغة المعينة عن الكلام فإنه يُفصل:

١ ــ ما هو اجتماعى عما هو فـردى، و٢ــ ما هو جوهرى عما هو إضافى وما هو عارض بدرجة أكثر أو أقل. (١٩٦٧، ١٦).

وتتضح العلاقات المذكورة تحت ٣ ــ ٢ بعلم اجـتماع دوركايم فى الفقرات التالية حول اللغة المعينة إلى حد التطابق الحرفى، قارن(*):

* دوركـايم: تسكن الحقـائق الاجتـمـاعيـة فى المجتـمع ذاته، وليس فى أجزائه، أعضاء المجتمع، ولا يتضح الناتج الاجتماعى كاملاً لدى أى فرد مفرد.

سوسير: اللغة المعينة لا توجد كاملة إلا فى الجماعة.

* دوركايم: الحقائق الاجتماعية ملزمة للفرد.

سوسير: اللغة المعينة نتاج، لا يتـملكه الفرد إلا بصورة سلبية، وهى ملزمة للفرد الذى لا يستطيع أن يوجدها ولا أن يغيرها من نفسه.

* دوركايم: يجب أن يبحث التفكير الجمعى «فى ذاته ومن أجل ذاته».

سوسير: يجب أن تبحث اللغة المعينة «فى ذاتها ومن أجل ذاتها»

in·sich und für sich selbst.

(نقلاً عن كوزريو ١٩٥٧/ ١٩٧١).

موضوع علم اللغة بالنسبة لسوسير هو اللغة المعينة (اللسان) وحدها، فهى فقـط بالنسبـة له لها بنيـة، أى أنها كلٌ يتكون من أجـزاء متـرابطة به ترابطاً غـير مستقل.

(*) أشار مونان إلى علاقة أخـرى تحتاج إلى وقفة أيضاً، حين قال فى كـتابه ص٤٩: كما بين الباحث الشاب جـان مولينو Jean Molino أن ما اسـتقـاه هذا المذهب من اقـتصاد فـالراس (Walras) السياسى الكلاسيكى السويسرى كان أكثر مما يتوقع.

(المترجم)

لاحظ سوسير بوجه عام علاقـة التبادل بين اللغة المعينة والكلام: فكل فرد يجب عند **الكلام** أن يتبع قواعد اللغة **القائمة** حتى يـصير مفهوماً، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الكلام وحـده هو الواقعى وعبر الكلام فقط يمكن أن تدرس اللغة المعينة. وهكذا فقط يمكن أن يقدم التـغير اللغوى وما إلى ذلك، ولكنه ينكر على الكلام مع ذلك أن يكون منظماً، ولذلك يـستبعد الكلام من مجـال موضوع علم اللغـة. فى ٣ ــ ٥ يتناول النقد الموضـوع بشكل منطقى المُوجَّه إلـى تعريف سوسير لهذه الثنائية.

أما الثنائية الثانية ***التزامن فى مقابل التعاقب*** فهى لم تُنشأ فى اللغة المعينة ذاتها، بل إنهـا تختص بالتناول المنهـجى لعالم اللغة لموضـوعه. فهـو يبنى نظاماً إحــداثيـاً (تـناظرياً)(*) ذا مــحـورين التـــزامن (Synchronie) والتـعـــاقب (Diachronie)، ويتحرك إذن فى بحوثه فى إطار هذا النظام الإحداثى.

وهكذا فالتزامن والتعـاقب ليسا منهجين، بل هما إجراءان عـامان، يتحدد من خلالهما اختيار مناهج معينة. وكان علم اللغة التاريخى ــ المقارن قبل سوسير قد بحث التعاقب وحده (قارن الفصل الأول حـول مدرسة النحاة الجدد، وبخاصة (١ــ٢ــ٢))، وعلى العكس من ذلك فـإنه لا يوجـد بالنسبـة لمتكلم لغة مـا/ إلا ٦٠
تزامن الصيغ فى حالة لـغوية معينة. وحل سوسـير الاختلاف بين كليهـما لصالح علم اللغة التزامنى (الوصفى)(٩)، حيث يُبحث كل حال لغوية دائماً تزامنياً. وفى ذلك تجرى خـطوة إلزامية ــ كـما يدرك هو نفـسه أيضـاً ــ (لاحظ: تلك الخطوة يمكن أن تستعمل فى الماضى أيضاً، أى مثلاً لما يخص القرن السادس عشر، وليس الحاضر فقط، ويكون ذلـك أيضاً إجراء تزامنى). وقد أنكر سوسير عـلى التعاقبى أى التاريخى، الالتـزام بنظام، فقد رأى فى الظواهر التعـاقبية تراكـماً من حالات خاصة دون ترابط داخلى، يجب على المرء أن ينشئه أولاً، قارن:

(*) يتكون مصطلح Koordinatensystem من كلمـتين: System وتعنى نظاماً و Koordinaten وتعنى فى الرياضـيات «إحـداثياً»، أو النـظير: المتـساوى مع غـيره فى الرتبـة والأهميـة. (المترجم)

(٩) يعد المصطلحان synchron و synchronisch (وصفى) مترادفين، كلاهما مستعمل.

الظواهر التعاقبيــة إذن مجرد حالات خاصة؛ فقد حــدث التغير فى نظام ما بتأثير وقائع ليست غريبة عليه فــقط، بل منعزلة أيضاً، ولا تؤسس فيما بينها نظام (١١٣/١٩٦٧)

وحول تفسير آخر لهذه الثنائية قارن الفصل الخاص بحلقة لغويى براغ.

لقد طالب ف. دى سوسير حقاً بفصل صارم بين نظرة تزامنية ونظرة تعاقبية فى أثناء البحث، غير أنه قد لفت النظر إلى أنه:

حتى لو أُقرت الاختلافات المطروحة هنا هذه المرة، فإنه ربما يمكن للمرء ألا يطالب باسم هذا النموذج بأن تنحو البحوث نحوه بدقة شديدة. (١٩٦٧، ١١٨).

ويلاحظ من الآن فصاعداً أن كل التغيرات اللغوية تُحد من الناحيتين الزمنية والمكانية، فلا يوجد زمن عام Panchronie.

فى علم اللغة توجـد قواعد، كمـا هى الحال فى لعبـة الشطرنج، تبقى كل الوقائع، ولكن تلك حقائق أســاسية عامة تسرى مستقلة عن حـقائق معينة؛ وعلى نحو ما يتحدث عن علاقات خاصــة ومدركة لا توجد نظرة زمنية عامة، ولذا فإن كل تغير صوتى، وإن امـتد امتداداً كبيـراً، محدد بزمان معين ومنطقـة معينة، فلا يجرى أى تغـير فى كل زمان وكل مكان، إنه لا يوجـد إلا فى المجال التعـاقبى. (١٩٦٧، ١١٣).

وتُقابِل الثنائية التالية بين ***النطاق الداخلى والنطاق الخارجى*** لعلم اللغة. ويشمل النطاق الداخلى النواة، النظام الداخلى للغة، الـنظام اللغوى. هذا بالنسبة لسوسير موضوع علم اللغة، كما وصفنا من قبل. أما النطاق الخارجى فيشمل كل العلاقات بالعلوم الأخرى ومجالات الحياة،

/ أى: البحث اللهجى، والعلاقات بتاريخ حاملى اللغـة وثقافتهم بما فيها ٦١
الأدب وما إلى ذلك. ويتجاور كلا النطاقين دون واسطة ويتطلب مناهج متباينة.

أفضل دليـل على ذلك أن كل نظرة من النظرتين تجلب معـها منهـجاً غـير الآخر. فعلم اللغة الظاهرى يمكنه أن يحشد كميـات ضخمة من التفصيلات دون

أن توضع فى شبكـة نظام ما [...] حين تُرتِّب الحـقائق على نحـو منظم بدرجة أكثر أو أقل، وهكذا فإن ذلك يخدم فقط النظرة الشاملة.

وعلى العكس مـن ذلك فإنـه يُسلك مـسلك مـغـاير تماماً مع علم اللغـة الداخلى: إذ لا يستطيع المرء أن يستـخدم أية خطة عشوائية؛ فاللغـة نظام لا يجيز إلا نسقه الخاص. (١٩٦٧، ٢٧).

نقل سـوسيـر، الذى أوردَ بشكل غالب وأثـيرٍ مـقارناتٍ بين اللغـة ولعبـة الشطرنج، كلا المجالين إلـى لعبة الشطرنج على النحو التالـى: يتبع المجال الظاهر أنها جـاءت من الشرق إلى أوربا، وأن القـطع تصنع من مواد مـتباينة (مـن العاج واليشم والخشب والعجين وغير ذلك) ويمكن أن تكون ذات أشكال شديدة التباين (من التقليدى إلى التجريدى). أما ما يتبع المجال الداخلى فهو عدد القطع وإمكان اختـلاف بعضهـا عن بعض وقواعد اللعـبة. وهكذا فالمحـورى بالنسبة للغـة مثل الشطرنج المجال الداخلى.

وفى الواقع عنى سوسير نفسه عناية أشـد مما يفترض خالفوه بالمجال الظاهر أيضاً، وأكد علاقات التبادل بين كلا المجالين، وهكذا فقد علل مثلاً البنية الركامية للنظام اللغـوى الليتوانى بالـوثنية التى حوفظ علـيها طويلاً فى ليـتوانيـا، وانعزال حاملى اللغة الناتج عن ذلك.

ويوجه البناء الداخلى للغة من خـلال نمطين من العلاقات التى تكون أسـاس الثنائية الأخيرة المتـحدث عنها هنا: علاقات ترابطية (= جـدولية) وعلاقات ترتيب (= تركيبـية). وتختص العلاقات الجدوليـة بعلاقة العناصر اللغوية بعضـها ببعض داخل النظام اللغوى، والعلاقات التركيبية، نتيجة الأفقية الحتمية للغة، تحدد تأليف العناصر فى أشكال وجمل معقدة، قارن:

توجد العلاقـة التركيبـية أو علاقة الترتـيب حضورياً in praesentia فهى ترتكز على عنصـرين أو أكثـر موجـودين مـتجـاورين فى سلسلة قائمـة. وعلى النقيض من ذلك تربط العـلاقة الجدولية العناصر غـيابياً in absentia فى تسلـسل محتمل من الذاكرة (١٩٦٧، ١٤٨).

يريد سوسير التقسيم إلى علم الأصوات، وعلم الصيغ والنحو وبحث الثروة اللغوية بهذين النمطين. وقد كانت العلاقات الجدولية (الصرفية) بالنسبة له محدَّدة، لأن أوجه الربط التركيبية الممكنة تقدم من خلال التبعية لجدول ما فى الوقت نفسه أيضاً. وتعزى تلك الأخيرة لديه، لأنها فى هذا التفسير/ ليست ٦٢
منظمة بشكل مستقل، إلى الكلام (parole)[١٠]. ويعنى ذلك أن القسم الأكبر من النحو يستبعد لدى سوسير من النظام اللغوى.

٣ـ٤ـ٢ اللغة نظام للعلامات

يجب أن تسبق هذا المبحث ملحوظة تمهيدية:

العلامة فى أوسع معانيها هى حاملة لمعلومة، ونحن نتحدث بدقة عن علامة حين تستخدم إشارة فيزيائية ــ يمكن أن تكون سمعية، أو كهربائية أو أفقية أو مسطحة أو غير ذلك ــ لنقلِ خبر. وبهذا المعنى تكون العلامات أعواد نقش للشعوب البدائية، إشارات الطبل، وإشارات الأعلام والإذاعة، وإشارات المرور والحركات ولغات الحيوانات والإنسان؛ لم يُذكر إلا بعض منها. ويجب أن يفرق بين العلامات والأمارات Anzeichen (توصف فى الغالب بأنها رموز): فالعلامات تؤشر إلى شىء، أما الرموز فهى أمارات على شىء (فالدخان أمارة على النار، والميزان أمارة على العدل... إلخ).

وبهذا الفهم تكون العلامات معروفة منذ مدة طويلة، وقد كان معروفاً أيضاً أن العلامات اللغوية هى ربط بين تصور وصورة صوتية. فإن لم يكن فرديناند دى سوسير بذلك مؤسس علم العلامات اللغوية، فإنه من جانب آخر هو ذلك الذى نهض بكل المفاهيم الحالية للعلامات فى تأليف معين إلى مستوى أعلى، والذى رتب العلامات فى ***أنظمة علاماتية*** Zeichensystemen، والذى حدَّد خواص العلامة اللغوية، والذى بحث العلاقات بين لغات إنسانية طبيعية وأنظمة علاماتية أخرى. وتوجز الآن تفسيراته حول ذلك فى هيئة فرضيات، ينبغى أن تبين أهم الأفكار بشكل مفهوم للغاية، ولذلك لا يمكن تجنب أشكال التبسيط فى عدة مواضع. وينبغى حتماً للتعميق أن تستخدم المراجع الواردة تحت ٣ ــ ٦.

(١٠) تستثنى من ذلك استعمالات ثابتة ينظر إليها على أنها وحدات.

١ ــ العلامــة اللغوية بالنسبة لــسوسير هى كُلٌّ، يتكون من تصــور وصورة صوتية؛ يستخدم المصطلحين "signifié - signfiant" (المدلول ــ الدال)(١١) وكلا جانبى العلامة غير منفصم، مرتبط كل مــنهما بالآخر، ويستلزم كل منهما الآخر؛ فى صورة أن:

اللغــة يمكن أن تقارن بسطحــى الورقة: التــفكير هو الجــانب الأمامى لهــا والصوت هو الجــانب الخلفى. ولا يستطيع المرء أن يقطع الجــانب الأمامى دون أن يقطع الجانب الخلفى فى الوقت نفسه، وكذلك لا يستطيع المرء فى اللغة أن يفصل الصوت عن الفكرة، ولا الفكرة عن الصوت (١٩٦٧، ١٣٤).

/ كلا الجانبين نفسى، والدال أيضاً، الصــورة الصوتية، ليس صوتاً (مركباً ٦٣
صوتياً) واقعياً، بل يرتكز على تجريد من أصوات (مركــبات صوتية) واقعية كثيرة، لها كلها العلاقة ذاتها بمدلول، تصور. قارن: الصوتية الصوتية:

[. . .] لــيــست الصوت الفــعلى الذى هو ليس إلا شيــئاً فــيزيائيــاً، بل إن الانطباع النــفسى لهذا الصــوت، قد جــعل ذلك على أساس أوجه إدراكــنا الحسى حاضراً؛ فهو حسى، وحين نطلق عليه أحياناً صفة «مادى» فإنه يقصد بذلك أيضاً ما هو حسى، وذلك على النقيض من العنصــر الآخر لربط التداعى، أى التصور، الذى هو أكثر تجريداً (١٩٦٧، ٧٧).

٢ ــ تنتظم العلامة اللغوية داخل ***الأنظمة العــلاماتية***، التى تترابط فيها العلامــات المفردة ترابطاً منظمــاً، فقــيمتــها ("valeur" انظر ما يلى ٣ــ٤ــ٣) لا تتحصل إلا فى ربطها بالعلامات الأخرى للنظام ذاته.

ويبرز من ثنائيــة اللغة المعينــة فى مقابل الكلام (انظر مــا سبق ٣ــ٤ــ١) أن سوسير لا يرى نظام العلامات إلا فى اللغة المعينة وحدها، إذ إنه ينكر على الكلام النظامية. وهكذا تعمل أنظمة علامــاتية أخرى مثل النظام اللغوى. ولذلك يطالب بتطوير علم لأنظمة العــلامات لا يكون فيــه الكلام الإنسانى إلا موضوعــاً للبحث

---

(١١) وهكذا فإن ســوسير لا يسوى بين الصــورة الصوتية والعــلامة، بل إن الصورة الصوتيــة ليست إلا جزءاً من العلامة

إلى جانب أنظمة علاماتية أخرى (انظر ما سبق)(١٢). وقد اقترح اسماً لهذا العلم هو علم العـلامات "Semeologie"(١٣)؛ هذا العلم قد أنشىء فى قـرننا، وأُعِدَّ لمجال تطبيق واسع، ولكن تحت اسم "Semiotik".

٣ ــ وصف سوسير العلامة اللغوية ***بالاعتباطية*** Arbitrarität ***والأفقية*** Linearität باعتبارهما خاصيتين أساسيتين. فقد كانت الأخيرة فى بادى الأمر غير إشكالية ــ فالعـلامات تنطق أفقية، مـتجاورة(١٤). أما الأولى فتتطلب بعض ترو وتدبر. ***فاعـتـبـاطى*** Arbiträr تعنى فى هذا السـيـاق أن الربط بين التصـور والصورة الصوتية ليس سببياً؛ مثال ذلك: لا يوجد أى تعليل لأن توصف الشجرة Baum بنبات ذى خـواص نباتية مـحددة للغاية ــ أوضح إشـارة إلى ذلك التعليل الخاطىء هو وجود لـغات كثيرة بدلاً من واحـدة، فهذا النبات يسـمى فى اللاتينية arbor وفى الانجليزية tree. ولذلك يتحدث بدلاً من الـربط السببى عن ***علاقة إلحاق*** Zuordnungsrelation. ومن جهـة أخرى: ينبغى أن تـتجنب الترجـمة المقترحـة كذلك الوصفَ "beliebig" (أى اختـيارية)،/ لأن العلاقـة العلامـاتية ٦٤ ليست ***على هوى*** كل فرد، إذ لا يجوز له أن يختار العلامات ***كيفما شاء***، بل يجب أن يستخدم ما هى موجودة من قبل إذا ما أراد أن يُفهم، قارن:

تتطلب كلمة «***كيفما اتفق***» معها ملاحظة، فلا ينبغى أن تثير التصور وكأن التسمية تتوقف على الاختيـار الحر للشخص المتكلم (سوف نرى فيما يلى أنه ليس فى مقدرة الفـرد أن يغير أى شىء فى العلامة المستـعملة فيما مضى لـدى جماعة لغوية)، ويعنى ذلك أنها ***لا تبعث على شىء***، أى أنها «***كيفما اتفق***»فى علاقتها بالمدلول الذى ليست له بها فى الواقع أية تبعية طبيعية (١٩٦٧، ٨٠).

---

(١٢) ربما كانت لها فى الحقيقة خاصية أخرى فى مقابل كل أنظمة العلامات الأخرى: وهى عالميتها، أى إمكانية اسـتخدامـها العالمى فى مـقابل إمكانية الاسـتخدام المحـدودة لأنظمة العلامـات الأخرى، لأغراض خاصة بها.

(١٣) مشتق من الكلمة اليونانية semeion، أى علامة.

(١٤) فى المدارس اللاحقة فقط قـسـمت العلامات إلى عناصر أصغر، لم تعد تتابع تـتـابعاً أفقياً بل تنتج متزامنة.

وعلى الرغم من أن سوسير قد رأى ذلك التحديد من خلال الجماعة اللغوية وفيها بوجه عام فقد وضع الباعثية Motiviertheit قطباً مقابلاً للاعتباطية(*) ومع العلامات المحفزة توجد علاقة سببية بين الدال والمدلول، ويتفكر المرء عند ذلك بادى الأمر فى الأصوات المحاكية Onomatopoetika («كوكوك، وكواك»)، غير أنها لا تؤدى هنا إلا دور هامشياً فى النظام اللغوى. وفى الواقع الباعثية ظاهرة مختلفة: فالمركبات (Schreibtisch منضدة كتابة «مكتب») محفزة بالنسبة لمفردات مثل (Tisch)، وبوجه عام يُسهم بناء مطرد للمفردات والصيغ أيضاً فى التحفيز لعلامات لغوية. ولذلك ينبغى أن تعد محفزة أكثر من كونها معياراً، ثم قطباً أخيراً. ولكن ذلك يجعل هذا المفهوم غير كفء أيضاً لكى يمكن استعماله قطباً مقابلاً لـ «اعتباطى».

٤ ـ يجب أخيراً لوصف العلامة اللغوية أن يضاف أن سوسير يعدها مفهومة وغير مفهومة، فى الوقت نفسه. وهى ***غير مفهومة*** unverstandlich بمعنى أن اللغة هى دائماً إرث مرحلة ماضية، واقعة يجب أ ن تخضع للفرد:

فى الحقيقة لا تعرف أية جماعة اللغة على نحو مغاير لأن تكون نتاجاً موروثاً من أجيال أسبق، وكان على المرء أن يتقبل ذلك كما كان [...] فالحال المعطاة للغة ما هى دائماً نتاج عوامل تاريخية، وتقدم هذه العوامل تفسير لماذا لا تعد العلامة مفهومة، أى تقاوم كل استبدال عشوائى (١٩٦٧، ٨٤).

وهى مفهومة verständlich من خلال ربطها بكم متكلم وزمن مستمر. فلو كان البشر أحياء إلى الأبد والزمن متوقفاً، لربما لم يوجد أى تغير. التغير، التحول اللغوى يمكن أن يقع على نحو مختلف للغاية، ولكن:

(*) تُرجم هذا المصطلح Arbitrarität إلى اعتباطية وجزافية وعشوائية... وقد اخترت الأول من بين هذه المترادفات، والصفة منه arbiträr اعتباطى وجزافى وعشوائى، وأوافق المؤلفة على استعمال الوصف اللاتينى دون المقابل الألمانى beliebig لعدم دقته، وإثارته معانى أخرى لا علاقة لها بالمصطلح الأصل. (المترجم)

ما يجعل عوامل التغير ممكنة دائماً أيضاً سواء أعملت مفردة أو مترابطة، أنها تؤدى دائماً إلى ***اختلاف فى العلاقة بين المدلول والعلامة***. (١٨٦٧، ٨٨).

٣ـ٤ـ٣ «القيمة» اللغوية (valeur)

تؤدى قيمة العلامة اللغوية دوراً محورياً فى نظرية سوسير اللغوية. فهو يؤكد فكره عن النظام، ويجعل عيوب/ المنهج الذرى للنحاة الجدد أكثر وضوحاً. ولا تستوى القيمة ودلالة العلامة اللغوية، إنها مشروطة من الناحية اللغوية ٦٥
الداخلية وتشمل الحد بين كل العلامات اللغوية الأخرى فى النظام ذاته(*). وهكذا فإن قيمة الجمع مثلاً تتوقف على ما إذا كان يوجد فى ذلك النظام اللغوى مفرد أيضاً أو مفرد ومثنى أو حتى أعداد أخرى. ولذا فإن الجمع له فى أنظمة لغوية متباينة (فى الألمانية لا يوجد مثنى وفى السنسكريتية يوجد مثنى فى نظام العدد) قيمة متباينة لأن المرء لا يمكنه أن يستعمله باستمرار فى الحال ذاتها. قارن أيضاً:

فالكلمة الفرنسية mouton(١٥) (خروف، لحم ضأن) يمكن أن يكون لها المعنى ذاته لكلمة sheep الانجليزية، ولكن ليس لها القيمة ذاتها، وذلك لأسباب عدة، ولاسيما حين يكون الكلام عن قطعة من اللحم، تعد وتوضع على المنضدة، فإن ذلك يعنى الكلمة الانجليزية mutton (لحم الضأن)، وليس sheep (خروف). ومن ثم فالفارق فى القيمة بين sheep وmutton يرجع إلى أن للأولى عنصراً ثانياً إلى جواره، والحال ليست كذلك مع الكلمة الفرنسية. (١٩٦٧، ١٣٨) وبذلك تحد القيمة دائماً بشكل سلبى بأنها قيمة فارقة ــ فالعلامة إذن تحدد

---

(١٥) فى الألمانية Hammel، المؤلفة.

(*) يشير مونان فى معرض تناوله ثنائية تأثر بها هيلمسليف أيما تأثير إلى توفيق سوسير إذ يقول: ويؤكد سوسور فى ثنائية أخرى، أجاد فى عرضها واهتم بها هيلمسليف بشكل زائد عن الحد، أن اللغة شكل وليست جوهراً (Cours p. 157 -66)، وأن كل الوحدات التى تكون نظامها ذات قيمة تعارضية، أى أنها لا تعمل كرموز لغوية إلا من خلال ما يميزها عن بعضها. ص٥١. (المترجم)

بأنهـا تلك التى تكون مغـايرة عن العلامـات الأخرى ـــ وعلى هذا النحـو تشكل القيمةُ الأساسَ لفرضية سوسير وهى أن المادة اللغوية المجردة تتقهقر خلف الشكل، وأن اللغة إذن شـكل وليست مادة، وأن مـوضوع علم اللغـة هو إذن الشكل، أى اللغة المعينة. ويتضح ذلـك على سبيل المثال بصفة خاصـة فى تعريفه للفونيم، إذ الفيصل معـه كذلك فصله أو إمكانية فصله عن كل الفونـيمات الأخرى فى النظام ذاته، وليس المادة الصوتية التى يتحقق من خلالها الفونيم.

٣ـ٥ تقويم نقدى: تأثير دى سوسير فى علم لغة القرن العشرين

سبق أن أشير إلى أن ناشرى «الدروس» لم يستطيعا أن يزيلا دائماً تناقضات نظرية بين الملحوظات على سلـسلة المحاضرات المتوالية، مما أدى إلى عدم توازن فى العرض، أتاح مسـاحة واسعة لتفـسير علماء اللغـة المتباينين(*). ولذلك يجب أن يلاحظ دائمـاً عند التقويم الـنقدى المحدد فى هذا المـبحث أن الأمر يتـعلق بشكل صحيح بنظرية سجلت فى «الدروس». وهكذا لا يجب ـــ والأمر كذلك أيضاً وفق وضع المخطوط ـــ أن تكون فى الحقيـقة مقاصد سوسيـر ذاتها أيضاً هى التى حكم عليها هنا.

/ ينبغى أن تلاحظ بشكل أدق وجهات النظر التالية:

٦٦ ١ ـــ أيا ما كـان الأمر أيضاً فقـد جاءت «الدروس» بعرض مـترابط لنظرية لغوية، على نحو ما لم يعرض أى كـتاب آخر فى ذلك الوقت، وبتلك المنطلقات النظرية والمنهـجيـة. ويجد المرء أيضـاً كثيـراً من الأفكار ذات الصلة فى مـقالات بودوان دى كورتينى خـاصة (قارن الفصل الثـانى)، ولكن ليست فى تأليف لازم، ولا متاحـة من جهة المكان واللغـة بوجه عام. كمـا أن زمن نشر «الدروس» ليس

(*) ركز مـيبى فى نقده لبـالى وسيشـهاى على المقاطع الـتى يحذر فيـها، تواضعـاً وأمانة، من الطابع «الناقص» للكتاب، ومن صعوبة الاختـيار بين الآراء المتضاربة أحياناً، والتـعاريف المتغايرة فى فكر «إنسان فى تجدد مستمر». (المترجم)

هامشيـاً أيضاً: فقد التقى مع تأخره مـا يقرب من عشر سنوات حقيـقة مع عصب العصر مباشرة، المناقشات البادئة حول تجديد علم اللغة.

٢ ــ كان من الأهمية بمكان بالنسبة لـتحديد موضوع علم اللغة أن يكون له مجال بحث معرف بدقة ما أمكن ذلك ومحدد غاية التحديد. ولقد أوجده سوسير فى الحد المجرى بالتفصيل بين اللغـة الإنسانية ــ واللغة المعينة ــ والكلام. ولم ير إلا بحث ***اللغـة المعينة*** Langue وحدها، (قـارن ما ورد تحت ٣ــ٤ــ١) لأن ***اللغة المعينة*** فقط كانت بالنسـبة له نظاماً، بُنِىَ لذاته، وتحده وحـدات وقواعد. وينتج عن ذلك تحـديد آخر: فالحكـم بنظرة تزامنية ونظرة تعـاقـبـية لا طائل وراءه إطلاقاً إلا بالنسـبة للغة المعينة، أى اللسـان، إذ لا يمكن أن تطرح هذه المسألة إلا لبحث النظام اللغـوى. أما الكلام parole فيحـد بأنه فردى وثانوى. ويمكن أن تختار من نص «الدروس» بوضوح المعادلة التالية:

اللغة المعينة = اللغة الإنسانية ــ الكلام

هذه الحدة فى معالجة العـلاقات الواقعية مفهومة من جـهة تاريخ العلم كما أنها توقعـت نقداً: فقد كان النحـاة الجدد قد عدوا اللغـة من جهة تعريفـها نشاطاً نفسيـاً فيزيائياً، وهو لغـة كل فرد فقط، إذ لا توجد بالنـسبة لهم لغة للجـماعات حتى «الألمانية»، وحتى «الانجليزية» إلخ. وخلافاً لذلك عرض سوسير اللغة المعينة (اللسان) بوصـفها المعيـار اللغوى المشترك لجـماعة، الذى يُعزى إليـه كل الخواص الإيجابية التى سبق ذكرها. غير أنه قد أغفل فى ذلك:

(أ) ليست اللغـة وحدها نظاماً، ففى حـال المتكلم المفرد، والواقعـة اللغوية المعينة أيضاً يجب أن يوجـد التزام بنظام، وهذه الأنظمة يجب أن تكون متـساوية تقريباً لدى المتكلمـين أو المستمـعين الفرادى حين تقـوم اللغة بوظيفة وسيلة الإفهام. ويعنى ذلك أن الموضوع الأساسى لدراسات علم اللغة هو اللـغة بمعنى اللغة المعـينة، وأنها لا يجـوز أن تكون الموضوع

الوحيـد للدراسة. فوقـائع الكلام أيضاً يجب أن تبحث. وفـضلاً عن ذلك لا توجد اللغة ***فى ذاتها***، بل لا يوجد دائماً إلا الكلام المحدد، ويمكن بطريق دراسته فقط النفاذ إلى اللغة.

/(ب) عرفت مقارنـة سوسير ***اللغة المعينة*** بسيمفونية ***والكلام*** بالعزف ٦٧
المحدد فـيمـا بعد بأنهـا لم تكن موفقـة. فإذا مـا أقيمت هـذه المقارنة بالموسيقى فـالأكثر توفيقاً أن تقـارن اللغة المعينة بالمعرفة التألـيفية، أى لقواعد التى تنشأ وفقاً لها من جانب آخر تجزئة لحن معين وعزفه المحدد أيضاً. وبسـبب هذا التحـفظ تجاه مـفاهيم سـوسير أُدخل فـيمـا بعد، وبخاصة فى النحو التوليدى، بدلاً من اللغـة المعينة ــ الكلام، مفهوما «الكفـاءة اللغـوية Sprachkompetenz» ــ والاسـتـعمـال (=الأداء) اللغوى Sprachperformanz.

(جـ) كانت ***اللغة المعينة*** بالنسبة لسـوسير مخزناً للعـلامات التى تترابط بعضها ببعض من خلال علاقـات جدولية، ثم تُقَدم من خلال الجدول التصريفى، وتترابط فى ترتيب نحوى وأفقى. وكان ذلك الربط بالنسبة لسوسير إنجازاً حراً إلى أبعد حد للفرد، ولذلك فهو يتبع الكلام. ومن ثم فـقـد أُخْـرِج النحـو من اللغـة المعـينة، وكـذلك من علم اللغـة. استعمالات ثابتة فقط، كانت محددة فى مخزن العلامات ككل، تبعت النظام اللغوى. ويعنى هذا أن سـوسير لم يقر بأن بناء الجـملة، وبوجه عام الضم فى وحدات نحوية هو عملية مُوَجَّـهة بالقواعد، وفى الحقيقة توجهـها قواعـد تكريرية، وأن النحو لذلك بداهةً هو جـزء من المجال المعـروف لديه «بالنطاق الداخلى» ،ومن ثم فـهو يـتبع علم اللغـة. لا يصل مـدى المختـصـر المقدم هـنا لتاريخ علـم اللغة إلى ڤيلهلم فـون هومبـولت، ولذلك تستـحيل فى هذا الموضع المقـارنات بين النظريات اللغوية لكل من هومـبولت وسوسير، ولما كـان القارىء لا يستطيع أن يتمـثلها، فيلزم أن تذكـر «القدرة على الإبداع» Kreativität بوصفـها

كلمة أساسية فقط: فاللغة لدى هومبولت ***طاقة*** energeia أيضاً، خلق دائم، وليست ***أداة*** ergon فقط، المخلوق «فهى تنشىء من أدوات نهائية استعمالاً «لا نهائى»، ولا تتجلى هذه القدرة على الإبداع فى القدرة الفردية لمبدعى اللغة العباقرة فقط، بل فى الاستخدام اليومى للغة، وبخاصة هنا فى النحو. باختصار: يشكل أساس كل تلك الاعتبارات نظاماً للغة مثلما فى اللغة المعينة، بل يجب أن يكون كل ما هو قاعدى فى الاستعمال اللغوى كذلك موضوع علم اللغة.

٣ ــ يجب كذلك أن ينظر إلى تفسير سوسير لثنائية التزامن فى مقابل التعاقب فى السياق التاريخى العلمى (قارن ٣ــ٤ــ١) وفى الواقع يجب أن يلاحظ أن سوسير لم يطالب مطلقاً بالاشتغال فقط بعلم اللغة التزامنى، كما يزعم باستمرار، فالمرء لا يستطيع حقيقة أن يستخلص ذلك حتى من «الدروس»، فهو يضم فصولاً مفصلة عن أهم مجالات/ التطور اللغوى(*)، وسوسير نفسه يطلق على علم لغة التطور بأنه مهم. ٦٨

وقد قامت المدارس اللاحقة فى القرن العشرين بردود فعل متباينة أيضاً على هذه الثنائية. فقد مارست مدرسة براغ(**) من البداية بشكل غاية فى الوضوح

(*) أى كما فى ثنائيته: علينا أن ندرس اللغة من خلال وجهتى نظر متعارضتين: فإما أن ندرس حالة اللغة فى وضع الثبات، فى فترة محددة من الزمن، وهذه وظيفة علم اللغة الوظيفى، إذ يعالج مثلاً النموذج الصرفى:

Je suis, tu es, il est, nous sommes, vous etes, ils sont etc.

وإماأن ندرس تتابع حالات تاريخية، مع تطوراتها أو تغيراتها عبر تطور الزمن، وهذا مجال علم اللغة التاريخى الذى يشرح الانتقال من est-sonti فى اللغة الهندية الأوربية إلى ist - sind فى الألمانية وإلى est - sunt فى اللاتينية، وإلى est - sont فى اللغة الفرنسية إلخ. مونان ص ٥٠. (المترجم)

(**) كان للبراغيين دور كبير فى ذيوع كتاب سوسير. ينقل مونان عن دو مورو ذلك ص٥٢: لو لم يهاجم البراغيون كتاب Cours عام ١٩٢٨ ــ ١٩٢٩، الذين اقتنعوا بأنهم يهاجمون نصاً مقدساً، لجهلهم بأن أحداً لم يكن يقرأ هذا الكتاب المنسى ــ لما قرأناه نحن اليوم. كما أننا لا نقرأ نورين Noreen أو مارتى Narty أو كروسزويسكى الذين اتبعوا بكل دقة طرائق سوسور نفسها»، ويضيف دو مورو بأن «البراغيين (جاكوبسون وتروبتزكوى) قد أعاد كتاب Cours إلى التداول، كنص نظرى أساسى. (المترجم)

اللغة التزامنى وعلم اللغة التاريخى بصـورة متوازية (قارن الفصل الرابع) . وعلى العكس من ذلك كان ذلك التساؤل بالنسبة للدنماركيين، الجلوسماتية منفك الصلة، فقد مُثِّلت هنا نظرية لغوية يمكن للمـرء بالأحرى أن يُسكنها مجـال الزمن العام (قارن الفصل الخامس وفيما سبق أيضاً تحت ٣ـ٤ـ١).

٤ ـ لب نظرية سوسير اللغوية هو فهم اللغة على أنها نظام علامات، نظام «كل عناصـره متـمـاسكة»، أى فيـه يقتـضى كل شىء الآخـر بشكل متـبادل، فيـه كل عنصر يتحـدد من خلال موقـعه فى الشـبكة الكلية للعلاقات. وأكثـر من ذلك تحصل كل علامة مفردة على «قيـمتها» من خلال هذه الـشبكة، من خـلال حقيـقة اخـتلافـها عن كل العـلامات الأخرى للنظـام ذاته. وحين لا يفتـرق مرشحـان محتـملان للعـلامة بعضـهما عن بعض، ولا يكون لهـما بهذا النحو قـيمة محـددة تحديداً سلبياً، فإنه لا توجد علامتان، بل تحقيقات لعلامة واحدة فقط.

غير أن العلامة المفردة ذاتها لها خصائص ايجـابية أيضاً، ولاسيما خصيصة وجود ربط غير منفصم من مكونين من الدال (signifiant) والمدلول (signifié).

وقد صُـوِّرت فى المبحث ٣ــ٤ـ٢ وثاقة الربط بين المكونين فى كـل واحد عن طريق مقارنة سوسير بصفحتى ورقة.

فالعلامـة لدى سوسير إما اعتـباطية وإما محفـزة. خاصيتها الأسـاسية هى اعتبـاطيتها، عرفيـتها Konventionaltät ـ لا تنشأ إلا من الاتفاق، وليس على أساس ارتباط سببى بين المكونين. حقاً لم ير سوسير أو لم يوضح أن الحالات التى يوجد فيها فى الواقع تحـفيز (تحفيز أساسى فى الكلمات المحاكـية للطبيعة، وثانوى فى بناء منظم للكلمـة والصيغ) لا تنفى الاعـتبـاطية، بحـيث لا يمكن أن يُشكل التحفيز إذن القطب المضاد للاعتباطية. ودون تعميق هذه الأفكار ينبغى أن يشار هنا إلى أنه لا يكون حافز قوى كـهذا الإمكان الوحيد(١٧). ولذلك يصحح علم اللغة

---

(١٧) سُمِّى الوَقْوَق تبـعاً لصياحه المميز، أى أنها محفـزة، ولكن توجد أيضاً حوافـز أخرى ربما كانت ممكنة، مثل حـجمه الضـخم، طريقة حيـاته الغريزية، عدم بنائه أعـشاشاً، بل وضـعه لبيـضه فى أعشاش غريبة، وتـرك صغاره ليربيها والدان ضيفان غير اختياريين.

ثنائيـة سوسيـر «الاعتـباطيـة ـ الحافـزية» إلى ثنائية تقـابل التحـديد الاجتـماعى
بالاعتباطية: فـالعلامات اللغوية فقط، التى تقرها الجمـاعة اللغوية يمكن ويجوز/ ٦٩
أن يستخدمها المتكلمون الفرادى حين يلزم أن تؤدى اللغة وظيفتها، وهى أن تكون
وسيلة للإفهام. من خـلال ذلك فقط تقيد الاعتبـاطية، ولذلك لا يجوز أن يفهم
اعتباطى بأنه «كيفما اتفق (لكل فرد)».

وبالنظر إلى علم سوسير عن أنظمة العلامـات فإن علم لغة القرن العشرين قد تابعـه بلا حدود على العكس مما سـبق، إذ يوجد اليوم على مـحدد هو **علم العلامات**Semiotik، يُعنى بأنواع شديدة التباين لأنظمـة العلامات ويبحث أوجه الاتفاق والفروق بينها. وفى إطار الجانب السيـموطيقى ليست اللغة، وبشكل أدق اللغة التى نمت نمواً طبـيعيـاً وتستخدمـها جماعـة إنسانية، إلا مـوضوع بحث من موضوعات كثيرة، ومن ثم فعلم اللغة فـى إطار نظرية العلامات يعد مجالاً فرعياً لعلم العلامات. ولا تعنى السيميوطقيين كثيراً خصوصيات نظام العلامات، اللغة، على سبيل المثال عالميـته، بل الخواص المشتركة مع أنظمة سيميـوطيقية أخرى بوجه خاص.

٥ ـ لم يحقق نظام سوسير من علاقات جدولية ونحوية هدفه؛ وهو فصل مجالات العلم المحددة علم الأصوات ـ علم الصرف ـ علم المعاجم ـ النحو، ولكنه أثر فى علم لغة هذا القرن تأثيراً قوياً فى صورة العمليتين الأساسيتين التجزئة Segmentieren والتصنيف Klassifizieren؛ فهو يُجـزأ بمراعـاة العـلاقات النحـوية، ويُصنف عـلى أساس العـلاقـات الجدولية. وقـد تميَّزت كل المدارس الكلاسيكية لعلم اللـغة البنيوى(١٨) بهـاتين العـملتيـن الأساسـيـتين، ولذلك وسـمت أيضـاً بعلم اللغـة التصنيفى(١٩).

---

(١٨) أى حلقة لغويى براغ، والبنيوية الدنماركية (الجلوسماتية) وعلم اللغة ا لوصفى فى الولايات المتحدة الأمريكية، وقـد استبعدت هنا «مدرسـة جنيف» التى تبدو قريبة فى الظاهر لأسباب خـاصة بتأريخ المناهج، لأنها مرتبطة بتفسـير أفكار سوسير (الأصلية) ارتباطاً قوياً، وأجرت تطويراً مـستمراً خاصاً لنظرية بشكل أكثر ضآلة من المدارس الأخرى.

(١٩) يرجع هذا المصطلح إلى ن. تشومسكى، قارن الفصل الثامن.

٦ ـــ عند تقويم النظرية اللغوية لدى سوسير يجب كذلك أن يشار إلى أوجه العجز التالية فى هــذه النظرية: فقد نظرت أولاً فى بناء النظام اللغوى، ولكنها لــم تجر أى تحليل لنظام لغــوى محدد، ونظرت ثانيــاً فى النظام اللغوى منعزلاً، ليس فــقط عن كل الصلات بحامل اللغة، صاحــبها، بل أيضاً دون مقارنة بأنظمة لغوية أخرى، أى دون جعل المقارنة اللغوية موضوعاً. ومع ذلك فكلا الأمرين لم يكونا متــعمدين أيضاً، فربما كان الأمر مختصاً بتطبيق النظرية، وليس بالنظرية ذاتها، ومن ثم بعدم التقليل من كفاءة نظرية ســوسير اللغوية. ـــ وقامت المدارس اللاحــقة بردود فعل متــباينة على هذه النقطة؛/ فقــد درستهــا من الناحية النظرية فــقط (مثل ٧٠
الجلوسماتية) أو عنيت كذلك بتطبــيقات النظرية (مثل حلقة براغ) أو حتى وضعت التطبيقات فى الصدارة (مثل علم اللغة الوصفى).

ويمكن أن يُقال باختــصار إن نظرية ســوسير اللغــوية قدمت بواعث فكرية إيجابية كافيــة، مثل أسباب الاحتكاك حتى يستطيع أن يؤثرعلم لغــة العقود التالية تأثيراً شــديداً. وسوف نبين فى الفــصول التالية ـــ مــتجاوزين الملحــوظات الموجزة القائمة ـــ مع التمثيل للاتجاهات المفردة، كيف تبــنت فرضيات سوسير الأساسية أو عدلتها غير أنه على كل حال كان لــها علاقة بها، فقد اتحدت كل هذه المدارس فى النظر إلى اللغة على أنها ظاهرة، تتجاوز مجــموع كل الجمل، التى نتجت عرضاً عن مجموعة معينة من البشر. اللغة على الأرجح نظام بنيوى، كلٌّ، لا يتكون من تراكم الجزئيات بل يبنى مــن عناصر تقع فى علاقة تبادل بعــضها مع بعض، نظام «كل عناصره متماسكة» "où tout se tient" كما نصَّ سوسير.

٣-٦ ـ بيانات عن المراجع

R. Bastide (Hrsg., [2]1972): Sens et usage du terme structure dans les sciences humaines et sociales (Bedeutung und Gebrauch des Terminus Struktur in den Geistes- und Sozialwissenschaften). Den Haag/Paris.

E. Benveniste (1963): Saussure après un demi-siècle (Saussure, ein halbes Jahrhundert später). Wiederabdruck in: E. Benveniste 1966: Problèmes de linguistique générale I (Probleme der allgemeinen Sprachwissenschaft I). Paris.

E. Buyssens (1961): Origine de la linguistique synchronique de Saussure (Ursprung der synchronen Linguistik de Saussures). In: Cahiers Ferdinand de Saussure XVIII. Genf.

H.-H. Christmann (1972): Saussure und die Tradition der Sprachwissenschaft. In: Archiv für neuere Sprachen 208.

R. Conrad (1985): Zu den Beziehungen zwischen Arbitrarität und Motiviertheit in der Zeichenkonzeption Ferdinand de Saussures. In: Zeitschrift für Phonetik, Sprachwissenschaft und Kommunikationsforschung 38/2. Berlin.

E. Coseriu (²1971): Sprache, Strukturen und Funktionen, XII Aufsätze. Tübingen.

W. Doroszewski (1933): Quelques remarques sur les rapports de la sociologie et de la linguistique: Durkheim et F. de Saussure (Einige Bemerkungen über die Beziehungen zwischen Soziologie und Linguistik: Durkheim und Saussure). In: Journal de Psychologie normale et pathologique 30.

E. Durkheim (dt. 1899/1961): Regeln der soziologischen Methode (Autorisierte Übersetzung der 4. Auflage). Leipzig.

R. Engler (1967/68): Ferdinand de Saussure, Cours de linguistique générale, édition critique par Rudolf Engler. Wiesbaden.

R. Engler (1987): Die Verfasser des CLG. In: Geschichte der Sprachtheorie 1. Zur Theorie und Methode der Geschichtsschreibung der Linguistik, hrsg. von P. Schmitter. Tübingen.

R. Godel (1957): Les Sources manuscrites du Cours de linguistique générale de Ferdinand de Saussure (Die handschriftlichen Quellen der „Grundfragen der allgemeinen Sprachwissenschaft" von F. de Saussure). Genève/Paris.

R. Godel (1961/63): L'école saussurienne de Genève (Die Genfer Schule). In: Trends in European and American Linguistics. Utrecht/Antwerpen.

H. Happ (1985): '*paradigmatisch*' – '*syntagmatisch*'. Zur Bestimmung und Klärung zweier Grundbegriffe der Sprachwissenschaft. Heidelberg.

L. Jäger (1984): Ferdinand de Saussure. Genese, Rezeption und Aktualität seiner Sprachtheorie. In: Sprache und Literatur in Wissenschaft und Unterricht 54, 15. Jg., 2. Halbjahr.

E. F. K. Koerner (1973): Ferdinand de Saussure. Origin and Development of his Linguistic Thought in Western Studies of Language: A Contribution to the History and Theory of Linguistics. Braunschweig.

T. de Mauro (1984): Ferdinand de Saussure, Cours de linguistique générale, édition critique préparée par Tullio de Mauro. Paris.

F. de Saussure (1879): Mémoire sur le système primitif des voyelles dans les langues indoeuropéennes. Leipsick. (Denkschrift über das ursprüngliche Vokalsystem der indoeuropäischen Sprachen. Leipzig) [reprograph. Nachdruck der Leipziger Ausgabe: Hildesheim 1968].

F. de Saussure (1916): Cours de linguistique générale (hrsg. von Ch. Bally und A. Sechehaye unter Mitwirkung von A.Riedlinger). Genf. Deutsche Übersetzung: „Grundfragen der allgemeinen Sprachwissenschaft" (Übers. H. Lommel) 1931; ²1967 mit neuem Register und einem Nachwort von P. v. Polenz. Berlin.

Th. M. Scheerer (1980): Ferdinand de Saussure: Rezeption und Kritik . Darmstadt.

A. Sechehaye (1927): L'école genevoise de linguistique générale. In: Indogermanische Forschungen 44.

W.-D. Stempel (1978): Gestalt, Ganzheit, Struktur. Aus Vor- und Frühgeschichte des Strukturalismus in Deutschland. Göttingen.
W. Streitberg (1914): Ferdinand de Saussure. In: Indogermanisches Jahrbuch II.
R. Wells (1947): De Saussures System of Linguistics. In: Word 1947 [Wiederabdruck in: M. Joos: Readings in Linguistics [4]1966. Chicago].
P. Wunderli (1974): Saussure und die Kreativität. In: Vox Romanica 33, 1-31. Bern.

٤ـ حلقة لغويي براغ

٤ ـ ١ تأسيس حلقة «علم اللغة الوظيفي»، ومؤسسوها

٧٢

/ تعد حلقة لغويي براغ واحدة من المدارس الكلاسيكية لعلم اللغة البنيوي، التي قامت في القرن العشرين مستندة بقوة إلى النظرية اللغوية المطورة في كتاب فردينان دي سوسير «دروس في الألسنية العامة»[1]. وقد أسست بوصفها مؤسسة منذ ١٩٢٦، وأثرت في العشرينيات والثلاثينيات بوجه خاص في تطور علم اللغة في الإطار العالمي أيضاً. ومن مؤسسي الحلقة خاصةً يلم ماتسيوس Vilém Mathesius ويوسف زوباتي Josef Zubatý وتلاميذهما بدرش ترنكا Bedřich Trnka وبهوسلاف هافرنك Bohuslav Hávránek، وفلاديمير شكاليتشكا Vladimir Skalička، بل ونيكولاي سرجييفتش تروبتسكوي Nikolaj Sergeevič Trubetzkoy ورومان ياكوبسون Roman Jakobson وسرجاي كرسيفسكي Sergej (Serge) Karcevski، وكذلك عالم النفس والمنظر اللغوي كارل بولر Karl Bühler ومنظر الأدب جان موكاروفسكي Jan Mukarovsky، لم يذكر هنا إلا أهمهم.

وترتكز خصوصية هذا الاتجاه ونجاحه الكبير في جزء جوهري منه على الاهتمامات العلمية المشتركة، بل والتكاملية أيضاً للغويين الذين اشتركوا في إنشاء حلقة براغ. هنا يجب أن تذكر بادي الأمر مجموعة العلماء التشيك العاملين في براغ، وعقلها المدبِّر كان عالم الدراسات الانجليزية يلم ماتسيوس. فقد طالب ذلك العالم سنة ١٩١١ في محاضرة (ومع ذلك لم تنشر آنذاك إلا بالتشيكية) بالوصف التزامني للغة؛ أي قبل كتاب سوسير. ويدلل ذلك على أن ماتسيوس قد عرف على الأقل أعمال بودوان دي كورتيني المتعلقة بذلك، بل وربما أعمال لغويين

---

(١) في الفرنسية "Circle Linguistique de Prague" ويُستخدم هذا الاسم أيضاً في سلسلة النشر Travaux du Circle linquistique de Prague التي سيشار إليها كثيراً في ثنايا هذا الفصل.

آخرين أيضاً، انتقدوا التناول التعاقبي للنحاة الجدد، مثل أعمال عالم الدراسات الصينية فى ليبزج هـ. ج. ك. فون درجابلنتس H. G. C. von Gabelentz. ــ وقد دافع عن هذه الآراء مثل ماتسيوس زميله البراغى يوسف زوباتى، عالم الدراسات الهندوجرمانية والبوهيمية. وقبل أن يتعرفوا هم وتلاميذهم إلى كتاب ف. دى سوسير «دروس فى الألسنية العامة» الذى وجدوا فيه تأكيداً جلياً لتصوراتهم الخاصة، بل نقاطاً للنقد أيضاً،/ وقد انضم إليهم ما سمى «بالجناح الروسى» تروبتسكوى وياكوبسون وكرسيفسكى الذى كانوا قد غادروا الاتحاد السوفيتى فى بدء تأسيسه لأسباب متباينة. وينبغى فى هذا المواضع بالنسبة للمعلومات عن السير العلمية لتروبتسكوى وياكوبسون أن يحال إلى مباحث متأخرة فى هذا الفصل. أما هنا فتكفى الإشارة إلى أن تروبتسكوى عمل فى فيينا وياكوبسون فى برنو وبراغ. وكان كرسيفسكى بوصفه ديمقراطياً اجتماعياً قد هرب بعد ثورة ١٩٠٥ من روسيا إلى سويسرا. وتعرف فى جنيف إلى نظرية دى سوسير اللغوية، وجعلنا حين رجع بعد ثورة فبراير ١٩١٧ إلى روسيا «جميعاً سوسيريين متحمسين»[٢]. وغادر كرسيفسكى روسيا من جديد بعد ثورة أكتوبر، وعاش حتى وفاته فى جنيف. وهكذا فقد كانت براغ ــ فيينا ــ جنيف محطات تأثيرات «حلقة براغ»، ولكن بلا شك كانت براغ مركز المجموعة، هناك تكونت خصائصهم البارزة. ٧٣

وبرز البراغيون للمرة الأولى عالمياً فى مؤتمر اللغويين الأول فى لاهاى Haag سنة ١٩٢٨، حيث اشتركوا فى النقاش حول مناهج الوصف اللغوى، ولكن بعد كأشخاص فرادى. وكانت النتائج الحاسمة للاعتراف العالمى بأولئك العلماء بوصفهم مجموعة ذات تصورات مشتركة موحدة نسبياً حول مهام البحث اللغوى ومناهجه إذن مؤتمر الدراسات السلافية الأول سنة ١٩٢٩ فى براغ، والمؤتمر الفونولوجى سنة ١٩٣١ فى براغ أيضاً.

وحول مؤتمر الدراسات السلافية الأول ظهر المجلد الأول لسلسلة «أعمال حلقة براغ اللغوية» "TCLP"، نشر فيه ضمن غيره برنامج عمل هذه المجموعة،

(٢) من مقابلة مع رومان ياكوبسون.

«الفرضيات» انظر ما يلى تحت ٤ـ٣). وظهر فى هذه السلسلة على وجه الإجمال ثمانية مجلدات، وهى حول الموضوعات التالية:

TCLP1 (١٩٢٩) : كتابات لغوية مختلطة. مخصصة لمؤتمر الدراسات السلافية الأول.

TCLP2 (١٩٢٩) : ° ملاحظات حول التطور الفونولوجى للروسية مقارنةً باللغات السلافية الأخرى.

TCLP3 (١٩٣٠) : ب. ترنكا، حول نحو النقل الانجليزى من كاسكتون حتى دريدن.

TCLP4 / (١٩٣١): مؤتمر الفونولوجيا العالمى فى براغ من ١٨ إلى ٢١/ ٧٤
١٢/ ١٩٣٠.

TCLP5_1 (أعلن عنه فى ١٩٣٤، ولم يظهر): الوصف الفونولوجى للروسية الحديثة، الجزء الأول، ر. ياكوبسون: الفونولوجيا العامة للكلمة.

TCLP5_2 (١٩٣٤): الوصف الفونولوجى للروسية الحديثة، الجزء الثانى، ن. تروبتسكوى: النظام المورفو فونولوجى للغة الروسية.

TCLP5_3 (خطط له سنة ١٩٣٤، ولم يظهر): الوصف الفونولوجى للروسية الحديثة، الجزء الثالث؛ (الفونولوجيا التركيبية، والفونولوجيا والكتابة، فونولوجيا الشعر).

TCLP6 (١٩٣٦): دراسات مخصصة لمؤتمر اللغويين الرابع.

TCLP7 (١٩٣٩): ن. س. تروبتسكوى : أسس الفونولوجيا.

TCLP8 (١٩٣٩): دراسات فونولوجية مهداة لذكرى الأمير ن. س. تروبتسكوى.

وفى سنة ١٩٣٩ أوقفت هذه السلسلة ـ بسبب الأحداث السياسية وهجرة قسم من الأعضاء المرتبط بتلك الأحداث. ولذلك بدأ اللغويون التشيك نشر المجلة

المشهورة عـالمياً إلى يومنا هذا "Slovo a slovesnost" (الكلمة والأدب). وبعد الحرب العالمية الثانية بدأ لغويو براغ مرة أخرى تقليد حلقتهم اللغوية: فقد اضْطُلِعَ أيضـاً بمحاولة مـواصلة سلسلة TCLP(أعمـال لغويى براغ اللغـوية) تحت عنوان «أعـمال لغـوية من براغ Travaux Linguistiques de Prague TLP» (بدءاً من سنة ١٩٦٤).

وقد عرفت حلـقة براغ أيضاً باسم «علم اللغة الوظيـفى»؛ وهو اسم لقبت المجموعة نفسها به للإشارة إلى موقفهم المميز من موضوع علم اللغة ومهامه. ولا يفهم أعضاء هذه المجموعة الوظيفة Funktion بالمعنى الرياضى للعلاقة بين الدوال «الكيانات» Funktiven ــ على نحو ما استعمل ل. هيلمسليف هذا المفهوم، قارن الفصل الخامس ــ بل بالمعنى اللغوى العادى «له وظيفة/ له مـهمة». فاللغة بالنسبة للبـراغيين وسيلة إفـهام Verständigungsmittel، ويضم ذلك وسيلة الإفـهام والهدف، ويتـساءل دائماً أيضـاً عن حاملى الخـاصية الموضـوعة فى الاعتـبار (أية وظيفـة؟). / ودرس كارل بولر أقسـام الوظائف «العرض ــ التعـبير ــ الاستـدعاء 75
(انظر ما يلى ٤ــ١) م استنبط ياكوبسـون وموكاروفسكى من وظيفة التعـبير وظيفة رابعة هى «الوظيفة الشعرية (الجمالية).

وقد أُكِّد مراراً فى عروض لغويى براغ ذاتها أن ما تختص به الحلقة هو علم لغة وظيفـى بنيوى أوضحه تعاون أعـضائها التشـيك والروس. وقد أدخل «الجناح الروسى» بقـوة الجانب البنيوى، و«الجـناح التشيكى» ـــ بالتعاون مع علـماء نفس الجشتالت ــ الجـانب الوظيفى. وعند ذلك نشأ فى الحقيـقة اتجاه لغوى، وضع فى القلب عند فهم النظرية المثلة تساؤلات لصيقة بالتطبيق دائماً أيضاً.

٤ــ٢ تأثيرات من علم اللغة ومن العلوم المجاورة:

ج. بودوان دى كورتينى وف. دى سوسير، وعلم نفس الجشتالت

يلفت النظر فى المجالات البـحثية للغـويى براغ المعالجة فى المباحث التـالية القـربُ الموضـوعى من بحـوث بودوان. فـمن الجـدير بالملاحظة أن كـلا جناحى المجموعة أسهم فى ذلك، ولو بشروط متـباينة أيضاً. وكان من الأسهل فى العادة

بالنسبة لأعضاء الحلقة التشيك عما هو بالنسبة للأوربيين الغربيين أن يتابعوا مقالات بودوان وكروتسفسكى المكتوبة بالروسية والبولندية. وثانياً يضاف إلى ذلك أيضاً اهتمام خاص تقدم تحديده بمجالات الموضوعات السابقة الذكر. فقد استند ف. ماتسيوس فى مطالبته بالبحث اللغوى التزامنى إلى بودوان، وتبنى ب. هافرانك B. Havránek تعريفه للفونيم، وذكره ب. ترنكا نموذجاً لبحوث فى قضايا مميزة للطبقات(٣). وقد قوّى تغلب بودوان على أخطاء النحاة الجدد، أعضاء الحلقة التشيك فى شكوكهم الخاصة فى النموذج التاريخى المقارن للنحاة الجدد الذى كان ما يزال سائداً فى وسط أوربا فى مطلع القرن العشرين.

وقد جلب أعضاء الحلقة الروس بالإضافة إلى ذلك إرث ــ لبودوان ثم يُمس مطلقاً كلية فى روسيا، حتى إن لم يكونوا طلاباً مباشرين له.

ويمكن أن يرجع الاتساع الثرى لمجالات البحث لدى البراغيين بقدر مثير
٧٦ للدهشة إلى بودوان، كما تبين مقارنة الموضوعات المذكورة فى ٤ ــ ٣/ بمباحث
الفصل الخاص ببودوان. وبتعبير مؤكد إلى حد ما: يمكن أخيراً أن يعثر المرء
بالنسبة لكل المجالات التى عمل فيها البراغيون خاصة داخل المدارس الكلاسيكية
لعلم اللغة البنيوى، على مصادرها لدى بودوان.

أما المصدر الثانى الحاسم لمدرسة براغ فكان بلا شك كتاب فردينان دى سوسير «دروس فى الألسنية العامة» (قارن الفصل الثالث). وقد جلب الجناح الروسى معه معرفة تلك المسارات الفكرية الخاصة بالنظرية اللغوية ــ من خلال كارسيفسكى من روسيا، وتبنى ممثلوها التشيك عن رضىً «الدروس» أيضاً، وإن لم تتابع كلتا المجموعتين سوسير فى كل أفكاره، وهو ما ينبغى أن يوضح بالتفصيل فى الفصول الملائمة لذلك. وفى نظرية سوسير اقتنعت بالمطالبة ببحث **لغوى تزامنى وفهم اللغة على أنها نظام بُنى لذاته، تترابط فيه أجزاؤه المفردة ترابطاً غير مستقل؛ نظام من العلامات له علاقة بأنظمة علاماتية أخرى.**

---

(٣) قارن حول ذلك المباحث المطابقة فى الفصل الثانى حول بودوان دى كورتينى.

وبناءً على ذلك قد شُكِّل علم لغة حلقة براغ من خلال احتكاكه بعلم إنسانى مجاور هو علم النفس. وبينما استند النحاة الجدد إلى علم نفس الفرد لهربرت تأثر البراغيون باتجاه لعلم النفس اكتسب أهمية فى مطلع القرن العشرين، وبعبارة أفضل: قوِّيت تصوراتهم الخاصة من خلال «علم نفس البنية الكلية أو الجشتالت». كان مؤسسه هو كريستان فون ايرنفلس Ch. von Ehrenfels الذى عمل فى براغ من ١٨٩٦ حتى ١٩٣٢، وكان قد نشر سنة ١٨٩٠ العمل المبرمج «حول خواص البنية الكلية Über Gestaltqualitäten وعدت الكليات النفسية نظاماً بنائياً، أبنية كلية تقابل بالمعالجة الذرية لمضامين الوعى. ويجب أن يلاحظ بالنسبة للصلات بعلم اللغة ما كتبه اللغوى الدنماركى فيجو بروندال V. Brondal سنة ١٩٣٩[٤]:

يمكن أن يقال إنه فى علم النفس أيضاً يقع مفهوم البنية Struktur (فى الألمانية Gestalt، وفى الانجليزية pattern) فى قلب الاهتمام (١٩٣٩، ٦ ترجمة عن الفرنسية).

وقد وضع لغويون آخرون أيضاً مصطلح Gestalt الألمانى ترجمة للمصطلح الفرنسى Strukture، وهكذا يوجد من الناحيتين المفهومية والاصطلاحية توازيات واضحة بين العلمين. ويدل على ذلك بشكل مُلح اقتباسان من علماء نفس الجشتالت فى فترة ما بين الحربين:

/ الأبنية الكلية Gestalten هى كليات لا يتحدد مسلكها بمسلك عناصرها ٧٧
الفردية، بل بالطبيعة الداخلية للكلية. (فيرتهايمر، نقلاً عن كاتس ١٩٦٩[٤]، ١٠٣/١٠٤) وكذلك:

فى سياق تكوين بنية كلية يتحدد الكل وأجزاؤه بصورة متبادلة:

فالأجزاء مترابطة فى الكل ترابطاً غير مستقل، ولكنها تشكل له تفرعه. (متّاى، نقلاً عن كاتس ١٩٦٩، ١٠٤).

---

(٤) فى مجلة: Acta Linguistics 1939, 1/1 كوبنهاجن.

لقد ألف أعـضاء حلقة براغ علم نفس الجـشتالت، على نحو مـا ينبغى أن تدلل على ذلك حقـيقتـان فقط: الأولى أن كـريستان فـون ايزنفلس قد درَّس فى براغ، ويؤكد ياكوبسـون أنه قد تعرف إليه فى ذلك الوقت، والثـانية أن كارل بولر K. Bühler (١٨٧٩ ــ ١٩٧٣) عـالم نفس الجشـتالت والـلغوى فى فـيينا حـتى هجرته إلى الولايات المتحـدة الأمريكية كانت له صلة وثيقـة بحلقة براغ، بل كان كذلك عـضواً فى تأسـيسـها[٥]. ففى سنـة ١٩١٣ نشر بولر «الإدراكات الـكلية Gestaltwahrnehmungen"، وفى سنة ١٩٣٤ ظهـر كـتـابه ذو التـأثيـر النافـذ «النظرية اللغـوية Die Sprachtheorie». نموذج الأورجـانون للغـة[٦]. وتوجد أطروحاته الخاصة بعلم نفس الجشتالت فى الأعمال اللغوية للبراغيين إلى حد النقل الحرفى. وتجدر أن يذكر هـنا وظائف الصوت لدى ن. س. تروبتسكوى (انظر فى تناوله للفونولوجيا)، وإدخال تروبتسكوى مفهوم الفونيم الذى يُورد هنا على سبيل التمثيل، إذ إنه قد تقدم التناول الخاص:

لا يجوز للمـرء أن يتصور الفـونيمات على أنهـا أشبه بلبنات تتـركب منها الكلمـات المفـردة، بل إن كل كلمـة هى كل صـوتى eine Gestalt، ويدركـها السـامعون أيضاً بوصـفها كلاً، على نحو ما يتعرف المرء إنسـاناً معروفاً فى الطريق من شكله (هيئـته) الكلى تماماً. غير أن تعـرف الأشكال الكلية يشترط انفـصالها، ولا يكون ذلك ممكناً إلا حين تفـترق الأشكال الكلية المفردة بعـضها عن بعض من خلال سـمات مـحددة. وهكذا فـالفونيـمات ***سمات فارقة*** للأشكال الكلية للمفردات Unterscheidungsmerkmale [...]. فكل كلمة بوصفـها بنية كلية تتضمن باستمرار ما يزيد على مجموع عناصرها (= الفونيمات) وبخاصة مثل ذلك الأساس الـكلى الذى يحافظ على السلـسلة الفونيـمية، ويمنح الكلمة تفـردها. (١٩٨٩، ٣٤/٣٥).

---

(٥) كما توضح صورة فى تلك المناسبة.

(٦) يعالج فيه أيضـاً وظائفه الثلاثة للغة «العرض ــ والتـعبير ــ والمناشدة» وتتعلق وظيـفة العرض بحال الشىء ووظيفة التعبير بالمتكلم ووظيف المناشدة «الاستدعاء» بالسامع.

ويصعب هنا أن تُفَصَّل البحوث الخاصة بعلم نفس الجشتالت التى استؤنفت بعد الحرب العالمية الثانية فى الولايات المتحدة الأمريكية بصفة خاصة، غير أنه يبقى أن يؤكد أن هـذا الاتجاه لعلم النفس أدى ومـا يزال يؤدى دوراً جوهرياً للغـاية فى العلوم الإنسانية فى قرننا. وقد أثرت صلات لـغويى براغ/ بعلماء نفس الجشتالت 78
فى براغ وفيينا تأثيـراً مثمراً بشكل غير عادى فى علم اللـغة، وبخاصة لأنه أمكن هنا التحقق من أطروحات ف. دى سوسير أيضاً.

وقد أبرزت بالإضافـة إلى ذلك أهمية علم نفس الجشـتالت بالنظر إلى علم آخـر: فـهـو يتجـلى فى علم الأحـيـاء منذ هانز دريش H. Driesch (١٨٦٧ ــ ١٩٤١)(٧)، ويتأكد فى المذهب الشمولى Holismus(٨) اللاحق لثلاثين عاماً فَهْمٌ واضح للكلية يُقَابل بفهم ــ جزئى سابق من جهة تاريخ العلم. قياساً إلى حد كبير على رد فعـل علم اللغة البنيـوى على الاتجاهات الذرية فى مـدرسة النحـاة الجدد التاريخيـة ــ المقارنة المتقدمـة. ويحيى المذهـب الشمولى الحـقيقة الشـاملة المؤسسة بشكل عضـوى فى البنية الكلية، وقـد أدخل دريش بالإضافة ذلك بمذهبه الحـيوى Vitalismus(*) عامل النظام والطبيعة الفـاعل بشكل غائى الذى يقوم على مقولة أرسطو Entelechie ***الكمال الأول***(**) ــ الذى يمثل طاقة فى التطور مـوجهة إلى هدف. وأوجه التوازى مع علم لغة براغ واضحة فى ذلك أيضاً. فلم يستخدم اتجاه

---

(٧) قارن هـ. دريش (١٩٠٨ ترجمـة عن الانجليزية): Philosophie des Organischen. Gifford-Vorlesungen. 2 Bände فلسفة ما هو عضوى.

(٨) قارن سموتس J. C. Smuts (١٩٣٨ ترجمة عن الانجليزيـة): العالم الشمولى Die holistische Welt.

ويعنى المصطلح كـذلك التمـامية والكليـة (أى الرأى القائل بأن نظامـاً معـقداً بكامله، كـخلية أو عضوية، هو أعظم من مجموع أجزائه من الناحية الوظيفية). (المترجم).

(*) Vitalismus الحيوية أو المذهب الحـيوى، وهو مذهب يقول بأن الحيـاة مستمدة من مبـدأ حيوى، وأنها لا تعتمد اعتماداً كلياً على العمليات الفيزيائية الكيميائية. (المترجم)

(**) وهو حال الموجـود المتحـقق بالفعل، أو ما له هـدفه فى ذاته، أو الشكل المتحـقق فى المادة (عند أرسطو)، والطـاقـة الكامنـة فى الكائن الحى الـتى تؤثر فى تطوره وكـمـاله (فـى الفلسـفـة). (المترجم).

من الاتجاهات البنيوية الأخرى فى علم اللغة فى قرننا تفسيرات غائية للتطور اللغوى، أى محددة باتجاه إلى هدف، إلا حلقة براغ، على ما ينبغى أن يوضح فيما بعد أيضاً من خلال مثال رومان ياكوبسون(٩). ففى نظرية سوسير اللغوية لا توجد أية نقطة ارتكاز لاستخدام فرضيات غائية، وكذلك فى أعمال بودوان دى كورتينى، وهكذا فمن الواضح أن القرب المنهجى من علم نفس الكلية أو الجشتالت هو عنصر الربط الغائب فيما عدا ذلك فى سلسلة التفسير. فقد استخدم كارل بولر مثلاً منذ أعماله المبكرة حججاً غائية وكذلك فى عمله «أزمة علم النفس Krise der Psychologie» (فينا ١٩٢٧).

٤-٣ مجالات البحث الرئيسية فى حلقة لغويى براغ

انفتحت حلقة براغ من خلال علاقة النظرة البنيوية بوظيفة اللغة على مجال واسع للمهام. فنجد فى أعمال أولئك اللغويين تحليلات للبنية، تقتضى النظام اللغوى بمفهوم ف. دى سوسير، «النطاق الداخلى لعلم اللغة»، وكذلك تناول علاقات اللغة بالواقع غير اللغوى/ ، وبحوث فى المقارنة اللغوية أيضاً، ٧٩
أى تناول العلاقات بين اللغات المفردة. وقد مدّ باحثو تلك الحلقة النظرة البنيوية إلى كل مستويات النظام اللغوى، إلى الفونولوجيا والصرف والنحو وعلم الدلالة، وعنوا بعلم اللهجات ومشكلة لغة الكتابة، وأنجزوا ما له أهمية بالنسبة لنظرية الأدب.

ومع هذا المنظور الواسع للاهتمامات فيما يتعلق بالمادة المدروسة لا يمكن تجنب أوجه تناقض محددة وآراء مكملة حول مناهج البحث اللغوى. ومع ذلك يمكن أن يُحدد اتفاق فى الفروض الأساسية التى تُثبتها موضوعات أطروحاتهم Thèses (سنة ١٩٢٩) التى تعرض برنامج عمل الحلقة، الذى ألف بشكل

---

(٩) لاحظ حول ذلك تعبئته القوالب الصغيرة الفارغة كهدف لتطور أنظمة جزئية فونولوجية.

جماعى، وطبع دون بيان عن المؤلفين (انظر ما ورد تحت ٤ـ١، وما يلى فى المبحث الحالى). وتلك الفرضيات هى قبل أى شىء:

(أ) المنطلق هو فرضية سوسير وهى أن اللغة نظام من العلامات يجب أن تبحث بنيته، غير أن البراغيين قد أضافوا هنا إلى مفهوم النظام الصارم لدى سوسير بعض مكملات صيرت بحوثهم غاية فى الإثمار داخل علم اللغة البنيوى. لقد وظَّفوا بوجه الخاص النظام بشكل دينامى. ومن الأهمية بمكان ما كتبه اللغوى الدنماركى ف. بروندال أيضاً فى ذلك الوقت(١٠):

{. . .} يتجلى الزمن {. . .} داخل التزامن، ويجب على المرء هنا أن يفرق بين جانب ثابت وجانب متحرك {. . .}. (١٩٣٩، ٨، ترجمة عن الفرنسية).

ويجب أن يقدم أن النقد المرتبط بقبول أفكار «الدروس» إلى النحاة الجدد لا يعنى بالنسبة للبراغيين أية مقاطعة مفرطة لإرث علم اللغة التاريخى المقارن. بدهى أنهم بوصفهم اتجاهاً موجهاً بنيوياً قد رفضوا ذرية Atomismus(*) النحاة الجدد. ولذا كتب ياكوبسون سنة ١٩٣٦ فى دراسته «إسهام فى علم الحالات الإعرابية العام Beitrag zur allgemeinen Kasuslehre»:

وضع علم اللغة الموضوع آلياً المعانى الكلية على المؤشر (١٩٣٦، ٢٤٠)؛ فقد صارت المعانى الكلية للفصائل المورفولوجية مثلاً موضوعاً جوهرياً لبحوث براغ.

بيد أنه ينبغى هنا من جهة أخرى أن يشار بوجه خاص إلى أن البراغيين لم يشاركوا سوسير منذ البداية الفصلَ الصارم بين التزامن والتعاقب، والمبالغة فى
التركيز على بحث العلاقات التزامنية المرتبطة بذلك./ ولذا فقد بُحِثَت الفونولوجيا ٨٠
التاريخية أيضاً بشكل موازٍ للفونولوجيا. وظهر عمل ياكوبسون سنة ١٩٢٩ بوصفه

---

(١٠) فى مجلة: Acta Linguistica I/I كوبنهاجن.

(*) المذهب الذرى مذهب يقول بأن الكون مؤلف من ذرات، أو رؤية ترجع العالم والأحداث فيه إلى حركة الذرات. (المترجم)

المجلد الثانى من مجلة "TCLP" «ملحوظات حول التطور الفونولوجى للروسية، مقارنة باللغات السلافية الأخرى»(*)، ثم ظهر سنة ١٩٣١ للمؤلف نفسه «أسس الفونولوجيا التاريخية Prinzipien der historischen Phonologie» (TCLP4).

(ب) نظر البراغيون فى البنية اللغوية فى ارتباطها الوثيق بالأبنية المحيطة بها. وبذلك فهو الاتجاه الوحيد داخل علم اللغة البنيوى الذى راعى الواقع غيراللغوى. فقد كتب ف. سكاليتشكا Vl. Skalička فيما بعد:

وبما أننا نراعى تلك العلاقات فإننا لن نتحدث ــ مثل هيلمسليف عن «وصف وافٍ» للنص. إن ذلك لا يصح مطلقاً بشكل منعزل(١١).

ويأتى المؤلف ذاته فى تلك المقالة بتعديل تال أيضاً لمفهوم البنية صار ضرورياً:

فليست الأجزاء أجزاءً من كلٍّ فحسب، بل إن لها حياتها وعلاقتها المستقلة بالعالم غير اللغوى.

وقد أدى ذلك بلغويى براغ إلى بحث الطبقات اللغوية الوظيفية الأسلوبية وعلاقات اللغة بالأدب والفن والثقافة. أما الأساس لذلك فقد أقامه مذهب كارل بولر الموضح فى ٤ــ٢ عن الوظائف الثلاثة للغة (التعبير ــ الاستدعاء ــ العرض) التى أكملها البراغيون بوظيفة رابعة أيضاً، وهى الوظيفة الشعرية (الجمالية). وبذلك أقر «للكلام» عند سوسير أيضاً (قارن ما ورد تحت ٣ــ٤ــ١) بقيمة موقعية داخل علم اللغة: فقد استند ماتسيوس فى بحثه الموجه إلى الوظيفة إلى ثنائية فيلهلم فون هومبولت المتضادة بين «الطاقة الإبداعية energeia (الخلاقة): والأداة ergon (المولِّدة)». بحث البراغيون تبعاً لهذا المفهوم النشاطَ الكلامى للإنسان أيضاً، أى وقائع الكلام. وقد أقروا بأن الكلام يجب أن يظهر أيضاً الالتزام بالنظام، وإلا فإن وظائف اللغة لا يمكن أن تُوفَّى فى النشاط الكلامى. وهكذا

(*) اسم البحث بالفرنسية "Remarques sur l'évolution phonologique du russe, comparée à celle des autres langues slaves" (المترجم)

(١١) من مقالة تشيكية فى مجلة: الكلمة والأدب ١٩٤٨، ١٠/٣.

لقد ارتكز على هذا الأساس النظرى تعميق باحثى هذه الحلقة للأسلوبية الوظيفية، وصار التفريق بين «الجملة: والمنطوق مع خاصية النظام لكلتا الوحدتين آخر الأمر المنطلق للبحث اللغوى للنصوص».

(جـ) تناول لغويو براغ أيضاً بحث العلاقات بين الأنظمة اللغوية، أى المقارنة اللغوية والتنميط اللغوى وإشكالية الرباط اللغوى.

/ وباختصار بحث البراغيون:

٨١ (أ) علاقات اللغة بأجزائها أو الأجزاء بعضها ببعض = تحليلات البنية؛

(ب) علاقات اللغة بالمعطيات غير اللغوية = علم الدلالة، والأسلوبية والشعرية؛

(جـ) علاقات اللغة باللغات الأخرى = المقارنة اللغوية، والتصنيفات اللغوية (التنميطية والجغرافية فى الرباطات اللغوية).

وينبغى أن توضح بعض «فرضيات» هذا البرنامج فيما يلى.

حول الفرضية (أ):

صار تحليل البنية موضوعاً فى الفرضية أ : «مشكلات المنهج الناتجة عن فهم اللغة على أنها نظام، وأهمية ذلك الفهم بالنسبة للغات السلاية» (١٩٧٦، ٤٣). وتوجد هنا أيضاً الجملة النواة للبراغيين:

وفى إطار وجهة النظر هذه فاللغة نظام من وسائل تعبيرية موجهة إلى هدف معين. (١٩٧٦، ٤٣).

وخصّص القطاع الثانى من الفرضية الأولى للعلاقة بين التزامن والتعاقب. ويعنى ذلك هنا:

أن أفضل طريقة لمعرفة جوهر لغة ما وخصوصيتها هى التحليل التزامنى للغة المعاصرة التى تقدم وحدها مادة كاملة، وللمرء مدخل مباشر إليها. (١٩٧٦، ٤٤).

بيد أن **البراغيين قد أكدوا أيضاً**:

أن فـهم اللغة على أنهـا نظام وظيـفى يسرى عـلى نحو مماثل على دراسـة حـالات لغوية مـاضيـة، سواء أتعلق الأمـر هنا بإعـادة بنائها أو ببـحث تطورها (١٩٧٦، ٤٤).

ويعنى ذلك من جهة أخرى بالنسـبة للبحوث التعاقبية: أن الـبحث التعاقبى لا يستبعد إذن مفـاهيم النظام والوظيفة، وليس هذا فقط، بل إنه على العكس من ذلك يكون غير مكتملٍ إذا لم يراع هذه المفاهيم. (١٩٧٦، ٤٥).

تلك هى الفرضية التى وجدت فى دراسة ياكوبسون «الفونولوجيا التاريخية» بوجه خاص تعميقاً لها.

حول الفرضية (ب):

تعالج الفـرضيـة المطروحة رقم ٣ علاقـات اللغة بالمعطيـات غيـر اللغوية: «مشكلات بحث اللغات ذات الوظائف المتعددة» (١٩٧٦، ٥١).

٨٢ / وُضع لمبحثها الأول عنوان: «حول وظائف اللغة» (١٩٧٦، ٥١). ولعل الاقتباسين التاليـين يوضحان مفهوم الوظيفة لدى البراغيـين: «تقتضى دراسة اللغة أن يُلاحظ تنوع الوظائف اللغوية وأشكال تحققها فى حال محدد ملاحظة صارمة». (١٩٧٦، ٥١). ومن الأهمية بمكان تضمين حاملى اللغة (أصحابها):

ثمة عامل مهم لتـفريع النشاط الكلامى هو ***العلاقة بين المتكلمين الذين يوجـدون فى احـتكاك لغـوى*** : [...] (١٩٧٦، ٥٣؛ الإبراز مـوجـود فى الأصل).

وفى موضع متقـدم أُشير إلى أى دور أولاه البراغيون للغة الشـعر، إذ يعبر عن ذلك فى الفـرضـيـات ــ نص مبـحث خـاص للفـرضـية ٣: «حـول اللغـة الشعرية»[١٢].

---

(١٢) فى الترجمة الألمانية ١٩٧٦: «حول لغة الشاعر Über die Dichtersprache».

هنا يُقرأ:

كانت لغة الشاعر لمدة طويلة مجالاً أهمله علم اللغة. [. . .] وقد مس مؤرخو الأدب تلك المشكلات من وقت لآخر، غير أنه قد ندت عنهم أخطاء لا يمكن تجنبها، لأنه لم تكن لديهم معرفة كافية بالمنهجية اللغوية. (١٩٧٦، ٥٥).

حول الفرضية (جـ):

لم تُصب المقارنة اللغوية والتصنيف اللغوى مباشرة بضربة قاضية فى تلك الوثيقة الأولى للبراغيين، بل تورد الفرضية ٦ ــ «أسس الجغرافيا اللغوية، تطبيقها وعلاقتها بالجغرافيا الاثنوجرافية فى الأرض السلافية» (١٩٧٦، ٦١) ــ بعض أفكار مهمة حول ذلك، تحدها عن علم اللهجات التقليدى:

إن تحديد الحدود المكانية [. . .] للظواهر اللغوية المختلفة هو نهج بحثى ضرورى للجغرافيا اللغوية [. . .]، ولكن لا يجوز أن يصير ذلك النهج البحثى غاية لذاته، هدفَ النظرية. (١٩٧٦، ٦١).

وتصير الجهود حول بحوث البنية فى هذا المجال أيضاً واضحة، قارن:

لا يجوز أن يعد الانتشار الاقليمى للظواهر اللغوية توالياً فوضوياً لفواصل لغوية مستقلة مفردة، إذ تبين مقارنة الفواصل اللغوية Isoglossen فيما بينها أن المرء يستطيع أن يجمل عدداً منها فى حزم [. . .]. أما التفسير اللغوى لفواصل لغوية منعزلة فغير ممكن، لأن الظاهرة اللغوية فى ذاتها وكذلك نشأتها وانتشارها لا يمكن أن تفهم دون مراعاة النظام». (١٩٧٦، ٦٢).

/ يضم النص على وجه الإجمال عشر فرضيات لم يُتناول هنا ما هو خاص بالسلافية، والفرضية العاشرة حول الدرس اللغوى فى المدارس الثانوية. ٨٣

وفيما يلى تناقش المجالات البحثية لحلقة براغ من خلال أعضائها الأوائل، حتى وإن ورد فى ذلك إسهامات لغويين آخرين بشكل جد موجز. (ينبغى على الأقل أن تذكر أعمال فلاديمير سكاليتشكا الخاصة بالتنميط وأعمال بوسلاف

هافرانيك حول البناء الموضوعى للغة الكتابة، وفيما بعد ألويس جدليتشكا Alois Jedlicka).

٤ـ٤ نيكولاى سرجيفتش تروبتسكوى

درس نيكولاى سرجيفيتش تروبتسكوى Nikolaj Sergeevič Trubetzkoy (١٨٩٠ ـ ١٩٣٨) فى موسكو، وكان فى ١٩١٣/ ١٩١٤ أيضاً لمدة فصل دراسى فى ليبزج، واستمع هناك ضمن ما استمع إلى كارل بروجمان («نحو اللاتينية») وأوجوست لسكين («نحو اللغة الليتوانية»). وبعد رجوعه إلى روسيا اشتغل فى القوقاز بالدراسات الفونولوجية ـ ربما ضمت بطاقات فهارسه التى أبيدت فى الحرب العالمية الثانية شواهد لمتنى نظام فونولوجى ـ وعقد صلة بحلقة لغويى موسكو. غادر روسيا بعد ثورة ١٩١٧، وعاش ودرس بدءاً من ذلك الوقت فى فيينا. ومن هناك شارك فى حلقة براغ. ومات فى سن مبكرة، فى الثامنة والأربعين من عمره. وبسبب انحدار تروبتسكوى عن ارستقراطية روسية وبسبب هجرته فيما بعد سكت عن بحوثه العلمية لأكثر من عقدين فى الاتحاد السوفيتى ولم يظهر عمل تروبتسكوى الأول فى ترجمة روسية سنة ١٩٥٨ إلا بعد بضع سنوات من مناقشة ـ البنيوية فى المجلة اللغوية "Voprosy jazykoznanija" (قضايا علم اللغة)، وفى الصحيفة الحزبية "Pravda" (الحقيقة)، وهو المقالة غير المربكة منهجياً للوهلة الأولى «أفكار حول مشكلة الهندوجرمان»، أُلّفت ثم نشرت بالألمانية سنة ١٩٣٩. أما أهم مؤلف له وهو أسس الفونولوجيا "Grundzüge der Phonologie" (١٩٣٩ المجلد السابع من مجلة TCLP) فقد ظهر فى ترجمة روسية بدءاً من ١٩٦٠.

وتناقش فيما يلى فى المقام الأول بحوثه فى الفونولوجيا، ويعقب ذلك بحوثه فى المورفونولوجيا وفى النهاية تصور الرباط اللغوى.

٤ـ٤ـ١ الفونولوجيا

أشير فى ٤ـــ٢ إلى أنه لا يمكن تجاهل تأثيرات علم نفس الجشتالت عند توسيع الفونولوجيا بوصفها علماً لغوياً فرعياً. ومن المنطقى أن تنتج العلاقة بينية

النظام اللغوى ووظيفته عن انخراط تروبتسكوى فى حلقة براغ. ومنطلق تروبتسكوى تعريف سوسير للفونيم بأنه ***وحدة تقابلية ونسبية وسلبية***، أى وحدة تفترق عن كل/ الوحدات الأخرى فى النظام ذاته، وكذلك أيضاً مفهوم ٨٤
بودوان دى كورتينى للفونيم بوجه خاص.

وقد فتنه الأخيرمن جهة بموقفه الأساسى النفسى الذى امتدحه وانتقده فى الوقت ذاته، غير أنه من جهة أخرى أيضاً قد فتن بوجه خاص بالوظيفة التى عزاها بودوان للفونيم وهى التى تفرق بين الوحدات المورفولوجية، «النظرة الموفولوجية». ولذلك لا يكمن فضل تروبتسكوى فى أنه قد أدخل الفونيم، بل يكمن فى تنظيم الفونيمات فى مخططات متناسقة، فى أنظمة فونيمية Phonemsystemen، تمثل أنظمة جزئية من الأنظمة اللغوية، ومن ثم فهى أولاً مثل الأخيرة كل منها فى حد ذاته مميز للغة، وثانياً تعزو للفونيمات موقعها بوصفها أجزاء من كلٍّ. وهكذا صار ــ بتعاون وثيق مع ياكوبسون ــ مؤسساً للفونولوجيا بوصفها علماً فرعياً من علم اللغة.

توضيح تصور تروبتسكوى بالتفصيل:

«الفونولوجيا» هى علم الفونيمات، وهى تقابل علم الأصوات بوصفه علماً لدراسة الأصوات. ويمكن أن يبحث الصوت وفق وجهات نظر ثلاث: من وجهة نظر المتكلم (الجانب الفسيولوجى ــ النطقى)، من وجهة نظر السامع (الجانب السمعى)، ومن جهة وظيفته.

ويعد كلا الجانبين الأولين من مجال مهام علم الأصوات[١٣]. وفى إطار الجانب الثالث تعالج مسألة فيما يستخدم الصوت، أى السؤال عن وظيفته فى النظام اللغوى (انظر ما سبق). وتكمن الوظيفة أولاً فى بناء مركبات صوتية أكبر، وثانياً فى تفريق تلك المركبات الصوتية بعضها عن بعض، وذلك بالنظر إلى معناها.

---

(١٣) جعل تروبتسكوى علم الأصوات النطقى الأساس، وقد شهد علم الأصوات السمعى المرتبط بأدوات فيزيائية لرسم الأصوات وإنتاجها ازدهاراً بدءاً من الأربعينيات.

وهكذا فمنطلق الفونولوجيا هو الأصوات اللغوية المحددة التى يعالجها علم الأصوات، **فهى** تتبع إذا تحدثنا بمفاهيم سوسير، ***الكلام*** parole. وحتى يتوصل إلى النظام اللغوى، ***اللغة المعينة*** langue يجب أن يُجَرَّد من المعطيات المحددة، والفردية والعارضة للفعل الكلامى المفرد، البنية المجردة المتحصلة، قسمٌ من أصوات محددة، هو الفونيم Phonem. ويرى بتروبتسكوى العلاقة بين الفونولوجيا وعلم الأصوات تبعاً لمقارنة ياكوبسون على النحو التالى:

إن شأن الفونولوجيا مع علم الأصوات شأن الاقتصاد الوطنى مع علم السلع أو شأن الاقتصاد المالى مع علم النُّميات. (١٩٨٩، ١٤)

أو تُلاحظ، فى موضع آخر، فى علاقة لغوية:

/ أما عن الفونولوجيا فيجب أن يستخدم بداهةً مفاهيم صوتية محددة، ٨٥
وهكذا فإن القول مثلاً بأن التقابل بين الأصوات الانفجارية المجهورة والمهموسة فى الروسية يستخدم للتفريق الدلالى، يتبع مجال الفونولوجيا، أما المفاهيم «مجهور»، و«مهموس» و«أصوات انفجارية» فهى أساساً صوتية. [...] إذ يجب أن يُتخذ التسجيل الصوتى فى اللغة المعينة منطلقاً ومادةً. وهكذا يتبين أن عدداً من أصوات معينة مجتمعة تقتضى تفريقاً دلالياً، وأن الأصوات إذا ما نظر إلى وظيفتها تشكل إذن أقساماً ــ هى الفونيمات. ولكن حتى إن لم يُقدم الوصف الفيزيائى المحدد[١٤] فقد ظل لدى تروبتسكوى وعلم لغة البراغيين بوجه عام فى مجال النظر دائماً أن الفونيم يجب أن يُربط بحامل صوتى، أى تُلْحق بالشكل اللغوى مادةٌ خارج النظام اللغوى.

وينبغى الآن أن تسرد أهم أفكار تروبتسكوى النظرية حول الفونيم والنظام الفونيمى فى صورة فرضيات.

١ ــ تشترك الوقائع الصوتية فى الوظائف الثلاثة الأساسية للغة: العرض ــ التعبير ــ الاستدعاء. يكتب تروبتسكوى:

---

(١٤) يمكن ألا يُقَدَّم ذلك ــ بسبب بناء البدائل، انظر ما يلى ــ بوضوح فى الغالب.

حين نســمع شخصــاً ما يقرأ فـإننا نسمع مَنْ يتكلم، وفى أى نغـمة يتكلم وماذا يقول. إنه لا يوجد فى الحـقيقة إلا انطباع سمعـى مفرد، إلا أننا نُجزّئه إلى مكوناته وذلك من جـوانب وظائف بولر الـثلاث للغـة دائمـاً: خـواص محـددة للصوت المدرك نفـهمها على أنهـا إخبار (= التعـبير لدى بولر)، بوصفـها ظاهرة للمتكلم (ارتفـاع طبقة الصوت مـثلاً)، وخواص محـددة أخرى بوصفهـا وسائل لإثارة أحاسيس مـعينة لدى السامع، وأخيراً خـواصٌ أخرى أيضاً بوصفهـا سمات تعرف بها المفردات بدلالة معينة والجمل التى تتكون منها. (١٩٨٩، ١٨).

وبالنسبة للفونولوجـيا بوصفها جزءاً من النظام اللغوى تعـد وظيفة العرض هى الوظيفـة الحاسمة. ويجب أيضـاً حسب تروبتسكوى أن ينص على الوظيـفتين الأخريين فى النظام اللغوى، إلا أنه ما يزال لا يعرف عنهما إلا القليل. ففى بادى الأمر عالج التعبير والإثارة ما يسمى «الأسلوبية الصوتية Lautstilistik»:

فوظيفة التعبير Ausdrucksfunktion تدل على خصـائص صوتية، تشير مـثلاً إلى فروق إقليـمية وعُمرية وجـنسية، ***ووظيفة «الاستدعاء*** الإثارة Appellfunktion تثيـر عواطف لدى السامع، مـثل أشكال مطل الحركة كـما فى "schöööön".

٢ ــ الوظائف المميـزة للصـوت التى تشكل أيضـاً الأساس لأداء وظيفـة العرض فى اللغة هى:

٨٦ / فارقة (فارقة للمعنى)

محددة (معينة للحد، واضعة إشارات الحدود)

مميزة للقمة (مشكلة للقمة، واضعة نغمات رئيسة).

وبالنسبة لوظيفـة العرض تعد الوظيفة الصوتية الفارقـة هى الحاسمة، وكلتا الوظيفـتين الأخريين يمكـن أن يطمسا عند الكلام المسـتمر، أمـا الوظيفة الفـارقة فيجب أن تؤدى.

٣ ــ تتركب الأصوات من خواص سمعية ــ نطقية؛ بعضها «وثيق الصلة»، يفى بالوظيفة الفارقة. وكما استشـهد فيما سبق (تروبتسكوى ١٩٨٩، ١٧) مفهوم

«مجهور» ومفهوم «مهموس» ابتداءً مفهومان صوتيان. ولكن إذا كان ذلك فى لغة ما ذا صلة بالتفريق الدلالى، سواء أنطق صوت ما مجهوراً أم مهموساً فإن تلك الوظيفة الصوتية استخدمت فارقة، وصارت خاصية الإسهام الصوتى **سمة وثيقة *الصلة فونولوجياً*** فى هذه اللغة. ففى الصوت تظهر سمات وثيقة الصلة فونولوجياً، وسمات منفكة الصلة فونولوجياً فى الوقت نفسه (ففى مثال ich - ach - Akte (أنا ــ أخْ ــ أفعال)): موضع بناء الضيق (Enge) منفك الصلة، إذ إن ich - ach = فونيم واحد[*]، أما الضيق فى مقابل الانفجار فوثيق الصلة فونيمياً، إذ إن ch : k = فونيمان). الفونيم إذن:

هو مجموع خواص تكوين صوتى وثيقة الصلة فونولوجياً. (١٩٨٩، ٣٥)

بهذه الفرضية تقدم تروبتسكوى خطوة متجاوزاً تكوين وحدة «الفونيم»، فقد جزأ الفونيم الذى كان قد حدده ابتداء بأنه : وحدة فونولوجية لا تجزأ من ناحية اللغة المعينة إلى وحدات فونولوجية متتابعة أقصر. أو أنه ــ بعبارة أخرى ــ أصغر وحدة أفقية فى النظام اللغوى تستخدم للتفريق الدلالى. وإذا قُسِّم الفونيم إلى وحدات أصغر فإن السمات الفارقة، التى تُرَتْب مع ذلك ليس بشكل أفقى فى مقابل الوحدة الأفقية الممكن تجزئتها «الفونيم»، تنتج تبعاً لذلك بشكل متزامن.

٤ ــ يشير المثال الذى أوردناه فى ٣ ــ (ich - ach - akte) إلى مفهوم جديد، هو «البديل». ويفهم تحت ***بدائل فونيمية*** Phonemvarianten تغيرات منظمة داخل فونيم ما. وتتبع البدائل الفونيمية أيضاً النظام اللغوى الذى تستقر فيه الفونيمات والبدائل أيضاً. وفى المقابل تتحقق بشكل مادى الأصوات الملحقة دائماً. البدائل نتيجة لذلك أيضاً أقسام، وهى فى الواقع بوصفها قسماً أيضاً لا تستعمل

(*) يقصد أن التفريق بين *ich* (إشْ) و *ach* (اخْ) [ch نطقت مرققة تارة مثل الشين، وتارة أخرى مفخمة مثل الخاء] غير مؤثر فونيمياً، إذ إن التفخيم والترقيق غير مؤثرين فونيمياً. اما ch فيفترق فونيمياً عن k.

استعمالاً فارقاً، فهى ليست فونيمات. ولعل المثال يوضح ذلك ففى كلمتى Dich - Dach (ك «ضمير الخطاب» ـ سقف): يجب أن يتحقق الصوت ـ ch فى الألمانية وفق قواعد ثابتة منطوقاً ـ ich (اشْ) فى مقابل ـ ach (أخْ)، وفى كل **٨٧** حالات استعماله لا يؤدى تبادل بين البديلين إلى تفريق دلالى، بل إلى شكل لغوى خاطىء/ بخرق قاعدة فونولوجية. كلاهما يعد بديلين لفونيم واحد. ويطلق تروبتسكوى على هذا النمط بدائل متوافقة kombinatorische Varianten، إذ يحدد المحيط ـ فى هذا المثال الحركة المتقدمة ـ الاختيار. غير أن الدرج لا يؤدى أى دور مع البدائل الحرة، إذ لا يتحقق كذلك تفريق دلالى، مثال ذلك فى الألمانية: - r اللسانية و - r اللهوية(١٥).

٥ ـ ذُكِر من قبل أن الفونيمات يمكن أن تُعْرَض فى مخططات متناسقة، والنظام الفونيمى للغة ما هو مجموعة تلك المخططات أى أنه نظام مرتب، وليس مجرد جمع لفونيمات مفردة. أما مبدأ النظام فهو ***التقابلات*** Oppositionen: تقابلات الفونيمات حسب عدد السمات الفونولوجية المشتركة وكيفها.

ويفرق تروبتسكوى فى الباب الثالث ـ «تقسيم منطقى للتقابلات الفارقة» ـ بين تقابلات أحادية البعد وتقابلات متعددة البعد، وكذلك بين تقابلات دالة على السلب وتدريجية وترادفية. ويعنى ***أحادى البعد*** أن السمة المقارنة خاصة بفونيمين فقط (مثال ذلك «أسنانى» فى الألمانية بالنسبة لـ t و d)، ولا توجد فى الألمانية أية أصوات أسنانية أخرى)؛ والمتعددة البعد هى التقابلات التى تعزى فيها السمة المقارنة إلى أكثر من فونيمين (مثال ذلك «انفجارى» فى الألمانية متوافقة مع «مجهور» أو مهموس بالنسبة لـ b - d - g أو p - t - k: كل منها بالترتيب شفوى، وأسنانى، وطبقى). ولا يكون ***الدال على السلب*** Privativ تقابلاً إلا حين توجد

(١٥) للـ r المعنية بداهةً وظيفة خارج النظام اللغوى، وهى بالنسبة لوظيفة التعبير: تحدد فروقاً إقليمية.

السمة أو لا توجد (مثال ذلك: مجهور: مهموس)؛ واشتقت من هذا النمط الثنائية المفهومية ذو سمة (= مُعَلَمَ): بلا سمة(*). أما ***التدريجية*** Graduell فهى التقابلات التى تظهر فيها درجات مختلفة للخاصية ذاتها (مثال ذلك: طبقات ارتفاع النغمة، ودرجة انفتاح الحركات). وأما ***الترادفية*** Äquiollent(**) فهى عناصر متكافئة منطقياً لتقابل ما (مثال ذلك: f - k و p - t)؛ لا تصير العلاقة هنا واضحة إلا عبر عدة خطوات بينية ـ فالتقابلات الترادفية تربط الفونيمات متجاوزة الأنظمة الجزئية، وتحافظ على التماسك مع نظام فونولوجى على وجه الإجمال.

٦ ـ أهم نمط هو التقابلات الأحادية البعد الدالة على السلب: سمة واحدة تُثبت فى فونيمين فقط، وهى إما موجودة أو غائبة. وألحق بهذا النمط المصطلح الخاص ***التلازم*** Korrelation. وسمة التلازم مثل كل خاصية مستخدمة فى الفونولوجيا ذات أصل صوتى، غير أنها يجب أن تكون وثيقة الصلة فونولوجيا. والتلازمات النمطية هى تلازم الاشتراك فى الصوت (مع الصوامت) وتلازم الكيفية (مع الحركات).

٧ ـ يمكن أن تلغى تقابلات فارقة معينة وتُحيَّد، ولا يسرى ذلك على
التقابلات الأحادية البعد، لأن إلغاء تناقض فى سمة ما/ لا يكون ممكناً إلا مع ٨٨
فونيمين مشتركين. ونتيجة ***التحييد*** (Neutralistion)(***) ليس فونيماً، بل عمل لم ينجز Torso، مجموع الخواص وثيقة الصلة التى ما تزال بعد تحييد سمة

(*) يقصد بذلك المصطلحين merkmalhaft: merkmallos.

(**) يعنى ذلك المصطلح: مفاهيم أو أحكام أو مفردات لها معنى واحد، ولكنها تصاغ بشكل مختلف، أى مختلفة الصياغة متفقة المعنى وأقرب مصطلح لترجمتها هو مترادفة أو ترادفية، وكذلك يعنى مصطلح : Aquipollenz معنى منطقى مماثل لمفاهيم أو أحكام مختلفة الصياغة. (المترجم)

(***) يتحدث عن التحييد حين يُفقد الفرقُ بين فونيمين قيمته التمييزية. ولقد اكتشف بودوان ظاهرة التحييد الفونولوجى للأصوات الإغلاقية المصوتة فى آخر الكلمات الروسية، غير أنه لم يستطع عزل الشروط المورفولوجية البحتة. (المترجم)

ما تجمع بين فونيمين مشتركين وقد أطلق تروبتسكوى على هذه النتيجة الفونيم الأولّى (الرئيس) Archiphonem(*). وعادة ما يتحقق الفونيم الأولّى من خلال عنصر بلا سمة للتقابل (مثال ذلك: فى الألمانية تحييد تلازم الاشتراك الصوتى فى نهاية الكلمة: فكل الصوامت المجهورة تصير مهموسة).

٨ ـ كان العمل بالتلازمات قد أُرسى إلى حد أنه صار نقله إلى المورفولوجيا ممكناً. ولم يكن تحقيق ذلك فى إمكان تروبتسكوى، غير أنه فى تحليلات ياكوبسون المورفولوجية تقوم التلازمات بدور جوهرى.

خطط تروبتسكوى للمورفونولوجيا فى نقطة التقاطع بين الفونولوجيا والمورفولوجيا. سوف تُتناول فى ٤ـ٤ـ٢. وفى المقدمة ـ غير الموقعة ـ لكتابه «أسس الفونولوجيا» أشير إلى الخواص التى تظهر فى نشرة بعد وفاته. وفى الواقع يتعلق الأمر ـ على نحو مغاير للحال مع «دروس فى الألسنية العامة» لفردينان دى سوسير ـ بنصوص أصيلة لتروبتسكوى، إلا أن كتابه بقى كما هو غير مكتمل بعد وفاته. ولذا تغيب أجزاء كان ينوى تناولها فى الكتاب، من بينها المورفونولوجيا، والفونولوجيا التاريخية والفونولوجيا الجغرافيا والعلاقات بين النظام الفونولوجى للغة ما وأدائه من خلال الكتابة. وتوجد له بحوث فى المورفونولوجيا كان يمكنه أن يبنى عليها المباحث التى كان ينويها فى «الأسس» (قارن ٤ـ٤ـ٢). ويوجد

(*) يعنى ذلك المصطلح مجموع السمات الفارقة التى يشترك فيها فونيمان أو عدة فونيمات. والفونيمات لا ينظر إليها على أنها كلها أعضاء فى طائفة واحدة غير مختلفة من الوحدات المتباينة فى لغة معينة، ولكنها تدخل فى أنظمة مختلفة من العلاقات فى المواقع المختلفة، فالفونيمات /p/ /t/ و/ d/ و/k/ و/g/ و تتباين بوصفها مهموسة ومجهورة فى مواقع البداية والوسط والنهاية فى الكلمات الانجليزية. ويحيد التقابل بين الجهر والهمس فى الألمانية فى الموقع الأخير من الكلمة حيث لا يوجد إلا الانفجاريات المهموسة فى طائفة الأصوات الانفجارية. وقد تم التعبير عن هذا التحليل الأكثر تطوراً فى التقابل الفونلوجى بوضع مصطلح الفونيم الرئيسى Archiphoneme الذى يُكوِّن فقط الملامح التى تظل مميزة فى هذه المواقع من التحييد neutralization (أى الشفهية [أو اللثوية أو الطبقية] والانفجار) الموجز ٣٢٦. (المترجم)

تعمـيق للفونولوجـيا التاريـخية، بقلم رومـان ياكوبسـون (مثل TCLP II، قارن ٤ـ٥ـ١) الذى كان قـد تعاون مع تروبتـسكوى تعاوناً وثيـقاً للغاية فى الـتخطيط للفونولوجيـا كعلم إلى حد أن المرء يجد أحياناً وهـو يناقش المسألة مشكلةً، وهى لأى من الاثنين يرجع «حق التأليف» الفعلى.

٤ـ٢ـ٢ المورفونولوجيا

نشر تروبتسكوى بين ١٩٢٩ و١٩٣٤ ثلاثة بحوث فى هذا الموضوع ــ وهى «حول المـورفونولوجـيا sur la morphonologie فى $TCLP_1$(*)، وأفكار حول المورفونولوجـيا Gedanken über Morphonologie فى $TCLP_4$ وتطبيق "Das morphonologische System der russischen Sprache" فى TCLP5. ولما كان هـذا الوضع النظرى لهذا المسـتوى بالغ الأهمـية للنظام الـلغوى فقـد لزم أن يخصص له مبحث خاص.

من المعروف منذ القـدم ، وبخاصة للوصف الهندى بل والعـربى للنحو أن الأصوات يمكن أن تعـتورها عند ربطها فى مـركبات صـوتية تغيرات. وقـد قبل الإرث النحوى الأوربى ذلك بالنسـبة لإعادة اللغـة الأصل الهندوأوربية، والمراحل المبكرة/ للتطور اللغـوى الهندوأوربى (ولذا نشأ نظام تبـديل الحركـة ونظرية الجذر واللاحقة)، ولكنه بالنسبة للغات المستشهـد بها وبخاصة اللغات الحالية فقد تجوهل الالتزام بنظام لتلك التغـيرات الصوتية. وقد انطلق علم اللغـة البنيوى الكلاسيكى من نموذج ذى مستـويات مستقلة. وعلى العكس من ذلك عـرف لغويو حلقة براغ الضرورة «الحتمية» ومراعاة الانـتقالات أيضاً. ويكمن فضل تروبتسكوى فى أنه قد وُضع فى الاعـتبـار عند تخطيط الفـونولوجـيا عنصـر ربط بين الفـونولوجـيا والمورفولوجيا، أُطلق عليه «مورفو ــ فونولوجيا» أو «مورفونولوجيا». ٨٩

وكما ذكـر من قبل تحت ٤ـ٤ـ١ كان ينبـغى أن يصير هذا المسـتوى البينى جزءاً من «الأسس» أيضاً، وهو مع ذلك ما لم يحدث لوفاته المبكرة.

(*) أشرت من قبل أن الاختصار يعنى «مجلة أعمال حلقة براغ لعلم اللغة». (المترجم)

ويجب بادى الأمر أن يفهم تحت ***مورفولوجيا*** Morphonologie(*) بوجه عام بحث الإفادة المورفولوجية من الوسائل الفونولوجية فى لغة ما. ولذلك فهو قبل أى شىء جانب وظيفة الوسائل اللغوية الذى لفت انتباه تروبتسكوى إلى هذا المجال.

وتتكون المورفونولوجيا حسب تصوراته من ثلاثة أجزاء:

أ) علم البنية الفونولوجية للمورفيمات.

هذا الجزء إجبارى لكل اللغات سواء ألديها مورفولوجيا أم لا. ففى كل اللغات توجد قواعد لإمكانات ضم الفونيمات إلى مركبات فونيمية. مثال ذلك: حزمة الصوامت الجائزة أو غير الجائزة فى الصوت الأول Anlaut.

ب) علم التغيرات الصوتية التوافقية التى تصيب المورفيمات فى الارتباطات المورفيمية.

هذا الجزء معروف من الوصف النحوى الهندى تحت مصطلح "Sandhi"(**). ويفرق بين ***«ساندهى خارجى»*** عند حد المورفيم وداخل كلمة ما، و ***«ساندهى خارجى»*** عند حد الكلمة. ولا يظهر الساندهى الداخلى إلا فى لغات لها صرف، وهو مورفولوجيا التصريف و/ أو مورفولوجيا الاشتقاق. مثال الساندهى الخارجى Liaison (عشق) فى اللغة الفرنسية، ومثال الساندهى

(*) يرجع الفضل فى ذلك إلى بودوان دى كورتينى، إذ يقول مونان ص٣٤: وربما قادنا هذا السبب إلى أن يحمل بودون مسؤولية تعرض الفونولوجيا لصعوبات لا تنتهى بسبب ابتداع تروبتسكوى للمورفونولوجيا، التى يعرفها بأنها «دراسة الوسائل الفونولوجية للغة ما فى مورفولوجيا هذه اللغة. (المترجم)

(**) يعنى هذا المصطلح دراسة الفروق الفونولوجية والصوتية بين الكلمات والمورفيمات حين تنطق معزولة، وبينها حين تنطق فى جمل منطوقة متصلة أى حين تضم فى سياقات متتابعة. (المترجم)

الداخلى: تبادل الصوامت فى الروسية كما فى ruk - a : ruč - n - oj (كلب: كلبى) (اشتقاق صفة من الاسم «كلب»).

(جـ) علم سلاسل التبديل الصوتى التى تؤدى وظيفة مورفولوجية. ليست سلاسل التبديل الصوتى ذات الوظيفة المورفولوجية كذلك ممكنة إلا فى لغات لها صرف. ويمكن أن تكون من جهة أخرى مورفولوجيا المجال الاسمى أو المجال الفعلى. ويمكن أن تكون من جهة مورفولوجيا التصريف أو الاشتقاق. مثال ذلك: تغير الحركة وسيلة لبناء الجمع فى الألمانية: Vogel - Vögel (طائر ــ طيور).

٩٠ / وقد عرف تروبتسكوى ***المورفونيم*** «الوحدة الصرفية الصوتية المجردة» Morphonem بأنه وحدة المستوى المورفونولوجى: المورفونيم هو مجموع الفونيمات المشتركة فى التبديل المَعنى، الذى يعد وحدة مورفونولوجية [مجردة «المؤلفة»]. (١٩٣٤، ٢٩).

وهو يظهر تارة فى شكل وتارة فى شكل آخر. ويجب حول الوضع النظرى للمورفونيم والمورفونولوجيا أن يسجل بشكل مكمل مايلى:

١ ــ تجاوز تروبتسكوى إلى حد بعيد بهذا المفهوم زمنه ــ البنيوى الكلاسيكى الذى شكله ف. دى سوسير. فقد كانت الإجراءات للتحليلات اللغوية لدى خلف دى سوسير هى التجزئة والتصنيف.

ومع ذلك فالعلاقات، على نحو ما عولجت فى الجزئين (ب) و(جـ) من المورفونولوجيا، لا تقرأ من النص المعين، بل لا تعرف إلا فى علاقات بين النصوص.

٢ ــ ينتج عن (أ) أنه لا يمكن حقيقة أن تتكون مطلقاً وحدة «المورفيم» مع التجزئة التصنيفية، على الأقل ليس فى لغات ذات وسائل مورفونولوجية، إذ لا توجد دائماً إلا بدائل مورفيمية (قارن Vogel - Vögel)، ويفتقر إلى الأساس النظرى الذى يستنتج من البدائل المورفيمية الوحدة المجردة، المورفيم. كان ذلك قد

قـدم مع مورفـونولوجيـا تروبتـسكوى؛ فعلى سـبيل المثـال "RAD" هى الكتابة المورفونولوجية للبديلين المورفيمين فى /rat/ فى "Rad" و /rad/ فى "Rades" ، بل ولـ /rät/ فى "Rädchen" و /räd/ فى "Räder" أيضاً(١٦)(*).

٣ ـ هذا ولأن المورفونولوجيا تطلبت حقيقة فـهماً آخر للنظرية غير ما كان لدى علم اللغة البنيوى الكلاسيكى، فـقد ظلت بادى الأمر دون صدى. وبدءاً من الخمسينيات أعـيد تبنيها. وتتجلى فى ذلك خصوصية أخـرى لتفكير تروبتسكوى: فعند القراءة المتأنية للنصوص ـ بل للتفسير المقدم هنا أيضاً ـ يتضح أن الفونيمات تتبادل بعـضها مع بعض، وليست بدائل لفونيم واحـد. مثال ذلك: /t/ و /d/ فى الأمثلة الواردة تحت ٢، كـل منهما فـونيم فى اللغة الألمانيـة. وكذلك: يمكن أن تتبادل أيضـاً أصوات، لا يكون لأحدها، ومن المحتمل للاثنـين أيضاً، وضعُ الفونيم فى هذه اللغة، وهكذا لا تكون أيـضاً بدائل لفونيم، بل إنهـا ليست فى الحقيـقة إلا أصوات محددة. وهذه هى الحال فى الروسية، حين يتبادل مثلاً فى: teč' by : teč' (يجرى: يجرى + صيغة احتمال) الفونيم / č / مع صوت دون وضع فونيمى فى الروسيـة، يُنطق تقريبـاً كما يـنطق الصوت الأول فى الكلمـة الإنجليزية "John" مع 91 تحنيك إضافى. وإذا مـا أريد الآن شرح الحالتـين: الحالة مع/ وضع الفـونيم والحالة دون وضع الفـونيم بنهج نظرى واحد فـإنه يجب أن يُتـخلى عن وحدة «الفـونيم»، ويعـمل من البداية بوحـدة «المورفـونيم». وفى الحقـيقـة لم يُدرك تروبتـسكوى هذه النتيجة، أو على الأقل لم يَصُغها، فهى لم تستخلص إلا فى الخمسينيات.

٤-٤-٣ مجالات بحثية أخرى

فى هذا المبحث يشـار كذلك إلى مجال مهم من ناحـية تاريخ النظرية على نحـو خـاص ـ أفكـار تروبتـسكوى حـول تعـمـيق مـفـهـوم «الرباط اللغـوى "Sprachbund" الذى أدخله بودوان. فمـقالة «أفكار حول مشكلة الهنـدوجرمان

---

(١٦) تستخدم هنا عمليات مورفونولوجية خاصة بالتصريف والاشتقاق مشتركة معاً دون نقد.

(*) تعنى Rad عجلة وRades فى حالة الإضافة وRäder جمعها وRädchen تصغير لهـا. وتنتقد المؤلفة الجمع بين حالة التصريف Rades وحالة الاشتقاق Rädchen. (المترجم)

"Gedanken über das Indogermanenproblem" (١٩٣٩)[١٧] تنضم إلى النقاش حول الهندوجرمان الذى كان خارج علم اللغوى البنيوى موضوعاً محورياً لعلماء اللغة فى الثلاثينيات. بدأ تروبتسكوى مقالته بإشارة؛ وهى أننا بوصفنا لغويين لا نستطيع دائماً إلا الحديث عن اللغة (اللغات) الهندوأوربية، ليس مثلاً أن نصنف الهندوجرمان على أنهم صانعو فخار وأطر فخارية للأبنية (على نحو ما حُوول آنذاك أيضاً). محورىٌ إذن مناقشة مفهوم «الأسرة اللغوية الهندوأوربية». وقد صيغت فرضية تروبتسكوى صياغة بنيوية: يمكن للغة ما أن تكتسب أو تفقد تبعية لهذه الأسرة، ثم يجب أن يلاحظ بالنسبة لهذه التبعية ما يلى:

* يجب أن توجد «تطابقات مادية».

* مع ذلك يظل مطروحاً، كم من تلك التطابقات يعد ضرورياً.

* لا تتبع المفردات الأكثر شيوعياً فى الاستعمال قواعد التطور اللغوى غالباً، وهى لذلك لا تستخدم وسائلَ إثبات.

وأما الأكثر أهمية فهو:

توجد ٦ سمات تركيبية تحدد معاً التبعية للأسرة اللغوية الهندوأوربية؛ الأولى والثانية وحتى الخامسة سمات مطابقة ما تزال لا تكفل للغة المعنية أى مكان فى هذه الأسرة، ومع ذلك يتيح اكتساب سمة أو سمات ما تزال غائبة أن تصير هندوأوربية[١٨]. إن الأمر يتعلق بالسمات التركيبية التالية:

١ ــ غياب الانسجام الحركى.

٢ ــ وجود تبادلات بين الصوامت ذات وظيفة مورفونولوجية.

٣ ــ بناء الكلمة من خلال اللواصق والتصريف الداخلى.

---

(١٧) فى الأصل محاضرة أمام حلقة لغويى براغ فى ديسمبر ١٩٣٦.

(١٨) يجب فى الحقيقة أن ترجد أيضاً التطابقات المادية السالفة الذكر فى الثروة اللغوية والنحو. (المترجم)

٩٢ / ٤ـ استعمال الصوامت فى موضع الصوت الأول ليس أفقر من استعمالها فى موضع الصوت الأوسط والأخير.

٥ ـ لا يجب أن تبدأ الكلمة بالجذر، أى أنه **توجد** سوابق.

٦ ـ يعامل فاعل فعل متعد معاملة فعل لازم.

ينبغى هنا أن نتحاشى تفسير هذه السمات. المهم هو الفكرة ذاتها: إن تطور اللغات الهندوأوربية ليس فعلاً لا نظير له، بل هو حركة مستمرة. (١٩٣٩أ، ٨٧).

لا يتحقق اكتساب السمات أو فقدها بالوراثة، بل يتجاور إقليمى للمرحلة الوسطى «للرباط اللغوى». وهكذا فإنه حسب تروبتسكوى فقد أفضى الطريق عبر ***الرباط اللغوى*** ـ بشكل محتمل! ـ إلى الأسرة اللغوية، البقرة المقدسة لعلم اللغة التاريخى ـ المقارن. على هذا النحووضع التصنيف إلى أسر لغوية موضع ريبة.

تلك المقالة كانت عمل تروبتسكوى الأول الذى نُشر فى الاتحاد السوفيتى، كما ذُكر من قبل فى ٤ـ٤. وتضاف إلى ذلك ملحوظة هامشية: ففى سنة ١٩٥٨ ذاتها شطبت إدارة تحرير مجلة «قضايا علم اللغة» هامش تروبتسكوى رقم ٢، مع ذكر ملحوظة أنه لا دخل له بالموضوع، ولكنه فى الحقيقة، ليس كذلك لأنه اتخذ فيه موقفاً ضد التصور شبه العلمى للماركسى الفج ن. ج. مار N. Ja. Marr(*)،

(*) طور من خلال بحث تاريخ اللغات القوقازية بالتدريج نظريته (أونظرياته) عن التاريخ اللغوى. وقد استمد أفكاره ـ معارضاً النظرة الهندوأوربية المقبولة ـ من معتقدات القرن الثامن عشر عن الأصل الإشارى للغة، ومن الرأى الخاص بمنتصف القرن التاسع عشر عن التنميط اللغوى بوصفه تعبيراً عن مراحل التطور اللغوى المتوالى. فاللغات الجافتية "Japhetic"، وهو مصطلح استعمله ليغطى به لغات القوقاز، تمثل مرحلة من تطور اللغة تجاوزتها بالفعل بعض اللغات. واللغات كانت مترابطة تاريخياً، ليس فى صورة أسر لغوية، ولكن عن طريق «طبقات» تطورية مختلفة للتركيب مترسبة من الامتزاج والتجميع. واللغات ليست ظواهر قومية، ولكنها ظواهر طبقية، وهى جزء من البنية الفوقية التى تتوافق تغيراتها مع التغيرات فى القاعدة الاقتصادية فى النظام الاجتماعى للمتكلمين، وهو هنا يدعى المصاهرة النظرية للمارية والماركسية. الموجز ص ٣٣١.

(المترجم)

الذى كان له من خلال المذهب الستالينى تأثير عظيم ومنكر داخل علم اللغة فى الاتحاد السوڤيتى.

٤ــ٥ رومان أو. ياكوبسون

رومان أوسيبوڤيتش ياكوبسون (١٨٩٦ ــ ١٩٨٢) من أهم لغويى هذا القرن وأكثرهم تعدداً فى المشارب. وفيما يلى تعرض بحوثه فى الفونولوجيا والمورفولوجيا وعلم الدلالة والشعرية وعلم العلامات، كما تذكر فى المبحث الأخير «مجالات بحثية أخرى» (٤ــ٥ــ٥) بوجه خاص أعماله المتداخلة الاختصاصات. ومع ذلك لا يستطيع المرء أن يقوم أعماله تقويماً تاماً إلا حين يرتبها فى إطار السياق الخاص بظروف حياته.

تربى رومان ياكوبسون فى أسرة من موسكو من الفنانين والعلماء، ودرس الدراسات السلافية، وأظهر عند ذلك منذ شبابه ميلاً شديداً إلى الفن وبخاصة إلى الأدب ونظرية الأدب. وقد ألف هو نفسه قصائد، وكان صديقاً لشعراء مثل ڤليمير خلبنيخوف Velimir Chlebnikov وفلاديمير ماياكوفسكى Vladimir Majakowski. وفى ١٩١٥/١٩١٦ شارك فى تأسيس حلقة لغويى موسكو، وكان رئيسها حتى ١٩٢٠(*)، ثم دعت الحرب والرقابة إلى أن تضم فى حلقة أكاديمية العلوم، غير أن اللغويين الشبان والشعراء قد دخلوا ــ بعبارة ياكوبسون ــ
فى ذلك الزمن المضطرب للكوراث وفى مواجهة/ مناقشات فنية مثمرة، ليس ٩٣
بهدف إضافة المزيد إلى مئات الأمثلة فى القوانين الصوتية، بل بهدف الاشتغال باللغة الحية. وتأسست سنة ١٩١٦ فى بطرسبورج اعتماداً على حلقة موسكو «جمعية بحث اللغة الشعرية Gesellschaft zur Erforschung der poetischen Sprache» (OPOJAZ) مع أوسيب بريك والاختين ليلى واليزا

(*) يذكر أن الحلقة اللغوية لموسكو قد تأسست عام ١٩١٤، وكان له ١٨ عاماً آنذاك، وذلك نتيجة لجهوده. وقد أكد مراراً ميله الشديد إلى الشعر مؤلفاً له أو محللاً، فقد انضم منذ فترة مبكرة من شبابه إلى حركة ثقافية واسعة، عرفت بالمدرسة الشكلية الروسية، مما أدى إلى توثيق صلاته مع عدد كبير من أشهر الشعراء الروس، مثل خلبنيخوف وماياكوفسكى. (المترجم)

تريولت فى الصدارة. وقـد شـارك يـاكوبسون هنـا أيـضاً مـرشـداً، وكـانـت كلتا الجماعتين مركزاً للشكلية الروسية.

بيد أن ياكـوبسـون كانت له آنذاك أيضـاً اهتمامـات لغوية أخرى، واشـتغل ضمن ما اشتغل ببحوث بودوان وسوسير.

وفى سنة ١٩٢٠ حضر ياكوبسون إلى براغ، وبدءاً من سنة ١٩٣٣ دَرَّس فى الجامعة فى برنو Brno / Brünn. وفى نهاية العشـرينيات انضم مع لغويين روس وتشيك آخرين (وشـاركه أيضاً ألمان مثل ك. بولر وب. بيكر) فى جمـاعة لغويى براغ (قارن ٤ ــ ١) وفى المباحث التالية تُتناول بحوثه اللغوية تناولاً أكثر دقة.

وفى البداية إليـك محطات أخرى فى حـياته فى إيجـاز ضرورى: فى سنة ١٩٣٩ هرب من الاحـتـلال الألمانى من تشـيكولوفـاكـيـا فى البـداية إلى الدول الاسكندنافـية، وبعد مـحاضـرات كأسـتاذ زائر فى كوبـنهاجن عمل فـى أوبسالا Uppsala حـتى رحل سنة ١٩٤١ إلى الولايات المتـحـدة الأمـريكيـة. وفى سنة ١٩٤٥ كان من المشاركين فى تأسيس حلقة لغويى نيويورك، وصارت مجلة نشرهم مجلة "Word" الكلمة ــ كانت تلك الحلقة بعد حلقـة موسكو وحلقة بطرسبورج وحلقة براغ حلقـة اللغويين الرابعة. التى شـارك العمل فيـها فى موقع متـصدر. دَرَّس فى جامعة هارفارد ومعهـد ماساشوتس للتكنولوجيا (MIT)، وألقى كأستاذ زائر محاضرات فى جامعات أخرى كثيرة فى الولايات المتحدة الأمريكية. ويدين له علم اللغة الأمـريكى إلى جانب كل الأشـياء الأخرى بفـضل نقل المعرفـة اللغوية الأوربية أيضاً. وتضم كل «موضوعاته الأثيرة»[١٩]، كما أسماها هو، مرة أخرى كل بحوثه الخاصة فى فترة الولايات المحدة الأمريكية» ويضاف إلى ذلك اهتمامات قوية متـداخلة الاختصاصـات، وبدهى أنه قد تعاون مع علماء الأحـياء والجينات والسبرانية وغير ذلك. وفى سنة ١٩٨٢ توفى رومان ياكوبسون[*].

(١٩) اتخذ عنواناً لمقالة وصف لنفسه «ذاتى» فى المجلد الجامع "On Language".

(*) توفى ياكوبسـون فى أثناء دراستى للدكـتوراه فى ألمانيا، وقـد كُلِّفْتُ آنذاك بعمل بحث صغـير عن جهوده فى اللغة، وعرضه أمام طلاب الدراسات العليا فى قسم الدراسات الجرمانية، وقمت بذلك فى حدود مـعرفتى ببحوثه آنذاك. وآمل أن أجد الفرصة لتقديم ذلك البحث مطوراً وموسـعاً إلى القارىء فى وقت قريب إن شاء الله. (المترجم)

٤ ـ ٥ ـ ١ الفونولوجيا

عمل رومان ياكوبسون فى فترة براغ مع نيكولاى تروبتسكوى (قارن ٤ ـــ ٤ وبخاصة ٤ ـــ ٤ ـــ ١) على خلق الفونولوجيا، غير أنه على النقيض من الأخير قد مال من البداية إلى التعريف الثانى للفونيم الذى نظر إلى الفونيم على أنه ***مجموع سمات فارقة موجودة بشكل متزامن.*** / ولذلك فإنه فى فترة الولايات المتحدة الأمريكية اتجه بقوة إلى تحليل السمات. ولم يضع مع عالم الدراسات السلافية موريس هَل Morris Halle والمهندس جونر فَنت Gunnar Fant أساس علم الأصوات النطقى فحسب، بل ـ مستفيداً من المعامل السمعية المُحَسَّنة ـ علم
الأصوات السمعى أيضاً (قارن ياكوبسون/ هَل (١٩٥٦)). وطرح المشاركان مهمة ٩٤
الانتقال من الحقائق السمعية المباشرة إلى التسجيل الفونولوجى. وقد احتيج فى ذلك إلى السمات الفارقة التى كانت تعلل تارة من الناحية النطقية وتارة من الناحية السمعية، وبُنيت حسب مبدأ الثنائية. وقدم ياكوبسون نتيجة لذلك النموذج المعروف المكون من اثنى عشر زوجاً من العلامات الثنائية[٢٠](*)؛ الذى يشكل نموذجاً لغوياً عالمياً Universal. فالنظام الفونولوجى المعين لكل لغة هو اختيار من الثنائيات المتقابلة الاثنتى عشرة للعلامات، ولا تحتاج أى لغة أو لا تستعمل كل الثنائيات الاثنتى عشرة. وتعنى «الثنائية Binarität» أن تقابلات العلامات بُنيت بناءً دالاً على السلب (قارن ٤ ـــ ٤ ـــ ١).

بيد أن الثنائية كمبدأ والتقابل «ذو سمة: بلا سمة» كانا قد وضعا فى فترة البراغيين. وقد سريا عند نقل مناهج الوصف من مستوى إلى مستويات أخرى، بل وعند ايجاد مكافىء من جهة تاريخ اللغة للفونولوجيا أيضاً، إيجاد

---

(٢٠) مثل : ± حركة، ± مجهور، ± أنفى وغير ذلك.

(*) عنى منذ وقت مبكر بدراسة الملامح المميزة المكونة للفونيمات من وجهة النظر الاكوستيكية.. وحلل التمييزات الأصلية inherent لفونيمات اللغات كلها، إلى مجموعات مؤتلفة تصل إلى اثنى عشر تقابلاً ثنائياً من الملامح الاكوستيكية، عرفت على أساس توزيع الطاقة فى الترددات المختلفة (مكونات formants) فى موجاتها الصوتية، وليس فى علاقتها بنطقها بشكل مباشر، وفى هذا النمط من التحليل تعرض الأنظمة الفونولوجية فى مصفوفة من تقابلات الملامح، حيث تشترك الفونيمات فى أكثر من تقابل ثنائى واحد فى علاقاتها بفونيمات اللغة الأخرى. الموجز ٣٢٨، ٣٢٩. (المترجم)

الفونولوجيا التعاقبية diachrone Philologie. وخصص ياكوبسون لهذا الموضوع عملين كبيرين: "Remarques sur l'évolution phonologique du russe comparée à celle des autres langues slaves" (ملحوظات حول التطور الفونولوجى للروسية مقارناً بالتطور الفونولوجى للغات السلافية الأخرى ـ ١٩٢٩، TCLP2)، وأسس (مبادىء) الفونولوجيا التاريخية (Prinzipien der historischen Phonologie (1931, TCLP4). وتتناقض الفونولوجية التعاقبية مع فرضية سوسير، وهى أنه لا توجد فى التطور اللغوى ترابطات نظامية، ومن ثم فإنه لا يتبع اللغة (المعنية Langue). وبالنسبة لياكوبسون يسرى الأمر على نقيض ذلك:

[...] ينص الأساس الأول للفونولوجيا التاريخية على أن: كل تغير يعالج بالنظر إلى ذلك النظام الذى يجرى التغير داخله. (١٩٧٥/ ١٩٣١، ٧٩)(*).

بذل ياكوبسون **جهداً** التفسير التغيرات الصوتية، إذ يمكن العثور عليها فى رأيه فى توجه هدف التطور(٢١). فكل تغير لغوى كان بالنسبة له ـ وبالنسبة لتروبتسكوى أيضاً ـ هو واقعة مقيدة بغرض. ويمكن للتغيرات أن تنشىء توازناً أو توطده أو تعيد بناءه(**).

ويفترض للتطور الصوتى ثلاثة عوامل معينة:

(*) ينتهى مونان من تحليل قائمة أعماله إلى أن «ثلاثة أرباع أعماله كانت تهتم بالأدب والشعر وحتى عام ١٩٣٥، بينما تبدو الأعمال الخاصة بعلم اللغة والمعروفة جيداً منعزلة، وتتعدل هذه النسبة بشكل ملموس دون أن تنقلب منذ وصوله إلى أمريكا. وتظل كتبه، فى مجال علم اللغة بالذات، قليلة وصغيرة الحجم، وربما كان كتابه «ملاحظات حول التطور الفونولوجى للغة الروسية مقارناً مع تطور اللغات السلافية الأخرى، أضخم كتاب لغوى بحث صدر عنه (انظر T.C. L.P., II, 1929, 118p). (المترجم)

(٢١) قارن إيضاحات للغائية فى ٤ ـ ٢.

(**) مما يستحق الذكر ما عرض له مونان حين قال: «ويسود الانطباع (نتيجة للفهم السطحى لسوسور، كما برهن دومورو على ذلك... بأن سوسور قد استبعد كل إمكانية لتطبيق مفهوم النظام فى الدراسة التاريخية»: «بما أن التغيرات لا تمس أبداً النظام ككل، بل هذا العنصر منه أو ذاك، فلا يمكن أن ندرس هذه التغيرات إلا خارج هذا النظام...»، وكان رد ياكوبسون بأنه: «يجب أن يؤخذ مفهوم اللغة كنظام وظيفى بعين الاعتبار أيضاً فى دراسة الحالات اللغوية الماضية إذا كانت غايتها إعادة بناء هذه الحالات أو ملاحظة تطورها. ولا يمكن أن نقيم حدوداً لا يمكن تجاوزها بين الطرائق الوصفية والطرائق التاريخية، كما فعلت ذلك مدرسة جنيف... مونان، الكتاب السابق ص١٤٨، ١٤٩. (المترجم)

/ ١ ـ إجبار النظام على سلاسل متناسقة من الفونيمات، و«ملء الأماكن 95
الخالية» المرتبط بذلك: فالنظام الذى كون فونولوجيا / k / و / g / و / ch/ يوجه فى تطوره إلى الإفادة من / ɣ / أيضاً، أى لا يقع بادى الأمر فى مقابل كلا الصوتين الانفجاريين الطبقيين الموجودين (المجهور / g / والمهموس / k /) إلا صوت احتكاكى طبقى واحد (المهموس /ch /)؛ ويفتقر إلى صوت احتكاكى طبقى مجهور، يقدمه صوت / ɣ /، الذى يحقق النظام بناءً عليه استواء تطوره.

٢ ـ يُؤدى إثقال كاهل النظام الفونولوجى (أى فونيمات كثيرة جداً فى هذا النظام) إلى التبسيط، لأنه مع فونيمات كثيرة جداً لا تُكفل إمكانية تفريق سمعية كافية.

٣ ـ تعارض اتجاهين. أورد ياكوبسون اللغات السلافية مثالاً على ذلك: يوجد اتجاهان وثيقا الصلة ــ المقابلة بين **شديد ــ ولين**، أى مقابلة التحنيك Palatalitätsopposition ومقابلة درجات النغمة. فكلاهما لا يرد فى لغة واحدة، فى اللغة ذاتها. فعلى سبيل المثال لدى الروسية مقابلة التحنيك، ولكنه ليس فيها درجات النغمة. أما اللغة الصربوكرواتية ففيها درجات النغمة، ولكن ليس فيها صوامت حنكية.

وقد استمر الدرس بعد الحرب العالمية الثانية سواء فى الفونولوجيا التعاقبية أو فى الفونولوجيا التزامنية(*)، وصارت الأخيرة إلى فونولوجيا توليدية، وذلك إلى حد ما بتأثير ياكوبسون، غير أن ذلك يقع بشكل أقوى بعد فترة براغ، ولم يعد يخص حلقة براغ اللغوية (لغويى براغ)، غير أنه ربما يتعلق بالتأثير الذى مارسته هذه الحلقة على علم اللغة فى قرننا العشرين.

(*) اكد ياكوبسون بقوة على ضرورة عدم الفصل بينهما: «وإذا نحن نظرنا، فى مجال علم اللغة الوصفى، إلى عناصر نظام اللغة دون دراسة النظام الذى يتأثر بهذه التغييرات. وليس من المنطقى أن نعتبر التعبيرات اللغوية كوراث مدمرة تحدث بمحض الصدفة بالنسبة للنظام. فالتغيرات اللغوية تستهدف غالباً النظام واستقراره وإعادة بنائه إلخ. وهكذا فإن الدراسة التاريخية لا تستبعد فقط مفاهيم النظام والوظيفة، بل هى ناقصة لكونها لا تأخذ بعين الاعتبار هذه المفاهيم .Change 3, p 34 23. (المترجم)

٤ـ ٥ ـ٢ المورفولوجيا وعلم الدلالة

عولج كلا المستويين معاً عن قصد فى مبحث واحد لأنهما فى بحوث رومان ياكوبسون مترابطين ترابطاً وثيقاً: وتعد المورفولوجيا نموذجاً لانتقال مناهج من مستوى إلى مستوى آخر ـ فى هذه الحال من الفونولوجيا ـ ويُنظر إلى الفصائل المورفولوجية على أنها **تعبير عن معان نحوية**، أما الدلالات المعجمية فلم يبحثها ياكوبسون إلا قليلاً.

وثمة ثلاثة فروض أساسية تشكل الدعامة التركيبية لبحوث ياكوبسون فى هذا المجال:

١ ـ كان المنطلق فكرة التلازم «***التضام*** *"Korrelation"*.. فقد وضع ياكوبسون نظاماً لأوجه تلازم مورفولوجية ترتكز كما هى الحال فى الفونولوجيا على مبدأ تعيين السمة. وأهم بحوثه فى المورفولوجيا هى «حول بنية الفعل الروسى» (١٩٣٢)، و«إسهام فى علم الحالة الإعرابية العامة» (١٩٣٦، استكمل فى «ملحوظات مورفولوجية حول التصريف السلافى» فى الروسية ١٩٥٨)، ويمكن أن يذكر فى هذا السياق أيضاً "Signe zéro" («العلامة ـ صفر»، ١٩٣٩).

/ ٢ ـ الفكرة الرائدة فى هذه البحوث هى الثبات Invarianz، ولذلك ٩٦
توصف بحوث ياكوبسون فى المورفولوجيا أيضاً بأنها «نظرية اللامتغيرات».

٣ ـ شُكِّلت أوجه التلازم بمساعدة علامات ذات أصل دلالى. وينبغى الآن أن تلى إيضاحات أكثر دقة لهذه الفروض الأساسية الثلاثة مطابقة للتسلسل المقدم.

١ ـ يدخل ياكوبسون مفهوم التلازم الثنائى غير المتناسق binäre asymmetrische Korrelation. فالتلازم فى الفونولوجيا هو ***تقابل دال على السلب أحادى البعد***، أى أنه تقابل لا يوجد إلا بين عنصرين، ويبنى على ذلك أن السمة المحددةً إما أن تكون موجودة أو غائبة (قارن ما ورد تحت ٤ـ٤ـ١، الفرضية ٦). ومن الجزء الأول لهذا الوصف تتقدم صفة «ثنائى»، وينشأ الجزء الثانى بتطويع ما هو فونولوجى لعمليات مورفولوجية. أما الموضع المستشهد به غالباً فى بداية مقالة «حول بنية الفعل الروسى» فهو:

تكمن إحدى الخصائص الجوهرية للتلازم الفونولوجى فى أن عنصرى زوجى التلازم ليسا متكافئين: إذ يمتلك عنصر السمة المعنية، ولا يمتلكها العنصر الآخر. ويوصف الأول بأنه ذو سمة merkmalhaltig والثانى بأنه بلا سمة merkmallos. ويمكن أن يستخدم التحديد ذاته أساساً لوصف ***أوجه التلازم المورفولوجية***(١٩٣٢، ٧٤).

بيد أن ياكوبسون يحذر من نقل غير نقدى، فربما لا تقسم كلتا الفصيلتين المشتركتين فى التلازم تقسماً تاماً مثل أوجه التلازم الفونولوجية حسب نموذج «I تصف A وII تصف عدم وجود A»، بل:

فى الحقيقة تتسم ***المعانى العامة*** للفصائل المتلازمة على نحو آخر: إذا أعلنت الفصيلة I وجود A فإن الفصيلة II لا تعلن عن وجود A، أى أنها لا تقيد شيئاً سواء أكان A موجوداً أم غير موجود. فالمعنى العام اللفصيلة II مقارنة بالفصيلة I تقتصر على نقص «التأشير بـ ــ A». وإذا أعلنت الفصيلة I فى سياق محدد عن عدم وجود A، فإن ذلك مجرد استعمال من استعمالات الفصيلة المعطاة (١٩٣٢، ٧٧).

وبعبارة أخرى: " عنصر التلازم مُعلَّم(*) لهذا السمة A (عنصر ذو سمة، موسوم = ع ذو س)، أما العنصر الآخر فيسلك مسلكاً محايداً بالنظر إليه؛ لا يقول شيئاً عن وجود A (عنصر بلا سمة = ع بلا س). فالعنصر ذو السمة مقيد

(*) تعرض مذهب ياكوبسون إلى إرجاع كل المشكلات إلى تقابل بين كلمتين (الثنائية) مهملاً بذلك تشابك الوقائع، لنقد عدد من اللغويين، ونُظِر إليه على أنه مبالغة فى تقويم التعارض بين التراكيب المعلَّمة والتراكيب غير المَعلمة فى الفونولوجيا والمورفولوجيا والنحو والدلالة ــ إذ الأمور الأكثر تعقيداً فى الفروع الأخرى مما هى عليه فى الفونولوجيا. وعُدَّ تعميمه لهذا التعارض مظهراً من مظاهر الضعف فى مذهبه أيضاً، بل ويظهر هذا الضعف أيضاً فى تبسيطه لأنواع فقد النطق، وأخيراً فى التبسيط المطلق الذى يمارسه فى الأدب وفى الفنون الأخرى أيضاً، حين يقسم الكلام إلى أسلوبين: الاستعارة (التشبيه) والكناية (التجاور)، وذلك برغم تراجعه واستخدامه لبعض الصيغ الأسلوبية... ويكفى أن نشير إلى هذا الجانب فى المزاج الفلسفى الجاكوبسونى المرتبط بعمق ميله للشروح الغائية، إذ المناقشة هنا تتطلب تحليلاً يتجاوز إمكانات علم اللغة.

(المترجم)

فى استعماله بالحالات التى يكون فيها A موجودة. أما العنصر بلا سمة فله مجال استخدام أوسع لأنه يقع تحت الوصف « نقص التأشير بـ A » سواء عدم وجود (=A—)، أو أحيانا — وجود غير مخصوص بالذكر لـ A (A +). وتوصف العلاقة بين كلا عنصرى التلازم بأنها «غير متناسقة»./ وقد اختار ياكوبسون الفصيلة المورفولوجية للجهة فى اللغة الروسية مثالاً: فالعنصران هما وجهة الفعل التام (pf) ووجهة الفعل غير التام. والسمة تبعاً لها «الحد المطلق للفعل» وما له سمة فهو وجهة الفعل التام. أما وجهة الفعل غير التام التى لا سمة لها فتسلك مسلكاً محايداً، ولذلك يمكن أن تستعمل ضمن ما تستعمل للحالات التالية: أ) غياب الحد المطلق للفعل، ب) تقرير فعل ، دون إمكانية تعليم حد (محتمل وجوده) أو دون ضرورة لذلك، جـ) فعل متكرر، من المحتمل مع حد موجود، لكنه لم يُعد ينظر إليه بسبب التكرار على أنه حد مطلق. ٩٧

٢ـ مفهوم الثبات Invarianz

افترض ياكوبسون للفصائل المورفولوجية وفصائلها الجزئية «دلالة كلية»، قيمة خاصة (قارن مفهوم القيمة Valeur لدى دى سوسير). أما الدلالات المفردة فهى بالنسبة له بدائل محددة سياقياً أو أسلوبياً. ذلك كان زعماً بعيد المدى على المرء منهجياً أن يدركه بدءاً من عصره. كانت فرضية الثبات رد فعل للمعالجة الذرية للفصائل المورفولوجية سواء من خلال رؤى تعاقبية أو تزامنية، إذ تُلْحَق بحالة إعرابية مفردة، الإضافة مثلاً، سلسلةٌ من «المعانى»، مجالات تطبيق، وليس رباطاً موحداً، كان من الممكن أن يبرر جعل الإضافة فصيلةً ما. وقياساً على ذلك حُشِدت لكل وجهة من الوجهتين فى الروسية سلسلة من المعانى، مجالات استخدام ولكن ليس دلالة وجهة الفعل التام (فى مقابل الفعل غير التام). لقد أدرك ياكوبسون التبعية القوية لتلك المعانى الجزئية للسياق، ومن ثم بحث عن المعنى الثابت الذى يحدد عنصر الفصيلة (أو الفصيلة الكلية) بوضوح ويحده عن الفصائل (الجزئية) الأخرى. وقد حُوِّلت طريقته المنهجية فيما بعد بمفهوم جدلى إلى تحليل السمات، أى من خلال الوصف بمجموعات مؤتلفة من السمات بدلاً من معنى كلى ليست له إلا خاصية العنوان فى الغالب.

٣ ـ سمات دلالية لفصائل مورفولوجية

فى الفـونولوجيـا يجرى البـحث بالسـمات التى لهـا أصل صوتى، فـعلم الأصوات مـثل علم الأصوات الوظيفى «الفـونولوجيا» يدرس الوحـدات التى تعد لبنات أساس لوحدات أكبر، حاملة للمعنى، ولكنها ذاتها لا معنى لها، بل تُسَخر لتمييز المعنى فقط Bedeutungsdifferenzierung. وفى المورفولوجيا يتعلق الأمر كما سبق بوحدات حاملة للمعنى، وهى المورفيـمات (المعجمية أو النحوية). وقد عُنِى ياكوبسون بالفصائل المورفولوجية ـ للفعل والاسم ـ ولذلك درس المورفيمات النحوية. والسمات التى بحث بها فى ذلك كانت ذات أصل دلالى، لأن الفصائل المورفولوجية كانت بالنسبة له تعبيراً عن معان نحوية.

٩٨ / وفى مقالة «حـول بنية الفعل الروسى» (١٩٣٢) ما يزال تحـليل السمات ظاهراً، لأن أوجه التلازم قد عولجت، أى عنصران يستندان إلى سمة:

الجهة : حد مطلق للفعل،

جنس الفعل : إعلان عن لزوم الفعل.

إلخ.

أما الفصائل التى تتكون من أكثر من عنصرين، مثل فصيلة الشخص، فإنها تُرد فى خطوات إلى الثنائية:

خطوة ١ : الشـخص الأول + الثانى (ذو سـمـة): الشخص الثـالث (بلا سمة)، السمة هى «الاشتراك فى الفعل الكلامى».

خطوة ٢: الشخص الأول (ذو سمـة) والشخص الثانى (بلا سمـة)، السمة هى «متكلم».

وفى مقالـة «إسهام فى علم الحالات الإعـرابية العام» (١٩٣٦) وفيـما بعد وسَّع ياكوبسـون المعالجة عبـر أوجه التلازم إلى الفـصائل المورفولوجيـة على وجه الإجمال، وقد عَدَّل فى ذلك عن الثنائية حتى يستطيع أن يضم أيضاً فصائل تتكون من أكثر مـن فصيلتين جـزئيتين، وحتى لا ينسـاق إلى الثنائية. ولذا وصف نظام

الحالات الإعرابية الروسى ـ ٦ أو ٨ حالات(٢٢) ـ بمساعدة ٣ سـمات على نحو عزا لكل حـالة إعرابية تركـيبية السـمات الخاصة بـها فقط. وكانت السـمات هى السمـات التالية: «جـهة التـوجه» (١٩٣٦: العلاقـة)، و«الإطار» و«المحيط» وفى أعمال متأخرة رتبت الأبعاد الثلاثة فى شكل مكعب. حالة الرفع بلا سمة مطلقاً، وتأخذ فى المكعب الموضع الأمامى الأيسر العلوى، أمـا الحالات الأخرى فتوصف بسمة أو سمـتين أو ثلاث سمات، وتتوزع تبـعاً لذلك على المكعب. ومن الجدير بالذكر فى هذا السياق محـاولة ياكوبسون أن يوضح، توفيق الحالات ذاته(*)، أى تجـانس صيغ الحـالات بنمـوذجه، وهو تحـييـد Neutralisation السـمة المميزة المعنية(**). واستـغنى بالإضافـة إلى ذلك عن حالتى التـبعيض والمكـانية، ونَظَّم الحالات الست المتبقية بشكل ثنائى البعد:

ر	ن	ض
أ	ق	ج

(٢٣)

ويتبع التوفيق ثلاث قواعد: ٩٩

أ) تنقسم حالات غير المحـيط دائماً إلى حالة إطار وحالة لا إطار، أى يبقى التفريق أ (أداتية): ر (رفع) وق (قابل): ن (نصب)؛

(٢٢) ٦ حـالات هى: الرفع ـ الإضافـة ـ القابل ـ النصب ـ الأداتية ـ الجـر بالحرف و٨ حـالات: إضافة للحالات الست السابق ذكرها حالتا التبـعيض والمكانية، اللتين لم تعودا تتشكلان صرفياً فى الروسية بشكل مطرد.

(*) استخدمت المؤلفة مصطلح هنا Kasussynkretismus، ويعنى الجزء الثانى منه التلفيق أو التوفيق بين المعتقدات (الدينية) المتعارضة، والسياق يستـبعد أن يكون قصدها التلفيق بدليل الجملة التفسيرية والمصطلح التالى المفسر. (المترجم)

(**) يعود اكـتشاف ظاهرة التحـييد ـ كـما أشرت فى هامش سابـق ـ إلى بودوان دى كورتينى على المستوى الفونولوجى، إذ يعنى أن يفقد الفرق بين فونيمين قيمته التمييزية. (المترجم)

(٢٣) ر = رفع، ن = نصب، ض = إضافة، أ = أداتية، ق = قابل، ج = جر.

ب) لا تبقى حالتا النصب (ن) والقابل (ق) الموجهتان على حالهما مطلقاً، إذ يمكن أيضاً أن يزولا.

جـ) ينتقل ن (النصب) إلى ر (الرفع) أو إلى ض (الإضافة)، وينتقل ق (القابل) إلى ج (الجر)(*).

وعلى هذا النحو يوضح الجدول ذو الحالات الخمس الذى يبدو على النحو التالى:

ض		ر
ج	ق	أ

ويوضح ذلك دلالياً: زالت حالة النصب بناء على القاعدة (ب). وتقتضى القاعدة (أ) أنه لا يجوز أن تتطابق صيغة حالة النصب مع صيغة حالة القابل. وتظهر القاعدة (جـ) أن النصب يمكن أن ينتقل إلى الرفع أو الإضافة. هذا الجدول بدقة يُوجد فى تصريف الروسى للأسماء المذكرة: فمع الكلمات المذكرة التى لا روح فيها (السمة غير حى)، النصب مساوٍ للرفع، ومع الكلمات المذكرة التى فيها روح (السمة حى) النصب مساوٍ للإضافة.

مثال ثان: يوجد فى الروسية أيضاً جدول ثنائى الحالة (على سبيل المثال العدد sto = مئة). هنا ما يزال لا يسرى إلا التفريق بين بلا سمة : ذى سمة، يقابل الرفع بوصفه حالة بلا سمة مطلقاً ـ حالة مباشرة casus rectus ـ كل الحالات الأخرى ـ الحالات غير المباشرة casus obliqui ـ باعتبار أن فيها سمة واحدة على الأقل.

(*) أضفت المصطلح بين قوسين بعد الرمز حتى لا يتوقف القارىء أمامه ليراجع تفسيره، وأقصد هنا بالقابل Dativ، ويترجم أيضاً إلى المفعول غير المباشر، وللأول خاصية المصطلح الشائع بين الباحثين وللثانى خاصية وضوح القصد، ولذا يمكن أن يتبادلا.

(المترجم)

باختصار: تعد بحوث ياكوبسون المورفولوجية فى الوقت نفسه أيضاً بحوثاً فى معانى النحو، وهى بذلك إسهام مبكر فى علم الدلالة البنيوى.

٤ـ ٥ ـ ٣ السيميوطيقا (علم العلامات)

/ يعد رومان ياكوبسون الموضوعات السيميوطيقية من «الموضوعات الأثيرة ١٠٠
Favorite Topics» لديه. فقد كان تهمه منذ وقت مبكر أوجه الاتفاق بين اللغات الطبيعية والأنظمة السيميوطيقية الأخرى، وكذلك خواصها فى مقابل كل هذه الأنظمة الأخرى. وبإيعاز من درس ف. دى سوسير لأنظمة العلامات، وعلم ينبغى أن يعنى بها عناية خاصة، وهو علم العلامات Semeologie (قارن ٣ـ٤ـ٢)(*)، بدأ ياكوبسون فى براغ فى تحليل أنظمة سيميوطيقية. وقد نشر ا. هولنشتاين E. Holenstein سنة ١٩٨٨ المجلد الجامع المستحق للشكر Roman Jakobson, Semiotik نصوص مختارة من ١٩١٩ ـ ١٩٨٢» (انظر قائمة المراجع فى آخر الفصل)، ويَسَّر للقارىء الألمانى نصوص ياكوبسون التى يصعب الوصول إليها. وقد أدرجت هنا من فترة براغ ابتداءً مقالات من مجال «اللغة نظام علامات»، بل ومقالات كذلك عن أنظمة علامات غير لغوية مثلما هى الحال عن الفيلم بوصفه نظاماً سيميوطيقاً ــ فى بداية الثلاثينيات عند الانتقال من الفيلم

(*) لا أدرى لماذا لم تشر المؤلفة إلى النموذج الشهير الذى وضعه ياكوبسون لتحديد الوظائف الستة للغة التى يوضحها المخطط التال

مرجعية
انفعالية — شعرية — إفهامية
اتنباهية
ميتالسانية

(انظر كتاب قضايا الشعرية) ص٣٣ومابعدها.
وثمة خلاف كبير حول ترجمة المصطلحات بين اللغويين: فالوظيفة الأولى المرجعية، يطلق عليها أيضاً (الموضوعية والإشارية)، والثانية تسمى أيضاً التعبيرية، والثالثة تسمى التأثيرية والنزوعية والمناشدة والاستدعاء والاستثارة...، والرابعة تسمى الاتصالية، والخامسة تسمى الاصطلاحية أو الواضعة، أو ما وراء اللغة...، والسادسة تفصل عن الوجدانية... راجع أيضاً نقد مونان لهذا النموذج واستكماله بوظائف أخرى (ص ١٥١ وما بعدها). (المترجم)

الصامت إلى الفيلم لناطق موضوع ساحق ـ، وعن (علم) الموسيقى فى علاقته باللغة وعلم اللغة، وعن الفلكلور وعن الفكاهة بوصفها أنظمة سيميوطيقية.

وبالنظر إلى السيميوطيقا أيضاً لا يمكن أن يستغنى عن عرض موجز لبحوث ياكوبسون بعد مغادرته تشيكوسلوفاكيا. ففى بداية فترته فى الولايات المتحدة الأمريكية صادفت اهتماماته السيميوطيقية تأكيداً علمياً إضافياً: فقد واجه عرضاً أعمال تشارلز ساندرس بيرس Ch. S. Peirce (١٨٣٩ ــ ١٩١٤)، الفيلسوف والمنطقى الأمريكى، الذى عده مؤسس السيميوطيقا الحديثة(٢٤)، وأدرجه ضمن وثاقة صلته بعلم اللغة الحديث. وكانت أعمال ياكوبسون الخاصة فى ذلك الوقت قد انطبعت بقوة بطابع بيرس، وحافظ على تنوع اهتماماته السيميوطيقية كما أنه كان يعيد باستمرار معالجة موضوعات خلال عقود فى كل المجالات بوجه عام.

وهكذا يرجع عمله «حديث حول الفيلم» إلى سنة ١٩٦٧، وكتب عن «علامات مرئية ومسموعة سنة (١٩٦٤)، وحول الفلكلور الروسى (١٩٦٦)، وحول أنظمة بيولوجية من وجهة نظر سيميوطيقية (انظر حول ذلك ما يرد تحت ٤ـ٥ـ٥)، وحول الشعر بوصفه نظاماً سيميوطيقياً. وينبغى أن يذكر ضمن هذه المجموعة من الموضوعات مقال حول «القطط» لشارل بودلير (١٩٦٢)، حيث شاركه فى تأليفه كلود ليفى شتراوس(*). فقد كان الأنثروبولوجى الفرنسى ليفى شتراوس Lévi - Strauss متصلاً بفرضيات ياكوبسون اللغوية اتصالاً وثيقاً. وقد أبدع أنثروبولوجيته البنيوية باستناد واع/ إلى علم اللغة البنيوى لحلقة براغ، ١٠١ وبخاصة رومان ياكوبسون. وفى الأربعينيات دَرَّس كلاهما فى جامعة المنفى فى نيويورك، وعقدا هناك أواصر صلات علمية متميزة. وقد عمل ليفى شتراوس مثل

(٢٤) رأى ياكوبسون يمكن أن يُتتبع علم أنظمة العلامات على وجه الإجمال حتى الرواقيين "Stoiker".

(*) لقد قدم ياكوبسون وليفى شتراوس أفضل تطبيق لنظريته فى الأسلوب من خلال مجموعة قصائد لبودلير Les chats de charles Baudelaire (l'homme II, 1962, 5 - 21). (المترجم)

ياكوبسون بالسمات الدلالية. ولذا حدد بهذه الطريقة على سبيل المثال علاقات القرابة فى ثقافات أجنبية. وغالباً ما يستشهد على تحليله لسمات إعداد الطعام بمعاونة «ذواقة». وقد استخدم ثلاثة أزواج من السمات:

* من الداخل/ من الخارج (مواد خام محلية/ خارجية).

* مخصوص/ غير مخصوص (شهى/ لا طعم له).

* رئيسى / هامشى (جزء من الوجبة/ إضافة)(٢٥).

ويقابل بمساعدة مجموعة مؤتلفة من السمات على سبيل المثال بين المطبخ الانجليزى والمطبخ الفرنسى(٢٦).

ويطلق كذلك على الفيلسوف واللغوى الإيطالى، وربما أشهر عالم سيميوطيقا فى العصر الحاضر، أمبرتو ايكو Umberto Eco تلميذ ياكوبسون.

٤ ـ ٥ ـ ٤ علم الشعر(*)

كان لرومان ياكوبسون علاقة خاصة بلغة الشعر. ففى فترة وجوده فى موسكو ألف هو نفسه قصائد مستقبلية. وكان اليكسى كروتشونيخ Aleksej Kruconych قد صاغ لهذا النوع من الشعر «كلمة خاصة بكوكب زحل» zaum (~ za -um من وراء العقل) والصفة zaumnyi عادة ما تترجم إلى «متجاوز العقل». وصف ياكوبسون أيضاً قصائده بأنها أشعار متجاوزة العقل، ونشرها تحت اسم مستعار «الياجروف Aljagrov». وكان نشره الأول فى الخارج سنة ١٩٢١ «أحدث شعر روسى: موجز أول، تَقَرُّب إلى خلبينخوف (باللغة الروسية)، وأعقبه سنة ١٩٢٣ «حول الشعر التشيكى مقارنة بالشعر الروسى» (باللغة الروسية)؛ أهداه إلى صديقه الحميم فلاديمير ماياكوسفكى، الذى حزّ انتحاره سنة ١٩٣٠ فى نفسه

---

(٢٥) كلود ليفى شتراوس (١٩٩١ ٥) : Strukturale Anthropologie (الانثربولوجيا البنيوية) I, 100, Frankfurt/ M.

(٢٦) لا يحكم لصالح المطبخ الانجليزى، ولكنه ربما ليس موضوعياً تماماً.

(*) يترجم مصطلح Poetik إلى الشعرية وعلم الشعر والبوطيقا، وقد استخدمت مصطلحاً آخر غير المصطلح الذى استخدمه مترجما مقالات لياكوبسون فى الموضوع بعنوان «قضايا الشعرية» وهما محمد الولى ومبارك حنون. (المترجم)

بشدة(٢٧). وفى براغ التقى ياكوبسون المنظر التشيكى للأدب جان موكاروفسكى Jan Mukarovsky (١٨٩١ ـ ١٩٧٥)، وطور بالاشتراك معه علم الشعر Poetik باعتباره رابطاً بين علمى اللغة والأدب. ويعنى علم الشعر باستخدام وسائل لغوية لأغراض أدبية، وتفى لغة الشعر بوظيفة خاصة(٢٨).

/ وفى سنة ١٩٣٢ نشر موكاروفسكى مقالة «اللغة المعيار واللغة الشعرية» ١٠٢
(باللغة التشيكية)، غير أنه ـ كما قد ذكر تحت ٤ـ٣ أشير فى «الفروض» إلى التفريق بين لغة معيار ولغة شعرية. ووصفت اللغة الشعرية هناك بأنها إنجاز فردى خلاق يجب أن ينظر إليه بناءً على خلفية اللغة المعيار أولاً والمعيار الشعرى الصالح له. وأكد موركاروفسكى فى مقالته سنة ١٩٣٢ أن اللغة الشعرية لا تصير ممكنة إلا بخرق منظم لمعيار اللغة المعيار. وكلما كان معيار اللغة المعيار أكثر ثباتاً كانت إمكانات التنوع أكثر تشعباً مع أوجه خرق شعرى، وأبرز أن اللغة الشعرية لها وظيفة متميزة.

وفى فترة مكوثه التشيكية اشتغل ياكوبسون ببناء بنية الأعمال الشعرية، مثل الغنائيات التشيكية فى العصور الوسطى. ونشر بالاشتراك مع يورى تينيانوف Jurij Tynjanov فى المنفى الداخلى فى الاتحاد السوفيتى، سنة ١٩٢٨ فى براغ «البيان البنيوى، مشكلات بحث الأدب واللغة»(**).

---

(٢٧) ألف آنذاك مقالة هى «من جيل، أضاع شعراءه».

(٢٨) لذلك أُخْرِجَت فى حلقة براغ من «وظيفة العرض» لدى بولر «الوظيفة الشعرية» واستعُمِلت بوصفها الوظيفة الرابعة.

(*) ينتهى ياكوبسون إلى القول بأن الوظيفة الشعرية تتميز «بغائية النص فى ذاته، فالاهتمام ينص على النص فى ذاته، أو إلى القول المأثور «تنقل الوظيفة الشعرية مبدأ المساواة من محور الانتقاء إلى محور التركيب. (المترجم)

(**) يوضح مونان ص ١٥٣ تلك النزعة الشكلية البارزة فى أعمال ياكوبسون بقوله: وأثناء بحث الشكليين وجاكوبسون بشكل خاص، عن الطرائق والبنى الشكلية التى كان يعتبرونها بنى اللغة الشعرية، لم يكتشفوا على الأغلب إلا البنى التكرارية الجامدة ـ باستثناء تينيانوف العظيم ـ تلك البنى التى تشير فى كل الحضارات إلى أصل «الشعر»، والتى تعتبر الوسيلة التى تسهل الحفظ من أجل الاحتفاظ بكل معرفة ونقلها الشفهى: الموسيقا والإيقاع والتوازيات بما فيها التوازيات بالمعنى، وكل الأمور التى لم تكن تعتبر شعرية فى ذلك الحين، برغم أنها أصبحت كذلك من وجهة نظر تاريخية. (المترجم)

ويمكن أن نقول بشكل موسع: صـار علم الشعر بعد الحرب العالميـة الثانية أهم مجال بحثى لرومان ياكوبسون. وقد كانت تهمه بوجه خاص الوسائل النحوية التى تستخدم فى الشعر بوعى أو بغـير وعى، ومن ذلك خاصية التوازى النحوى، أى التكرير المنظم لفصائل متطابقة (الشخص والزمن وغيرهما) فى أسطر أو مقاطع شعرية متوالية. هكذا تعامل مع الأدب الشعبى، بل مع قصائد لالكسندر بوشكين Aleksander Puschkin أيضاً (مثل قصيدته الرومانسية المشهورة « Ja vas ljubil = أحببتها») وبرتولت برشت Bertolt Brecht ("Lob der Partei" إطراء الحزب) فسر ياكوبسون بناء التوازى وتأثيره.

وتفهم الدراسات فى علم الشـعر من تاريخ الثقافة فى روسيـا، فقد أضفت على الطبيعة الإنسـانية فى وسط أوربا (وفيما بعد فى الولايات المتـحدة الأمريكية) ألواناً جديدة للغاية.

٤ـ٥ـ٥ مجالات بحثية أخرى

لم نسطتع فى هذا المبحث برغم تفـصـيلاته أن نقـدم كل أعـمال رومـان ياكوبسون، للغوى، الذى وصف ذات مرة ــ بتعبير إعجاب كبير ــ بأنه مرعب أو مهـول، وذلك بسبب كثرة مـواهبة(*)، وتأثيره الكبيـر فى علمى اللغة الأوربى والأمريكى.

بيد أنه ينبغى أن تذكر كذلك على الأقل بحوثه حـول لغة الأطفال والحُبْسة Aphasie بوصفـهما ظاهرتيـن متبـادلتين، مثل بحـوث أخرى كثـيرة رأى فيـها استمراراً لأعمال بودوان دى كورتينى. وقد نشر ياكوبسـون سنة ١٩٤١ أهم أعماله حول ذلك. وبهـذه النظرة من علم اللغـة إلى الطب يتضح ما صـار فى الولايات المتحدة الأمريكيـة واحداً من/ الموضوعات الأثيرة، التعاون المتـداخل مع الفلاسفة ١٠٣

(*) لقد بحث فى الشـعر والفونولوجيا والمورفولوجيـا والدلالة والانثربولوجيـا وباتولوجيا اللغـة (لغة الأطفـال والحُبْسَـة) وعلم العـلامات وعلـم الأسلوب والفولـكلور ونظرية الإعـلام وغيـر ذلك. (المترجم)

وعلماء الرياضة وعلماء الطبيعة بصفة خاصة. وقد كتب ياكوبسون ذات مرة أنه عد عمله أستاذاً زائراً ومحاضراته فى كثير من الجامعات الأمريكية مكسباً له دائماً؛ لأنه قد استطاع بهذه الطريقة أن يقيم بسرعة صلة بممثلى تخصصات غاية فى التباين. وكان يهمه فى المقام الأول علماء الأحياء وعلماء الوراثة. وقد عنى عناية كبيرة بأوجه التوازى بين اللغة الطبيعية وأنظمة بيولوجية، ولاسيما أوجه التوازى بين الشفرة الوراثية التى شجعته غاية التشجيع، ودفعته إلى قول مأثور ذائع، هو:

أوحى فك شفرة الأحماض النووية للخلايا الحية (دى أوكسى ريبوزه DNS)(*) بأننا نمتلك لغة أقدم بكثير من اللغة الهيروغليفية، لغة تعد أكثر حيوية من كل اللغات. [...]، لغة من أربعة أحرف، تتمثل فى جزئيات الحمض النووى. (١٩٨٨، ٢٠٧).

وكان مما أدهشه أن الأمر يتعلق حقيقة بأربعة أحرف، وليس برموز كتابية أو

(*) هذا اختصار لمصطلح Desoxyribo (se) nukleinsäure وقد استعملت الطريقتين المستعملتين فى ترجمة هذا المصطلح الذى يختصر إلى DNS كما ورد فى النص أو إلى DNA (الدنا).

تركيب د. ن ا. D.N.A. اكتشفه لأول مرة ١٩٥٣ الأمريكى والإنجليزى كريك، وكلمة «دنا» DNA اختصار للحامض النووى ريبونيوكليك، وهو حامض موجود أساساً فى نواة الخلية، وهو المكون الرئيسى لما فيها من جينات أو مورثات، تنقل المعلومات الوراثية من جيل إلى آخر. ودنا جزء عملاق يحوى ملايين الذرات التى تترابط معاً فى خيطين يلتقيان معاً فى لولب مزدوج تتكرر فيه أربعة أنواع من القواعد العضوية. تعمل هذه القواعد بمثابة حروف الأبجدية فى لغة الوراثة، وترتبط كل واحدة منها على أحد الخيطين بأخرى على الخيط المقابل، بحيث يمكن تشبيه هذه الترابطات بالدرجات فى سلم حلزونى طويل، وسلم «دنا» يلتف لولبياً، ولفاته دائماً فى اتجاه واحد هو اتجاه حركة عقرب الساعة. أدى اكتشاف تركيب «دنا» إلى تطوير وتثوير دراسات ظاهرة التطور نفسها هى والنظرية التى تفسر ميكانزمات هذه الظاهرة، ويؤكد علماء البيولوجيا ضرورة تمييز فارق مهم، فالتطور لم يعد بعد نظرية، وإنما هو ظاهرة حقيقية.

(المترجم)

شىء آخركـلية(*). وتناقش مع عـالم الوراثة فرانسـوا ياكوب François Jacob حول إذا ما كان التـماثل فى الشكل يفهم على أنه مجرد تقـارب نشأ عن حاجات متـشابه (ياكوب)، أو إذا مـا كانت الأبنية اللغـوية محاكـية للأسس الجينيـة للبنية (ياكوبسون). ولما كان التساؤل تأملياً للغاية فإنه لن يتتبع هنا تتبعاً دقيقاً.

من البدهى أيضاً أن الصـلات بعلمى الأدب والعلامات تتبع مجـال التعاون المتداخل مع ممثلى تخصصات أخرى؛ فقد عولج كلاهما بسبب قربهما الواضح من علم اللغة على أنهما حلقة داخلية إلى حد ما لاهتماماته بمباحث خاصة.

٤-٦ ڤيلم ماتسيوس: النحو

أحد المـشاركيـن فى تأسيس حلقـة براغ عالم الدراسـات الأدبية واللغـوية الانجليزية ڤيلم مـاتسيوس Vilém Mathesius (قارن ٤ ـــ١). ويحدو بنا أن نقدم هنا من مجالاته البحثية النحو. فقد أثرت أعماله فى مجال معين تأثيراً كبيراً، دُلَّل عليه بمصطلحات غـاية فى التباين فى أثناء تطور العلم، إذ تحدث ماتسـيوس نفسه عن «تقـسـيم واقـعى للجـملة (aktuální členěni věty). ولا يوجـد فى هذه الدراسات أى مطابقـة للمستويات بين الفـونولوجيا ـــ والمورفولوجـيا ـــ والدلالة. فلم تُحدد وحدات تركيـبية وقواعد نحوية لتأليفها، بل يتـعلق الأمر هنا بتأثير فى الدلالة والبراجماتية.

إن الموضوع ليس بجديد، فقـد استقاه من أعمال جـيورج فون ديرجابلنتس وهرمان باول وأنطون مـارتى، ولكنه خلصه من ثقل نفـسى ووضعه فى سيـاقات
١٠٤ تركيبية ووظيـفية. /وكان عالم الدراسات الصينية الألمانى هـانزجيورج كانون فون ديرجابلبنتس قد أسس هذه البـحوث. فقد لاحظ هذا العالم فى دراسـاته الصينية

(*) أظن أن الأمر هنا يمكن فهمـه فى إطار محاولة ياكوبسون تقديم نظرية فى النسـبية اللغوية، وليس علم لغة عام، بل علم لغـة شمولى، وحصره كل التـعارضات الفونولوجيـة الممكنة فى أثنى عشر تعارضـاً منها: مجهور = مـهموس (بين فـونيمـات مثل L.M.N.R وكل الفونيـمات الصامـتة الأخرى)، وصامت ≠ غير صامت ، ومتماسك ≠ متنشر، ومصوت ≠ غير مصوت، وأنفى ≠ فموى... (المترجم)

والمقارنة باللغة الألمانية أنه فى لغات ذات ترتيب حر نسبياً للمفردات، أى لغات يمكن أن تعبر فيها المورفولوجيا عن علاقات نحوية، فإنه يمكن أن يقوم ترتيب المفردات بوظائف أخرى غير نحوية. ربما يُتحدث اليوم عن وثاقة الصلة الاتصالية والبنية المعلوماتية لأن جابلنتس راعى العلاقة بين المتكلم والسامع؛ وقد اختار مصطلحات: «الموضوع النفسى» و«المحمول النفسى». فعن أى شىء ينبغى أن يعرف السامع شيئاً هو الموضوع النفسى، وما ينبغى أن يُبلّغ به هو المحمول النفسى. ويقع الأول فى التتابع قبل الثانى. وفى كتاب «أسس تاريخ اللغة» أكد هـ. باول وثاقة صلة هذه الفرضيات بفون ديرجابلنتس. وعد آخرون ــ وبخاصة فيليب فاجنر Philipp Wegener الأمر الحاسم هو النبر الرئيس وليس ترتيب المفردات. وقد ربط بعد ذلك الفيلسوف اللغوى المؤثر فى براغ أنطون مارتى كلا المفهومين.

عرف ماتسيوس أعمال جابلنتس ومارتى، وصبت أفكاره عن التقسيم الواقعى للجملة فى «فرضيات» حلقة براغ. وحاول ماتسيوس انطلاقاً من وظيفة الإخبار للغة أن يحدد ما وسائل المتكلم التى يحقق من خلالها قصده الفعلى من الكلام، ويؤشر للسامع إليها وذلك من خلال مقارنات بين الانجليزية والتشيكية. وقد أطلق على كلا العنصرين «منطلق المنطوق» (východiště výpovědi ١٩٢٩ بالألمانية «الموضوع»)، و«نواة المنطوق » (jodro výpovědi ١٩٢٩، بالألمانية «خبر الجملة»). وبالنسبة للتقسيم الواقعى للجملة فى الانجليزية ــ تحدث سنة ١٩٢٩ عن منظور الجملة ــ فقد عد التفريق بين التتابع الموضوعى للمفردات والتتابع الذاتى تفريقاً أساسياً؛ وتميل الانجليزية إلى التتابع الموضوعى للمفردات:

يمكن أن تشيد الجملة بوجه عام بأن يتقدم موضوع الجملة، ويعقبه حديث (خبر/ محمول) الجملة (التتابع الموضوعى للمفردات)، أو يمكن أن يبدأ المرء كذلك بحديث الجملة (المحمول)، ويجعل موضوع الجملة يعقبه (التتابع الذاتى للمفردات). (١٩٢٩، ٢٠٨).

ويصف ماتسيوس العلاقات بين الفاعل النحوى وموضوع الجملة على النحو التالى:

كما قيل، يمكن بوضـوح أن يُتلمس فى الانجليزية الميل إلى جعل الموضوع خـبر الجـملة، حيث يكون ذلـك ممكناً، الفاعل النحـوىَ للجـملة. وحين يُقـدم تصوران بوصفـهما معطىً للموقف فـإنه يجعل الفاعل النحوى من يمـتلك منهما فعلية أكثر، أو يظهر كأنه شيء محدد. (١٩٢٩، ٢٠٢).

صـارت دراسـاته أسـاس كل البـحوث التـاليـة فى هذا المجـال، وصـيغ مصطـلحان جديدان، عـلى سبيـل المثال Thema - Rhema موضـوع ـ حديث (أدخلهما عالم الدراسات الجـرمانية الألمانى هرمان أمَّن Hermann Ammann)، ١٠٥
/المعـروف ـ الجديد، المحـور ـ البؤرة» ـ أغلـبهـا ليست مـترادفـات لمصطلحى ماتسـيوس، بل تزحزح جـوانب أخرى إلى الصدارة. غـير أن الأمر يتـعلق دائماً بوظيفـة الأبنية النحوية للتـعبير عن مـعانٍ خاصـة، لم يعد من الممكن أن توصف داخل النظام اللغوى وحده، بل فى البراجماتية التى تتناول الاستعمال اللغوى.

٤ ـ ٧ الموضع الصحيح لحلقة براغ فى علم لغة القرن العشرين

يستـخلص من مجمل الفـصل الرابع أن لغويى حلقـة براغ، أى علم اللغة الوظيفى، يشغل موقعاً فريداً داخل علم اللغة البنيوى فى القرن العشرين. ويبرز تنوع مجالات البحث (قـارن ٤ ـ ٣). ومع ذلك فإن معالجة موضوعات مـهمة تفضى ـ مع النظرة السطحية ـ إلى الرأى القائل إن حلقة براغ هى أشد هذه الاتجاهات تقليدية (وهو ما يقصـد دائماً على وجه موضـوعى). ومن البدهى أن ذلك ليس صحـيحاً؛ فمن الممكن للمرء أن يقتنع المرء من خلال المؤلفات المنشورة بأن العنصر الابتكارى قد كمن فى تناول مـوضوعات قديمـة من خلال دعامة نظرية جـديدة وبمناهج جديدة. وبالإضـافة إلـى ذلك طور البراغـيـون أيضـاً دائرة الموضوعـات التى أبرزوها أمـام الاتجاهات الأخرى لعلم اللغة البنيوى. ومن ضمن ذلك بوجه خاص:

١ ـ معالجـة مستويات النظام اللغـوى وفق مبادىء مناسبـة. وبعبارة أدق: صار المستوى الفونولوجى الموصوف وصفاً جيداً نسبياً منذ وقت مبكر جداً النموذج للمستويات الأخرى، وبخاصـة للمورفولوجيا وعلم الدلالة. (قارن ٤ـ ٥ ـ ٢). وقد ثبت أن هذا الـنهج فى المعالجة مـثمـر للغاية، واستـمر حتى فـترة مـا بعد الحرب.

٢ ــ لم يُغْفِل فـصل دى سـوسيـر بين التزامـن والتعـاقب، ومن ثم إبراز التـزامن المرتبط بذلك (قـارن بوجه خـاص ٤ـ ٥ ـ ١)؛ ونُظِر أيضـاً إلى التطور اللغوى على أنه تطور ***لنظام***، وقبل أى شىء: عُدَّ النظام اللغوى تزامنياً أيضاً، وحـــدد بأنه ***نظام دينـامى*** dynamisches System. ويعنى هذا أنـه يمكن أن يتحدث عن ***حال لغوية***، مثل «لغة الحاضر»، فى إطار جانب منهجى، بل يجب على المرء أن يكون واعياً بأن الكلام عن تركـيب، عن خطوة فنية من خلال نظام لم يوجد فى الحقيقة مطلقاً فى حال سكون (قارن حول ذلك أيضاً ٤ ـ ٥ ـ ١).

٣- ينتج عن ٢ أن البراغيين لا ينظرون إلى اللغة على أنها نظام مغلق، بل هى نظام مفـتوح. ولا يتـوجه ذلك دائمـاً إلى توازن دون الوصول إليـه، لأن التوازن الحـاصل فى مجـال يولد أوجه خلـل فى مجـال آخر. وبعـد الحرب وَسَّع جـيل الشـباب من لغـويى براغ هذه الفكرة حـول المقابلة بيـن «مركـزى (مغلق نسـبيـاً وثابت): وهامشى» (مفتوح، أقل ثباتاً).

١٠٦ / ٤ ــ كان مجـالاً ابتكارياً للبراغـيين بحثُ الوظيفة الشعـرية للغة، الصلة بنظرية الأدب، وقد صار هذا الموضوع بعد الحرب على يد ياكوبسون فى الولايات المتحدة الأمريكية أيضاً قضية محورية مهمة فى البحث (قارن ٤ ــ ٥ ــ ٤).

٥ ــ ويفهم أيضـاً بشكل مجمل هدف البراغـيين القائم إلى حد كـبير على التطبيق من التأكيد على وظيفية اللغة. فقد بذلوا جهداً فى تعليم اللغة، واضطلعوا مثلاً بتأثير فى تدريس اللغة الأم فى المرحلة الثانوية، واهتموا بإشكالية لغة الأدب، وتشفير لغة الكتابة، أى بالتخطيط اللغوى والنمذجة اللغوية (على سبيل المثال ب. هافرنك B. Havrának وفيما بعد أيضاً جدليتشكا A. Jedlička).

ذلك نوع آخر من العلاقة بالتطبيق (الاستعـمال) غير التى عرفها علم اللغة الوصـفى فى الولايات المتـحـدة (قارن الـفـصل الســادس)، وأخـيـراً لم تطرح الجلوسماتية الدنماركية (قارن الفصل الخـامس) السؤال عن مجالات تطبيق نظريتها عن الإطلاق.

باختصار: من المحتمل أن تكون مدرسة براغ بنظرة مجملة قد صادفت الصدى الأعظم فى علم لغة قرننا، وذلك بمعنى أنها أعطت حافزاً فى مجالات كثيرة للغاية، غير أن الحافز الأبعد مدى نظرياً فى مجال محدد، وهو نظرية النحو - كما سيُوضح فيما بعد (قارن الفصل السادس) - قد أنتج علم اللغة الوصفى، حيث نبت النحو التوليدى من جذورها.

٤-٨ بيانات المراجع:

K. Bühler (1913): Die Gestaltwahrnehmungen. Experimentelle Untersuchungen zur psychologischen und ästhetischen Analyse der Raum- und Zeitanschauung. Stuttgart.

K. Bühler (1934): Sprachtheorie. Die Darstellungsfunktion der Sprache. Jena [Ungekürzter Neudruck der Ausgabe Jena 1934: Stuttgart/New York 1982].

K. Chvatík (1981): Tschechoslovakischer Strukturalismus. Theorie und Geschichte. München.

E. Coseriu (1967): Zur Vorgeschichte der strukturellen Semantik. In: To Honor Roman Jakobson I. Den Haag.

F. Daneš/J. Vachek (1964): Prague Studies in Structural Grammar Today. In: Travaux linguistique de Prague (Prager linguistische Arbeiten). Prague.

U. Eco (1981): Der Einfluß Roman Jakobsons auf die Entwicklung der Semiotik. In: Die Welt als Zeichen. Klassiker der modernen Semiotik (Hrsg. M. Krampen et al.). Berlin.

Études phonologiques dédiées à la mémoire de M. le Prince N.S. Trubetzkoy (1939): (Phonologische Studien, gewidmet dem Andenken des Prinzen N.S. Trubetzkoy): Als: TCLP VIII.

P.L. Garvin (Hrsg., [3]1964): A Prague School Reader on Aesthetics, Literary Structure and Style. Washington.

R. Jakobson (1931a): Prinzipien der historischen Phonologie. In: TCLP IV [Wiederabdruck in: D. Cherubim (Hrsg., 1975): Sprachwandel. Reader zur diachronischen Sprachwissenschaft. Berlin/New York].

R. Jakobson (1931b): Über die phonologischen Sprachbünde. [Wiederabdruck in Selected Writings I.]

R. Jakobson (1932): Zur Struktur des russischen Verbums. In: Charisteria Guilelmo Mathesio Quinquagenario oblata. Prag.

R. Jakobson (1936): Beitrag zur allgemeinen Kasuslehre. In: TCLP VI.

R. Jakobson (1939): Signe zéro (Das Nullzeichen). In: Mélanges de linguistique offerts à Charles Bally (Vermischte linguistische Schriften zu Ehren von Ch. Bally). Genf.

R. Jakobson (1939): Nikolaj Sergeevič Trubetzkoy, 16.4.1890-25.6.1938. In: Acta Linguistica I (Kopenhagen).

R. Jakobson (1941/[8]1992): Kindersprache, Aphasie und Allgemeine Lautgesetze. Frankfurt/M.

R. Jakobson (1948): Russian Conjugation. In: Word 4.

R. Jakobson (1957): Shifters, verbal categories [and the Russian verb]. Harvard University Press. Wiederabdruck in: Selected Writings II und [gekürzt] in „On Language" 1990.

R. Jakobson (1961/1979): Poesie der Grammatik und Grammatik der Poesie. In: Poetik 1979/1989. Zuerst abgedruckt 1961 in russischer Sprache in dem Sammelband „Poetics, Poetyka, Poėtika". Warschau.

R. Jakobson (1971-1979): Selected Writings I-V (eds. S. Rudy & M. Taylor). Den Haag.

R. Jakobson (1979/²1989): Poetik. Ausgewählte Aufsätze 1921-1971) (Hrsg. E. Holenstein und T. Schelbert). Frankfurt/M.

R. Jakobson (1981): Poetry of Grammar and Grammar of Poetry (ed. St. Rudy). The Hague/New York.

R. Jakobson (1985): Verbal art, verbal sign, verbal time (eds. K. Pomorska and St. Rudy). Minneapolis.

R. Jakobson (1987): Language in Literature (eds. K. Pomorska and St. Rudy). Harvard University Press, London, England.

R. Jakobson (1988): Semiotik. Ausgewählte Texte 1919-1982 (Hrsg. E. Holenstein). Frankfurt/M.

R. Jakobson (1990): On Language (eds. L.R. Waugh and M. Monville-Burston). Harvard University Press, London, England.

R. Jakobson & M. Halle (1956): Fundamentals of Language (dt.: Grundlagen der Sprache. Berlin 1960).

R. Jakobson & L.R. Waugh (1979/²1987): The Sound Shape of Language. Berlin/New York (dt.: Die Lautgestalt der Sprache. Berlin/New York 1986).

D. Jones (³1967): The Phoneme. Its Nature and Use. With an Appendix on the History and Meaning of the Term „Phoneme". London.

S. Karcevski (1927): Système du verbe russe. Essai de linguistique synchronique (Das russische Verbalsystem. Versuch einer synchronen Sprachwissenschaft). Prague.

D. Katz (1944/⁴1969): Gestaltpsychologie. Basel.

O. Leška, J. Nekvapil, O. Šoltys (1987): Ferdinand de Saussure and the Prague Linguistic Circle. In: philologica pragensia 30/2.

C. Lévi-Strauss (1945): L'analyse structurale en linguistique et en anthropologie (Die Strukturanalyse in der Linguistik und in der Anthropologie). In: Word I/1. New York.

L. Matejka (Hrsg., 1976): Sound, Sign and Meaning. Quinquagenary of the Prague Linguistic Circle. Ann Arbor.

V. Mathesius (1929): Zur Satzperspektive im modernen Englisch. In: Archiv für das Studium der neueren Sprachen und Literaturen 84.

J. Mukařovský (1940/1976): Über die Dichtersprache. In: Grundlagen der Sprachkultur. Beiträge der Prager Linguistik zur Sprachtheorie und Sprachpflege I (Hrsg. J. Scharnhorst und E. Ising). Berlin 1976 (tschech. Original: O jazyce básnickém. In: Slovo a slovesnost 1940). Eine andere deutsche Übersetzung ist erschienen in: Studien zur strukturalistischen Ästhetik und Poetik. München 1974.

J. Mukařovský (1983): Standard Language and Poetic Language. In: Praguiana 1983 (tschech. Original: Jazyk spisovný a jazyk básnický. In: B. Havránek – M. Weingart (Eds.,1932): Spisovná čeština a jazyková kultura. Prague).

Praguiana. Some Basic and Less Known Aspects of the Prague Linguistic School. An Anthology of Prague School Papers. Selected by Josef Vachek. Praha 1983.

Réunion phonologique international tenue à Prague 1930 (1931): (Internationale Phonologische Tagung in Prag 1930). TCLP IV.

N. Savický (1987): The Place of the Prague Linguistic Circle in the History of Linguistics. In: philologica pragensia 30/2.

P. Sgall (1979): Die Sprachtypologie V. Skaličkas. In: V. Skalička (1979).

V. Skalička (1934): Zur Charakteristik des eurasischen Sprachbundes. In: Archiv orientální 6.

V. Skalička (1979): Typologische Studien (Hrsg. P. Hartmann). Schriften zur Linguistik 11. Braunschweig.

Thèses (1929): In: Mélanges linguistiques. Dédiés au Premier Congrès des Philologues Slaves. Travaux du Cercle Linguistique de Prague I. Prag (Thesen. In: Vermischte linguistische Schriften. Gewidmet dem 1. Slavistenkongreß. Arbeiten des Prager Linguistenkreises I. Prag.). Deutsch in: Grundlagen der Sprachkultur. Beiträge der Prager Linguistik zur Sprachtheorie und Sprachpflege I (Hrsg. J. Scharnhorst und E. Ising). Berlin 1976. Englisch in: Praguiana 1983.

Travaux du Cercle Linguistique de Prague (= TCLP) I-VIII (1929-1939) (Arbeiten des Prager Linguistenkreises): siehe unter den Verfassern bzw. Bänden.

B. Trnka (1983): Linguistics and the Ideological Structure of the Period. In: Praguiana 1983 (tschech. Original: Jazykozpyt a myšlenková struktura doby. In: Slovo a Slovesnost 10, 1948).

N.S. Trubetzkoy (1929): Sur la „morphonologie" (Über die Morphonologie). In: TCLP I.

N.S. Trubetzkoy (1931): Gedanken über Morphonologie. In: TCLP IV.

N.S. Trubetzkoy (1935): Anleitung zu phonologischen Beschreibungen. Prag/Leipzig. ²1958 Göttingen.

N.S. Trubetzkoy (1939): Grundzüge der Phonologie. TCLP VII. Prag. ⁷1989 Göttingen.

N.S. Trubetzkoy (1939a): Gedanken über das Indogermanenproblem. In: Acta Linguistica I,2. Kopenhagen.

J. Vachek (1964): A Prague School Reader in Linguistics. Bloomington/London.

J. Vachek (1966): The Linguistic School of Prague. An Introduction to Its Theory and Practice. Bloomington/London.

J. Vachek (1970): Dictionnaire de linguistique de l'École de Prague (Linguistisches [terminologisches] Wörterbuch der Prager Schule). Utrecht/Antwerpen.

J. Vachek (1983): The Heritage of the Prague School to Modern Linguistic Research. In: Praguiana 1983.

M. Wertheimer (1991): Zur Gestaltpsychologie menschlicher Werte: Aufsätze 1934-1940. Hrsg. und kommentiert von H.-J. Walter. Mit einem Vorwort von Albert Einstein und einer Kurzbiographie von Michael Wertheimer. Opladen.

D. Wunderlich (1969): Karl Bühlers Grundprinzipien der Sprachtheorie. In: Muttersprache 79/2. Mannheim/Zürich.

٥ ـ الجلوسماتية

٥ ـ ١ تأسيس الجلوسماتية وبنيوية كوبنهاجن، ومؤسسوها ١١٠

وجدت نظرية دى سوسير اللغوية فى الاتجاه الدنماركى المتميز لعلم اللغة البنيوى امتداداً مستمراً ومتشدداً فى الوقت نفسه أيضاً، إذ إنه قد نشأ بعد حلقة لغويى براغ، وكان يعد بادى الأمر اتجاهاً بديلاً داخل الفونولوجيا، وفى المؤتمر الدولى الثانى لعلماء الأصوات فى لندن سنة ١٩٣٥م طرح لغويان دنماركيان برنامج عمل تحت مصطلح علم الوحدات الصوتية (الفونيمية "Phonematik"، وهما لويس هيلمسليف L.Hjelmslev وهانز يورجن أولدال H.J. Uldall وبعد ذلك بوقت قصير أطلقا على اتجاههما (الجلوسماتية "Glossematik") فقد أراد هيلمسليف وأولدال باستعمال الجذر اليونانى «اللغة» (Glosse= γλωσσα) أن يؤكدا أصالة نظريتهما، وأن يرسما حدوداً بينها وبين كل الاتجاهات الأخرى فى علم اللغة(*). وبمرور الوقت صارت هذه النظرية أكثر بعداً عن أن تكون نظرية للفونولوجيا فقط. أما كيف تطورت وما هى مضامينها فسيعرض فى الفقرات الآتية لهذا الفصل، غير أنه ينبغى هنا أن نمهد ابتداءً فى صورة مقتضبة بالسيرة الذاتية العلمية لمؤسسى الجلوسماتية.

ولد **هيلمسليف** (١٨٩٩ــ ١٩٦٥) فى كوبنهاجن ابناً لأستاذ فى الرياضيات، ودرس فى كوبنهاجن علم اللغة المقارن لدى هولجر بدرسن(**)، وقضى جزءاً قصيراً من دراسته (١٩٢١) فى ليتوانيا. وبعد امتحانه رسالة الماجستير

(*) كان اقتراح هيلمسليف وأولدال لمصطلح «الجلوسماتية» تأكيداً لرغبتهما الجلية والمستمرة فى أن تتميز مدرسة كوبنهاجن تميزاً واضحاً عن مدرسة براغ، إذ شعرا فيما أظن أن اقتراحهما مصطلح «الفونماتية» السابق لدلالة على نظريتهما الوصفية الجديدة مقابلاً لفونولوجيا براغ لم يكن كافياً لتقديم حدود فاصلة بين اللغويين الدنماركيين والبراغيين. (المترجم)

(**) Holger Pedersen كان أحد علماء علم اللغة المقارن، بل من النحاة الجدد المتعصبين، ولكنه ألف كتاباً فى تاريخ علم اللغة طرح فيه آراء لغوية حديثة. (المترجم)

حصل سنة ١٩٢٣م على منحة للدراسة فى براغ، غير أنه لم يجد هناك فى ذلك الوقت إلا علم اللغة التقليدى. أما توقفه للدراسة فى باريس لدى انطوان ميه A. Meillet وجوزيف فندريس J. Vendryes سنة ١٩٢٧/٢٦ فكان خلاف ذلك، إذ تعرف هناك كتاب ف. دى سوسير «دروس فى الألسنية العامة» (الترجمة الألمانية عنوانها «القضايا الأساسية فى علم اللغة العام»، قارن الفصل الثالث)، الذى حظى بأهمية كبيرة فى تعميق نظريته. وفى سنة ١٩٢٨ اشترك فى المؤتمر الدولى الأول للغويين فى لاهاى de Haag الذى قدم فيه لغويو براغ نظرياتهم. وبدأت تتطور أفكاره حول مفهوم للبنية فى اللغة. وفى سنة ١٩٢٨م نشر عمله الأول الكبير مبادىء علم النحو العام (principes de grammaire générale)، وكان بحثه التالى المهم المنشور سنة ١٩٣٥م هو «مقولة الحالة الإعرابية "La catégorie des cas"، الذى اندرج فى النقاش الدولى حول لا متغيرات(*) الحركة الإعرابية (انظر ما يلى ٥ — ٤).

/ وقد أطلقت ايلى فيشر — يورجنسن على هذه الفترة الأولى من ١٩٢٨ — ١١١
١٩٣٥م فى نعيها هيلمسليف «فترة ما قبل الجلوسماتية». وفى تلك السنوات يتم أيضاً تأسيس حلقة لغويى كوبنهاجن سنة ١٩٣١م التى رأسها هيلمسليف حتى وفاته دون انقطاع إلا لزمن قصير. وكان لهذه الحلقة توجه بنيوى، وليس جلوسماتياً فحسب، وكانت «حلقة لغويى كوبنهاجن» اتحاداً إقليمياً، أنشىء حديثاً أيضاً. وقد صاغ هيلمسليف وأولدال مصطلح «الجلوسماتية» لنظريتهما اللغوية الشديدة الخصوصية حتى يحولا كذلك دون أى ترابط مماثل (أو تداع بينها وبين غيرها).

وكانت السنوات بين ١٩٣٥ و١٩٤٣م هى سنوات وضع نظرية الجلوسماتية هذه ، وعمقتها إلى حد بعيد الصلة الوثيقة بين هيلمسليف وأولدال. وبدءاً من سنة

(*) تستخدم المؤلفة هنا مصطلح Invariante ويعنى فى الأساس ثبات الحالة أو عدم تغيرها، وربما قصد به هيلمسليف به عدم التنوع أو التغير أو الاختلاف وربما عدم التصرف أو حالة الجمود، كل ذلك يتوقف على قراءة مضمونه فى مجلته، إذ نشر هذا البحث فيها بالإضافة إلى البحث الأول. راجع فيما يلى هامش مفهوم المصطلح فى التحليل الفونولوجى . (المترجم)

١٩٣٩ نشر فيجو بروندال Viggo Brøndal ــ وهو بنيوى، وليس جلوسماتيا(*) ــ ولويس هيلمسليف مجلة "Acta Linguistica. Revue internationale de linguistique stucturale" (المجلة الدولية لعلم اللغة البنيوى). وبدءاً من العدد التاسع باسم "Acta Hafniensia"، وهى التى ظلت مفتوحة أمام المؤلفين غير الدنماركيين أيضاً.

وفى سنة ١٩٤١م كتب هيلمسليف ملخصاً موجزاً مركزاً للغاية لكل تعريفات نظريته وقواعدها، غير أنه لم ينشر إلا سنة ١٩٧٥ (انظر ما يلى ٥ ــ ٣ ــ ٥).

وفى سنة ١٩٤٣ وسعت النظرية الجلوسماتية بشكل جذرى. فحين كان أولدال فى الخارج تطلع هيلمسليف إلى عودته لينشرها نشراً كاملاً، ولم ينشر أولاً سوى مدخل إلى النظرية، كتابه Omkring sprogteoriens grund laeggelse (مقدمات إلى نظرية للغة [لم يترجم إلى الانجليزية إلا سنة ١٩٥٣ بترجمة فرنسيس وايتفيلد])، بيد أن هذا ظل آخر الأمر العرض المترابط الوحيد للجلوسماتية(**). وسوف يوضح ذلك بشكل أكثر دقة فى ٥ ــ ٣.

ومن سنة ١٩٤٣ حتى نهاية الخمسينيات كانت بالنسبة لهيلمسليف فترة بث نظرية فى مقالات ومحاضرات كثيرة، بل كانت فترة اهتمامات أخرى أيضاً، فقد

(*) كانت إقامة بروندال وهيلمسليف فى باريس فرصة لنشوء اهتمامات واتجاهات متقاربة بينهما، أثمرت فى تأسيسهما معاً المجلة المشار إليها، وإن ظل الاختلاف بين الشخصيتين كبيراً لاختلاف تكوينهما الثقافى. وكان المقال الأول لبروندال فى العدد الأول من تلك المجلة هو علم اللغة البنيوى. (المترجم)

(**) أظن أن هذه المسألة قد كشف عنها مونان فى كتابه «علم اللغة فى القرن العشرين» الذى سبق اقتباسنا منه، إذ ذكر ص ١٢٩: «ولم يكن عمله سهلاً مع أولدال على ما يبدو، إذ إن كتاب Outline of Glossematics الذى أعلن مؤلفاه أنه سيصدر عام ١٩٣٥، لم ير النور إلا عام ١٩٥٧، وبإشراف أولدال وحده؛ وذلك على الرغم من أن هيلمسليف كان قد أعلن فى كتابه Omkring عام ١٩٤٣، من خلال أحد الهوامش، عن قرب صدور كتاب Outline فى مجلة TCLC بمساهمة العالمين (انظر الترجمة الانكليزية ص٤). ويشير هيلمسليف فى المكان نفسه إلى أنه قد تم التحضير للنظرية التى يعرضها بالتعاون مع هـ. و. أولدال بشكل خاص، فى السنوات ١٩٣٤ ــ ١٩٣٩». (المترجم)

شغل آنذاك على سبيل المثال بعلم الدلالة البنيوى، إذ دعم بناء على ذلك التزامه المهنى بوصفه أستاذاً جامعياً ومحرراً، وازدادت صحته سوءاً تدريجياً أيضاً حسب قول ايلى فيشر ــ يورجنسن. وفى سنة ١٩٦٥م توفى لويس هيلمسليف.

درس ***هانز يورجن أولدال*** (١٩٠٧ ــ ١٩٥٧م) لدى أوتو يسبرسن فى كوبنهاجن اللغة الانجليزية وآدابها. وفى سنة ١٩٢٧م ذهب إلى دنيال جونز فى لندن ليستكمل دراساته الصوتية. ومن ثم بدأت حياة ذات تغيرات كاملة، إذ لم يتلق دائماً إلا مهاماً تعليمية لمدد قصيرة. ومن ١٩٣٠ إلى ١٩٣٣م كانت لديه الفرصة لأن يمارس البحث الميدانى فى الولايات المتحدة الأمريكية فى مركز دراسة اللغة الميدوية Maidu كاليفورنيا(*). وقد رجا فرانز بواز «أوتو يسبرسن» أن يوصى له بعالم أصوات شاب اسكندنافى، فرشح له يسبرسن هـ. ى. أولدال. ومن سنة ١٩٣٣ حتى ١٩٣٩ عمل أولدال مرة أخرى فى الدنمارك، وبدأ تعاونه مع هيلمسليف الذى عرفه من خلال اللجنة الفونولوجية لحلقة لغويى كوبنهاجن. وطور كلاهما «علم الوحدات الصوتية» الذى غير اسمه بعد ذلك بناءً على اقتراح أولدال إلى «الجلوسماتية» حتى يكسب/ المصطلح من الناحية الاصطلاحية أيضاً مجالاً موسعاً ١١٢ للمهام. وخطط هيلمسليف وأولدال لتقديم عرض شامل لهذه النظرية اللغوية فى مؤتمر اللغويين سنة ١٩٣٦م، غير أنه برغم التعاون الفائق بينهما المؤكد مراراً فى المراجع تأجل الموقف النهائى.

وفى سنة ١٩٣٩ أرسل المركز الثقافى البريطانى(١) أولدال إلى اليونان، وفيما بعد إلى مصر والمنطقة العربية. وبسبب الحرب انقطع الاتصال بينه وبين هيلمسليف، إلا أن كلاً منهما تابع الاشتغال بالمشروع، وخطط لكتابة عمل مشترك ضخم هو "Outline of Glossematics" (مختصر الجلوسماتية)، إذ كان على أولدال أن

(*) تتحدث اللغة الميدوية Maiduan language مجموعات معروفة بأسماء مختلفة مثل ميدو وكونكو ونيسنان Maidu, Konkow, Nisenan، تتحدث كل مجموعة صيغاً مختلفة من اللغة الميدوية، ولكن بينها صلة. (المترجم)

(١) يمكن أن يقارن بمعاهد جوته الألمانية.

يؤلف المقدمة، والبحث الجبرى للغة، وأن يعرض هيلمسليف الجوانب الأخرى للنظرية وطريقة التناول مع كل التعريفات والقواعد.

وكان أولدال بعد الحرب أيضاً فى الدنمارك لفترة وجيزة فقط، ثم عمل فى انجلترا وفى أمريكا الجنوبية. وبدءاً من سنة ١٩٥٤م فى جامعة Ibadan (إِبَدَن) فى نيجيريا(*). وبحث فى أثناء ذلك جبراً مختلفاً عن الخطة الأصلية، بدا لهيلمسليف معقداً للغاية لعرض لغة طبيعية، ويصعب أن يتواءم معه نظامه الخاص للتعريفات. ولذلك قرر كلاهما ألا ينشرا فى البداية إلا الجزء الأول الذى ألفه أولدال ــ واستكمل بمقدمة لهيلمسليف. فما زال فى الإمكان أن يتفقا على ذلك، حين وصل أولدال إلى أوربا للاشتراك فى مؤتمر اللغويين سنة ١٩٥٧م فى أوسلو. غير أنه بعد عودته إلى نيجيريا بوقت قصير توفى على نحو غير متوقع إثر نوبة قلبية.

٥ ــ ٢ تأثيرات من علم اللغة ومن العلوم المجاورة

ف. دى سوسير، و«حلقة فيينا»

لم تلتزم الجلوسماتية مثل أى طراز (اتجاه) آخر لعلم اللغة البنيوى بنظرية ف. دى سوسير اللغوية، فقد تعرف لويس هيلمسليف كتاب «دروس فى الألسنية العامة» بداية عند إقامته فى باريس للدراسة، وقرأه حسب قوله فى وقت لاحق مراراً. وثمة ملحوظتان مهمتان حول علاقة هيلمسليف بنظرية دى سوسير اللغوى: الأولى: أكد هيلمسليف أنه كان قد صاغ أفكاره الخاصة عن نظرية لغوية بنيوية قبل أن يتعرف كتاب «الدروس»، والثانية: ذكر أكثر من مرة خطاباً لشارل باللى Ch. Bally أقر فيه هذا الأخير له أنه الوحيد الذى فهم دى سوسير فهماً حقاً(**). ففى الواقع تعد

(*) جامعة معروفة ومشهورة، فيها قسم للدراسات العربية والإسلامية، يدرس فيه عدد لا بأس به من الطلاب النيجيريين وغيرهم. (المترجم)

(**) وتلخص مليكا افيتش ذلك المعنى فى مقدمة تناولها للسانيات هيلمسليف، إذ تقول: وتعتمد لسانيات هيلمسليف على دى سوسير فى أمرين لا غير: لقد أشار دى سوسير إلى دور الأصوات فى تمثيل الماهيات السيكولوجية خلال عملية التفاهم المتبادل، وكذلك فعل هيلمسليف، إذ دأب على فحص الأصوات دائماً على أنها هيئات مجردة، على حين أهمل إهمالاً تاماً مظهرها المادى المحسوس. وأشار دى سوسير أيضاً إلى أن أصوات اللغة علامات تواصلية. ومن ثم وجب أن تدرس فى ضوء هذه الحقيقة فجاء هيلمسليف ليخضع مذهبه اللسانى لنظرية العلامات التواصلية، (وليس من الضرورى أن تكون هذه العلامات ذات طبيعة لغوية. «اتجاهات البحث اللسانى» ص ٢٤ (المترجم)

١١٣ العـلاقات بين المفـاهيم النظرية اللغويـة لكلا اللغويين/ وثيـقة للغـاية، فعنـد شرح الصعوبات فى كتاب هيلمسليف مداخل "Prolegomena" (فى ٥ ـ ٣) أبرز بوجه خاص أن هذا الأخير قـد تابع أفكار دى سوسير حتى النهاية بـكل إصرار، وبخاصة فهم اللغة على أنها نظام من العلامات، وتأكيد أهمية نظام للعلاقات والأفكار حول الشكل والمادة.

إن المفـتاح لفهـم تلك الأطروحات التى اخـتلف فيـها هيلمـسليف عن دى سوسير يوجد فى الشروط الفلسفية التى جعلها أساس بحثه اللغوى، وأقر بها بوضوح مراراً. ومن المحتمل أنه قـد عرف من خلال جماعة علماء الفيـزياء (المتحلقة) حول نيلز بور Niels Bohr فى كوبنهاجن مـذهب الوضعية الجـديدة، وهو اتجاه فلسفى يمثله بوجه خاص علماء الطبيـعة، وقد طالب بتغلغل الفلسفة فى العلم، ورفض أن ينظر إلى الفلسـفـة على أنها أسـاس نظرى مـعرفى ومنهـجى للعلم. ومن خـلال الاقتصار على الحقائق الممكن ملاحظتها ينبغى للفلسفة أن تتنازل للعلوم المفردة. وقد أحلت الوضعية الجـديدة فى القرن العشرين التحليل اللغوى مـحل المذهب الفيزيائى (الطبيعى) الذى كانت تمـثله وضعية القرن التاسع عشـر الميلادى. وارتكز هيلمسليف بوجه خاص على الحلقـة التى سميت «حلقة فيـينا» ورائدها موريتس شليك Moritz Schlick (١٨٨٢ ـ ١٩٣٦)، الذى كان قد نشر سنة ١٩٢٩ مذهبه (اعتقاده) "Der Wiener Kreis _ wissenschaftliche Weltanschauung" (حلقـة فيـينا، رؤية علمية للعالم).

وفى العشرينيات والـثلاثينيات اشتغلت هذه الجماعـة ببحث لغة العلم ووضع لغات شكلية وأشكال للحساب المنطقى وقصر الفلسـفة على مشكلات فلسفية للغة، بيد أن لها أيضـاً الفضل بلا منازع فى تأسيس علم المنطق الرياضى وتعـميق المعارف القيـمة لنظرية العلم ومنهجيـته. وقد شرحـت حلقة فيننا الخاصـية العلاماتيـة للغة، ووضعت قواعد تشييد بناء التعبيرات من العلامات الأساسية، وعالجت العلاقات بين جمل اللغة وقواعد تغيير التشكيل لتعبيرات لغوية، وحددت العلاقة بين لغة الموضوع

(الموصوفـة) واللغة **الواصـفة**(*). وقد كـانت هذه الموضوعـات هى الأهم بالنسـبة لهيلمسليف لبناء نظرية لغـوية. وقد نقل هيلمسليف فى موقفـه الإجمالى عن حلقة فيينا، بالإضـافة إلى مـا سبق المطالبـة بإمكانية الاشـتقـاق (الاستنبـاط) الرياضـية، واللاتناقض الشكلـى، واستـقلال النـظرية عن إمكانيـة تطبيـقـها، وكـذلك وصف العلاقات بغض النظر عن الوحدات المادية التى تنشأ بينها.

وقد أشار هيلمسليف مراراً باحترام كبير إلى عالم من هذه الحلقة هو رودلف كارناب R. Carnap (١٨٩١ ــ ١٩٧٠):

للمعالجة البنيـوية للغة [المقصود الجلوسماتية «بريجيـته بارتشت»] باتجاه فلسفى علاقات داخلية معينة. هذا الاتجاه الفلسفى، النظرية اللغوية للمنطق تتطور باستقلال تام عن علم اللغـة، ولم يأخذ به اللغـويون بوصفـه علماً حتـى الآن أيضاً. / وهو ينطلق ابتداءً من أفكار رياضـية، واستكمل بوجه خاص على يد الفـرد ن. وايتهد، ١١٤
وبرتراند راسل ومناطقة مدرسـة فيينا، وبخاصة رودلف كـارناب. ولأعمال رودلف

(*) من أهم المصطلحـات فى نظرية هيلمـسليف مصطلحـا Metasprache, Objektsprache ويبدو فيهما تأثره فى ذلك بكارناب، وللأسف اختلف كما هى العادة حول ترجمة هذين المصطلحين؛ ففى الفلسفة مـثلاً يقول د. زكريا إبراهيم فى دراسات فى الفلسفة المعاصرة: اللغـة التى تدور حول اللغة لدى كارناب هى ما وراء اللغة meta -language فى حين أن اللغة التى تدور حول موضوعات هى لغة الموضوع object - language. أما مترجما كتاب البحث اللسـانى مثلاً فإنهما يترجمان meta-language تارة بمصطلح لغة عليا، أو لغة مجردة ومنطقية إلى أقصى حد تستخدم لأغراض التعريف العلمى، وتارة أخرى بأنهـا لغة منطقية مثـالية للعلم، وهذا صحيح إجـمالاً ولكنه ترجمة حـرفية تارة وعبارة مـفسرة تارة أخرى. ولذا اخـترت ترجمة أظنهـا توائم منهج هيلمسليف فى نظريته وهـما لغة الموضوع أو اللغة الموصوفـة، وهى لغة النص المدروس وهى لغة طبيعية، واللغـة الواصفة، وهى اللغة التى يختارها عالم اللغة لدراسـة اللغة الطبيعية أو لغة الموضوع، فتكون منطقـية أو رمزية أو غير ذلك. وقد استخدمت مدرسة كوبنهاجن وبخاصة لـدى هيلمسليف وأولدال كما سيأتى لغة منطقية ــ رمزية ــ جبرية شديدة التعقيد.

(المترجم)

كارناب المبكرة حول النحو والدلالة علاقات معينة لا تنكر بالبحث اللغوى للغة (١٩٤٧م نقلاً عن ١٩٧٤ أ، ص ٦٦/٦٧)(*).

وهو يُعنى بشكل خاص بكتاب كارناب "Der logische Aufbau der Welt" (1928) (البناء المنطقى للعالم)، حيث كتب هذا الأخير فى الفقرة ١٦ «كل الأقوال العلمية هى أقوال بنيوية» ـ:

نحن نحصل على نتيجة أن كل قول علمى يمكن أساساً أن يحول بحيث لا يكون إلا قولاً بنيوياً. بيد أن هذا التحويل ليس ممكناً فحسب، بل مطلوباً. (١٩٢٨، ص ٢٠، ذكر لدى هيلمسليف فى : ١٩٧٤ أ ص ٦٧).

ويستند أولدال أيضاً على حلقة فيينا، وذلك واضح عند تعميقه كتابه: «جبر اللغة»، الذى يرتكز فيه بشكل صريح على كتاب راسل «مبادىء الرياضيات» Principia Mathematica (بالإنجليزية سنة ١٩٠٣م) والذى ينبغى أن يكون نظاماً للوظائف.

ويمكن أن يلاحظ بشكل هامشى أن هيلمسليف قد كان يذهب مذهب هذه النظرية العلمية لحلقة فيينا أيضاً حين نشأت فى الأربعينيات داخل الإطار المنهجى نفسه للوضعية اللغوية der linguitische Positivismus، فلسفة اللغة الطبيعية، التى ربما كانت أكثر مناسبة لموضوع اللغة الطبيعية natürliche Sprache، غير أنها

(*) يرى ر. كارناب أن البحث الدلالى يمكن أن يتخذ صورتين أساسيتين؛ حيث يعنى علم الدلالة الوصفى .D.S بوصف الظواهر التى تكيف طبيعة علامات التواصل الموجودة والمستعملة بالفعل.. فهو يقدم للفلاسفة من المقترحات ما يتمكنون به من صياغة التراكيب المنطقية التجريدية للنظم التواصلية. أما علم الدلالة النظرى فيتضمن تدقيقاً وإحكاماً لمنهج العمليات المنطقية باستخدام رموز يجرى إدخالها فى بنية تراكيب النظم الدلالية المجردة... ومهمة علم التراكيب هى ـ بناءً على ما يراه كارناب ـ بناءً نظرية من العلامات الشكلية باستخدام التحليل المنطقى. وفى مثل هذا التحليل ينظر إلى اللغة على أنها نظام رمزى a calculus، أى نظام من الأعراف أو القواعد يعبر عنه بالرموز، فالبحث التركيبى إذن سيكون ذا علاقة بمثل هذا التعريف للنظام التواصلى، «اتجاهات البحث اللسانى ص ٣٥٣، ٣٥٤».

(المترجم)

لذلك لم تقدم له نقطة اتصال، لأن نظريته الجلوسماتية لم تكن نظرية لغوية بقدر ما كانت نظرية عامة للعلامات على الأرجح.

٥ ـ٣ لويس هيلمسليف، مداخل إلى نظرية لغوية، ــ النقاط المهمة

ذكرت من قبل فى ٥ ـ ١ قصة نشوء هذا الكتاب الذى ظهر سنة ١٩٤٣م باللغة الدنماركية بعنوان "Omkring sprogteoriens grundlaeggelse" (مقدمة إلى نظرية لغوية). وفى الحقيقة لم يتعرف علم اللغة غير القومى (أى خارج الدنمارك) الجلوسماتية إلا سنة ١٩٥٣م حين ظهرت الترجمة الانجليزية له، وأعقب ذلك فيما بعد ترجمات إلى لغات أخرى، ولم يترجم إلى الألمانية إلا سنة ١٩٧٤. وسوف نقتبس فيما يأتى من هذه الترجمة الألمانية.

ولما لم ينظر إلى كتاب «المداخل»(*) بادى الأمر إلا على أنه مقدمة إلى الجلوسماتية فقد عولجت الموضوعات المفردةمعالجة شديدة الإيجاز فيما لا يزيد كثيراً عن مائة صفحة إجمالاً. وفى الواقع قد صيغ الكتاب بطريقة عسيرة على القارىء (غير رفيقة به)؛ وليس ذلك فقط لأن العرض صعب ومعقد للغاية من الناحية النظرية، ولأن النظرية لم توضح بأمثلة لغوية إلا نادراً، بل لأن «المداخل» دراسة صعبة، ولأن هيلمسليف (وكذلك أولدال فى عملهما المشترك) قد راق له أيضاً

(*) يرجع الخلاف فى ترجمة عنوان الكتاب إلى اختلاف العنوان الأصلى وهو Omkring اى مقدمة، عن الترجمات فى اللغات كما فى الانجليزية Prolegomena والفرنسية Les prolégomènes كما يقول مونان فى كتابه علم اللغة فى القرن العشرين ص ١٣٠: بمعنى المدخل، فيما تعطى الترجمة الحرفية للغة الدنماركية... ويؤكد ماليبرغ فى كتابه اتجاهات جديدة ص ٢٢٥ ويترجم كما ورد لدى مارتينيه إلى (فى أسس نظرية اللغة)، والعنوان يستخدم اللفظ اللاتينى نفسه الذى استخدم فى الترجمتين الإنجليزية والفرنسية وهو Prolegomena وهى صيغة جمع بمعنى مقدمات أو مداخل، ولذلك استعملت العنوان الأخير. ويؤكده عبارة مونان فى الكتاب السابق ص ١٣٥: **فهو يمثل أولى المحاولات لتأسيس نظرية علمية لوصف اللغات، نظرية قائمة على مقدمات منهجية (وتحتل هذه الكلمة مكاناً بارزاً فى الصفحات ١٢، ٢٢، ٢٥ إلخ).**

(المترجم)

خلق مصـطلحات جديدة ـــ كما أقـر هو نفسـه ذلك ــ ولا يرجع ذلك إلى وهم الأصالة فحـسب، بل حتى يؤكد بوجه خاص خـصوصية نظريته مـقارنةً بالنظريات اللغوية الأخرى. 115

فقد أُحْصِى فى حوالى مائة صفحـة ما يقرب من مائة مصطلح جديد، أحياناً أيضاً لمضامين كان لعلم اللغة من قبل مصطلحـات متخصصة لها. ولذلك فقد أرفق ناشر الترجمة الروسية (سنة ١٩٦٠) النص بملحق يسرد المصطلحات ويفسرها(٢).

ويمكن أن تُقَسَّم المباحـث الثلاثة والعـشرون لكـتاب «المداخل» على النحـو الآتى: تمثل المباحث من ١ ــ ٧ هـدف النظرية ومناهجها؛ وتعـالج المباحث من ١٢ إلى ١٥ اللغة بوصفها نظاماً للعلامات. أما المبحث ٢١ فيمد الجانب العلاماتى ليجاوز اللغة الطبيعية إلى لغات أخرى، ويشرح المبحـثان الأخيران المبادىء الرئيسية للتحليل، ويقدمان للتعريفات الضرورية للجلوسماتية(*).

وسوف نتناول فيما يأتى بشكل أكثر دقة: التعبير ــ المضمون والشكل ــ المادة (٥ ــ ٣ ــ ١)، وشبكة العلاقات (٥ ــ ٣ ــ ٢)، وتصورات هيلمسليف عن نظرية لغوية بـنيوية وهى الناتجـة عما سـبق (٥ ــ ٣ ــ ٣)، وتقسـيم العلامـات إلى صور (٥ــ٣ــ٤). وفى الخاتمة سيـعالج بإيجاز «المختـصر» المعقد (٥ ــ ٣ ــ ٥). وحيـثما يكون مفيداً، يستعان للإيضاح بمقالات متأخرة لهيلمسليف أيضاً.

ويمكن بلا شك ألا تؤخذ فى الاعـتبار بعض عمليات مـفيدة، استخدمـتها الجلوسماتية، مثل التوفيق والحفز.

ويجب أن يؤكـد فضلاً عـن ذلك أننا تخلينا كلية تقـريباً عن الاصـطلاحات الجلوسماتية، واستخدمنا بدلاً منها أوصافاً أو مصطلحات مرادفة قريبة منها.

---

(٢) للأسف لم يحتذ ناشر الطبعة الألمانية هذا المثال.

(*) إن هذا الكتاب الصغير الذى بقى مجهولاً لفترة طويلة قد طغى تماماً ــ كما يقول مونان فى كتابه السابق ص ١٢٠ ــ على كتـابيه: مبادىء وعلم النـحو العام، ومقـولات الحالات الإعرابية [سيشار إليهـما بالتفسيل فيما يلى]؛ وذلك نتيجة التـغيير الواضح والعميق فى أسلوب التفكير، إذ لم يعد الهدف بناء القواعـد العامة، بل بناء «علم لغـة» علمى؛ وعلى الرغم من أن الطموح قد بقى على ما هو عليه، فإن المبادىء قد تغيرت بشكل جذرى. (المترجم)

٥ ـ ٣ ـ ١ تعبير ـ مضمون، شكل ـ مادة

إن منطلق أفكار هيلمسليف حول هذا المركب هو معالجة ف. دى سوسير للعلامة اللغوية على أنها وحدة من المشير (الدال signifiant) والمشار إليه (المدلول signifié)، وعنده (أى هيلمسليف) التعبير "Ausdruck" والمضمون "Inhalt". وفرق هيلمسليف كذلك مثل دى سوسير بين الشكل "Form" والمادة "Substanz" فى اللغة. وبينما استعمل فى مؤلفه المبكر «مبادىء علم النحو العام» (١٩٢٨م) شكلاً لغوياً ومادتين (الأصوات والمضامين)، فقد تحول فى «المداخل» بعد ذلك إلى نسق أكثر منطقية وتناغماً: إذ يوجد على كل مستوى من المستويين ــ التعبير والمضمون ــ فى كل مرة شكل.

١١٦ / ويعتمد أيضاً على دى سوسير فى فرضيته، وهى أنه لا يجوز أن يكون موضوع علم اللغة إلا الشكل، ويكون ذلك (الشكل) على مستوى التعبير الفونيمات[٣]، وعلى مستوى المضمون وحدات بنية المعنى. أما المادة فهى المتلازم (المتعالق) غير اللغوى للشكل: وبتعبير أدق المتلازم غير المختص بلغة بعينها للشكل، وتكون على مستوى التعبير كل الأصوات التى يمكن نطقها (أو وسائل ثانوية مثل تسجيل الأصوات)، وعلى مستوى المضمون كل التصورات الممكنة. فالمادة بلا قاعدة، وغير مورفية (بلا صورة amorph)، وتفتقر إلى التشكل. ويعنى بمستوى المادة علماء آخرون أيضاً، أما الشكل فهو وحده موضوع علم اللغة، ويجب لذلك أن يبقى أيضاً موضوعه الوحيد(*).

---

(٣) يُؤكَّد هنا مرة أخرى أنه فى هذا العرض بقدر الممكن تستخدم المصطلحات المألوفة فى علم اللغة البنيوى حتى لا يثقل القارىء ــ الذى لا يقدم له إلا نظرة عامة حول الجلوسماتية ــ بسيل مصطلحات هيلمسليف الذى سبقت الإشارة إليه.

(*) كان من أهم منجزات هيلمسليف إدخال المفهومين المائزين الجديدين الآتين إلى البحث اللسانى وهما التمييز بين التعبير expression والمحتوى content، والتمييز بين الشكل form والمادة substance. إن التعبير والمحتوى مقولتان أساسيتان بدونهما لا يكون تفاهم متبادل. والمحتوى هو الواقع الحى نفسه الذى هو موضوع التواصل. أما التعبير فيشمل كل الوسائل التى يتم بها نقل كل المعلومات عن المحتوى وتحويلها إلى مصطلحات لغوية ــ أى إلى لغة، «اتجاهات البحث اللسانى ص ٣٢٦، ٣٢٧». (المترجم)

وهكذا يتضح أن هيلمسليف يكمل هنا فرضيات سوسير. ومن البدهى أنه قد استبعد من علم اللغة الذى يعده «باطنياً/ داخلياً»(*)؛ تلك المجالات الفرعية التى تتماس مع المادة اللغوية، وهى بالنسبة للمادة الصوتية علم الأصوات Phonetik، وبالنسبة لمادة المضمون علم الدلالة Semantik. غير أنه لما رأى أنه على سبيل المثال ثمة حاجة أيضاً إلى الدراسة النطقية والسمعية للمادة اللغوية، فقد عد هيلمسليف علم الأصوات وعلم الدلالة علمين معاونين لعلم اللغة.

وبلغت نتائج هذه الفروض مدى بعيداً. ورأى هيلمسليف أيضاً أنه لا يجوز للمرء أن يساوى بين القولين الآتيين:

* الشكل مستقل عن مادة معينة.

* الشكل مستقل عن كل مادة.

ولذلك يجد المرء فى الترجمة الانجليزية التى أذن بها — وإن لم يكن ذلك أيضاً بشكل مستمر — إلى جوار «المادة» كلمة purport (فحوى/ مفاد). فما هو واحد فى كل اللغات، ثم صيغ بصورة متباينة هو (فحوى/ مفاد)، وما شكل من مادة فى لغة بعينها هو مادة "substance". وهكذا فإن العلامة اللغوية بالنسبة

(*) استخدم هيلمسليف ثنائية نقلها عن الفلسفة أيضاً، ولكنها بمفهوم خاص لديه وهى الثنائية التى استخدمها للتمييز بين علم اللغة الذى أطلق عليه L'immanence، الذى اخترت له ترجمة المبدأ الداخلى [حوله خلاف كبير إذ يترجم إلى الذاتية، والباطنية والكمون والمحايثة... إلخ]، وبين العلوم الأخرى التى تدرس اللغة التى أطلق عليها Transcendance، الذى اخترت له ترجمة المبدأ الخارجى [ويترجم كذلك إلى ترانسندالية، وتعال، وتجاوز، ومفارقة، وحقيقة عليا، ومتعالية، والمبدأ العلوى (راجع مثلاً فلسفة كانط ويسبرز فى كتاب د. زكريا إبراهيم، دراسات فى الفلسفة المعاصر)]. وقد فسرهما د. نجيب غزاوى فى ترجمته لكتاب مونان ص ١٣٢، يقول فى الهامش: وتعنى الكلمة الأولى أن تعرف البنية اللغوية من خلال علاقات عناصرها ببعضها البعض بعيداً عن كل اهتمام خارج هذا النطاق. وتعنى الثانية أن نعتمد فى تعريف البنية اللغوية علاقاتها مع قضايا خارجية عن نطاقها مثل علاقاتها مع علم النفس وعلم الاجتماع إلخ.

(المترجم)

لهيلمسليف تتكون من شـكل التعبير، وشكل المضمـون. وبفضل هذا الشكل فقط يوجد نوعـان للمادة معـزوان (للشكل، أى مادة التعـبير، ومادة المضـمون)، هذان الأخيران ينشأن عند إسقاط نوعى الشكل على الفحوى "purport".

وطور هيلمسليف علم لغة، يعد جبراً للغة، ويعمل بعناصر للشكل خالصة، أعطيت لهـا أسماء اعـتبـاطية. وبدهى أنه قـد أقر بعد ذلك أنه ليـس من الضرورى حقيـقة، وإنما من المفيد أن تسـمى الوحدات فى أثناء التحليل الشكلى علـى نحو ما توصف (أو تحدد) فيما بعد، حين يسقط الشكل على المادة (أو على الفحوى)(*).

/ والفيـصل هو حالة أن كل لغـة تصب المادة لذاتها فى شكلٍ مـا. ويضرب **١١٧**
هيلمسليف المثال الآتى (١٩٧٤، ٥٧):

تقابل الكلمات الألمانية

Baum (شجرة) ــ Holz (خشب) ــ Wald (غابة)

الكلمات الآتية فى الدنماركية

–trae skov–

وهذا يعنى أن كلمة Holz تتشرب أجـزاء من مادة trae و Skov، بحيث يصير لكلمتى Baum و Holz معنى أشد تلاصقاً، أو بتعبير آخر: تتشكل المادة فى كلتا اللغتين فى هذا الموضع على نحو مختلف.

وانتهج هيلمسليف النهج ذاته مـثلاً مع الفصائل النحوية والأنظمة الفـونيمية. وها هو مثال على ذلك أيضاً:

(*) يطلق على وحـدات ذلك النظام اللسانى المجرد مـصطلح (الأشكال) "Forms". والشكل أيضاً هو كمية مجردة. إنه يعين جميع التواليف الممكنة لعلامة لغوية بعينها. ومن الممكن أن يفصل الشكل عن المادة ويدرس دراسة مسـتقلة. والحق أن مهمة عالم الجلوسـيمية ــ كما تقـول مليكا افيتش ــ هى أن يدرس شكل التـعبـير فى علاقـته بشكل المحتوى «اتجـاهات البحث اللـسانى» ص ٣٢٧. (المترجم)

اللغة التى يتكون نظام العدد فيها من:

مفرد — مثنى[٤] — جمع

قد شكلت مادة «العدد» على نحو مختلف

عن اللغة التى تشكله مورفولوجيا من

مفرد — جمع (١٩٧٤، ٥٧)

ويطلق هيلمسليف بعد ذلك استكمالاً لهذه الأفكار فى بحث متأخر، وهو مقال بعنوان «البناء الطبقى للغة»[*] (١٩٥٤، ترجم إلى الألمانية فى كتاب هيلمسليف سنة ١٩٧٤ آ) على

شكل التعبير — مادة التعبير

شكل المحتوى — مادة المحتوى

الطبقات "strata"، المستويات الأربع للغة.

٥ ـ ٣ ـ ٢ شكبة العلاقات

انتهى هيلمسليف انطلاقاً من مفهوم دى سوسير للقيمة (قارن الباب الثالث ٣ ــ ٤ ــ ٣) والتحديد السلبى للعلامات اللغوية الناتج عنه[٥] إلى فرضية أنه ربما لم تكن وثاقة الصلة (الأهمية) اللغوية بوجه عام إلا للعلاقات، للصلات بين الوحدات اللغوية، وليس لهذه الوحدات ذاتها. وقد دُعِّمت هذه الفرضية بأوجه فهم قياسية لمناطقة حلقة فيينا/ ؛ وفى ٥ ــ ٢ تنوولت أقوال رودلف كارناب المتماثلة معها، وفى 118
هذا السياق تعد لمعالجة هيلمسليف مفهوم الوظيفة أهمية كبيرة:

---

(٤) العدد اثنان مطبق نحوياً على سبيل المثال فى اليونانية القديمة والليتوانية والسلافية القديمة وبعض اللغات السلافية الحديثة.

(*) يقصد بذلك المقالة التى بعنوان: "La stratification du language" التى نشرت فى مجلة:
(Word vol. X No. 2 - 3, 1954 p. 163 - 188)

(٥) ما هو مُحَدِّدٌ لعلامة لغوية ما مختلفٌ عما هو مُحَدِّدٌ للعلامات الأخرى فى النظام ذاته.

فالوظيفة بالنسبة له مثلما هى فى الرياضيات والمنطق علاقة بين الدالات "Funktiven"، وليس هناك حاجة لأن تصف النظرية الجلوسماتية هذه الأخيرة. ولا تتحدد بنية لغة ما إلا من خلال هذه العلاقات وحدها، والدالات ليست سوى نقاط تقاطع (تقاطعات) من حزم التبعية. ويمكن من الناحية المنطقية أن تصنف الوظائف إلى:

١ ـ أوجه تعليق داخلى Interdependenzen، أى أوجه تبعية متبادلة للدالات، بعضها لبعض، فكلتا الدالتين تشترط كل منهما الأخرى؛

٢ ـ تحديدات Determinationen، أى أوجه تبعية أحادية، إذ تشترط إحدى الدالتين الأخرى، وليس العكس؛

٣ ـ أوجه تآلف Konstellationen، أى ائتلافات حرة، إذ لا تشترط إحدى الدالتين الأخرى.

وقد وُضِعت هذه العلاقات المنطقية «للتوالى/ للتتابع» (تركيبيا/ من الناحية النحوية) و«للنظام» أيضاً (جدولياً/ من الناحية الصرفية)(*). ومن ثم تنتج بالاشتراك

(*) هذا فى رأيى أثر من آثار تأثير دى سوسير على نظرية هيلمسليف اللغوية، وإن كان هيلمسليف قد عمق هذه الفرضية فى نظريته تعميقاً لا مجال للجدل فيه، ويتجلى ذلك فى معالجة مليكا افيتش لها حول تمييزه بين علاقات التتابع syntagmatic relations وعلاقات الاستبدال paradigmatic relations وتختص علاقات الاستبدال بفحص العلاقات التبادلية بين الوحدات اللغوية فى نظام لغوى كامل، على حين تختص علاقات التتابع بالعلاقات المباشرة بين الوحدات اللغوية فى سلسلة الكلام. وترتبط علاقات الاستبدال والتتابع بعضها ببعض على وجه التبادل على نحو ما جرى تأسيسه باستخدام اختبارات الإحلال. وينبغى أن يكون الهدف من التحليل اللسانى أن يعنى فى المقام الأول بالمظاهر اللسانية، ولا يعنى هذا أياً من المظهرين الصوتى والمعنوى فى اللغة، بل يعنى العلاقة بين المظهرين. ولكل لغة مفردة علاقاتها الخاصة بها. وتأسيس علاقات التتابع والاستبدال باستخدام اختبار الإحلال يمكن أن يحدد طبيعة الظواهر اللغوية ذاتها، أى أنه يظهرنا فى كل حالة من الحالات المعينة على ما هو خاصية أساسية عامة، وما هو سمة مفردة، «اتجاهات البحث اللسانى» ص ٣٣٣، ٣٣٤. وانظر هامش اختبار الإحلال كذلك.

(المترجم)

مع الوظائف العامة المذكـورة من ١ : ٣ التى تستخدم بلا اختـلاف سواء للتوالى أم للنظام شبكة مكونة من ٩ علاقات(٦)، يدعى هيلمسليف بهـا أنه يمكن أن تشتمل على كل العلاقات الواردة فى اللغة.

ولا يتناول فى النص إلا أمثلة ضئيلة جـداً، ونورد هنا للتمثيل: ***التحديد*** ــ أى التبعية الأحادية ــ فى النص (= التوالى) ينشأ بين الجمل الرئيسية والجمل الفرعية: فالجمل الرئـيسية ممكنة بدون الجمل الـفرعية، أما العكس فـلا يصح. ومع ذلك فلا يعنى ذلك بداهةً أن كل جملة فـرعية مفردة تشتـرط كل جملة رئيسية مـفردة: فلا تشترط الجملة الفرعـية المفردة وجود جملة رئيسية معينة، بل وجـود أية جملة رئيسية فقط. (١٩٧٤، ٨٥).

التعليق الداخلى ــ أى التبعية المتبادلـة ــ فى النظام ينشأ بين مقولة (فصيلة) العدد والحالة الإعرابية فى اللاتينية، فكلتاهمـا ترد معاً دائماً فى مورفيم واحد؛ ومع ذلك ينشأ بين الحالة الإعرابية المفردة والعدد المفرد ائتلاف حر (١٩٧٤، ٣٠).

١١٩ / وبدهى أن يعثـر على شواهد لغـوية لكل أنماط العلاقات دون صـعوبات. ومع ذلك فمن الجلى أن شبكة مكونة من تسع علاقات فقط ليـست كافية للاشتمال على الظواهر المعقدة فى لغـة طبيعية وأبنيـتها المركبة. وبرغم ذلك فـإن فكرة العثور على **كم محدود** endliche Menge من خواص شديد التجريد، شبكة، تعكسها بنية اللغة، فكرة محمودة للغاية ويمكن أن تندرج فى الجهود الساعية إلى العثور على الكليات فى قرننا.

٥ ـ٣ـ٣ تحديد ل. هيلمسليف للنظرية اللغوية

يحدد هيلمسلـيف الجلوسماتية باعتـبارها نظرية لغوية تحديداً شكليـاً صارماً. ويقع فى قلبـها ***مبدأ التجريب*** Empirieprinzip. ويفهم التـجريب لديه على

(٦) لذلك أدخل لهذه العلاقات أيضاً ٩ مصطلحات جلوسماتية، غير أنه لا ينبغى أن تسرد هنا.

نحو خاص للغاية؛ وينتج مبدأ التجريب تحديداً من المطالب الثلاثة التى سبق ذكرها فى سياق حلقة فيينا (قارن ما ورد تحت ٥ ــ ٢) **باللاتناقض** Widerspruchsfreiheit **والشمولية**(*) Vollständigkeit (أو : الوصف المستوفى) **والبساطة** Einfachheit :

ينبغى أن يكون الوصف خالياً من التناقض ومستوفياً وبسيطاً بقدر الإمكان. وتتقدم المطالبة باللاتناقض على المطالبة بالوصف المستوفى، وتتقدم المطالبة بالوصف المستوفى على المطالبة بالبساطة. (١٩٧٤، ١٥).

وبينما تعد هذه المطالب الثلاثة بلا شك مناسبة لوضع نظام (رمزى) منطقى تصطدم عند تطبيقها على لغات طبيعية بصعوبات جمة إلى حد معين. ولذا فإن الشمولية بالنسبة لنظرية لغوية إذن ليست بالأمر المرغوب فيه لأنه لا يمكن أن توسع نظرية تامة دون تناقض، بيد أن اللغة الطبيعية يجب أن تجيز توسعات فى أنظمتها الفرعية المنفتحة أساساً. وهكذا يجب أن يتخلى عن (مبدأى) اللاتناقض أو الشمولية. وفى الحقيقة يصعب اختبار البساطة، وهى على سبيل المثال ليست مناسبة حين تحجب علاقات لغوية لصالح عرض أكثر بساطة، أى ألطف من الناحية الرياضية.

وينبغى هنا أن تضاف ملحوظة: وهى أنه حتى فى التطور اللاحق لعلم اللغة، على سبيل المثال فى المراحل المبكرة للنحو التوليدى سعى المرء إلى تطبيق مفهوم البساطة الرياضى على وصف أحوال لغوية وتفسيرها. ولذا استخدم عدد من الوحدات الأساسية وعدد من القواعد معايير للبساطة. وقد أمكن أن يتوصل من الناحية الرياضية إلى أوصاف غاية فى اللطف وفق هذا المبدأ، غير أنه وجب أن يتخلى لذلك عن حقائق (وقائع) كثيرة وثيقة الصلة خاصة ببنية اللغة، إلى حد أنه لزم العدول عن هذا الفهم للبساطة.

(*) من المفيد أن نذكر هنا إيضاح سونان لهذا المبدأ أو المطالب الثلاثة، إذ يقول ص ١٣٥، ١٣٦ : إن «مبدأ التجريبى» (وتلك كلمة جديدة تعنى لديه أمراً مختلفاً تماماً عن كل معانيها المعروفة) يشمل معايير عدم التناقض والشمولية والبساطة التى نجدها فى أساس كل الصياغات المنطقية منذ فريجه Frege.   (المترجم)

إن نظرية، تفى بمبدأ التجريب، هى بالنسبة لهيلمسليف ***نظرية اعتباطية*** arbiträr بمعنى أنهـا مستقلة عن الخبرة(*)، وأنها لا تشى بشىء عن إمكانات/ تطبيقها وعلاقاتها بوقائع محسوسة. ومن البدهى أن هيلمسليف لم ينكر أيضاً أن ١٢٠ أية نظرية يجب أن تكون قابلة للتطبيق بوجه عـام ـــ فى أى مجال للتطبيق دائماً أيضاً ـــ وإلا كانت فى الحقيقة غاية فى ذاتها. ولكنه مع ذلك قد طالب بأن النظرية ينبغى أن تكون متكاملة، وألا يجوز أن يكون لإمكـان تطبيقها ***فى مجال معين*** تأثير على النظرية ذاتهـا. وبذلك تتقابل الاعتبـاطية (بوصفهـا «تقديراً») والملاءمة (بوصفها «خبرة») دون مقدمات.

وفى الواقع يجب أن يخفف النقد بأن الجلوسماتية حسب ادعائهـا ليست نظرية لغوية عـادية، بل هى بالأحرى نظرية للعـلامات ذات إمكان تطبـيق عالمى، ولذلك يجب أيضاً أن تقاس إمكانية اختبارها ومفهوم التطبيق فيها بمقاييس أخرى.

٥ ـ ٣ ـ ٤ العلامات ـ الصور اللامتغيرات ـ المتغيرات

يجب الرجـوع فى هذا الفصل تارة أخـرى إلى نظرية دى سوسير اللغـوية (الباب الثالث) والملحوظات التمهيدية للمبحث ٥ ـــ ٣ ـــ ١. فاللغة وفقاً لها نظام من العلامات لا يختلف عـن كل الأنظمة السيميوطيقـية الأخرى إلا من خلال أن اللغة الطبـيعيـة يمكن أن تطبق بشكل كلى (عالمى). ويسـرى على النظام اللغوى أيضاً ما يسرى على كل الأنظمة السيميوطيـقية الأخرى تماماً: فالعلامة تمثل وحدة

(*) يرادف مبدأ الاستقلالية لديه مبدأ الموضوعية (أى التعريف المعتمد على علاقات عناصر الموضوع ببعضها البعض). ويعبر مبدأ الاعتباطية (تعتبر النظرية مستقلة فى ذاتها عن كل تجربة)، ومبدأ الانسجام أو الملاءمة (يعرف المنظر من خلال كل تجربته السابقة فى مجال بحثه أن نظريته ممكنة التطبيق فى هذا المجال) بأصالة عن الحركة النوسية الضرورية بين لحظة الاستقراء ـ أى معرفة معطيات التجربة، ولحظة الاستنتاج ـ أى الصياغة «الاعتباطية» لمجموعة فرضيات. (يعلن هيلمسليف مع ذلك أنه لا يستعمل كلمتى الاستقراء والاستنتاج بمعناهما الدارجين). أما مبدأه فى الشمولية فهو المسلمة التى تقول بأن كل لغات العالم تتشابه بوجود القوانين العامة للبنية فيها (انظر مبحث الشموليات Universalien فيما بعد تشومسكى). موتان ص ١٣٦. (المترجم)

بين الدال signifiant والمدلول signifié، أى صورة صوتية وتصور(*)؛ وحدة ليست إلا *إلحاقاً*، فقط، ولا تتوسل بعلاقة سببية. فوظيفة العلامة – فى مصطلحات العلاقة لدى هيلمسليف – هى تعليق داخلى، لأن وجهى العلامة يشترط كل منهما الآخر بشكل متبادل.

ويوجد هنا بالنسبة لهيلمسليف بخلاف العالمية «الشمولية» Universalität فارق آخر بين اللغة الطبيعية والأنظمة السيميوطيقية الأخرى: يمكن أن تتفرع علامات اللغة الطبيعية إلى وحدات أصغر، لم تعد علامات. ففى اللغة فقط يوجد المستويان: التعبير والمضمون، وهو ما يمكن أن يتبين على النحو الآتى:

فى الأنظمة السيميوطيقية الأخرى تنشأ علاقة واحد إلى واحد (تساوٍ) بين التعبير والمضمون، وهو ما يجعل الفصل بينهما إلى مستويين أمراً زائداً، قارن:

* «يدل» هذا الزى على امرأة متزوجة، أى يشير هذا الزى بلا لبس eineindeutig إلى امرأة متزوجة، ولا يجوز لأحد آخر أن يلبسه، ولا يجوز لامرأة متزوجة أن ترتدى شيئاً آخر؛

* «يدل» هذا الزى على ملازم ثان (على نحو مماثل).

أما فى اللغة الطبيعية فإن تتابعاً صوتياً على العكس مما سبق «لا يدل» على مضمون من خلال علاقة واحد إلى واحد، قارن فى اللاتينية النهاية "u +s" لحالة
١٢١ الرفع + المفرد + المذكر». وهكذا فإن وحدتين تعبيريتين (u + s) تقابل/ ثلاث وحدات مضمونية، ولذا لا توجد أحادية المعنى – ليس فى هذا المثال فحسب، بل كقاعدة.

(*) لا شك أن هذه الثنائيات تؤكد أن أفكار هيلمسليف امتداد لأفكار دى سوسير، ولكنها أكثر نضجاً ودقة (راجع ادعاء أو خطاب ميه إليه بأنه تلميذ دى سوسير الوحيد والحقيقى). فاللغة عنده شكل وليست مادة (جوهراً) كما هى الحال لدى سوسير (فليس للمادة – الصوت والمعنى – قيمة فى ذاتها). وتقابل ثنائية دى سوسير الدال والمدلول لديه مستوى التعبير ومستوى المحتوى (ولكل منهما مادة وشكل)، وثنائية اللغة والكلام تقابل لديه ثنائية النظام والنص (أو الاستعمال)، وثنائية التحليل الجدولى الصرفى والتحليل الأفقى النحوى تقابل لديه ثنائية النظام (أو علاقة أو – أو) والتابع (أو علاقة و – و) .... إلخ (المترجم)

وقد قادت هذه الفكرة هيلمسليف إلى تجزئة العلامات اللغوية إلى أجزاء أصغر، أطلق عليها *صوراً* أو *أشكالاً* "Figuren"(*). والصور هى وحدات لم يعد لها خاصية العلامة، لأنها لم تعد قابلة لأن تتجزأ إلى تعبير ومضمون. فلا تمتلك صور مستوى التعبير مدلولاً، ولا تمتلك صور مستوى المضمون دالاً. غير أن الصور أجزاء من العلامات؛ ومن خلال ائتلافات مقعدة تبنى منها علامات.

وللبحث بالصور ميزتان:

(أ) يمكن أن ينطلق من عدد ضئيل للغاية من الوحدات الأساسية، الصور، التى تبنى منها دائماً علامات جديدة.

(ب) يجب أن نبادر بأن الفكرة فى ذاتها ليست جديدة؛ ففى فونولوجيا براغ فى زمن أسبق قليلاً جزئت الوحدات الصوتية (الفونيمات) إلى وحدات أصغر، ***السمات الفارقة (=المميزة)***، قارن الباب الرابع ٤ ــ ٤ ــ ١، تروبتسكوى (١٩٣٩م). ومع ذلك فطريقة تناول هيلمسليف المحددة جديدة، وهى التى تصف مستويى التعبير والمضمون وصفاً متناسقاً، ومن ثم تفيد من مستوى التعبير الذى بحث بصورة أفضل فى وصف مستوى المضمون. ونتيجة لذلك فقد قصد هنا أيضاً التصورات، أى مكونات المعنى التى تتركب منها بعد ذلك دلالات العلامات. وفى كتاب «المداخل» لا توجد حول ذلك إلا مباحث أولية، غير أن

(*) استخدم هيلمسليف هذه الكلمة بمعنى خاص، فالصور أجزاء من العلامات، لها جانبان: جانب التعبير وجانب المضمون، وينتج تركيب الصور بجانبيها العلامات. ومن المصطلحات الأساسية أيضاً التى ترد تحتها (لم يردا فى تناول المؤلفة) مصطلحا cénèmes سينيم أوكينيم (من الجذر الاغريقى kénos بمعنى فارغ) مقابلاً للفونيم مستقلاً عن مادته الصوتية فى عرف مدرسة براغ، (لاحظ التحول من استخدام phonématique (سنة ١٩٣٥م) إلى cénèmatique (سنة ١٩٣٦). و plérèmes (من الجذر اليونانى pleros بمعنى ملئ) بمعنى الوحدة الحاملة للمعنى، مقابلاً للمورفيم فى مدرسة براغ،، والمونيم فى مدرسة جنيف. والجلوسيم glossemes (من الجذر اليونانى glosse بمعنى اللسان أو اللغة أو الكلام) لدى هيلمسليف هو أصغر الوحدات اللغوية ويجمع تحليله بين السينيم والبليريم. (المترجم)

مطلب هيلمسليف فى إسهامه فى مؤتمر اللغويين الثامن سنة ١٩٥٧م فى أوسلو: «إلى أى مدى يمكن أن يُنْظَر إلى دلالات المفردات على أنها مشكلة للبنية؟» يصير أكثر وضوحاً (قارن هيلمسليف (١٩٥٨م)).

ويقدم هنا ما يأتى:

شابة : شاب	تفرق بينهما علامة الجنس ــ أنثى : ذكر؛
شابة : امرأة	تفرق بينهما علامة العمر ــ غير راشدة: راشدة؛
شابة : قطة صغيرة	تفرق بينهما علامة النوع ــ إنسان : حيوان.

وينتج عن ذلك أن معنى «شابة» يتركب من المكونات «أنثى ـ غير راشدة ـ إنسان»[٧]. وبهذه الدراسات ومثيلاتها صار هيلمسليف مشاركاً علم الدلالة المعجمى البنيوى. وقد أشير فى الباب الرابع ٤ ــ ٥ ــ ٢ عند شرح أعمال
١٢٢ ياكوبسون إلى أن هذا الأخير قد طور نقاطاً بحثية مشابهة، / ومع ذلك فإنه خلافاً لهيلمسليف كانت تلك الدراسات البنيوية حول معان نحوية.

ويتجلى تواز آخر مع ياكوبسون فى سعى هيلمسليف إلى وحدات ثوابت للنظام تتناسب معها فى الواقع متغيرات (عدة عند الضرورة) بين ***اللامتغيرات*** Invarianten ينشأ «إحلال» يتم اختباره باختبار الإحلال Kommutationstest[*]: حين يجرى على مستوى من المستويين ــ التعبير أو المضمون تغيير ما، وبناءً عليه يتغير كذلك شىء ما على المستوى الآخر المماثل، فإنه يقع بين شكل البداية وشكل النهاية إحلال (تبديل). ويعد كلا العنصرين

---

(٧) وبعبارة أكثر دقة: هذه السمات الثلاث متضمنة فى معنى «شابة»، فضلاً عن سمات أخرى كثيرة أيضاً، تتعلق بمضامين أخرى للوحدة المعجمية.

(*) يقابل ذلك الاختبار كما سنرى فيما بعد اختبار الاستبدال، ويتم اكتشاف مدى الإمكانات الفعلية للتوليف باستخدام الإحلال commutation، وهو الاستبدال المنظم لكل علاقة لغوية فى سياق معين بهدف التحقق من العلامات التى يمكن لها أن تشغل هذا السياق والعلامات التى يمتنع عليها ذلك، وهذا العمل يزودنا بالمعلومات التى تحدد العلامات المرتبطة فيما بينها بعلاقات متبادلة والعلامات التى ليست كذلك. (المترجم)

المتمايزين غير متغيرين. أما مع نتيجة سلبية للاختبار فإن الأمر يدور حول متغيرات (بدائل) Varianten.

وقد تحدد ذلك أيضاً بالنسبة للفونولوجيا قبل هيلمسليف، ولكن الجديد هو المعالجة المتناسقة لكلا المستويين. ويعنى ذلك أنه لا يقابل فقط بين

Garten (حديقة) : Karten (ورق اللعب)

(على مستوى المعنى يوجد إذن فارق، إذ إن g وk وحدتان صوتيان (فونيمان)، فهما إذن ليسا متغيرين (بديلين))، K^h arten : Karten (ورق اللعب)

(على مستوى المعنى لا يتغير شيء، إذ K و K^h متغيران [أى بديلان لوحدة صوتية (فونيم) واحدة](*)،

ولكن هيلمسليف يسلك أيضاً النهج من مستوى المضمون إلى مستوى التعبير. ويعنى هذا بالنسبة لمثال السابق إيراده عن «الشابة» أنه عند تغيير علامة المضمون؛ عند استبدال «ذكر» بـ «أنثى» مثلاً، يجب أن يحدث أيضاً تغيير على مستوى التعبير (إلى «شاب»)، ويعد المكونين غير متغيرين (أى ليسا بديلين).

٥ ـ ٣ ـ ٥ لويس هيلمسليف، مختصر نظرية اللغة،

كما ذكر فى ٥ ـ ١ كتب لويس هيلمسليف سنة ١٩٤١م مختصراً Résumé «باعتباره عملاً موسعاً أو ممتداً (فى الأصل ١٨٧ صفحة بطول صفحات الآلة الكاتبة)، بل إنه مختصر بالغ التكثيف للنظرية الجلوسماتية، فى أثناء انتظار عودة أولدال إلى كوبنهاجن. وبالنسبة للعمل الضخم المخطط له حول الجلوسماتية اضطلع هيلمسليف بعرض النظرية، وتولى أولدال عرض جبر اللغة. وهكذا فإن نص «المختصر» قد نشأ فى الوقت نفسه الذى تكون فيه نص «المداخل»، غير أنه

(*) سبقت الإشارة إلى أن خاصية النَّفَسية Aspiration لا تؤدى إلى تغير فى المعنى فى اللغة الألمانية، إذ لا تعد فيها سمة فارقة، فلا فرق بين نطق K بطريقة غير نفسية، ونطقه K^h بطريقة نفسية وتجدر الإشارة هنا إلى الشبه الواضح بين:

Invariante و Variante, phoneme و allophoneme

لم يتداول إلا فى نسخ ضـئيلة. وبعد وفاة هيـلمسليف فقط حصّل فـرنسيس ج. وايتفيلد F.J. Whitfield سنة ١٩٧٥م على إذن الأرملة فـيبكه هيلمسلـيف بنشر كتاب «المختصر» "Résumé of a Theory of Language".

ولا يدور الأمر هنا حول نص مـترابط، بل سرد مركز للتعـريفات والقواعد والعمليـات والمبادىء، ولا يستـشهد بأمـثلة إلا بمقدار ضئـيل. ولا يمكن أن يقرأ «المختصر» دون معرفة «المداخل». وبسبب درجة صعوبته فهو لا يتناسب مع مدخل مثل المدخل الذى نقدمه؛ ولكن يمكن بلا شك أن تكون قوائم التعريفات والقواعد إلخ مفيدة بوضعها إلى جانب نص «المداخل».

٥ ـ ٤ لويس هيلمسليف، مجالات بحثية أخرى

١٢٣ / من بين ما كتـب هيلمسليف فى «فترة مـا قبل الجلوسماتية» بـحث «مقولة الحالة الإعرابية» (La catégorie des cas، ١٩٣٥م). وكان البحث، الذى ظهر فى الفتـرة ذاتها تقريباً التى ظهـر فيها بحث رومـان ياكوبسون «إسهـام فى علم الحالات الإعرابيـة العام» (Beitrag zur allgemeinen Kasuslehre، ١٩٣٦م)، كان مثل ذلك الأخير مـحاولة لتحديد جـدولى (صرفى) لعناصر مقولة نحـوية. وكانت نقطة الانطلاق فى هذه الحال أيضاً ف. دى سـوسير مفهوم ــ القـيمة valeur(*)؛ قيمة الوحـدة اللغوية التى تـنتج عن إدراج هذه الوحدة فى نـظام، والتى تتحـدد فى هذا النظام على نحو تقابلى konfrontativ دائماً. وينطلق هيلمسليف من ثلاثة «أبعاد»، تنتظم فـيها الحـالات الإعرابيـة المفردة لكل اللغـات المدروسة، وفى حالة مُـثْلَى كل اللغات الموجـودة بوجه عـام. وهذه الأبعاد هى ***«الاتجـاه ــ الربط ــ الفـاعليـة/***

(*) لا خلاف حول تأثر كل من مدرسـة براغ ومدرسة كوبنهاجن بفكرة القيمـة، إلا أن كل مدرسة قد تجاوزت حـدود توظيف دى سوسـير لهـذه الفكرة، واختـصت مدرسة براغ بتـوظيفـها فى مـجال الفونولوجيا أسـاساً (راجع بوجه خاص فى الفصل السابق مـفهوم المقابلات Oppositionen لدى ياكوبسون، وانتقالها على يده إلى مجال النحو): واختصت مدرسة كوبنهاجن بنهج شكلى/ وظيفى يصل بين التحليل الجلوسيـمى والتحليل الجدولى الصرفى (العلاقات مع الغـائب) والتحليل الأفقى النحوى (العلاقات مع الحاضر). (المترجم)

المفعولية»، ويمكن أن تتحقق أقسام فرعية للاتجاه "Richtung" مثل: ***الاقتراب ـــ السكون ـــ الابتعاد***. ويمكن أن يكون لكل بعد من الأبعاد مـا بين عنصرين وستة عناصر. وهكذا ينتج عن ذلك كحد أقصى ٦ ٣ = ٢١٦ حالة إعرابية ممكنة.

وقد عُـرِضت فى الجـزءين الأولين من البحث الأسس العـامة، ووصـفت ضمن ما وصفت الأنظمة الإعرابيـة لست لغات قوقازية ــ بحالاتها التى تصل إلى ٥٢ حـالة إعرابيـة. ويشتـمل الجزء الثـالث على اللغـات الهندوأوربية، وينتـهى بملحوظات ختامية. ولم يظهر ذلك الجزء الأخـير، إذ كانت اهتمامات هيلمسليف قد تبدلت فى اتجاه الجلوسماتية.

وما أسهل أن يعرف أن المبدأ الذى طبق لـوضع علم عام للحالات الإعرابية هو نفـسه الذى طُبِّق لدى ياكـوبسون: فـقد بحث بالسـمات الدلاليـة التى يُمَكِّن ائتلافها المعين من فصل الحالات الإعرابية المفردة بعضها عن بعض، غير أنها تُعالج فى نظام كلى.

وثمة مـجال بحـثى آخر، وهو علم الدلالة المعـجمى البنيـوى، الذى سبق الكلام عنه فى ٥ ــ ٣ ــ ٤، ولا ينبغى أن يتناول هنا مرة أخرى.

ومن الجدير بالذكر أن هيلمسليف قد شغل أيضاً بمشكلة علاقات التتابع فى الجملة(*) (قارن هيلمسليف (١٩٥٠م)). وفرضيتـه المبدئية هى أن تتابع العلامات داخل الكلمة ثابت، تحـدده قواعد إجبارية، بيـنما يخضع التتابع بـين العلامات،

(*) مفهـوم العلاقات ــ كما أشـير من قبل ــ مفـهوم جوهرى لدى هيلمسليف، ويرتبط ارتبـاطاً وثيقاً بمفهـوم الوظيفـة. فالعـلاقات الجـدولية الصـرفيـة (أى فى النظام) هى ترابطات Korrelationen (تلازمات)، والعلاقات الأفقيـة النحوية (أى فى النص أو الاستعمال) هى وظائف Funktionen. وهكذا يكشف تحليل البنية قواعـد التنظيم نفسها بالنسبة لمستوى التعبير والمحـتوى، وهو ما يعرف لديه بمبـدأ «التطابق فى النظام». ويقتـصر كـذلك معنى الوظيـفة لديه على العـلاقة (غيـر المادية، المجردة، الشكلية) والتتابع واختبار الإحلال».

(المترجم)

التى هى مفردات لقواعد متباينة، وهو «حر» فى بعض اللغات، ولذا يمكن أن يستخدم لأغراض غير نحوية (قارن حول ذلك أيضاً فى الباب الرابع ٤ ـ ٦ بحوث يلم ماتسيوس حول التقسيم الفعلى (أو الحقيقى) للجملة). ويكمن إسهام هيلمسليف الخاص فى هذا الموضوع فى محاولة تطبيق النظام المفهومى الجلوسماتى على هذا المجال، وبخاصة اختبار الإحلال. ويلحظ فى ذلك بلا شك التعقيدات التى تجلبها معطيات أسلوبية إلى ذلك المخطط المصوغ صياغة بنيوية.

/ وينبغى كذلك أن تذكر فى الختام نشرية غريبة للغاية بالنسبة لهيلمسليف، ١٢٤
وهى كتيب بعنوان اللغة (Sproget ١٩٦٣م). وهو باعتباره مدخلاً إلى علم اللغة للطلاب، مذكرة سهلة الفهم عرضت، فيها كل مجالات علم اللغة، ومن بينها القرابة اللغوية والبناء اللغوى والاستعمال اللغوى والفهم اللغوى، واستشهد فيها بأمثلة كثيرة. ومن الجدير بالملاحظة على سبيل المثال الجملة الآتية أيضاً:

ما أقدر المرء على الحديث فى العلم عن نتائج دائمة ـ غير أنه يصعب عليه الحديث عن وجهات نظر باقية (١٩٦٨، ١١).

وقد استشهد على هذه الفكرة بمقارنة بعلم الفلك: فقد كان تيشو براهه Tycho Brahe يظن أن الشمس تدور حول الأرض، ولذلك فإن ملحوظاته يجب ألا ترفض بل أن يعاد تأويلها uminterpretiert فقط. وهكذا يجب أيضاً ألا يتصرف فى بحوث علم اللغة الحالى.

٥ ـ ٥ هـ. ى. أولدال، «جبر اللغة»

فى سنة ١٩٥٧م ظهر الجزء الأول من العرض الضخم المشترك المخطط له للجلوسماتية تحت عنوان «مختصر الجلوسماتية Outline of Glossematics، دراسة فى منهجية الدراسات الإنسانية مع مرجعية خاصة إلى علم اللغة، الجزء الأول:

نظرية عامة». ويبدى العنوان زعماً كبيراً للجلوسماتية باشتمالها على كل العلوم الإنسانية (العقلية)، وينبغى أن يكون علم اللغة جزءاً من هذا المشروع فقط(*).

وفى هذا المبحث يناقش الجزء الرئيسى من هذا المجلد الأول؛ وهو الجزء الذى يُعْنَى بالجبر الجلوسماتى.

ويقبل جبر أولدال إلى جانب الوحدات السلبية، الوحدات الإيجابية أيضاً؛ وفى الواقع يتعلق الأمر لديه بأوجه ربط تركيبية (سينتجماتية)، فى حين لم يُجز مفهوم دى سوسير وهيلمسليف للقيمة إلا وحدات محددة تحديداً سلبياً، تُرَتب إذن فى النظام ترتيباً جدولياً (صرفياً). ويحد أولدال ذلك:

إذا قورن بين وحدتين أب وأ، فإن ب قيلت لتكون موجبة فى أب، وسلبية فى أ، الذى كتب الآن أ بَ. (١٩٥٧، ٤٧ نقلاً عن إ. فشر – يورجنسن ١٩٧٩، ٢٣٣).

وفى ذلك توضح علامة ناقص (ــ) غياب وحدة خاصة فى موقع خاص، وبلفظ أولدال: موقع جلوسماتى لم يستشهد له (لا شاهد له).

وثمة أمثلة أخرى عن فيشر – يورجنسن ١٩٧٩، ٢٣٣

(*) لا يمكن تجاهل ذلك الطموح فى مشروع هيلمسليف وأولدال، فقد أراد أن يجعلا من الجلوسماتية نوعاً من الجبر القادر على تنظيم التحليل الوصفى الذى يصلح لكل العلوم، وليس علم اللغة فحسب، فهل استطاعا أن يجدا التراكيب الجبرية المناسبة للوصف، وهل نجحا على مستوى التطبيق فى تحقيق ذلك الطموح، وهل قدما وصفاً واضحاً وملائماً يحقق معايير عدم التناقض والشمولية والبساطة؟ وهل استطاعا أن يقدما فى محاولاتهما مبادىء تحليل، يمكن أن تفيد منها المدارس الأخرى بتوسيع تطبيقها أو تعديلها أو الإضافة إليها؟ إلى آخر التساؤلات التى يمكن العثور على إجابة لها من تفسير موقف علماء اللغة بوجه عام باستثناء اندريه مارينيه الذى أثر هيلمسليف فى فكره خلال فترة من الزمن، وبعض علماء شبه الجزيرة الاسكندنافية وبخاصة ايلى فيشر – يورجنسن وهنّينج شبّنج – هِنسن، غير أنهم ابتعدوا – كما أشار مونان ص ١٣٥ – جميعاً بشكل واضح ومتفاوت عن مذهب الغلوسيماتيك فى حرفيته، لدرجة أنه لم يعد لهذا المذهب أى أثر فى أيامنا هذه، وخصوصاً فى فرنسا، إلا فى مجال المصطلحات.

(المترجم)

١ ــ تكتب play, pay lay, A جلوسماتياً كما يلى:

$plei, p\bar{l}ei, \bar{p}lei, \bar{p}\bar{l}ei$[*].

٢ ــ فى الألمانية "auf" يمكن أن يقع مع القابل Dativ والمفعول Akk أيضاً، فى حين أن "um" لا يقع إلا مع المفعول[**]. والكتابة الجبرية لدى أولدال هى:

/ "auf" (+ a + d) {+ تعنى تستخدم فى حالتى المفعول والقابل} ١٢٥

"um" (+ a - d) [+ تعنى تستخدم فى حالة المفعول و ــ تعنى لا تستخدم فى حالة القابل (المترجم)}

مع خاصية أن "d -" لا تكون ممكنة إلا حين ترد فى مكان آخر "d+ ".

ووفقاً لذلك تكتب العلاقات الجلوسماتية الرئيسية الثلاثة كما يلى:

الائتلاف (= إمكانية ربط حرة) : $+ a\bar{b} + \bar{a}b +$

الاختيار (= تبعية أحادية) : $+ a\bar{b} - \bar{a}b$ أو $- a\bar{b} + \bar{a}b +$

التضافر (= تبعية متبادلة) : $- a\bar{b} - \bar{a}b -$

ولما كان $\bar{a}\bar{b}+$ و$\bar{a}\bar{b}$ - ممكنين فإن للمقولة الثنائية أربع مجموعات: $\bar{a}\bar{b}$ و$a\bar{b}$ و$\bar{a}b$ و ab، ويمكن بدورها من حيث هى مجموعة أن تكون موجبة أو سالبة. ويحصل أولدال بهذه الطريقة على ١٦ مجموعة متباينة على أساس "a" و"b".

وفى الخاتمة ثمة تحليل آخر من الفونولوجيا، ليس من السهل التأكد من جدواه:

(*) علامة ناقص (ـــ)، أى الشرطة الموجودة فوق الصوت، تعنى أنه غير موجود، فصوت ($\bar{l}$) غير موجود فى pay، و($\bar{p}$) غير موجود فى lay، وهما غير موجودين ($\bar{p}\bar{l}$) فى المثال الأخير من جهة اليمين. (المترجم)

(**) إذ يقال فى الألمانية auf <u>dem</u> Tisch (على المنضدة)، و**auf <u>den</u> Berg** (فوق الجبل)، أى أن dem حالة القابل وden حالة المفعول. أما um فليس له إلا حالة المفعول، يقال فى الألمانية um den Tisch (حول المنضدة). (المترجم)

تُراعى كل أوجه الربط الممكنة والمتحققة فى لغة معينة للصوامت: s, p, t, k, r, l

ويُشترط أن يوجد فى هذه اللغة أوجه الربط الآتية ـــ حقيقةً ـــ من تلك الصوامت (عشر مجموعات):

spr, skl, sp, st, sk, pr, tr, kr, pl, kl

وتسرى طريقة الكتابة المستخدمة آنفاً على الجدول الآتى، أى "+" قبل المجموعة تعنى أن هذه المجموعة موجودة (بالقياس إلى "ـــ")، و "ـــ" فوق حرف ما تنفى هذ الحرف وحده:

1. + spr, + skl, - spl, - str, - skr

2. + spr̄ , + skl̄, + spl̄, + str̄, + skr̄

3. - sp̄r, - sk̄l, - sp̄l, - st̄r, - sk̄r

(*)4. + s̄pr, + s̄kl, + s̄pl, + s̄tr, + s̄kr

ويمكن للمرء عند تفسير هذه المجموعات أن يقتنع بسرعة بأن أولدال قد قام بوصف مستوفٍ للمجموعات العشرة السابق إيرادها من الصوامت، غير أنه لم يظفر بأية معارف جديدة عن مجموعات الصوامت فى تلك اللغة، أى يجب أن يتقدم على هذا التحليل الجلوسماتى تحليل يبحث بوسائل وصفية، ويقوم التحليل الجبرى بنوع من المراقبة النهائية. ويجب أن يكون ذلك مقصوداً بلا شك، إذ إنه بهذه الطريقة يمد جسر بين/ لغة طبيعية وأنظمة أخرى، حللت تحليلاً مماثلاً أو ١٢٦
تلك التى يمكن أن تحلل بهذه الطريقة وحدها.

(*) تفسير هذا الجدول ـ كما أظن للتيسير على القارىء العربى ـ على النحو الآتى المجموعة الموجبة +spr تعنى أنها موجودة فى اللغة المدروسة والمجموعة السالبة skr - تعنى أنها غير موجودة فى تلك اللغة. فإذا وضعت شرطة (ـــ) فوق الصوت كما فى المجموعة الموجبة (2) مثل +spr̄ أنها موجودة دون الصوت الأخير الذى وضع عليه الشرطة، وفى المجموعة السالبة (3) مثل -sp̄r وضعت الشرطة فوق الصوت الثانى، وفى المجموعة الموجبة (4) مثل +s̄pr وضعت الشرطة فوق الصوت الأول. (المترجم)

٥ ـ ٦ الموضع الصحيح للجلوسماتية فى علم لغة القرن العشرين

من الصعب وضع الجلوسماتية فى موضعها الصحيح (الدقيق)، باعتبار أن على المرء للحكم عليها حكماً صحيحاً أن يفرق تفريقاً واضحاً بين إسهامها فى وصف لغات مفردة وإسهامها فى تطوير النظرية اللغوية.

ولم تُوصف بالمناهج الجلوسماتية أية لغات مفردة، ولا يمكن أن تعد المحاولات الضئيلة موفقة. ويفتقر بالإضافة إلى ذلك إلى أية صلة باستعمالات لغوية اجتماعية وموقفية، إذ ظلت المادة مستبعدة.

بيد أن ذلك كان من الناحية السطحية ما يؤخذ على الجلوسماتية؛ وهو أنها لم تُحقِّق بمتابعة نظرية دى سوسير اللغوية فى إصرار، واستعمال منطق حلقة فيينا درجةً عليا من التجريد إلى حد أنها لم تعد قابلة للتطبيق بالنسبة للبحث المباشر لظواهر لغوية. ولذلك لم يستطع اللغويون الدنماركيون الذين أراد أن يشتغلوا ببحوث عملية أن يرجعوا فى بحوثهم الخاصة إلى الجلوسماتية. والمثال الواضح على ذلك هو ايلى فيشر ـ يورجنسن، التى عملت بكل مالها من سلطان أو نفوذ الكثير من أجل الترويج للجلوسماتية(*)، غير أن بحوثها الخاصة حول علم الأصوات وعلم الأصوات الوظيفى لم تستخدم النظرية الجلوسماتية.

بيد أنه يجب أن يؤكد أن هدف الجلوسماتية يكمن على الأرجح فى تطوير النظرية (اللغوية)، وفى هذا موضعها المستحق حتماً أكثر من اختفاء خاص بتاريخ العلم فقط. فليست الجلوسماتية فى الحقيقة نظرية، بل إن بعضها بالأحرى نظرية فى العلم وبعضها سيميوطيقا. وكذلك تقليصها موضوعها فى العلاقات هو بلا شك ـ ابتداءً ـ عمل مفيد، على نحو ما أثر هيلمسليف تأثيراً قوياً بوجه عام فى تحويل معرفتنا باللغة إلى علم رياضى (دقيق). ومن المحتم أن تُقَوَّم جهوده حول

(*) انظر خطابها التأبينى المنشور فى مجلة Acta Linguistica vol. g, 1955 p. III - XX II وتحليل بيرتا سيرتسيما Berta Siertsema الذى يحمل عنوان:

A study of Glossematics (La Haye, 1955, 2e édl, 1965)

الفصل بين اللغة الواصفة واللغة الموصوفة، تقويماً إيجابياً، وهو ماله أهمية بوجه خاص لعلم اللغة الذى يتحدث باللغة عن اللغة، وهكذا يستخدم (أو يجب أن يستخدم!) صيغاً لغوية، حين يتأمل فى لغة أو نظريات لغوية؛ قارن حول ذلك الاستشهادات الآتية من «المداخل»:

> تلك هى ما تسمى ***اللغات الواصفة*** Metasprachen التى تُفْهَم بها لغات، والتى تعالج لغة، وهو ما يجب أن يعنى، إذا ما نقل إلى مصطلحاتنا، لغات مضمونها لغة. ومثل تلك اللغة الواصفة يجب أن تكون علم اللغة. [...] ومن المعتاد أن اللغة الواصفة تتطابق (أو يمكن أن تتطابق) مع اللغة الموصوفة تطابقاً تاماً أو جزئياً. (١٩٧٤، ١١٥/١١٦).

١٢٧ / وباختصار: عرف هيلمسليف بوضوح تام أية أهمية عساها أن تكون للمناهج الاستنباطية بالنسبة للتطور المستقبلى لعلم اللغة. فقد طالب بتحويل علم اللغة إلى علم رياضى Mathematisierung der Linguistik، ووضع هذا العلم فى موضعه الصحيح فى نظرية عامة للعلامات «السيميوطيقا»(*).

وبهذا الاعتبار تشغل الجلوسماتية موقعاً متميزاً داخل المدارس الكلاسيكية لعلم اللغة البنيوى، لأنه لم تأبه (أو تُولِ) أية مدرسة من المدارس الأخرى لتعميق النظرية أهمية كبيرة كهذه.

(*) أخضع هيلمسليف مذهبه اللسانى لنظرية العلامات التواصلية، وليس من الضرورى أن تكون هذه العلامات ذات طبيعة لغوية ـ وكما تقول مليكا أفيتش: تُعْنَى الجلوسيمية بالمقاربة النظامية لبنى اللغات الحية بالبنى الأساسية لكل الأنظمة السيميوطيقية، أى جميع الوسائل التى يتحقق بها التواصل (بما فى ذلك الوسائل غيراللغوية). وقد قامت هذه البنى الأساسية على التحليل المنطقى الذى أجرى باستخدام الطرق الرياضية. وإذن فإن لسانيات هيلمسليف ذات طابع مقاماتى (براجماتى) ظاهر؛ إذ إن الهدف منها هو أن تُعِين على وضع نظرية عامة للعلامات التواصلية؛ أى نظرية عامة للسيميوطيقا. «اتجاهات البحث اللسانى ص ٣٢٦». (المترجم)

J. Albrecht (1988): Europäischer Strukturalismus. Ein forschungsgeschichtlicher Überblick. (UTB 1487). Tübingen.

E. Barth (1974): Zur Sprachtheorie von L. Hjelmslev. In: L. Hjelmslev 1974a.

Th. Berchem (1974): Omkring sprogteoriens grundlaeggelse (Prolegomena zu einer Sprachtheorie). In: Kindlers Literaturlexikon. Ergänzungsband (Werke A-Z). München.

H. Brands (1974): Hjelmslevs Prolegomena. In: Linguistische Berichte 30. Wiesbaden.

R. Carnap (1928): Der logische Aufbau der Welt.

R. Carnap (1934, [2]1968): Logische Syntax der Sprache. Wien/New York.

R. Carnap (1993): Mein Weg in die Philosophie. Stuttgart: Reclam.

E. Fischer-Jørgensen (1943): Review of Louis Hjelmslev, Omkring sprogteoriens grundlaeggelse. In: Nordisk Tidsskrift for Tale og Stemme 7, 81-96 (Wiederabdruck in E. Fischer-Jørgensen 1979).

E. Fischer-Jørgensen (1957): Introduction to H. J. Uldall, Outline of Glossematics I. Kopenhagen (Wiederabdruck in E. Fischer-Jørgensen 1979).

E. Fischer-Jørgensen (1965): Louis Hjelmslev. In: Acta Linguistica Hafniensia IX/1 (Wiederabdruck in E. Fischer-Jørgensen 1979).

E. Fischer-Jørgensen (1966): Form and Substance in Glossematics. In: Acta Linguistica Hafniensia X/1, 1-33 (Wiederabdruck in E. Fischer-Jørgensen 1979).

E. Fischer-Jørgensen (1979): 25 Years' Phonological Comments. München.

G. Harras (1974): Zur Sprachtheorie L. Hjelmslevs und zum gegenwärtigen Stand der Linguistik. In: L. Hjelmslev 1974a.

L. Hjelmslev (1928): Principes de grammaire générale (Prinzipien der allgemeinen Grammatik). Kopenhagen.

L. Hjelmslev (1935+1937, [2]1972): La catégorie des cas. Étude de grammaire générale (Die Kategorie Kasus. Skizze einer allgemeinen Grammatik). Aarhus.

L. Hjelmslev (1936): Essai d'une théorie des morphèmes (Essay zu einer Morphemtheorie). Beitrag zum 4. Internationalen Linguistenkongreß (Wiederabdruck in L. Hjelmslev 1974a).

L. Hjelmslev (1949): Structural Analysis. In: Studia Linguistica I (Wiederabdruck in L. Hjelmslev 1974a).

L. Hjelmslev (1950): Rôle structural de l'ordre des mots (Die strukturelle Rolle der Wortfolge). In: Grammaire et Psychologie. Numeró spécial du „Journal de Psychologie" (Grammatik und Psychologie. Sondernummer des „Journal de Psychologie"). Paris.

L. Hjelmslev (1954): La stratification du langage (Der stratische Aufbau der Sprache). In: Word X/2-3 (Wiederabdruck in L. Hjelmlev 1974a).

L. Hjelmslev (1958): Dans quelle mesure les significations des mots peuvent-elles être considérées comme formant une structure? (In welchem Maße können die Wortbedeutungen als strukturbildend angesehen werden?). In: Proceedings of the Eighth International Congress of Linguists. Oslo (Wiederabdruck in L. Hjelmslev 1959, nicht aber in Hjelmslev 1974).

L. Hjelmslev (1959): Essais linguistiques (dt.: Aufsätze zur Sprachwissenschaft. Stuttgart 1974, siehe L. Hjelmslev 1974a).

L. Hjelmslev (1968): Die Sprache. Eine Einführung. (Original dänisch 1963). Übersetzt und herausgegeben von O. Werner. Darmstadt.

L. Hjelmslev (1974): Prolegomena zu einer Sprachtheorie. Übersetzt von R. Keller, U. Scharf und G. Stötzel. München [Original dänisch 1943, [2]1976: Omkring sprogteoriens grundlaeggelse].

L. Hjelmslev (1974a): Aufsätze zur Sprachwissenschaft. Stuttgart.

L. Hjelmslev (1975): Résumé of a Theory of Language, edited and translated with an introduction by Francis J. Whitfield. The University of Wisconsin Press.

L. Hjelmslev/H. J. Uldall (1957, [2]1967): Outline of Glossematics. A Study in the Methodology of the Humanities with Special Reference to Linguistics, Part I: General Theory. In: Travaux du circle linguistique de Copenhague X/1. Kopenhagen.

B. Siertsema (1955, [2]1965): A Study of Glossematics. Critical Survey of the Fundamental Concepts. The Hague.

H. Spang-Hanssen (1963): Glossematics. In: Trends in European and American Linguistics 1930-1960. Utrecht/Antwerpen.

K. Togeby (Hrsg., 1967): La glossématique. L'héritage de Hjelmslev au Danemark (Die Glossematik. Hjelmslevs Erbe an Dänemark). Langages 6.

G. Ungeheuer (1959): Logischer Positivismus und moderne Linguistik. Glossematik. Uppsala.

٦ ـ علم اللغة الوصفى

٦ ـ ١ وضع علم اللغة فى الولايات المتحدة الأمريكية فى مطلع القرن العشرين

بواز ـ سابير ـ بلومفيلد ١٢٩

تطور علم اللغة البنيوى الأمريكى فى الولايات المتحدة تطوراً مستقلاً نسبياً عن المدارس الأوروبية، وغير متصل بـ ف. دى سوسير أيضاً اتصالاً مباشراً. ولذلك يجب أن يتصدر هذا الفصل إيضاح موجز.

فى بادىء الأمر كانت اللغات الهندية لشمال أمريكا(*) هى الموضوع الرئيسى لدراسة علماء اللغة الأمريكيين ــ بعد مرحلة تلقى موضوعات ومناهج هندوأوربية. وقد جعل هذا المطلب العملى علم اللغة يسلك نهجاً خاصاً: فاللغات الهندية الأمريكية لم يكن لها تراث، فلم يعرف المرء تاريخها السابق، ولذلك لا يستطيع أن يبحثها بالمناهج المألوفة فى علم اللغة إلى الآن. ومن ثم طورت مناهج جديدة ذات عناية خاصة ببحث لغات لم تستثمر بعد.

وفضلاً عن ذلك أيضاً فقد حافظ علماء اللغة الأمريكيون على ذلك الموقف الأساسى العملى حين مدوا مجال بحثهم إلى عائلات لغوية ولغات معروفة. ويمكن أن يتذكر هنا تقليد «المؤلفات» التى أنجزت للدارسين. وفى الواقع أيضاً قاد التوجه التطبيقى القوى إلى حين إلى غياب الوعى بالنظرية (بالتنظير) لا يخطئه النظر، على نحو ما يلزم أن يسجل فى هذا الموضع ابتداءً أيضاً.

(*) من أهم اللغات الهندية ــ الأمريكية التى درسها سابير مثلاً: لغة يانا (Yana)، ولغة بايوت (Païute) ولغة نوتكا (Nootka) ولغة آتاباسكان (Athabaskan)، ولغة التلينجيت (Tlingit)، ولغة تاكيلما (Takelma). ولغة ويشرام (Wishram). (انظر فيما يأتى اللغات الأخرى التى درسها بلومفيلد). وما من شك فى أن اللغات الهندية ــ الأمريكية قد لعبت دوراً كبيراً فى تكوين نظريته فى علم اللغة العام، غير أنه احتل المكانة التى يحتلها بين علماء اللغة فى القرن العشرين بفضل هذه النظرية. (المترجم)

ويعد **فرانز بواز** Franz Boas (١٨٥٨ ـ ١٩٤٢) مؤسس علم اللغة الأمريكى الحديث. وقد ظهر مرجعه فى لغات الهنود الأمريكيين (بالانجليزية) من ١٩١١ ـ ١٩٢٢م(*). ويتخلل هذا المرجع فكرتان رئيستان: الإشارة إلى أن المناهج التقليدية التى طورت فى أوربا للغات الهندوأوربية لا يجوز أن تنقل إلى اللغات الهندية، والفرضية الإنسانية وهى أنه لا توجد شعوب ولا لغات متخلفة.

وأبرز بواز ثلاث خواص للغات الهندية، وهى: أنها لا تراث لها، ونتيجة لذلك لا يمكن أن ينقل علم اللغة التاريخى ـــ المقارن الأوربى إليها؛ وبذلك لا يمكن فى هذا السياق أن تكتشف بينها صلات نَسَبية genealogische Zusammenhänge؛ وأخيراً تشير أيضاً إلى تشكيل آخر للبنية، فصائل نحوية أخرى بشكل جزئى. وقد انتهى فرانز بواز إلى ثلاث نتائج مهمة،/ لها صلاحية **١٣٠**
عامة، أى لا ينبغى قصرها على تمييز اللغات الهندية:

١ ـ فى كل لغة يوجد عدد محدد من الوحدات، تبنى منها اللغة.

٢ ـ فى كل لغة يوجد عدد محدد من الفصائل النحوية، وليس ثمة حاجة لأن يتطابق ذلك المختار من رصيد الفصائل فى لغات مختلفة، ويشكل المركب من فصائل لغة ما نحوها(١).

(*) يعد بواز عالماً لغوياً وصفياً وأنثروبولوجياً فى الوقت نفسه؛ فقد درس لغات الهنود الأمريكيين التى لم تكن قد كتبت بعد، ومن ثم لم يكن من الممكن دراستها دراسة تاريخية. وقد انطلق من أنه يعالج مبانى نحوية مخصوصة قد لا تتناسب مع طرز النحو التقليدى (اللاتينى). ومن ثم رأى أن اللغات لها منطقها الداخلى الذى يأبى الانقياد لتطبيق أى مبدأ منهجى عام، وأن المادة اللغوية نفسها هى التى تفرض طريقة ما من طرق التحليل تكون ملائمة لها. وقد ضم بحوثه فى تلك اللغات كتابه: Handbook of the American Indian languages ويعد بواز بشكل أساسى أول من نقل وجهات نظر هومبولت وبخاصة الشكل الداخلى للغة ورؤية العالم وتفسيره لدى متكلم اللغة، وغيرَ ذلك إلى القارة الأمريكية، فقد ألح بقوة فى مقدمة كتابه (Handbook) على ضرورة أن نحترم فى الوصف «البنية الداخلية لكل لغة»، وعلى ضرورة أن نأخذ بعين الاعتبار العلاقات المتينة بين اللغة والثقافة... (المترجم)

(١) انظر أيضاً مبحث تحديد «الرباط اللغوى» الأوربى لبودوان دى كورتنى (الفصل الثانى ٢ ـ ٢ ـ ٣) ون. س. تروبتسكوى (الفصل الرابع ٤ ـ ٤ ـ ٣).

٣ ـ يمكن أن يُعلل التشابه بين لغات بغير القرابة أيضاً، إذ يمكن بوجه خاص أن يكتسب من تجاور إقليمى يدوم مدة طويلة.

أما أهم تلميذين لفرانز بواز فهما ادوارد سابير E. Sapir وليونارد بلو مفيلد L. Bloomfield؛ وهما لغويان يختلفان فى اهتماماتهما العلمية اختلافاً كبيراً.

كان ***ادوارد سابير*** (١٨٨٤ ـ ١٩٣٩) عالماً رائعاً ذا أفق علمى واسع. فقد بحث كل الأسر اللغوية الكبرى تقريباً، وكان فضلاً عن ذلك عالماً فى الأدب، وبالغ التذوق للموسيقى. وقد عنى بالعلاقات بين اللغة والأدب، واللغة والثقافة عناية خاصة، وبوجه عام العلاقات بين اللغة وحامليها، وهو الاتجاه التى صار معروفاً بعلم اللغة العرقى "Etholinguitik" . وأكد سابير أن البنية اللغوية تعكس نماذج نفسية، تتبع عند بناء المنطوقات وفهمها. ولم تكن هذه الفرضية الكاملة الصحة حسب فهمنا الحالى فى الثلاثينيات متوافقة مع الاتجاه اللغوى السائد فى الولايات المتحدة الأمريكية، فقد كانت توصف بأنها اتجاه عقلى "Mentalismus"، ويُحط من شأنها، ويمكن بذلك أن تكون قد أدخلت (أقحمت) مضامين الوعى فى علم اللغة[*]. بيد أنه ينبغى هنا أن يؤكد أنه قد تعلقت بتصورات سابير مجموعة مؤثرة أيضاً من علماء مهمين، وإن لم يكونوا

(*) يقدم مونان عرضاً قيماً مفصلاً يتناول فيه جهود سابير وآراؤه وإنجازاته فى علم اللغة وبخاصة توصله إلى تصور حول الفونيم فى دراسة النماذج الصوتية Sound Patterns دراسة سيكلولوجية معارضاً فى ذلك توجه القواعديين الجدد، وإن كان الطابع الوظيفى لنظرية الفونيم لديه يتغلب على طابعها السيكلوجى (انظر كتابه علم اللغة ص ٨٤ : ٨٧)، وإسناد أهمية مركزية لمفهوم الشكل فى كتابه «اللغة (Language)» وتفاعله مع مفهوم الوظيفة تفاعلاً قوياً {مما شك فيه أن تأثير هومبولت فى سابير وبواز من قبل لا يمكن تجاهله وبخاصة تأثرهما بفكرة innere Sprachform (بمفهوم النظام الداخلى المثالى)}. وكذلك دوره فى مجال الطوبولوجيا (Typologie) أى فى مجال تصنيف اللغات بغض النظر عن علاقاتها الجنينية، ويرى مونان أن تعريفه للغة هو اجتماعى محض. فاللغة بالنسبة إليه نتاج الثقافة وليست وظيفة حيوية، والكلام إرث تاريخى بحت للجماعة، وهو نتاج الاستعمال الاجتماعى طويل الأمد. وأخيراً تعريفه للغة فى آخر كتابه (اللغة) بقوله: اللغة وسيلة نقل إنسانى محض للأفكار والانفعالات والرغبات من خلال نظام الرموز ابتدعت بشكل واعٍ، فهى ليست ذات طابع غريزى. (المترجم)

أيضاً فى مسـار التقليد، الذى يتخلل هذا الكتاب كخط أحـمر. ولا يذكر هنا إلا
كينيث ل. بايك K. L. Pike [٢] وهـ. هويجر H. Hoijer. وأخـيراً ينبـغى أن
يذكر أيـضاً بنيـامين ل. وورف B. L. Whorf (١٨٩٧ــ ١٩٤١)، الذى تعرض
نظريته النسبية اللغوية، وتذكر أيضاً فرضـية سابير ــ وورف، شرحاً (تفسيراً) مميزاً
لفرضيات سابير حول العلاقة بين/ الأبنية اللغوية وأبنية الفكر، ويعكس ذلك تلقى
سابيـر (أفكار) هومبـولت: إذ لما كان لـكل لغة بنيـة محددة فـإنها تقـسم الواقع ١٣١
بطريقتها الخاصـة، وتجبر أبناء اللغة (الناطقين بهذه اللغة) على قـبول ذلك التقسيم
للعالم[٣].

بيـد أن اللغوى الأكـثر تأثيـراً فى تعـميق أدوات الوصف النحـوى من بين اللغويين اللذين خلفا بواز هو ***ليونارد بلومفيلد*** (١٨٨٧ ــ ١٩٤٩). فقد أسس مدرسة حقيقية، أطلق عليها مدرسة ييل Yale حسب مكان عمله[٤]، جامعة ييل فى نيـوهافن/ كون، ــ وأطلق على أتبـاعهـا أنفسـهم اسم (علماء) «علم اللـغة الوصفى»، إذ إنها جعلت وصف اللغة مركز بحثها.

لاحظ: بالنسـبة لإيضاح هذه التـسمـية يُقَدِّم بحـث ج. ل. تريجر G.L. Trager «حقل عـلم اللغة» (١٩٤٩)، إذ ينقـسم علم اللغة وفـقاً له إلى فـرعين رئيسـيين هما: علم اللغـة الوصفى وعلم اللغـة التقابلى. وعلم اللغـة الوصفى، الذى يصف نحـو لغة مـا، تزامنى، أما علـم اللغة التـقابلى الذى يدرس بأنحـاء وصفـية، لغتيـن أو أكثر يمكن أن يكون تاريخـياً، ولاسيمـا حين يقارن حـالتين لغويتين مـختلفتين زمنياً، غيـر أنه يمكن أيضاً أن يمارس على سبيل المثـال مثلما تمارس الجغرافيا اللهـجية أيضاً، وفى ذلك لا يقارن بين حالتين لغويتـين مختلفتين زمنياً، بل مكانياً.

---

(٢) كان بايك فضـلاً عن ذلك مدة طويلة أيضاً رئيـساً «للمـعهد الصيفى لعلم اللغة»، وهو أحـد مراكز التعليم التكميلى للمبشرين، الذين يحدد برنامجهم اللغوى.

(٣) يجد القارىء المهتم ما يطابق ذلك فى بيانات المراجع تحت وورف وهويجر.

(٤) من سنة ١٩٤٠م حتى وفاته، وقد درس من سنة ١٩٢٦ ــ حتى ١٩٤٠م فى جامعة شيكاغو، ومن قبل فى جـامعة ولاية أوهايو، حـيث تُعُرِّف السلوكيـة أيضاً على يد أ. ب. وايس A. P. Weiss (انظر ما يرد تحت ٦ ــ ٢).

وكـان بلومـفـيلد قـد عرف علم الـلغة الأوربـى خلال توقـفـه للدراسـة ١٩١٣/١٩١٤م فى ليبـزج وجوتنجن(*). ففـى ليبـزج حضـر محـاضرات ك. بروجـمان وأ. لسكين، بل ومـحـاضرات عـالم النفس ف. فـونت W. Wundt أيضاً. ثم بعـد عودته إلى الولايات المتحـدة كان لعالمين آخـرين تأثير عميق فـيه، وهما فرانز بواز لغوياً، وجون برودوس واطـسون J. B. Watson عالماً للنفس(٥).

وفى سنة ١٩١٤ ظهر كـتابه (مدخل إلى [مـقدمة فى] دراسـة اللغة) "An Introduction to the Study of Language" وكان ما يزال التأثير الأوربى ظاهراً عليـه كليـةً، وبخاصـة نهج علم نفـس الشعـوب لفـيلهلم فـونت. وفى مطلع الثلاثينات تطلع إلى طبعة جـديدة، وكان قد انحاز إلى أفكار بواز وواطسن بقوة إلى حد أنه عد مـجرد التغيـيرات فى التفاصـيل أمراً غير ممكن. وقرر أن يـعدل الكتاب تعديلاً كليـاً، فظهر سنة ١٩٣٣ بعنوان "اللغة Language" (انظر ما يرد تحت ٦ — ٢). ومع ذلك فلم يفقد ليونارد بلومفـيلد الصلة/ بعلم اللغة الأوربى، على نحو ما ١٣٢
يقـدم المثالان الآتـيان الدليل على ذلـك: فقـد قـدم للغويين فى الـولايات المتحـدة الأمريكية من خـلال مراجعة لغوية سنة ١٩٢٣م كتـاب ف. دى سوسير «دروس فى الألسنية العـامة». وكتب بلومفـيلد للمجلد الثامن المهـدى إلى ن. س. تروبتسكوى سنة ١٩٣٩م، من سلسلـة مـدرسة براغ «أعـمال حلقة لغويـى براغ» (انظر ما ورد

(*) كانت المرحلة الأولى من حياة بلومفـيلد العلميةمتأثرة إلى حد بعيد بالدراسـات التاريخية ـ المقارنة التى تعلمها فى أوربا، وبخاصة أن عمه موريس بلومفيلد كان أستاذ للسنسكريتية فى جامعة جونس هوبكنز، وقد تـعلمها على يده، وصـار متقنـاً لها، ويلاحظ ذلك فى الصلة العـميقـة بين دراسة السنسكريتيـة وعلم اللغة العام، بالإضـافة إلى اتقانه للغـة الألمانية التى كتب بهـا أغلب الدراسات الهندوأوربية، وقـد عمل معيـداً للغة الألمانية فى جامـعة ويسكونسون سنة ١٩٠٦ وأستـاذاً لها فى سينسيـاتى والينوى من ١٩٠٩ ــ ١٩١٣، ومن ١٩٢٧ ــ ١٩٤٠ فى جامعة شيكاغو، وألف سنة ١٩٢٣ كتاباً فى اللغة الألمانية للمبتدئين، وتجلى ذلك التأثر كما سيتبين فى الصورة الأولى التى نشر عليها كتابه الوحيد (اللغة). (المترجم)

(٥) حول واطـسن انظر ما يرد تحت ٦ ــ ٢.

تحت ٤ ــ ١)، كتب مقالة "Menomini morphophonemics" قدر فيها مورفوفونولوجيا تروبتسكوى، ومثل لها بمادة حالات واقعة من لغة هندية أيضاً(٦)(*).

٦ ـ ٢ تأثيرات من علم اللغة وعلوم مجاورة

فردينان سوسير، و«السلوكية» فى علم النفس

إن معرفة تأثير دى سوسيير فى علم اللغة الوصفى ليس بالأمر الواضح كما هى الحال فى علم اللغة الأوربى فى القرن العشرين. غير أنه تتلاقى آراؤه حول البنية اللغوية مع آراء فرانز بواز؛ وقد تضمنت مدرسة بلومفيلد فى علم اللغة الوصفى معرفة كليهما، وأسست هنا أيضاً تفكيراً عن النظام والبنية، وإن كان فى سياق آخر عما فى أوربا. فاللغة بالنسبة لبلومفيلد أيضاً نظام من أنظمة فرعية، ويتحدد كل عنصر مفرد ببنيته من خلال موقعه فى هذا النظام.

أما تأثير علم مجاور، وهو علم النفس، فى صياغة مميزة، وبالتحديد ***السلوكية*** Behaviorismus(٧)، فهو مستقل تماماً. فذلك الاتجاه النفسى المتصدر فى العشرينيات فى الولايات المتحدة الأمريكية بفضل أهم ممثليه وهما ج. ب. واطسون وأ. پ. وايس قد تطابق مع المسار الوصفى للبحث اللغوى لدى

---

(٦) تتبع اللغة الأمريكية الهندية منومينى Menomini اللغات الهندية التى يطلق عليها الالجونكين Al-gonkin. [كان بلومفيلد نفسه يتحدث هذه اللغة كما هى حال علماء اللغة الأمريكيين مع اللغات الأمريكية الهندية، ويبدو أن هذه المقالة «دراسة مورفوفونيمية للغة منومينى» جزء من عمل لغوى كبير خصص لهذه اللغة، نشر سنة ١٩٢٨ فى نيويورك (المترجم)].

(*) تشير مقالاته فى مجال اللغات الهندية بالأمريكية بوضوح إلى منافسته لكل من بواز وسابير فى دراسات عدد من هذه اللغات، مثل دراسته للغة منومينى المشار إليها، ومقالة طويلة عن الالجونكان المنشورة فى كتابه: Linguistic Structures of Native America Newyork, 1946، ونشر مقالات عن لغات الفوكس (Fox)، والايلوكانو (Ilocano) والكرى (Cree)، وغيرها من تلك اللغات. (المترجم)

(٧) مشتقة من behavior = السلوك.

بلومفيلد إلى حد بعيد على نحو أفضل مما حدث بالنسبة لعلم نفس الشعوب لڤونت(*). فقد كتب واطسون:

علم النفس، كما يراه السلوكى، فرع موضوعى تماماً، تجريبى من علوم الطبيعة. هدفه النظرى التنبوء بالسلوك وضبطه، ولا يؤدى الاستبطان (الملاحظة الذاتية Introspektion) أى دور جوهرى فى مناهجه، ولا تتوقف القيمة العلمية لبياناته على مدى صلاحيته لتفسير بمفاهيم الوعى. ولا يعرف السلوكى فى جهده للحصول على مخطط موحد لرد فعل الكائن الحى، خطاً فاصلاً بين الإنسان والحيوان. (١٩٧٦، ١٣).

وفى موضع لاحق يقول واطسون، الذى كان فى الحقيقة باحثاً فى الحيوان، بشكل أكثر حدة:

/ينبغى إخضاع الإنسان والحيوان لشروط تجريبية مماثلة ما أمكن ذلك. ١٣٣
(١٩٧٦، ٢٤). وقد ساق السلوكيون هذه الفروض لكى يفسروا سلوكاً إنسانياً ناتجاً عن أشكال الإثارة وردود الأفعال وتنوعاتهما فقط.

ويقدم جون ليونز J. Lyons رؤية عامة معقولة عن المبادىء الأساسية للسلوكية(٨)؛ يمكن أن توجز كما يأتى:

(*) يعد موقف بلومفيلد من علم النفس موقفاً غريباً، إذ يتبين فى الصورة الأولى لمؤلفه (اللغة) سنة ١٩١٤ التى نشره بعنوان «المدخل إلى دراسة اللغة» عدم اعتماده اعتماداً قوياً على علم نفس الشعوب لدى ڤونت Wundt السائد فى أوربا آنذاك، وإن كانت معرفته منسجمة معه دائماً على الأقل؛ خلافاً لما حاول فريز C. Fries أن يبنيه فى مقالته «مدرسة بلومفيلد» المنشورة فى كتاب «الاتجاهات» Trends pp. 196 - 224، وهو أن بلومفيلد كان ذا نزعة معادية لعلم النفس منذ عام ١٩١٤. فإن كان ذلك صحيحاً أول الأمر فإن نظريته السلوكية تؤكد تأثره البالغ بعلم النفس السلوكى لدى وايس (ڤايس) A. P. Weiss وواطسون J. B. Watson (راجع نموذجه المثير -- والاستجابة لفهم عملية التواصل، وإن كان ذلك يتداخل مع النزعة الآلية (الميكانيكية) والفيزيائية. (المترجم)

(٨) J. Lyons (1980) : Semantik I. München 133 - 150 علم الدلالة، الجزء الأول.

١ ــ صورة العالم لدى السلوكيين آلية ــ حتمية، فكل شيء في الكون محدد بالقوانين الفيزيائية ذاتها. وهي تسري على أفعال إنسانية بدرجة لا تقل عن سريانها على حركات المادة غير الحية وتغييراتها، وهي نتيجة لذلك يمكن التنبوء بها أيضاً.

٢ ــ لا يمكن للمرء الحكم على النشاط الفيزيائي للإنسان إلا على أساس ردود أفعاله. ويعني ذلك أن يُرْفَض الاستبطان وسيلةً للوصول إلى بيانات صحيحة في علم النفس. ويجب على البحث أن يرك على المنطوقات الممكن ملاحظتها وإعادة انتاجها، وعلى علاقتها بالموقف المباشر الذي أنتجت فيه. إذن: ما يمكن قياسه بمناهج علوم الطبيعة فقط، وما يمكن ملاحظته ملاحظة موضوعية فحسب، يمكن أن يكون موضوع بحوث علمية. وما يكون قابلاً للملاحظة هو سلوك البشر فقط، وليس قدراتهم العقلية. والأفكار والخبرات الشخصية لكل إنسان خاصة به وحده، ومن المعروف أن ما يشارك فيه الآخرين غير مأمون (لا يوثق به). ولا يمكن العثور على أقوال علمية عبر تلك «الظواهر الغامضة»(*).

٣ ــ لا يجوز وضع فارق جوهري بين سلوك إنساني وسلوك حيواني.

٤ ــ لم تُضَمَّن الغرائز، وبعبارة أعم كل الميول الغريزية والقدرات الفطرية، إلا بشكل هامشي؛ وأكد دور التعلم في اكتساب نماذج السلوك.

ولا تترابط هذه المبادىء الأربعة على نحو لا يمكن الفصل بينها، إذ لا يمكن للمرء أن يكون سلوكياً، وبرغم ذلك لا يقبل أحدها أو عدداً منها.

(*) استخدم ليونز هنا عبارة بلومفيلد الحرفية وهي: black - box - Phenomena، ومعناها الحرفي: ظواهر الصندوق الأسود، ولا تخفى الدلالة السلبية التهكمية لهذا الاستعمال، لاحظ فيما يأتي أنه استخدم التعبير ذاته حين وصف المعنى، وأنكر عليه استقلاله.

(المترجم)

وقد عَرَفَ واطســون بحوثَ عالم وظائف الأعضاء (الفسيولوجى) الروسى
ا. ب. بافلوف I. P. Pawlow حول النشاط العصبى الزائد لدى الحيوان والإنسان
وعلم الانعكاسـات المشروطة (= ردود الـفعل المشـروطة)، اللذين صارا أسـاس
بحث السلوك فى قـرننا. وبينمـا تحدث بافلوف بحـرص شديد عن نتـائج قيـاس
السلوك الحيوانى على السلوك الإنســانى، وأكد الحتمية الاجتماعية للسلوك ١٣٤
الإنسانى، ظلت/ السلوكية الأمريكية آليـة (ميكانيكية). ويتجلى ذلك بخاصة فى
مفهومـها للمعنى الذى أخذ به (تبناه) بلومفـيلد (بلومفيلد (١٩٢٦)، و(١٩٣٣)
و(١٩٣٦)): فحـسب واطسون تقـوم الكلمات عند اسـتثارة ردود أفـعال بوظيـفة
الأشياء تماماً، ***فالكلمات بديل عن الأشياء***. ومن المنطقى أن بلومفـيلد قد عرف
معنى الشكل اللغوى بأنه الموقف الذى ينطق فيه المتكلم هذا الشكل ورد الفعل
الذى يستثيره فى السامع . وتنوول ذلك بشكل أكثـر دقة فى معالجـة كتاب
«اللغة Language» (١٩٣٣م)(*). غير أنه ينبـغى أن يؤكد فى هذا الموضع أنه لا
تفهم فـرضيات بلومفيلـد حول الاستعمـال اللغوى وتعلم اللغة دون قبـوله قالب
فكرى سلوكى.

(*) أشار بلومفيلد فى كتابه «اللغة» ص ١٣٩ إلى أن دراسة أصوات الكلام دون اعتبار لمعانيها هو عملية تجريد. ومن الناحية العـملية تعد أصوات الكلام رموزاً لهذه المعـانى. ويقوم تحديد المعنى لديه على أساس سلوكى (الفعل ورد الفعل أو المثير والاستجابة). وهكذا فإن معنى الشكل اللغوى هو الموقف (وليس السـياق كـما ورد لدى بعض البـاحثين) الذى ينطق فيـه هذا الشكل (أو الحدث اللـغوى) والاستجابة التى يستدعيهـا هذا الشكل (أو الحدث) فى نفس السامع. ومن ثم فإنه يتضمن كل هذه الأحداث السابقة والتالية لعملية النطق، والمقـصود بهذه الأحداث المثيرات التى دفعت المتكلم للنطق وردود الأفعال التى يقوم بهـا السـامع. وذهب كلاوس هيشن فى كتابه «القضـايا الأساسية فى علم اللغة» ص ٨٦ إلى أن تحديد المعنى بهـذا الشكل عند بلومفيلد أكثر اتـقاناً من تحديد المعنى على أنه تصور أو قيمة شكلية كما ورد لدى البـنيوية الأوروبية أو «البنيويين الأوربيين». (انظر ترجمتى لهذا الكتاب ص ١١٩).

(المترجم)

٦ - ٣ (كتاب) ليونارد بلومفيلد «اللغة»

سبق أن تحدثنا تحت ٦ ـ ١ عن قصة نشوء هذا الكتاب[٩][*]. وُضِع كتاب «اللغة» مدخلاً إلى علم اللغة للقراء المهتمين وطلاب الفصول الدراسية العليا، وتتضمن فصوله الثمانية والعشرون تبعاً لذلك الفرشة الاجمالية لمدخل كهذا، أى إنه يضم إلى جانب وصف كل مستوى من مستويات النظام اللغوى، (موضوعات) القرابة اللغوية والأسر اللغوية أيضاً، والتغير اللغوى والاستعمال اللغوى وأنظمة الكتابة وموضوعات أخرى كثيرة. أغلب الموضوعات عولجت فى كل مدخل آخر معالجة مشابهة، فهى إذا ما نظر إليها من جهة تاريخ العلم ليست جديرة بالذكر. وتبقى مجموعتان مهمتان هما ـ وصف كل مستوى من المستويات، والاستعمال اللغوى. وتوضح معالجة ***الوصف اللغوى*** Sprachbeschreibung الذى صار منطلقاً لعلم اللغة الوصفى، فى المبحث ٦ ـ ٤ بمساعدة مقال بلومفيلد (مجموعة من المسلمات لعلم اللغة "A Set of Postulates for the Science of Language" (١٩٢٦)، إذ إنه فى ذلك المقال يظهر العرض المركز والشكلى بشكل أفضل. وقد اختير ***الاستعمال اللغوى*** Sprachgebrauch (اللغة، الفصل الثانى)، ومعالجة ***المعنى*** Bedeutung (اللغة، الفصل التاسع) محورين لهذا المبحث، أى الموضوعات التى يتضح فيها ميل بلومفيلد إلى السلوكية، وكذلك أيضاً مذهبه الآلى "Mechanismus"[١٠] المقابل لمذهب سابير العقلى "Mentalismus".

---

(٩) ظهر سنة ١٩٣٣م، ومنذ ذلك الوقت أعيد نشره فى سلسلة من طبعات غير معدلة. ولم يترجم إلى الألمانية. ويقتبس فى متن هذا الفصل من طبعة سنة ١٩٦٢، لندن، رَسكِن هاوس.

(*) أشرت فى هامش سابق إلى أن المؤلف نشره لأول مرة عام ١٩١٤ (حيث كان قد عاد من إقامته من ١٩١٣ إلى ١٩١٤) بعنوان: Introduction to the Study of Language، كانت الطبعة المنقحة له بعد عشرين عاماً هى كتاب «اللغة»، ويقول مونان فى كتابه «علم اللغة» من ١١٤ معبراً عن إعجابه الفائق بما فعله بلومفيلد فى الطبعة الجديدة: وكانت تلك الطبعة عبارة عن إعادة كتابة كاملة مرتبطة بتغير فى المنظور ونقد للذات قل من العلماء من قدر عليه لهذه الدرجة وفى سنه النضج. (المترجم)

(١٠) يقوم أتباع هذا الاتجاه «الآلية/ الميكانيكية» تقويماً إيجابياً.

ويعرف بلومفيلد ***المعنى اللغوى*** متابعاً سلوكية واطسون بواسطة الموقف الذى ينطق فيه المتكلم شكلاً:

/عرّفنا معنى شكل لغوى ما بأنه الموقف الذى ينطقه فيه المتكلم، ورد الفعل (الاستجابة) الذى يستدعى قوة فى السامع (١٩٦٢، ١٣٩). **١٣٥**

وكان هدف بلومفيلد استبعاد الحدس الذى رُبط بالمعنى وعمليات الوعى التى تشترك فى استيعابه، ووصف اللغة وصفاً شكلياً، وآلياً ما أمكن ذلك. ومن المنطقى ألا يكون المعنى موضوعاً مستقلاً لعلم فرعى، بل يُنكر عليه باعتباره ***ظاهرة غامضة*** black - box - Phänomen هذا الاستقلال. فلا يوجد معنى للكلمات ***فى ذاته***، ومن ثم لا يستطيع المرء أن يصفه ***فى ذاته*** an sich؛ أى لا ينتج المعنى إلا من خلال ملاحظة الاستعمال اللغوى. وما يتجلى فى ذلك ليست المعانى ذاتها، بل هى فروق فى المعانى «المعنى الفارق أو اللغوى» (١٩٦٢، ١٤١).

ويرجع ارتيابه تجاه ظواهر المعنى أيضاً إلى أن المعنى اللغوى فى رأيه لا يمكن فصله عن المعرفة غير اللغوية(*). وتتطلب هذه المشكلة الأساسية اقتباساً أطول إلى حد ما:

لكل يُقدَّم تعريف دقيق من الناحية العلمية لمعنى كل شكل فى لغة ما يجب علينا أن نمتلك معرفة دقيقة من الناحية العلمية لكل شىء فى عالم المتكلم. فالمدى الحقيقى للمعرفة الإنسانية ضئيل جداً، مقارنةً بذلك. نحن نستطيع أن نحدد شكل الكلام بدقة حين يكون لهذا المعنى علاقة بشىء ما تمتلكه هو المعرفة العلمية. نحن

(*) علق بلومفيلد الخوض فى درس المعنى على تقدم المعرفة الإنسانية، وقد حور تلامذته هذا التعليق إلى الرفض، فقد ذكر أنه: لكى نقدم تعريفاً صحيحاً علمياً عن معنى (دلالة) كل شكل لغوى لابد لنا من أن نملك معرفة صحيحة علمياً عما يكون عالم المتكلم. إن التطور للمعرفة الإنسانية غير كافٍ لتحقيق هذه الغاية. (انظر كتابه «اللغة» ص ١٣٩، ١٤٠). وانتهى آخر الأمر إلى أن تحديد المعنى يشكل نقطة الضعف فى دراسة اللغة (وليس إخراجه من الدراسة اللغوية نهائياً كما يحلو لبعض الباحثين تأكيد ذلك)، وأن الأمر سيظل كذلك ما لم تتطور معارفنا (الإنسانية) عما هى عليه فى الوقت الراهن. (المترجم)

نستطيع أن نسمى المعادن، على سبيل المثال، فى مصطلحات الكيمياء وعلم المعادن: وذلك حين نقول إن المعنى العادى للكلمة الانجليزية salt (ملح) هى كلوريد الصوديوم (NaCl) {...} ولكنا لا نمتلك طريقة محددة لتحديد كلمات مثل Love (الحب) أو hate (الكراهية)، تتعلق بمواقف لم تصنف تصنيفاً دقيقاً ـ وهذه الأخيرة هى الغالبية العظمى (١٩٦٢، ١٣٩). ولذلك فإن عرض المعنى النقطة الضعيفة فى دراسة اللغة، وسوف تبقى كذلك حتى تتقدم المعرفة الإنسانية تقدماً بعيداً للغاية مجاوزاً مرحلتها الحالية (١٩٦٢، ١٤٠).

فى الواقع حُدِّدت هنا مشكلة فاصلة عسيرة، ولذلك فقط بدت لبلومفيلد غير قابلة للحل كلية لأنه يرفض وصفاً لغوياً داخلياً للمعنى (وصفاً باطنياً للمعنى فى علم اللغة) (*) معتلاً بأن ذلك عقلى. ويعد الاعتراف ***بمعانٍ متباينة***، تجعل السامعين يقومون برد فعل مماثل فى كل المواقف على شكلين لغويين، تنازلاً عن المجريات الواقعية للاستعمال اللغوى؛ تنازلاً عدل عنه فيما بعد أيضاً تلاميذ ـ بلومفيلد(**).

وقد حدد ***الاستعمال اللغوى*** من خلال الموقف، ـ فُسِّر تفسيراً سلوكياً محضاً، بأنه تتابع من المثير والاستجابة (stimulus - response).

وغالباً ما استشهد بالمثال الآتى الذى تُرْجِم هنا إلى الألمانية: {ترجمته العربية} نفترض أن جاك وجيل يتنزهان. جيل جائعة. رأت تفاحة على الشجرة،

(*) تلخص تصور بلومفيلد النهائى عبارته الحاسمة، وهى أن البرهان على صحة نظرية ما لا يكمن فى انسجامها الداخلى، بل فى انسجامها مع الوقائع التى تدعى أنها تفسرها. وبذلك يؤكد بحسم توجهه العملى التجريبى ورفضه الكامل للمفاهيم الميتافزيقية كالوعى والإرادة والقصد... إلخ (يدرس توجهه تحت Antimentalism الاتجاه المضاد للعقلانية). (المترجم)

(**) لا شك أن معالجة بلومفيلد للمعنى تأثرت بمنهجه العملى التجريبى حيث اقترح لدراسة المعنى سبلاً تقوم على طرائق لغوية بحتة، ولكنها تشى أيضاً بتأثره بمنهج البراغيين (وبخاصة تروبتسكوى) الفونولوجى، إذ رأى أن اللغوى يعمل مع المتشابهات والمخالفات، ويقترح لتحليل المعنى اللجوء إلى السمات المشتركة التى تنتج عن استخدام تركيب لغوى معين فى جميع المواقف الممكنة له. (المترجم)

تصدر صوتاً من حنجرتها، وبلسانها، وشفتيها. يقفز جاك السور، ويتسلق الشجرة، ثم يأخذ التفاحة، ويحضرها لجيل، ويضعها فى يدها. تأكل جيل التفاحة. (١٩٦٢، ٢٢).

/ هذا الموقف بوصفه تتابعاً من المثير والاستجابة يُوصَف على النحو الآتى: ١٣٦

S ⟶ r.... S ⟶ R,

حيث تشير الحروف الكبيرة إلى المثير العملى (الواقعى) [= Stimulus Reiz] ورد الفعل العملى [Reaktion = response] وتشير الحروف الصغيرة إلى المثير اللغوى وكذلك رد الفعل اللغوى. ولا يمكن للحيوان «الأعجم» وجيل الوحيدة أن يتصرفا إلا على النحو الآتى(*):

S ⟶ R

ويكمن ما يميز الموقف الموصوف آنفاً بالتحديد فى أن فرداً آخر يقوم برد فعل مثل ذلك الذى استشعر المثير (الجوع) وذلك عبر وساطة اللغة، ذبذبة قصيرة غير جوهرية فى الحقيقة، تقع على طبلة أذن جاك، أى أن:

اللغة تمكن شخصاً ما من أن يقوم برد فعل (R) حين يكون المثير لدى شخص آخر (S). (١٩٦٢، ٢٤).

بدهى أن بلومفيلد يُقِر أيضاً بأن ذلك ليس الحل الوحيد للموقف، وأن ثمة عوامل كثيرة يمكن أن يتغلغل تأثيرها فى تاريخ حياتهما كله حيث إنه من المحتمل ألا تحصل جيل على التفاحة. أما ليونز (١٩٨٠، ص ١٣٣ ومابعدها) فيواصل

(*) أى أن الوسيط اللغوى فى هذا الحال يسقط، وتصير العملية المكونة من ثلاثة أجزاء: ١ ـ أحداث عملية سابقة على الكلام ٢ ـ الكلام (الوسيط اللغوى) ٣ ـ أحداث عملية تالية للكلام، مكونة من جزءين الأول والأخير. كما أنه أحياناً لا يكون رد الفعل عملياً، بل لغوياً (كما ستبين فى الإمكانات التى ستعرض فيما يأتى). وهكذا تكون الوظيفة الجوهرية للغة إقامة الاتصال بين أفراد الجماعة اللغوية، ومن ثم لا تكون وظيفتها فيزيائية حيوية فحسب، بل اجتماعية حيوية أيضاً (راجع تقريره عن الطبعة الثانية (١٩٢٢) لكتاب دى سوسير "Cours...".
(المترجم)

نسج القصة كما يأتى: ربما أحضر جاك التفاحة، ولكنه هو نفسه يستطيع أن يأكلها، وربما يكون رد فعله لغوياً أيضاً بدلاً من أن يحضر التفاحة لجيل. وذلك بطرائق مختلفة، على سبيل المثال بدايةً بتأكيد أنه يريد أن يحضر التفاحة، بل [بأن يقول لها] أيضاً «لا يمكن أن تكونى جائعة، فقد فرغنا للتو من طعام الغداء»، أو [بأن يقول لها] «هل تريدن التفاحة حقاً، أنت تصابين بعد ذلك دائماً بألم فى المعدة!» أو ما يشبه ذلك.

هل ينبغى ألا يختلف فى كل مرة سوى الموقف وحده، أو المعنى أيضاً، لأن ردود فعل جاك مختلفة فقط؟ المسألة على الأرجح أن السامع يفهم المنطوق، وذلك يسبق رد فعله. وكذلك مع منطوقات تحتاج إلى معلومات مكملة إضافية من الموقف.

ومن اللافت للنظر أنه بهذه الطريقة لا يمكن أن يحلل بوجه عام إلا عدد ضئيل للغاية من المواقف، ولا يستطيع السلوكى أن يدلى بقول حول كل أجزاء الثروة اللغوية التى تحيل إلى أشياء لا يمكن ملاحظتها، وخواص وما إلى ذلك.

وفضلاً عن ذلك فقد وُضّح تعلم اللغة أيضاً لدى بلومفيلد بالطريقة ذاتها التى وُضّح بها الاستعمال اللغوى. فتعلم اللغة أيضاً يحدث من خلال التدريب، من خلال وصل نماذج المثير ــ ورد الفعل، أى آلياً. ومما لا خفاء فيه أنه لا يمكن أن تُتعلم لغة ما بهذه الطريقة؛ أجزاء صغيرة فقط من الثروة اللغوية يمكن أن تُكتسب «بالتدريب»، ولا يُتعَلم نحو لغة ما هكذا على الإطلاق. وبدهى أنه قد وُجّه نقد لاحق إلى هذه الفرضية الآلية لبلومفيلد(*).

(*) على الرغم من إدخال بلومفيلد طريقة المقابلات الفونولوجية فى تعليم اللغة فقد واجه معارضة شديدة، ويشير مونان إلى هذه الأزمة بقوله: وألف بلومفيلد فى قمة حياته العملية سنة ١٩٤٠م كتاباً صغيراً فى تعليم القراءة من أجل المدارس الابتدائية فى شيكاغو. ويبدو أن هذا الكتاب قد جُرّب فيها. ولقد أثار عداءً عاماً لدى السلطات التربوية القائمة. فقد احتوى على طريقة تعتبر ثورية فى وقتها. فقد كانت هذه الطريقة الثورية فى زمانها تفصل زمانياً بشكل واضح بين التعرف على الأصوات والتعرف على الحروف، وكانت تقوم على إدراك التعارضات الفونولوجية. وتعتبر هذه الطريقة مبادرة أصيلة لتسريع تعلم الكتابة فى اللغة الانكليزية وتثبيتها بشكل عقلانى، غير أن هذا الكتاب لم ير النور إلا عام (١٩٦١) (ج. مونان: علم اللغة... ص ١١٢، ١١٣).

(المترجم)

١٣٧ / ومع ذلك يجب أن يؤكد أن أوجه الوصف العملى لبلومفيلد لم تتأثر بتلك التصورات الخاصة بالاستعمال اللغوى وتعلم اللغة القائمة على أساس سيكولوجى (نفسى) غير مناسب، تأثراً سلبياً، بل على الأرجح أفضى التناول الآلى هنا بادى الأمر إلى مرحلة منهجية مهمة للوصف الشكلى اللغة. وكان هذا أيضاً سبب التأثير العميق لبلومفيلد ومدرسته فى علم اللغة الأمريكى حتى منتصف القرن العشرين. ويقدم مقال بلومفيلد «مجموعة من المسلمات لعلم اللغة» المعالج فى المبحث الآتى صورة جيدة لذلك.

٦ ـ ٤ مقال ليونارد بلومفيلد «مجموعة من المسلمات لعلم اللغة»

ظهر هذا المقال فى السنة الثانية لمجلة اللغة "Language" التى ما تزال مهمة إلى يومنا هذا أيضاً. وهو يُظهر مؤلفه عالماً لغوياً وصفياً، مشهوراً، يصف اللغة وصفاً شكلياً ما أمكن ذلك. ويتخذ (يتبنى) بلومفيلد لذلك النظام المفهومى للرياضيات، ويعمل بمسلمات (بدهيات وتعريفات)، وفروض قائمة عليها. ويقر أن علوماً ذات موضوع أكثر تعقيداً من الرياضيات يمكن أن تبحث بهذه الأدوات على نحو أصعب ـ وعلم اللغة ينتظم فى تلك الدائرة من العلوم، وأن المحاولة ينبغى برغم ذلك أن تجرى لأنه يمكن أن يتوصل بذلك إلى شيئين على الأقل: يجب على المرء أن يرغم نفسه على معلومات واضحة واصطلاحات محددة، ويمكن للمرء أن يتخلى عن حجج نفسية(*).

(*) نشر هذا المقال فى مجلة "اللغة Language" المجلد الثانى، سنة ١٩٢٦ من ص ١٥٣: ١٦٤، وفيه يحدد بلومفيلد موقفه المنهجى تجاه مادته بشكل دقيق، وعاد إلى هذه المسألة فى مقالة أخرى نشرت بعد ذلك هى: secondary and tertiary Responses to Language (الاستجابات الثوانى والثوالث للغة) المجلد العشرون، سنة ١٩٤٤، من ص ٤٥ ـ ٥٥، ويرى مونان أن المعادة لعلم النفس ليست سوى تعبير يخفى موقفاً وضعياً positiviste متطرفاً؛ إنها حتمية العصر الصارمة التى يسميها أيضاً الآلية/ الميكانيكية Mechanism أو النزعة الفيزيائية (الفيزيارية) physicalism... وتتمثل هذه النزعة فى الجهد الذى يشكل استمراراً لجهد وايتنى W. D. Whiteny (١٨٢٧ ـ ١٨٩٤) من أجل التحليل اللغوى علمياً قدر الإمكان؛ وذلك عن طريق حصره فى موضوعه. (علم اللغة ... ص ١١٥) (المترجم)

وفى ٧٧ مبحثاً قصيراً مرقماً قدمت تعريفات وفروض حول المجالات الآتية:

١ ـ الشكل والمعنى.

٢ ـ الفونيم ـ المورفيم ـ الكلمة ـ الضميمة (المركب).

٣ ـ البنية ـ الفصيلة ـ نوع الكلمة.

٤ ـ تبادلات فى المحيط التزامنى.

٥ ـ علم اللغة التاريخى.

وتُتناول فيما يلى هذه المجالات الخمسة تناولاً متبايناً فى تفصيله، واستُقيَت الاقتباسات من الترجمة الألمانية التى ظهرت بعنوان «وضع أساس لعلم اللغة فى تعريفات وفروض» فى كتاب بنزه E. Bense وآخرين (١٩٧٦).

/ حول المجال الأول: ١٣٨

نُظر إلى العلاقة بين الشكل والمعنى فى هذا المقال أيضاً نظرة سلوكية. قارن التعريف السادس:

السمات الصوتية التى تجمع بين منطوقات متطابقة أو متطابقة جزئياً تسمى ***اشكالاً*** Formen، وسمات المثير ـ ورد الفعل المطابقة تسمى معانى Bedeutungen (١٩٧٦، ٣٨).

حول المجال الثانى:

تُقدم هنا تعريفات للفونيم (١٦ تعريفاً)، والمورفيم (٩ تعريفات)، والمكون (١٣ تعريفاً)، والكلمة (١١ تعريفاً)، والضميمة (المركب، ١٢ تعريفاً)، وكذلك التفريق إلى «حر»، و«مقيد». وجرى البحث فى ذلك بشكل وصفى: متضمن فى، قابل للتحليل أو غير قابل للتحليل، يرد مستقلاً أو لا يرد مستقلاً(*) ـ تلك هى المعايير التى بُنِىَ الوصف وفقاً لها.

(*) مما لا شك فيه أن بلومفيلد مدين فى هذا الدرس الفونولوجى لدى سوسير وتروبتسكوى، إذ إنه يحدد الفونيمات عن طريق عملية التبادل ـ كما فعل علماء مدرسة براغ ذلك ـ وهو يقارن بينها من خلال عناصرها المميزة، غير أنه يفضل أن يُعَرِّفها من خلال توزيعها فى سلسلة الكلام، ولا يبدل هذا الموقف سوى شكل التحليل... ولقد أدرك تروبتسكوى ذلك؛ وهو يشير بنفسه إلى تعريف الفونيم لدى بلومفيلد، قائلاً: «إن كل هذا يقود إلى النتيجة نفسها "Principes. P. 44" (مونان ص ١١٧) (المترجم)

ومن منطلق الوصف تعريفات «عصر أصغر» minimal: "التعريف الثامن": العنصر الأصغر س (أو أقل عنصر) هو س الذى لا يتكون بشكل تام من سينات أصغر (منه). ومن ثم فإن س١ حين يتكون من س٢، وس٣، وس٤، لا يكون العنصر الأصغر س. ولكن حين يتكون من س٢، وس٣، وأ أو من س$_{٢}$ أ أو أ$_{١}$ أ$_{٢}$ أو حين يكون غير قابل للتحليل فإن س١ هو العنصر الأصغر س. (١٩٧٦، و٣٨).

وكذلك «حر» و«مقيد»:

التعريف العاشر: الشكل الذى يمكن أن يكون منطوقاً هو «حر». أما الشكل الذى لا يكون حراً فهو «مقيد». (١٩٧٦، ٣٨).

وقامت تعريفات الوحدات اللغوية على ذلك، ونقدم فيما يأتى بعضاً منها ـ دون شروح بلومفيلد:

التعريف التاسع: أصغر شكل هو مورفيم؛ ومعناه سيميم. [...]

التعريف الحادى عشر: أصغر شكل حر هو كلمة [...]

التعريف الثانى عشر: الشكل الحر غير الأصغر هو مركب.

التعريف السادس والعشرون: العنصر الأكبر س (أو أكبر عنصر) هو س الذى لا يكون جزءاً من س أكبر (منه).

التعريف السابع والعشرون: أكبر شكل فى أى منطوق هو جملة (١٩٧٦، ٣٨ ـ ٤١٠).

لاحظ الفرض السادس:

يتكون كل شكل على نحو تام من فونيمات (١٩٧٦، ٤٠). لا تحمل الفونيمات أى معنى؛ ومعانى المورفيمات(*)، وهى السيميمات Sememe، لا

(*) يؤكد هذا الاستخدام أن بلومفيلد لم يستطع أن يتخلص نهائياً من المعنى فى التحليل المورفولوجى وأن يقوم ذلك التحليل على وحدات شكلية بحتة، وكما يقول مونان ص ١١٨: وفى مجال الوحدات اللغوية ذات المعنى، يطبق بلومفيلد أيضاً التبادل (أى العودة الحدسية إلى المعنى) ليكشف بشكل صحيح عن الوحدات الدنيا التى يسميها مورفيم morphéme، وربما أدى هذا التعبير إلى إخفاء حقيقة كون الوحدات تحدد على أساس معانيها، وإلى الاقتناع بأننا نتعامل هنا مع الأشكال فقط، فنحن نحدد (الأشكال) عن طريق معانيها. (المترجم)

يمكن أن يستمر فى تحليلها بمناهج لغوية، وهو ما ينتج عن المعالجة بمخطط المثير ــ ورد الفعل: فالمعنى هو كلٌّ غير مُمَيَّز، أى الموقف Situation.

١٣٩ / حول المجال الثالث:

بالنسبة للمورفولوجيا والنحو أدخل مفهوم ***المكون*** Konstituent بوصفه جزءاً من بنية ــ داخل كلمة ما أو ضميمة ــ، وفى الواقع كانت البداية بمصطلح «شكل مكون». وتلك الأشكال مرتبة (أفقيا) فى البنية، وتشغل المواقع Positionen فى هذه البنية. وهكذا تتضمن بنية «الاسم فى الجمع» موقعين: الجذر الاسمى + لاحقة الجمع، وبنية «فاعل يؤثر فى شىء» تتضمن ثلاثة مواقع: اسم + فعل + اسم.

ويتبين فى ذلك أن ثمة علاقة متينة توجد بين المواقع والأشكال ــ أشكال محددة يمكن أن توضع فى موقع معين أو شكل محدد يمكن فقط أن يرد فى مواقع معينة. والموقع Position الذى يمكن أن يرد فيه شكل محدد هو ***وظيفته*** Funktion . يساوى بلومفيلد إذن بين الموقع والوظيفة. فدلالة موقع ما هى معناه ***الوظيفى***(*).

وتشكل كل الأشكال التى لها وظيفة مماثلة فئة شكلية Formklasse، وأمثلة ذلك: الجذر الاسمى، وشكل (صيغة) الفعل المتصرف، ولاحقة الجمع (التعريف الثالث والثلاثون).

(*) لقد كان أتباع بلومفيلد أكثر صرامة فى تحليلهم التوزيعى على المستوى الجملة أيضاً، فقد حاولوا هنا أيضاً الاقتصار على مستوى الأشكال فقط، التى تصنف على أساس مواقعها الخاصة بها، مهملين معانيها، بمعنى استخدام توزيع الوحدات فى الوصف النحوى، أى الأسلوب النحوى القائم على تتابع الكلمات بغض النظر عن العودة إلى المعانى التى كانت ترافق دوماً مع الوصف التوزيعى لدى معلمهم... ويرى مونان أن ذلك الموقف قد زج بهم فى مأزق حين تعرضوا لتحليل جمل يكون فيها لأصناف الوحدات اللغوية نفسها التوزيعات نفسها، بالرغم من أن الوظيفة النحوية (بنية المعنى) لهذه الوحدات مختلفة بشكل واضح (راجع المثال الذى قدمه دليلاً على ذلك من اللغة الفرنسية ص ١١٨) (المترجم)

وأخيراً يُحَدِّد نوع الكلمة "Wortart" بأنه تلك الفئة الشكلية التى لا تتكون إلا من كلمات.

التعريف السابع والثلاثون: الفئة الشكلية من كلمات هى فئة الكلمة Wortklasse.

التعريف الثامن والثلاثون: الفئات الكبرى للكلمة فى لغة ما هى أنواع الكلمة Wortarten لهذه اللغة (١٩٧٦، ٤٣). وإذا ما نظر إلى هذه التعريفات على أنها تحديد مفهومية وصفية فهى صحيحة تماماً. وتحديد الفصيلة وحده ليس دقيقاً، إذ عدت الفصائل المورفولوجية (العدد مثلاً) وكذلك الفصائل النحوية (الفاعل، والمفعول)[11]، نتيجة لمراعاة معان وظيفية فقط.

حول المجال الرابع:

يفهم بلومفيلد تحت ***تبادل*** Alternation تبديلاً مشروطاً من الناحية الصوتية أو المورفولوجية فى مجال تزامنى. وقد وُضِعَت جنباً إلى جنب دون تمييز: ظواهر مورفولوجية ــ (لاستخدام مصطلح بتروبتسكوى انظر فى الفصل الرابع ما ورد تحت ٤ ــ ٤ ــ ٢) ــ أى على سبيل المثال النحت(*) ولاحقة الجمع المتعلقة بالجذر فى الانجليزية وغيرها، بل وظواهر مورفولوجية أيضاً مثل ظاهرة التعويض(**) والاشتقاق.

/ حول المجال الخامس: ١٤٠

تفهم التعريفات والفروض حول التغير الصوتى، وتغير المعنى، وعمل القياس، والاقتراض وغير ذلك، هى ذاتها على أنها محاولة قياسية لوصف الوقائع من النقطة ١ إلى ٤. ويصفها بلومفيلد بأنها محاولة لوصف شكلى لهذا المجال.

---

(١١) قارن التعريف الخامس والعشرين (١٩٧٦، ٤٣).

(*) يستخدم هنا مصطلح sandhi، ويعنى النحت أو الصهر، أو تغير صوتى أو مورفيمى يصيب الكلمة فى موقع نحوى معين.

(**) يستخدم هنا مصطلح Suppletivismus وهو الكلمة اللاتينية suppletivus بمعنى مكمل/ معوض ومنه suppletiv - Form بمعنى شكل مكمل/ معوض وSuppletiv - Erscheinung بمعنى ظاهرة التعويض أو الإكمال. (المترجم)

مثل تلك المحاولة هى بلا شك مشروعة، وهى تقع فى بداية سلسلة كاملة من البحوث التى تنقل المناهج والمعارف المتحصلة بوصف حال تزامنية إلى تاريخ اللغة.

٦ ـ ٥ محور النحو لدى من خَلَف بلومفيلد

يكمن وصف اللغة فى فهم ليونارد بلومفيلد بوجه خاص فى إدراك المواقع التى يمكن أن يرد فيها شكل ما، وفى فصل الأشكال أو المواقع بعضها عن بعض. وتبعاً لذلك فإن أهم منهج للعثور على وحدات لغوية(١٢) هو تحليل أوجه الاطراد لتوزيع الوحدات فى المنطوق، ***التوزيعات*** Distributionen، أى تحليل التوزيع. وقد بُحِثَت التوزيعات أولاً على المستوى الفونولوجى، ثم مُدَّت هذه البحوث إلى المستويات الأخرى ـ المستوى المورفولوجى، والنحوى، والمعجمى. وطُور نماذجَ مهمة فى إطار علم اللغة الوصفى كلٌّ من ـ على سبيل المثال ـ ب. بلوخ، وت. ف. هوكيت، ور. س. ولس (نحو المكونات المباشرة IC) وك. ل. بايك، ور. لونجاكر (التجميمية) وس. لامب (النحو الطبقى).

وتركز البحث فى الخَلَف المباشر لبلومفيلد فى التوزيعات على المستوى النحوى، فقد وضع النحو الذى أهمل من قبل إلى حد بعيد فى قلب الدراسات. ولهذا السبب يذكر فى هذا المبحث هذا المستوى مع التمثيل.

استخدم ل. بلومفيلد فى كتابه «اللغة» فى الفصل العاشر (أشكال نحوية) مفهوم ***المكون المباشرة*** immediate constituent (IC) فى السياق الآتى(١٣)(*):

---

(١٢) الأصوب: وحدات الكلام، لأنه قد بحثت فى علم اللغة الوصفى وقائع ـ الكلام parole، انظر أيضاً ما ورد تحت ٦ ـ ٧.

(١٣) عن بلومفيلد ١٩٦٢، ١٦.

(*) يعد هذا المفهوم أساس وصف بنية الجملة ـ لدى بلومفيلد، وتتصل فيه المورفيمات بعضها ببعض فى شكل أشجار تمثل الترتيب والتركيب الصاعد (مثل هذا التحليل كان متضمناً فى «الإعراب والتحليل» للتعليم التقليدى): وأقام بلومفيلد كذلك تمييزاً أساسياً بين التراكيب المركزية والتراكيب اللامركزية، وفقاً لما إذا كان التركيب فيه بشكل عام مشابهاً أو غير مشابه نحوياً لأى من مكوناته المباشرة. وكانت الوحدتان الأساسيتين للوصف هما: *الفونيم* الذى وُسِّع فيما بعد ليشمل كل الظواهر الصوتية المميزة، والمورفيم، وهو الوحدة الصغرى للتركيب القواعدى. وخالفت الأجيال التالية بلومفيلد بإعطاء أفضلية للتقسيمات الثنائية للمكونات Binarism. غير أنها استمرت فى التركيز على التحليل الشكلى عن طريق عمليات ومفاهيم وصفية بشكل موضوعى، وهو ما كان قد ألح بلومفيلد على وجوبه، وإن كان النموذج التوزيعى قد طور على يد أتباعه تطويراً شديداً. (المترجم)

١٤١ كل شكل مركب مبنى من مورفيمات/ «مكونات أساسية (نهائية)». فجملة: poor John ran away (جون المسكين يفر) مثلاً تتكون من خمسة مورفيمات، من poor, John, ran, a -, way غير أن تحديد هذه المكونات الأساسية يعنى تحمل فقد البنية. ويمكن أن يتجنب ذلك بعملية تدريجية بالمكونات المباشرة للشكل المركب:

poor John + ran away; poor + John; ran + away ; a+ way,

حيث يصل المرء كذلك إلى المكونات الأساسية (النهائية)، ولكن ليس إلا فى نهاية التحليل. وهكذا فإن التحليل وفق المكونات المباشرة يمكن أن يُسْتَكمل انطلاقاً من النحو حتى المورفولوجيا، فهو يشتمل إذن على كل الوحدات الحاملة للمعنى القابلة للتجزئة.

وقد وُسِّع ذلك النهج لدى من خَلَف بلومفيلد توسيعاً كبيراً، ودخل فيما بعد فى المكون الأساسى لنحو كل نماذج القواعد التوليدية. وصاغ رلون س. ولس فى مقاله: المكونات المباشرة "Immediate Constituents"(*) الرؤية الكلاسيكية نوعاً ما لتحليل المكونات المباشرة. وقد خُصِّص له المبحث التالى ٦ ـ ٥ ـ ١

٦ ـ ٥ ـ ١ مقال ر. س. ولس «المكونات المباشرة»

نَشَرَ رلون س. ولس Rulon S. Wells هذا المقال سنة ١٩٤٧م فى مجلة: اللغة "Language" (الجزء ٢٣)، وظهرت ترجمة ألمانية له بعنوان «المكونات المباشرة» فى الكتاب الذى حرره ا. بنزه وآخرون .E. Bense et al (سنة ١٩٦٧م)، ويقتبس منها فيما يأتى. وقد تبنى ولس فى هذا المقال الإشارات المحفزة السابق ذكرها من كتاب بلومفيلد «اللغة»، بل ومقالة أيضاً لزليج س. هاريس

(*) ينبغى هنا أن يلاحظ الفرق بين المصطلحين المستعلمين هنا وهما Konstitut (بمعنى بناء أو مبنى) من الجذر constitutus (مؤسس أو محدد) وKonstituent (بمعنى مكون أو مقوم) وهو المنقول عن المصطلح الانجليزى constituent، ويوسم أو يوصف بـ immediate (مباشر) وultimate (نهائى). واستخدمت المؤلفة المقابل الألمانى لهما وهما unmittelbar وهو فى رأيى وصف موفق دال للوصف الأول، وelementar مقابلاً للوصف الثانى، وهو غير موفق لأنه ملبس إذ يعطى دلالات أخرى. (المترجم)

Z. S. Harris نُشِرت سنة ١٩٤٦م فى مجلة «اللغة» (الجزء ٢٢) بعنوان: من المورفيم إلى المنطوق "From Morpheme to Utterance"، وعرضت ترجمتها إلى الألمانية كذلك فى كتاب بنزه سنة ١٩٧٦ المذكور آنفاً.

ويقوم تحليل — المكونات المباشرة — لرلون ولس على الإجراءين «التصنيفيين» ***التجزىء*** Segmentieren ***والتصنيف*** Klassifizieren، الإجراءين اللذين يمكن أن يرجعا إلى العلاقات الجدولية (الصرفية) والأفقية (النحوية) لدى ف. دى سوسير. وقد أُجْرِىَ التدرج بوصفه «إجراء تصنيفاً»(١٤) على يد ممثلى المدارس النحوية المتأخرين المشتغلين بالتحويلات؛ الذين سوف يتناولون مرة أخرى فى الفصل الثامن.

ويعد تحليل — المكونات المباشرة تقويساً هرمياً غير موسوم "unlabelled bracketing"(*)، ويعنى هذا أن المبنى المعنى الذى يتركب من المكونات المباشرة الملاحظة، لا يوسم بوسم للعُقَد؛ ببيان عن التبعية لفصائل نحوية، وهكذا فإن eats well وnice man مكونات غير مفرق بينها.

/ وينطلق ولس فى نموذجه وما إليه من الفروض الآتية: ١٤٢

(١٤) اقترض المصطلح من علم الأحياء.

(*) يترجم مصطلح bracketing (فى الألمانية Klammerung) إلى تقويس بمعنى وضع العناصر المحللة داخل أقواس، والصفة unlabelled (وفى الألمانية nichtetikettierte) ومعناها غير موسوم، وتقابل الصفة labelled (موسوم)، وتستخدم الأقواس لغرضين:

أ — عزل بعض العناصر اللغوية وتحديد صفتها، كاستعمال القوسين { } لعزل العناصر النحوية، والقوسين | | لعزل العناصر اللغوية.

ب — إظهار العلاقة القائمة بين العناصر المختلفة فى السلسلة (كالكلمات المختلفة فى الجملة)... مثل تقويس جملة ((قرأ) ((الرجل) (كتاباً)). انظر معجم المصطلحات اللغوية لرمزى البعلبكى ص ٧٦، ٧٧. (المترجم)

١ ــ يجيز فى مبنى واحد فى الحال العادية مكونين، وأحياناً أيضاً أكثر من مكونين، ولكنه لا يجيز مكوناً وحيداً فقط على الاطلاق[١٥]،

٢ ــ يجيز مكونات متقطعة (منفصلة) [مثل: put . . . off]؛

٣ ــ نموذج المكونات المباشرة مفتوح لكلا النهجين، بوصفه تحليلاً يبدأ من الجملة بأكملها إلى المورفيمات أو بوصفه تأليفاً يبدأ من المورفيمات إلى الجملة بأكملها؛

٤ ــ نموذج المكونات المباشرة يحتاج إلى وحدة «الكلمة»، وليس المورفيم والضميمة النحوية فقط، على نحو ما قد رجح علم اللغة الوصفى الحالى فى جزء منه؛

٥ ــ أدخل فى حالة الضرورة مصطلح «التركيب Konstruktion» تعويضاً عن نقائص التقويس غير الموسوم (أوجه القصور فيه)، ولكل مكون من المكونات المباشرة موقعه فى هذا التركيب، ويحتاج التركيب فى مجمله لإيضاحه إلى المعنى (كذا!).

وينبغى الآن أن توضح هذه الفروض الخمسة توضيحاً دقيقاً بمساعدة الاقتباسات أيضاً.

حول الفرض الأول:

فى الجمل التى مثل بها ولس The king of England opened Parliament[*] (١٩٧٦ ص ٢١٤ وما بعدها)، أى ملك انجلترا افتتح البرلمان،

---

(١٥) فى الألمانية يستعمل مصطلح der Konstituent (المكون) وجمعه die Konstituente (المكونات).

(*) لاحظ الفروق بين الجملتين الانجليزية والترجمة العربية، ففى الانجليزية تبدأ بأداة التعريف the التى تسقط فى الترجمة، ويسقط كذلك الرابط of، إذ لا تصح الترجمة الحرفية الركيكة: الملك من انجلترا، ونقل المركب إلى تركيب إضافى فى العربية: ملك انجلترا، كما أنه يجوز فى العربية (وهو المستحسن فيها) البدء بالفعل: افتتح، وليس بالاسم فتكون الجملة: افتتح ملك انجلترا، وبذلك تبتعد الجملة العربية عن الجملة الانجليزية (بل وكل اللغات الأوربية وغيرها)، وتصعب المقابلة وأمور أخرى كثيرة، وأخيراً المفعول فى الانجليزية نكرة، وترجمته إلى العربية بنكرة يثير دلالات غير مقصودة. (المترجم)

تعد the وParliament مكونين للجملة أيضاً باعتبار أنهما وردا فى هذه الجملة، وذلك بوصفهما الكلمة الأولى والكلمة الأخيرة. غير أنهما ليسا مكونين مباشرين (ICS) فى مبنى؛ وحتى يكونا كذلك يجب أن يتبع بعضهما بعضاً على نحو أشد التصاقاً من أن يتبع كل منهما أى جزء آخر فى الجملة، والحال ليست كذلك. ويحدد ولس المكونات المباشرة من خلال ***أوجه الاستبدال*** Substitutionen والتوسيع Expansionen(١٦)، ولذا يحلل ابتداءً the / king of England,, لأن the king(*) استبدال من John، ولكن مع ذلك الاستبدال لا يمكن أن تضاف of England على الإطلاق(*)؛ بل لا يجوز من جهة أخرى أيضاً أن يستعمل John بدلاً من king of England لأنه قد ينشأ المبنى غير الجائز فى اللغة "the John"(*). وهكذا فإنه لا يمكن أن يستبدل John إلا بالمبنى الكلى the king of England ويلزم أن يبين هذا المثال أن المبانى ذاتها هى إذن مكونات مباشرة لمبان أكبر أيضاً.

ويكون التحليل صحيحاً حين يُكْشَف عن المكونات المباشرة الواردة للمبانى بوسائل شكلية، فهو لا يحتاج إلى معنى الأشكال. قارن الحِجَاج الآتى: فى بعض التتابعات يمكن أن يستبدل Tom and Dick ـ أو They ـ بالمبنى the stars(٣). وهكذا: / فالجملتان

١٤٣ The stars look small because they are far away

(النجوم تبدو صغيرة لأنها بعيد).

و.The stars look small because Tom und Dick are far away

(النجوم تبدو صغيرة لأن توم وديك بعيدان)

كلاهما نحوى، وإن كانت الثانية فقط غير شائعة لأسباب دلالية (أو لم تستعمل على الإطلاق). (١٩٧٦، ٢١٤).

---

(١٦) لا يتخلى عن هذا التجزىء إلا مع إدخال مكونات منقطعة (١٩٧٦، ٢٤٥)، قارن ما ورد تحت النقطة ٢.

(*) أن تصير مضافةً إلى الاسم لأن of أداة إضافة؛ فلا يصح أن يلحق الاسم أو يسبقه المكون of England، كما أنه لا يصح أن يُعَرَّف، ومن ثم يكون الاسم مقابلاً للمبنى كاملاً. (المترجم)

الحالة العادية بالنسبة لولس هى تقسيم ثنائى ، أى أن المبنى يتكون من مكونين مباشرين، أما المبنى المشكل من مكون مباشر واحد فقط فلا يقبل. وعلى العكس من ذلك يمكن فى حالات معينة أن يتكون المبنى من أكثر من مكونين مباشرين. ويستشهد ولس لذلك بالعطف ـ إذ إنه مع **أ** و **ب** و **جـ** لا يشير شىء إلى **أ/ب** و **جـ** أو **أ** و **ب/**و **جـ**، وهكذا يجب أن تستعمل هنا المكونات المباشرة الثلاثة **أوب وجـ**. قارن:

نقترح ألا نُسَلِّم بالمكونات المباشرة المتعددة (ثلاثة أو أكثر) إلا بشروط معينة، محددة. ***فأى مكون معطىً***، يتكون من ثلاثة تتابعات مترابطة، إن يكن من الممكن العثور على سبب لأن يُجَزَّأ إلى ثلاثة مكونات مباشرة متساوية فى الترتيب ***أ / ب / جـ***، فمن الأحرى أن يُجَزَّأ إلى ***أب / جـ*** أكثر من ***أ/ ب جـ*** أو إلى ***أ/ ب جـ*** أكثر من ***أب / جـ*** [الإبراز من ر. س. ولس].

وعلى نحو مشابه يمكن أن يُسَلم بالمكونات المباشر الأربعة، حين لا يُقَدِّم تجزىء إلى مكونين مباشرين وإلى ثلاثة مكونات مباشرة وهكذا دواليك. (١٩٧٦، ٢٤١).

حول الفرض الثانى:

يوصف ***بالمكون المنقطع***(*) التابع الذى لا يتجاور أفقياً، بل يقطعه تتابع آخر، قارن:

أى تتابع منقطع هو مكون، حين يرد التتابع المترابط المطابق فى محيط ما بوصفه مكوناً فى تركيب يتوافق من الناحية الدلالية مع التراكيب التى يرد فيها التتابع المنقطع المعطى [الإبراز من ر. س. ولس]. ظل

(*) استُخْدِم هنا مصطلح diskontinuierlicher Konstituent ويترجم إلى مكون منقطع، ومُقَوِّم مشعث، ومكون منفصل ، وقد اخترت الترجمة الأولى وهو يقابل مصطلح kontinuierlicher Konstituent (= مكون متصل أو متتابع). ويُعْنَىٰ بالمكون المنقطع: ١) عنصر لغوى يرتبط ارتباطاً وثيقاً بعنصر آخر، ولكنه منفصل عنه فى التركيب، مثل: put.. off فى الانجليزية، وne ... pas فى الفرنسية وما. . ش فى أسلوب النفى فى العامية المصرية. ٢) كلمة يمكن إضافة الدواخل (in-fix) إليها، مثل لجأ (←— التجأ). معجم البعلبكى ص ١٥٣ (المترجم)

المركب «يتوافق من الناحية الدلالية» غيرَ محدد، ووُضِّح بأمثلة فقط. (١٩٧٦، ٢٤٢).

من المفيد أن يعالج فى : wake your friend up (أيقظ صديقك) [المكون المنقطع] wake ... up بأنه يوجد أيضاً wake up your friend ـ دون انقطاع ـ والتتابعان مترادفان تقريباً.

ويحلل فى المكونات المباشرة المنقطعة الآن أيضاً التتابع the king of England (ملك انجلترا) تحليلاً جديداً مرة أخرى إلى: the king وof England، وذلك على أساس فرض تالٍ: the English king مثل wake ... up يجزأ إلى the king وEnglish ، لأنه توجد هذه المكونات أيضاً دون تتابع (wake up ; the king) ويوجد فى الشكل المنقطع حسب ولس «علاقة متناسقة دلاليا»[17] ـ يفهم تحتها، أن الأمر/ فى الواقع عند إهمال المعنى يظل مفتوحاً. ونتيجة لذلك ـ كما ١٤٤
يقول ولسن بعد ذلك ـــ ينبغى أيضاً فى: the king of England ومع ذلك فهذه النتيجة ليست قاطعة لأنه فى إطار نموذجه يمكن ألا يُضَاف إلى of England، على نحو ما عرض تماماً تحت الفرض الأول عند الاستبدال من the king.

حول الفرض الثالث:

أكد ولس أنه يمكن بهذا الإجراء أن تضم المكونات المباشرة فى مكونات، وتفهم تلك المكونات مرة أخرى على أنها مكونات مباشرة لمبان أكبر إلخ إلى أن تدرك الجملة بأكملها أو على العكس من ذلك يمكن أن تحلل الجملة بصورة متدرجة حتى أصغر المكونات المباشرة. وهكذا لا يحدد نموذجه من البداية اتجاه الوصف:

ليس من الضرورى أن تربط نظرية ـ للمكونات المباشرة بالتتابع (البحث إلى أدنى)، ودون النظر إلى ما إن كان عرض النحو الوصفى يجرى إلى أعلى أو إلى أدنى فإن مكونات كل المنطوقات هى ذاتها[*]. (١٩٧٦، ٢٣٨).

---

(١٧) يُتحدث فى الترجمة الألمانية عن «توافق من الناحية الدلالية».

(*) تلك خاصية جوهرية أن يبدأ التحليل فى علم اللغة الوصفى من القاع إلى القمة أو من القمة إلى القاع؛ وذلك لأن المكونات المباشرة فى كلتا الحالتين واحدة. ومعنى ذلك أنه يمكن أن يبدأ اللغوى تحليله من المورفيمات حتى يصل إلى الجملة أو من الجملة إلى المورفيمات، ولكن غلب على التوزيعيين البدء من أصغر المكونات المباشرة إلى الجملة خلافاً للتوليديين الذين حسموا المسألة ببدء التحليل من الجملة فقط. (المترجم)

حول الفرض الرابع

أجْرى تحليل المكونات المباشرة فى علم اللغة الوصفى، كما ذُكِر أعلاه ـــ حتى الوحدات الصغرى الحاملة للمعنى ـــ المورفيمات. غير أن ولس يثبت الآن أن وحدة «الكلمة» تستخدم أيضاً، وأن الكلمات هى مكونات مباشرة لمبانٍ. وبعبارة أدق تعد كل كلمة مكوناً إلا استثناءات معينة (يضرب أمثلة يابانية). ولهذا الغاية حدد ولسن وحدة «الكلمة» تحديداً فونولوجياً ومورفولوجياً، وغير ذلك من خلال حدود الكلمة والنهايات، وتتابع ثابت للمورفيمات فى تلك الوحدة (على النقيض من التتابع الأكثر حرية فى النحو). وبالإضافة إلى ذلك لا يمكن أن يدل تتابع المورفيمات داخل كلمة ما، لأنه محدد آلياً، على أى معنى، وعلى العكس من ذلك فإنه مع تتابع الكلمات داخل النحو يكون ذلك ممكناً

ويجب أن يُشَار كذلك إلى أن تلك المعايير كانت معروفة من قبل فى علم اللغة الأوربى، ولكنها لم تستخدم هنا فى بادىء الأمر بسبب طريقة البحث فى علم اللغة الوصفى الموجهة إلى المورفيمات(*)، والآن أُعِيد اكتشافها إلى حد ما. ويعزو ولس إلى ى. أ. نايده E. A. Nida إبداعها.

حول الفرض الخامس:

بُيِّن تحت الفرض الأول أن ولسن يطمح إلى تحليل شكلى ولم يسْئل عن ***أى*** منطوقات ترد، بل عن : إلى أى مكونات تقبل المنطوقات ـــ المقدمة ـــ التجزىء شكلياً؛ وفى ذلك لم يُلتَفت إلى معنى المنطوقات فى بادىء الأمر. ومع هذا يجب على ولس أن يقبل أنه توجد تتابعات، تجيز أكثر من تحليل للمكونات

(*) سبق أن أشرنا إلى أن بلومفيلد لم يرفض استعمال الكلمة، وإن راعى المورفيم أساساً فى تحليله، وذلك من خلال جانبيه الصوتى والدلالى، إذ يمكن وصفه صوتياً بأنه مركب من فونيم أو أكثر، ودلالياً بأنه مجموع الخصائص الدلالية sememes. وإذا لم ترتبط المتشابهات بمثيلاتها فى المعنى فلا يمكننا أن ننسب أى معنى للمورفيمات. وكما أشرت تكون مجموع هذه الخواص وحدة المعنى الثابتة المحددة. ويتأكد ذلك من مسلمته القائلة بأنه من أجل القيام بالوصف العملى لابد من قبول «وجود بعض التعابير المتشابهة من حيث التركيب، ومن حيث المعنى فى كل جماعة لغوية. (المترجم)

المباشرة، وتُظهِر بالإضافة إلى ذلك أيضـاً بشكل مواز فروقاً فى المعنى. قارن old men and women ــ (أ) old (عجائز) لا تتعلق إلا بـ men (رجال)، ــ (ب) old تتعلق بـ men and women/ (= رجال ونسوة عجائز)، ولذلك يقر ولس ١٤٥
كذلك بترتيب المكونات بوصفه وحدةً إلى جانب المورفيم والكلمة والتتابع، قارن:

هذا النوع من تعدد المعنى، وإن لم يكن موجـوداً فى كل لغات العالم، منشر على كل حال انتشـاراً كبيراً للغاية، وله بالنسـبة للنحو أهمية كبـيرة، ويعنى وجوده تحديداً أنه يجب على النحوى أن يدرج فى مادته اللغوية للبحث Datenkorpus أكثر من المورفيـمات وتتابعاتهـا. «فالنظام» النحوى أكـثر من التتابع المحض. ونقـترح أن نطلق على «الأكثر» مصطلح ***(تركيب)*** Konstruktion (١٩٧٦، ٢٢٨).

وتشتمل التراكـيب ما عُرِض فى نماذج متأخرة للنحو برسـوم موسومة، أى البنية النحوية. وبالنسبة لـ: old men and women يقدم ولس على سبيل المثال تراكيب متبادلة كما يأتى:

(a) NP + and + and + NP; 1. NP: Modifizier + NP;

[أى : م س + و + م س؛ ١. م س: واصف + م س]

(b) Modifizier + NP ; NP : NP + and + NP

[أى: واصف + م س ، م س: م س + و + م س](*)

تلك التراكيب وفـقاً له تراكيب مشتركات لفظـية، وفى هذه الحالات فقط، أى حين توجـد فروق فى البنية، يسـتعان بالمعـنى، ولا يكون ذلك إلا فى صورة

(*) يقابل مـصطلح Modifizier فى الانجليزى modifier وهو فى النحو بمعنى واصف أو مُـعَدِّل أو مُغَيِّـر (أى كلمة ــ أو أكثر ــ تصف كلمـة أخرى ــ هى الموصوف Modificand ــ أى تضيف قـيداً أو إيضـاحاً إلى مـعناها، والاسم Modification أى وصف فى النحو، وبمـعنى تحوير أو تعديل أو تغيـير فى غيره. و NP = م س = مركب اسمـى، وتعنى البنية الأولى أن الواصف يقع على المركب الاسمى الأول فقط، أى: رجال عجائز ونسـوة، والثانية أن الوصف يقع على المركبين الاسـمـين الأول والثـانى: أى: رجال عـجـائز ونسـوة عـجـائز أو رجال ونـسـوة عـجـائز. (المترجم)

المعنى المميز (الفارق) أيضاً: حالتان واردتان (مصوغتان) فى تتابع واحد (هو نفسه) لهما معان متعارضة.

٦ـ٦ زليج س. هاريس

تبرز المكانة غير العادية لـ ز. س. هاريس فى التأريخ العلمى لعلم اللغة فى الولايات المتحدة الأمريكية أن يُخصَّص له جزءٌ من فصل خاص به.

ويعد زليج سبتاى هاريس (Zellig Sabbettai Harris) (١٩٠٩ ـ ١٩٩٢م)(*) بوجه عام المؤسس الأورثوذكسى (التقليدى) لعلم اللغة الوصفى، ويعد كتابه الكبير (مناهج فى) «علم اللغة البنيوى» (١٩٥١/ ١٩٦٠) الكتاب المقدس لهذه المدرسة. وترتبط حياته وعمله ارتباطاً وثيقاً بجامعة بنسيلفانيا فى فيلاديفيا التى عمل فيها منذ بداية مساره العلمى حتى تقاعده سنة ١٩٧٩. وتمتد بيانات ظهور مؤلفاته من سنة ١٩٣٢م (بحث الماجستير حول نشأة الأبجدية) وسنة ١٩٣٦م (شهادة الدكتوراه فى نحو اللغة الفنيقية حتى سن ١٩٩١م؛ أما كتابه العلمى الأخير فقد ظهر بعنوان «نظرية اللغة والمعلومات: منهج رياضى» (A Theory of Language and Information : Amathematical approach) وقد أبدى بعض العارفين بحوثه اللغوية معرفة جيدة، وبعض النقلة العلميين أنفسهم فى بعض الأحيان، دهشتهم من أن هاريس ظل ينقح تصوره للنحو حتى وفاته تقريباً. وتصير هذه الدهشة مفهومة حين يُقرأ نص هذا المبحث ٦ ـ ٦ والفصل الثامن عن أنحاء تشومسكى التوليدية، وتُلاحظ التغيرات الكبيرة التى وقعت فى علم اللغة فى الولايات المتحدة الأمريكية منذ نهاية الخمسينيات. ولذلك يرمى العرض ضمن ما يرمى إلى هدف، وهو أن

(*) وُلِد زليج سبتاى هاريس عام ١٩٠٩م فى مدينة «بالتا» فى روسيا. ورحل إلى الولايات المتحدة عام ١٩١٣، وحصل على الجنسية الأمريكية عام ١٩٢١م. وكانت حياته الجامعية مستقيمة، إذ حصل من جامعة بيتسلفانيا على شهادة الليسانس عام ١٩٣٠، وعلى شهادة الماجستير فى الآداب عام ١٩٣٢م، وعلى شهادة الدكتوراه عام ١٩٣٤م. وعين معيداً فى الجامعة نفسها عام ١٩٣١م، وأصبح أستاذاً مساعداً منذ عام ١٩٣٨، ثم أستاذاً عام ١٩٤٢م، وأستاذ علم اللغة التحليلى عام ١٩٤٧. (المترجم)

يرسم (ينقل) الوصف اللغوى لدى هاريس بتحديد محوره المتغير، ويوضح أن هاريس/ بوصفه الممثل الرئيسى لعلم اللغة الوصفى قد وجد فى الوقت نفسه بناء ١٤٦
على بحوثه الخاصة المخرج للتغلب على عيوب هذا الاتجاه.

ويمكن بالنظر إلى المبحث السابق حول ر. س. ولس أن يتخلى عن مناقشته المقالات المفردة حول نموذج ــ المكونات المباشرة. ولذلك يتعلق النص التالى الآن من جهة بكتاب هاريس المختصر «علم اللغة البنيوى Structural Linguistics »، ومن جهة أخرى بتحليل الخطاب والتحويل بوصفها المجالات التى حاول هاريس بها أن يتخطى الإطار الذى صار ضيقاً لعلم اللغة الوصفى.

٦ ـ ٦ ـ ١ «علم اللغة البنيوى»

ظهر هذا الكتاب فى البداية سنة ١٩٥١م بعنوان: مناهج فى علم اللغة البنيوى»، ثم طبعة (صيغة) غير متغيرة فى مضمون الفصول سنة ١٩٦٠م بعنوان «علم اللغة البنيوى». ولعل المحاور الآتية تعين على معرفة مسار أفكار الكتاب.

١ ــ بنى الكتاب بشكل استشكافى، أى أنه هو نفسه يعرض وصفاً للكيفية التى يجب أن يجرى عليها الأمر عند وصف نحو ما. ولذلك يتحدث هاريس عن «إجراءات الاكتشاف (Entdeckungsprozeduren(*)». وتشتمل الفصول التسعة عشرة الرئيسية على برامج التحليل فيما يتعلق بالفونولوجيا والمورفولوجيا (متضمنة تتابعات المورفيم والتراكيب، أى النحو). وقد بنيت كل الفصول وفق النموذج ذاته: فى البداية تقدم المواد اللغوية، تلك التى تبحث من خلال التجزىء والتصنيف، وفى

(*) يترجم مصطلح procedure إلى إجراء، ونهج، وتوسل، وطريقة البحث، ومسلك. وقد اخترت الترجمة الأكثر شيوعاً فى كتب علم اللغة، ويقصد به فى الاصطلاح الطريقة التى يتبعها اللغوى فى تحليل اللغة وفى وضع النظرية اللغوية. وأهم مكونات هذه الطريقة ثلاثة: نهج الاكتشاف discovery procedure، ونهج القرار decision procedure، ونهج التقويم evaluation procedure ،انظر معجم البعلبكى اللغوى صـ ٤٠٠ . (المترجم)

النهـاية يحصل المرء على البنيـة النحوية. وفى الفـصل ذاته لا تُحَدَّد فـى كل مرة إلا طرائق الإجراء، وتُضـرب أمثلة بالمواد اللغوية، وتجيء مناقـشة مشكلات خـاصة فى ملاحق ــ ثرية جديرةً بالملاحظة بشكل جزئى ــ للفصول المفردة.

ويُذْكَر ذلك بإيضاحات حول بلومفـيلد وولس. فقد أوضح هاريس بمفهوم كلاسيكى أن علم اللغة الوصفى أرتأى مهمته ليس فى إبداع (إيجاد) نظرية لغوية، بل على الأرجح فى تطوير مـناهج لوصف اللغـات، وذلك برغم توفر إجـراءات تحليل، يجب أن تكون قابلة للتطبيق على كل اللغات، وأن تُكَيَّف مع لغات مفردة فى حالات خاصة فقط. وتُجْرى هذه الإجراءات على مـادة نصية عشوائية، وتقدم بشكل آلى النحو المتعلق بها. وتبعـاً للمطالب الخاصة يجب أن يقع العمل الجارى بالإجراءات فى خطوات مفردة محددة بدقة بوصفه اتجاهاً خوارزمياً(*)، ومع ذلك يسعى كل باحـث فى التطبيق إلى طرق مخـتصـرة، لأن إنجازاً كامـلاً للإجراءات يكلف وقتاً كثيراً، بل ربما كان غير ممكن كليةً.

ولم يُعْتَمد فى ذلك على المعنى المعجمى لأجزاء المنطوق؛ ويرى هاريس أنه يمكن التخلى عنهـا حين يمكن أن يُعْثَر على عناصـر فارقة من الناحيـة الشكلية، وأن يُدْرَك توزيعها.

١٤٧ / ٢ ــ يصير بهـذه الطريقة ***التوزيع*** Distrbution العامل الفيصل، وهو علاقة بين عناصر أى منطوق، ويجوز أن يُحَدَّد فى قوله:

وهكذا فالعـرض الحالى مـحدد بوضوح بمسـائل التوزيع، أى حـرية وقوع أجزاء منطوق ما بالنسبة إلـى بعضها بعضاً. كل التعبيـرات والجمل ستكون متصلة بهذا المعيار(**). (١٩٥١، ٥).

(*) الخوارزمية أو الخـارزمية، هى حساب، أسلوب يستخدم فى عـلم اللغة وعلم الأصوات يسعى إلى تبسيط مسألة لغويـة ما بإظهارها فى سلسلة متتالية من النقاط البسيطة كـالتى فى الجداول المستعملة فى مناهج الحاسبات الإلكترونية، وأكثر ما يستعمل هذا الأسلوب فى النحو التوليدى. (انظر معجم البعلبكى ص ٣٧، ٣٨). (المترجم).

(**) أراد هاريس بهذا المعيار (معيار التوزيع) تحييد المعنى، وتوزيع الوحدات أو الفونيمات أو الكلمات على أساس شكلى بحت، وكان يعنى بتوزيع وحدة ما: «مجموع الكلمات التى يمكن أن توجد فى محيطهـا اللغوى». ولكن يبدو كما سـيوضح فيما يأتى أنه لم يسـتطع تحييده تحييـداً تاماً، بل كان اللجوء إليه حاسماً فى بعض المواضع لحل مشكلات وتعقيـدات شديدة، عجز معيار التوزيع وحده عن أن يتوصل إلى طرائق للتغلب عليها. (المترجم)

ومن الضرورى لذلك أن تُكتَشف لموقع معين فى المنطق كلُّ الوحدات التى يمكن أن تشغله، أو التى يمكن أن يستبدل بعضها ببعض، أو يعثر لوحدة ما على كل المواقع التى يمكن أن تشغلها.

مثال ذلك: he __ed : ففى الموقع" '______, يمكن أن توضع وحدات، هى أصول الأفعال، أى work -, spell-, learn إلخ. ولكن ليس جذوراً اسمية مثلاً (وفى الواقع ليست كل أصول الأفعال)؛ ويلاحظ ذلك على نحو آخر: الوحدة -learn يمكن أن توضع فى الموقع he ___ ed غير أنها فضلاً عن ذلك يمكن أن توضع أيضاً فى سلسلة من مواقع أخرى، مثل: she __ ed, he ___ s وغيرها، ولكنها لا يمكن أن توضع مثلاً فى الموقع ___ the.

وحسب هاريس «المعنى» معلومة عن أوجه اشتراك كل الوحدات الممكنة فى الموقع ذاته، ويرفض أن تكون المعلومة الدلالة الناتجة عقلية وذاتية(*). وهكذا فهو ينادى بوصف لغوى تصنيفى صارم، يقتصر على التجزىء والتصنيف: يُجَزَّأ تدفق الكلام (flow of speech) إلى عناصر، يمكن أن ترد غير تابعة، مستقلة، ثم يُحَدَّد توزيع هذه العناصر بمساعدة المادة اللغوية المتوفرة للبحث، وأخيراً تُجْمَل العناصر بناءً على ذلك فى فئات (أقسام) ذات توزيع واحد.

أما أهم منهجين لهذا الوصف اللغوى فهما ***الاستبدال وتحليل المكونات.*** فبمساعدة الاستبدال[١٨] تُكْتَشَف فئات التوزيع، وبمساعدة تحليل المكونات (= تحليل المكونات المباشرة، انظر ما ورد تحت ٦ ـ ٥ ـ ١) يحدد أى القواعد التى يمكن وفقاً لها أن تربط عناصر فئات مختلفة بعضها ببعض.

(*) لا شك أن الطريقة الاعتيادية فى التحليل القائمة على الحدس (أى على معيار المعنى فى الغالب) أيسر من ذلك التحليل القائم على أساس التوزيع، ولكنه برغم تعقده فهو حاسم علمياً من وجهة نظر هاريس؛ فالتحليلات التوزيعية لا تقدم حلاً دقيقاً بديلاً عن الاعتبارات القائمة على المعنى، بل إنها تسمح بتجنب *الاستعمال الصوفى للمصطلحات الفلسفية*، مثل تلك التى يلجأ إليها تروبتسكوى مثل: الوظيفة، النظام، الكيان... (Language, vol. 17, p. 345) . (المترجم)

(١٨) المصطلح الذى يمكن أن يقارن به فى الدراسات الجرمانية الألمانية هو Ersatzprobe «اختيار الإحلال».

ويطلق هاريس على تلك العناصر الواردة معاً ***العناصر المتواردة*** (المشاركة) co - occurents، والعلاقة بينها هى علاقة ***الوقوع المشترك*** (التوارد) co - occurence . وتعدُ مثل تلك البنية لأوجه الوقوع المشترك بالنسبة له موجودة فى اللغة موضوعياً ولا تُعْزَىٰ إلى الباحث اللغوى.

٣ ــ التحليل التوزيعى هو بلا شك منهج قيم فى البحث اللغوى. وتكمن مزاياه فى استبعاد العوامل الذاتية إلى أقصى حد ممكن (الحدس، ومطالبة الوصفيين بالمعنى أيضاً)، فى صلاحيته العامة (فهو أساساً قابل لأن يطبق على كل اللغات) وفى واحديته عند إجرائه فى مستويات أيضاً (فهو قابل لأن يُطَبَّق على كل مستويات النظام اللغوى). ومع ذلك فليس التحليل التوزيعى/ هو المنهج الوحيد ١٤٨
الصالح للوصف اللغوى، إذ إن له بعض حدود تجعل إكماله بمناهج أخرى أمراً ضرورياً.

(أ) فهو (أى التحليل التوزيعى) صعب، إذ يجب ــ فى الحقيقة ــ أن يُخْتَبر كل أوجه الورود وكل المواقع ــ ولذلك أُجْبِر ممثلو ذلك التحليل المنحازون له أيضاً مثل ز. هاريس على إجراء تقريبى. ويدون تبريراً لذلك إلى حد ما:

إن حجة استعمال أوجه تقريب فى تصنيف المورفيمات تدعمها حقيقة أن النفع التنبؤى لتصنيف دقيق للمورفيمات ليس فى حاجة إلى أن يكون أكبر من ذلك (النفع التنبؤى) لتصنيف تقريبى.

(ب) وهو يحاول أن يستغنى عن معنى الوحدات اللغوية. ومع ذلك فقد أجبر التحليل التوزيعى هاريس على اختبار آرائه، لأنه قد عرف أن احتمال الوقوع المشترك لوحدتين لغويتين تحدده ضمن ما تحدد درجة تشابه معناهما. وبعبارة أخرى من المحتمل مثلاً ألا يتم العثور على الوحدتين Sprachetruktur (بنية لغوية) وSchwimmen (يسبح) على أنهما عنصران متواردان (متلازمان).

(جـ) يريد علم اللغة الوصفى أن يوضح التوزيع عبر استشارات مساعدى البحث بدلاً من أن يتم عبر المعانى. ولكن ذلك يمكن أن ينقل الذاتية غير

المرغوب فيها من اللغوى إلى مساعدى البحث، دون استبعادها(*)، وفضلاً عن ذلك من المحتمل أن يعرف اللغوى من خلال ذلك شيئاً عن علاقة عنصر ما بالعناصر المجاورة له فى التركيب، غير أنه يعرف القليل أو لا يعرف شيئاً عن العنصر ذاته. ولذلك حاول هاريس أن يُخَلِّص استشارة مساعدى البحث من ذاتية محتملة. وتتضح أفكاره حول ذلك فى هامش بوجه خاص (١٩٥١، ١٢) (يقتبس عن كتاب بنزه وآخرين بالألمانية):

حين يجد اللغوى فى مادته اللغوية أ س وب س، ولكن لا يجد جـ س (حيث أ وب وجـ عناصر يتشابه توزيعها تشابهاً تاماً)، فإنه ربما يرغب أن يستوثق من مساعد البحث: هل يقع جـ س بوجه عام. [. . .] وبدلاً من أن يُبْنَى شكل جـ س، ويُسْأَل مساعدو البحث: «أيقول المرء جـ س»؟ أو هكذا، فإن عالم اللغة يمكنه أن يطرح فى أغلب الحالات أسئلة، ينبغى أن تحمل مساعدى البحث على استخدام جـ س ــ حين يرد الشكل فى كلام (Speech) مساعد البحث(**).

(*) يرى مونان أنه على الرغم من إصراره على تأكيداته القطعية فهو لا يتجاهل الاعتراضات. إن مجموع ما يقول عن المعنى. . نموذجى وعميق بالنسبة لكل باحث. فهو يعرف، برغم ورعه النظرى، أنه يستخدم معارف معنوية خلال تحليلاته، ويدعى أن لجوءه إلى المعنى هوعرضى محض، وإن بالإمكان تجاوز ذلك «ولكن بأى ثمن؟»، وهو يرى أحياناً «أن ليس من حاجة، من حيث المبدأ، لأن نأخذ المعنى بعين الاعتبار إلا بالمقدار الذى نسعى فيه لتحديد التكرار. ويضيف: وأحياناً نشير إلى أنه حتى عندما يؤخذ المعنى بعين الاعتبار، فإننا لا نكون مطلقاً بحاجة إلى تحليل مفصل وكامل عن معنى عنصرٍ ما، ومن باب أولى إلى ما يقصد المتكلم حين تكلم. إن كل ما هو ضرورى هو أن نجد فرقاً منتظماً بين مجموعتى مواقف (مثل تلك المواقف التى تظهر فيها/ S/ (الجمع) وتلك التى لا تظهر فيها). (علم اللغة ص ١٨٢).

(المترجم)

(**) يرى هاريس نفسه فى المناهج ص٢٠ فى استشارة المتكلم أو صاحب اللغة أو الخبر أو مساعد البحث. . . إلخ عودة إلى أخذ المعنى بعين الاعتبار، بل إننا سنرى فى تحليله التحويلى للجملة أن إدخال المعنى فى التحليل ضرورة لا يحيد عنها، يقول: وبقبول معيار إجابة المستمع هذا، نجد أنفسنا منساقين ثانية إلى الاعتماد على «المعنى» الذى أصر اللغويون على ضرورته. ويبدو أنه من غير الممكن تجنب طريق من هذا النوع بالنسبة للمرحلة التى يمر فيها علم اللغة فى الوقت الحاضر على الأقل. (المترجم)

٤ ــ يشتغل علم اللغة الوصفى بانتقال صارم للمستويات: فوحدات مستوى أعلى تُبْنَى كاملة من وحدات المستوى الأدنى. ولذلك يجب بمعنى صارم أن يوصف كل مستوى وصفاً مستوفياً، قبل أن يُشْرَع فى وصف المستوى التالى فى العلو؛ لأنه لا يجوز بناء أى إجراء على نتائج لا يبحثها إجراء آخر إلا فى استعمال لاحق.

ومع ذلك يجب على المرء هنا بداهة أن يُجْرِى فى الواقع أوجه إنقاص على الوصف اللغوى. ويؤكد هاريس فضلاً عن ذلك من جهة أخرى أيضاً أن كل/ مستوى يعطى تماماً تدفق الكلام، أى يمكن أن يُجَزَّأ منطوق ما بشكل تام إلى فونيمات، بل وبشكل كامل إلى مورفيمات، وبشكل كلى إلى مكونات مباشرة، ويكون كل من ذلك وفق برنامج التحليل ووضع الهدف. ١٤٩

وفى مقدمة طبعة ١٩٦٠ يشير هاريس ضمن ما يشير إلى مجالين، حُرِّكا منذ نشر كتابه «علم اللغة البنيوى» إلى قلب البحث اللغوى من جديد، وصارا مهمين له هو نفسه أيضاً، وهما العمل بالتحويلات، وتحليل النص (تحليل الخطاب)(*). وفى الكتاب نفسه يبرهن على أن المنطوق الذى يعد مادة لغوية للبحث ليس فى حاجة إلى أن يتجاوز إطار جملة(١٩).

سوف ترد المنطوقات التى يشتغل بها اللغوى فى أشكال خطاب أطول [...]، ومع ذلك، فعادة ما يعتد اللغوى بالعلاقات الداخلية للعناصر فقط داخل منطوق واحد فى كل مرة. ذلك يتيح وصفاً ممكناً للمادة، ما دامت العلاقات الداخلية للعناصر داخل كل منطوق (أساس نمط المنطوق) متحققة، وأى خطاب أطول يمكن أن يوصف بأنه توالٍ لعناصر لها العلاقة الداخلية المبينة. (١٩٥١، ١١/١٢).

(*) يشير هذا التحليل المسمى discourse analysis ــ الذى اختلف فى ترجمته فقيل تحليل الكلام، وتحليل الخطاب، وتحليل النص، وهو يمثل فى الحقيقة تحولاً فى مستوى التحليل من الجملة إلى الأبنية الأكثر امتداداً من الجملة ــ أمرين: الأول صعوبات كبيرة لظهوره فى وقت لم تكن المشكلات على مستوى الجملة لم تحسم أصلاً، والثانى عدم توفر إمكانات ووسائل مناسبة لدى اللغوى آنذاك لمعالجة ذلك المستوى معالجة دقيقة. (المترجم)

(١٩) لا يستخدم هاريس فى الغالب «جملة» بل «منطوقاً» وبذلك تؤكد الصلة كلام/ ــ كتابة معينة، بدلاً من النظام اللغوى المجرد.

بيد أنه سنة ١٩٦٠ يرى ضرورة الاستعانة بخصائص النصوص فى مقابل الجمل المفردة. وفى الكتاب نفسه يقتصر على اكتشاف المكونات المباشرة وصور التوارد (الوقوع المشترك)؛ وفى سنة ١٩٦٠ بحث مفهومه للتحليل التحويلى، الذى ينبغى أن يتغلب على عيوب تحليل المكونات المباشرة. ولذلك سيعالج المبحث الآتى مجالى البحث هذين لدى زليج هاريس.

٦ ـ ٦ ـ ٢ بحوث حول تحليل النص والنظرية التحويلية

فى المقال الثرى «تحليل الخطاب» (١٩٥٣، فى الترجمة الألمانية «تحليل النص» (١٩٧٦)، ويُقْتَبس عن هذه الترجمة) اتخذ هاريس الخطوة من الجملة إلى النص. وقُدِّم لذلك سببان:

١ ـ أدرك هاريس أن وحدة الكلام لا يمكن أن تكون الجملة المفردة، قارن: لا يقع الكلام فى صورة كلمات غير محدودة أو جمل، بل بوصفه نصاً متتابعاً بدءاً من الجملة المكونة من كلمة واحدة حتى العمل المؤلف من عشرة مجلدات، من الحوار الذاتى حتى النقاش فى الساحة النقابية (الاتحادية). وقد أُخِذَت تراكمات عشوائية من الجمل، فى الواقع دون اكتراث، لاختبار أوجه وصف نحوية [...]. وعلى العكس من ذلك فإن الجمل المتتابعة فى نص متوالٍ أرضية خصبة لمناهج علم اللغة الوصفى لأن هذه المناهج تدرس التوزيع النسبىَّ للعناصر داخل امتداد كلامى متوالٍ. (١٩٧٦، ٢٦٣/ ٢٦٤)(*).

(*) نبه مونان إلى أن المعنى عاد هنا ليشغل مكاناً جوهرياً فى تحليل الكلام، يقول: ويتمثل أول مصدر للصعوبات فى كون هاريس لم يحدد أبداً، وبشكل واضح، الفرق بين هذا التحليل للكلام وبين بحوثه التحويلية. ولقد اكتشف، ككل الباحثين أن هناك بنية لغوية واحدة على الأقل تتجاوز حدود الجملة: إنها الضمائر والبدائل بشكل عام... التى ترتبط بفحوى ـ الجمل المحيطة، ويضيف قائلاً: ويؤدى هذا الأمر إلى جعل «تتابع جمل (الكلام) اصطلاحياً فى جزء منه (من وجهة نظر البناء اللغوى)» (word, vol. 10, p. 157) وفيما تبقى «ليس للجمل بنية توزيعية مستقلة عن المعنى (...)، إذ ليس هناك خارج نطاق الجملة تحديد (لغوى) شكلى لما ننطق به، وتتشابك الجمل بشكل طبيعى على أساس المعنى. إن المعنى هو إذن أحد العناصر التى تحدد الاختبارات التى تقوم بها عندما نتكلم...، ويقول أيضاً: إن الارتباط بين اللغة والمعنى يصبح أكثر اتساعاً عندما ننظر إلى ترابط الكلام «كلام مترابط» (connected discouse). وطالما أنه بالإمكان كشف هذه البنية الشكلية (التوزيعية) فى الكلام، فهى بطريقة أو بأخرى مرتبطة بمعنى ما يقال (علم اللغة... ص١٩١، ١٩٢). (المترجم)

١٥٠ / ٢ـ أراد هاريس أن يُبْقِى على مناهج علم اللغة الوصفى إلى أبعد حد مع التوسع إلى النص، إذ يمكنها ضمن ما يمكن أن تستعمل قيود التوزيع لعنصر ما متجاوزةً حد الجملة أيضاً، مثل توزيع مورفيمات الزمن على أفعال جمل متجاورة.

ويوضح الفروضَ الأساسية لنظرة لغوية تصنيفية الاقتباسُ الآتى أيضاً:

لا تعتمد العمليات على معرفة بمعنى المورفيمات أو مقاصد المؤلف. فهى لا تتطلب إلا معرفة حدود المورفيم، متضمنةً حدود الجملة وتنغيم مورفيمى آخر (أو وضع علامات الوقف). (١٩٧٦، ٢٩٧).

وينطلق هاريس كذلك من أنه يمكن بهذه الطريقة أن تجنى معلومة عن نص ما ـ والواقع أنها عن بنيته ـ وأن المرء لا يعرف شيئاً «**عما** يقول نص ما، بل [...] **كيف** يقول شيئاً، أى كيف يكون مخطط تكرار وقوع مورفيماته الأساسية» (١٩٧٦، ٢٦١) ـ وبذلك تتوفر معلومة أيضاً حول الكيفية التى ينبغى بها أن يبنى نص ما.

إن أهم إجراء لتحليل النص هو العثور على ***أوجه التكافؤ*** Äquivalenzen. يكتب هاريس (عن ذلك):

حين نجد فى نص ما التتابع أ م وأ ن فإننا نقول إن م ون متكافئان أو إن م و ن يردان فى المحيط أ نفسه أو إن م و ن كليهما يظهر محيطاً للعنصر أ ذاته (أو لتتابع من العناصر)، ونكتب م = ن، ثم حين نقابل فى النص التتابعين ب وجـ ن (أو م ب ون جـ)، فإننا نقول إن ب متكافئ (بشكل ثانوى) مع جـ، لأنهما يردان فى كلا المحيطين م ون المتكافئين، ونكتب ب = جـ. (١٩٧٦، ٢٦٨)(*).

(*) لا يخفى على القارىء ثقافة هاريس المنطقية والرياضية، ففى تحليله التوزيعى استخدم رموزاً جبرية شكلية كما وضح فى مواضع كثيرة من عرض أفكاره وطرائقه فى التحليل، بل إن المرحلة اللاحقة تكشف بصورة أكثر جلاء عن تلك الثقافة، التى لا تقل بأية حال عن مستوى ثقافة تشومسكى الرياضية، وقد انتقد هاريس تروبتسكوى، برغم امتداحه فى تقرير شامل كتابه (أسس الفونولوجيا) بسبب استخدامه لتحليلاته الثقافةَ المنطقية القديمة إلى حد ما، وذلك باسم منطق حديث يشير هاريس إلى أن مشكلته الأساسية تكمن فى معرفة مدى فائدته فى علم اللغة، وكيفية تحقيق هذه الفائدة. (المترجم)

وبذلك لا يقول هاريس إن التابعين المعنيين ***لهما المعنى*** ذاته (أو ***يعنيان*** الشىء نفسه)، بل إنهما بالنظر إلى توزيعهما متكافئان فقط.

وتُجمَل العناصر التى لها تكافؤ واحد فى ***فئة تكافؤ*** Äquivalenzklasse. وفى المثال السابق تتبع أ وب وجـ فئة تكافؤ واحدة هى ذاتها.

أمـا خطوة الإجـراء التـاليـة فـهى: يُجـزَّأ نص بـشكل تام إلى «فـواصل Intervalle»، حيث تكون الفاصلة تتابعاً من فئات متكافئة. ويحصل هاريس على ما يأتى:

بالنسبة للنص بأكمله على مجال ذى بعد ثنائى، يمثل المحور الأفقى فيه فئة التكافؤ فى الجـمل المفردة، والمحور الرأسى الجـمل المتتابعة. ولا يتـعلق الأمر فى ذلك بتـرتيب مجـدول لأبنية الجـملة (الأسمـاء والأفعـال... إلخ)، بل للورود المخطط لفئات متكافئة عبر النص (١٩٧٦، ٢٧٢).

١٥١ / وفى الواقع يجب على اللغوى أن يتنازل عن أن نصاً مـا فى الغالب قابل للتحليل إلى فـواصل بشكل غير تام، إذ يمكن أن تقع جمل تحـديداً، لا تتضمن الفئات المتكافئة المرصوفة بالنسبة لأجزاء كبيرة من النص؛ تلك (الجمل) تكون على سبيل المثال جمـلاً ممهدة، إضافة من كم آخر من فئات متكـافئة أو ما شابه ذلك. وبغض النظر عن ذلك فإنه يصح بوجه عام أن يكون إجراء تعـيين الفئات المتكافئة مهماً لتحليل النص. ويصح فضلاً عن ذلك أن يُسَجَّل: أنه للمرة الأولى ألا يصير ***التوزيع*** فقط، بل **تتابع** العناصر، أى ترتيبها فى النص أيضاً مهمين للوصف.

وفى هذا البحث حول تحليل النص أدخل هاريس أيضاً للمرة الأولى بشكل منظم مفهو ***التحويل النحوى***(*)، وذلك إحدى التقنيات الإضافية، التى تستخدم

(*) تمثل هذه المرحلة تحولاً عن كـفاءة التحليل التوزيعى إلى وجـهة نظر تحويلية، سـواء أكان ذلك من خلال تطور فكره الخـاص أو من خلال علاقتـه بشومسكى الذى تتلمذ عليـه فى الأعوام ١٩٥٠ ـ ١٩٥٤م. ففى مـقالة نشـرت عام ١٩٥٤ بعنوان (Transformer Grammar) حدد ـ وذلك من خلال الأبحاث المتعلقة بالترجمة الآلية «تحديـد الفروق البنيوية بين اللغة المترجمة واللغة التى يترجم إليها» ـ مفهوم القـواعد، بأنها مجموعة التعليمات التى تـسمح بتوليـد جمل لغة ما ص ٢٠، كما حدد الفكرة المركزية لتـحويل الجمل إلى رموز على شكل فئات كلمات، أى تحـويل الأبنية اللغوية إلى رموز، أى تمثيل الفـئات التوزيعية من خلال رمـوز جبرية شكلية يمكن معالجـتها فى الآلة من أجل بناء «قواعد التحويل». (المترجم)

فى تهذيب تحليل النص دون أن يحـل محله: إذ تحول جمل مـعينة فى النص إلى جمل متكافئة نحوياً. بحيث إنه يصيـر تطبيق مناهج النص أكثر راحة أو أن يصير قابلاً للتـطبيق فى أجزاء مـعينة من النص أو أنه لم يكـن قابلاً للتطبيـق من قبل. (١٩٧٦، ٢٦٥).

مثال: يحول $N_1 \; V \; N_2$ إلى $N_2 {}^{*}V_1 N$[٢٠]

بالنسبة لـ : (المدير فَصَلَ جون). - The boss fired John

(جون فُصِلَ من قِبَل المدير)[**] _ John was fired by the boss

وينطلق هاريس من قائمة محددة (نهائية) من تلك المتكافئات الممكنة، فيتبع ذلك على سبيل المثال أيضاً:

N_1و A هى هى $- N \; V \; A \; N_1 = N \; V \; N_1 \; ;$

بالنسبة لـ : They read the interdicked books =

(هم يقرأون الكتب الممنوعة)

They read the books ; The books were interdicted.

(هم يقرأون الكتب؛ الكتب ممنوعة)

$- N_1 \;\; VN_2 \;\; PN_3 = N_1 \; VN_2 = N_1 \; VPN$

بالنسبة لـ : I bought it for you = I bought it.

I bought for you.

(اشتريته لك = اشتريته : اشتريت لك).

---

(٢٠) N_1 = فاعل، N_2 = مفعول، V = فعل، V^{*} = صيغة فعل متغيرة إلى صيغة فعل مُنْطَلق، وفضلاً عن ذلك فى الصياغات الآتية: A = صفة، P = حرف، N_3 = مفعول ثان.

(*) هذه الجملة ـ فى الحقيقة ـ ترجمة حرفية ركيكة فى العربية، إذ إن البناء للمجهول فى العربية يلزم حذف الفاعل (المدير)، ومن ثم لا قيمة للأداة «من قِبَل»، وتكون الجملة العربية الصحيحة: فُصِلَ جون. (المترجم)

ـ يمكن أن يحل محل مـفعول مزدوج مـفعولان منفصلان فى فـاصلتين، تكرارن الفاعل والفعل.

هنا أيضاً عُيِّنت فئات متكافئة، ولكن لم يعد الآن من خلال مقارنة جملتين فى النص نفسه، بل من خلال مقارنة جملة من نص بجمل من خارج هذا النص، أى من نصوص أخرى. ونتـيجة لذلك لم تعد المتكافئة هى عناصـر جملة ما، بل جمل لغـة ما. وبذلك تخلى هاريس عن الفرضـية الأساسيـة المنهجيـة لعلم اللغة التصنيفى وهى ،، يشير النص إلى بنيتـه،، ويمكن وفقاً لها أن يجنى كل معلومة ضرورية من النص ذاته.

١٥٢ / وثمة عـملان آخران فـيما يـأتى لهاريس صارا مـهمين لتـعميـق التحليل التـحـويـلى همـا: "Co - Occurence and Transformation in Linguistic Structure"(*) (1957) (التوارد «الوقوع المشـترك» والتحويل فى البنيـة اللغوية)، و(1965) "Transformational Theory" (النظرية التـحويليـة). فقـد تكونا فى إطار مشروع بحثى فى جـامعة بنسيلفانيا، اهتم بإمكانات التـحويلات فى التحليل اللغوى، وبخاصة فى اسـتيعاب المعلومة، وفى الترجمـة اللغوية الآلية. وفى سنة ١٩٥٧ بدأ فى هذا الإطار مشروع «التـحويلات وتحليل الخطاب» بإشراف هاريس، وشاركه فيه أيضاً لغويون من جامعات أخرى.

(*) ثمة فارق جوهرى بين مـفهوم التحويل لدى هاريس ومفهومـه لدى تشومسكى، إذ إنه برغم أصالة الاتجـاه التحـويلى لدى هاريس، وإشـارته الواضـحة فى عـمله الأول Co - occurrence إلى أن طريقته استقرائية، وليـست استنتاجـية، فإن نزعة هاريس التحويلية لم تكن تتجه نحو تكوين نموذج فرضـى استنتـاجى عمـلاق يغطى كل الإنتاج اللـغوى، وربما اسـتطعنا القول بأن هاريس قـد ظل متمـسكاً بحرفية النص، قريبـاً قدر الإمكان من حقيقـة الجمل، فى حين تتمثل طريقـة تشومسكى الرياضية، فى محاولة إنشاء نظام ثابت يتحقق لاحقـاً من صلاحيته فى شرح أبنية لغة ما، أو اللغة بشكل عام.

(المترجم)

وفى المقالين المذكورين آنفاً (١٩٥٧، ١٩٦٥) علل هاريس تضمين تحويلات نحوية من وجهة نظر أخرى أكثر أهمية من الناحية الموضوعية. فبحسب عدتها يمكن التغلب على أوجه قصور تحليل المكونات المباشرة. وقد عد هاريس من ذلك (أى القصور):

ـ مشتركات نحوية لا يستطاع حلها إلى الآن: فتحليل المكونات المباشرة مثلاً غير قادر على إيضاح الاشتراك هنا فى جملة:

Flying planes can be dangerous.

وتعنى: (السفر بالطائرات يمكن أن يكون خطيراً

أو قيادة الطائرات (الطيران) يمكن أن يكون خطيراً)

ذلك هو(الاشتراك) الذى ينشأ عن إمكان أن تكون كلمة flying تابعاً (صفة) أو أن تكون صيغة استمرار ing + form للفعل؛

ـ الجمل المركبة تركيباً معقداً جمل مُطْنَبة وغير قابلة مطلقاً لأن تحلل إلى مكونات مباشرة؛

ـ توجد علاقات جلية بين جمل مزدوجة تخضع لقيود ثابتة. تلك العلاقات لا يمكن كذلك أن توصف بتحليل وفق المكونات المبا رة.

والفيصل ـ نتيجة لذلك ـ هو السؤال عن طبيعة هذه القيود. إذن ما هى تلك الشروط لأن تكون جملتان تحويلين بعضهما عن بعض؟

١ ـ يجب أن ترد فى كلتا الجملتين ***الحزم*** ذاتها من العناصر. ويصدق ذلك مثلاً على: (يقابلنا) He meets us = N V N

(مقابلته لنا) his meeting us = N's Ving N;

لأنه فى كلتا الجملتين العناصر he - meet - we متضمنة. وهكذا يُسْمَح بتغيير شكل الجملة، ولكن ليس المورفيمات؛ وأكثر من ذلك: يجب أن يحافظ على العلاقات النحوية فى جملة ما فى صورتها المحولة.

٢ ــ غير أنه لا يقع تحويل ما مع القيد الأول المُوَفَّى بـه إلا حين تفى حزم أخرى بهذا التركيب، وتظل علاقـات التوارد داخل الحزم دون تغير، ويصدق ذلك على سبيل المثال على:

(i) $N_1 \, V \, N_2$; (ii) $N_2 \, V^* \, N_1$,

١٥٣ /لدى هاريس هى صيغ تحـويل ــ المبنى للمعلوم ــ إلى المبنى للمـجهول: كل حزمة تفى بـ(i)، تفى بـ(ii) أيضاً؛ غير أنه لا يصـح فى هذه الحال الخاصة العكس، وذلك بأن تفى كل (التراكيب) بـ(ii)(٢١)، وهو ما يعد أمراً عارضاً. إن التـحويل فـى ذاته ولذاته لدى هاريس هو ***عـلاقـة مـتناسقـة*** symmetrische Relation، وبذلك يمكن عكسـها. وقـد طالب بقـواعد إضـافيـة لأوجه خـرق التناسق. ويصدق ذلك أيضـاً على تحويلات الاستـفهام والنفى التى ضُرِبَت مـثالاً على ذلك غالباً، التى تضاف معها عناصر (ضمائر الاستفهام، وأدوات النفى)(*). هنا يجب على هاريس أن يقـبل تغيـيرات المعنـى؛ ولذلك يصنف الإمكانات على النحو الآتى: توجد

(i) تحويلات يكون فارق المعنى معها صفراً؛ وهى الجمل التى تكون صيغها المحولة من ذاتها، وهكذا لا يُغَيِّر منها شىء(**).

---

(٢١) أى ليست كل التـراكيب التى فيـها by مبنـية للمجـهول، وأنه توجـد أيضاً فى الاتجـاه العكسى استثناءات ــ فلـيست كل الجمل المبنية للمعـلوم يمكن أن تبنى للمجهول ــ وليس ثمـة حاجة لأن يشملها هاريس، إذ توجد فى ذلك قيود دلالية.

(*) لقد توصل هاريس بهذه الطريقة إلى نتائج شبيهة جداً بنتائج تشومسكى، فقد أدرك منذ عام ١٩٥١ الترابط البنيوى بين السؤال والجواب وبين المبنى للمـعلوم والمبنى للمجهول. . . وللأسف الشديد لم تعرض أفكار هاريس بعد ذلك حتى آخـر مؤلفاته عرضاً منظماً حتى نـتمكن من تحديد مدى تطوير هاريس لأفكاره، ومدى تأثيرها فى نظريات تشومسكى التوليدية. (المترجم)

(**) وهكذا نستطيع على نحو آخر أن نبرهن على المبدأين الأساسين لقواعد هاريس التوليدية:

أ ــ لكى نستطيع إثبات وجود علاقة تحويل بين جملتين، لابد من أن تكون كامل وحدات الموقع A فى التركيب 1 «متشابهة تقيرباً» مع (أو تقبل التجاور مع) كاملِ وحدات الموقع B فى التركيب 2.

ب ــ إن التحـويلة هى الفرق القائم بين تركيـبين جبريين يحـتويان على العدد نفسـه من الوحدات اللغوية: إن جملتينِ تحتويان على فرق فى المعنى من درجة الصفر، تشكل إحداهما تكراراً للأخرى (i)، بينما نجد فرقاً ثابتاً فى المعنى بين بنيتـين جمليتين تكون إحداها تحويلاً للأخرى (ii)، و(iii). (المترجم)

(ii) تحويلات يكون فارق المعنى معها ضئيلاً، مثل المبنى للمعلوم ـــ إلى المبنى للمجهول، وقد عَدَّ هذه التحويلات أسلوبية.

(iii) تحويلات يكون فارق المعنى معها كبيراً جداً، وبخاصة تحويل الاستفهام وتحويل النفى.

٣ ـــ لدى هاريس لا يمكن أن يُتَحدث نتيجة لذلك عن أشكال البداية والأشكال المحولة، أى نتائج تحويل ما[٢٢]. فالأمر يدور حول علاقات بين جمل جاهزة، حول علاقات توزيع مهذبة، على نحو ما وُضِّح أعلاه. ونتيجة لذلك يؤلف التحليل التحويلى جملاً لها مسلك تحويلى واحد فى فئات.

٤ ـــ التحويلات لدى هاريس ليست عملاً منظماً للقواعد، لأنه ليس من المجدى أن تعين بين علاقات من هذا النوع علاقات تتابع.

باختصار: التحويل النحوى هو علاقة متناسقة، تنشأ بين تركيبين، حين يمكن أن تُملأ مواقع متناظرة فى التركيبين بـ ***الحزمة*** ـــ ن ذاتها من التعبيرات.

إذا وقع تركيبان أو أكثر (أو تتابعات من التراكيب/ تحتوى على الفئات ن ذاتها (مهما يكن من احتمال احتوائها على غير ذلك) مع ***الحزمة -ن*** ذاتها من عدد من هذه الفئات فى محيط الجملة ذاته [...]، فإننا نقول إن التراكيب هى أشكال محولة (تحويلات) بعضها عن بعض، وإن ذلك البعض ربما اشتق من أى بعض آخر منها عن طريق تحويل خاص. (١٩٧٠، ٣٨٤).

١٥٤ / ويذكر هاريس المقارنة اللغوية والترجمة اللغوية [الآلية] مجالى تطبيق ممكنين للوسيلة النحوية «التحويل»[*].

---

(٢٢) حين نُناقش فى الفصل الثامن الفروق فى استعمالات تحويلات نحوية لدى هاريس وتشومسكى يُبَيِّن أن مفهوماً عملياً للتحويل يظهر بلا شك فى أعمال ز. هاريس المتأخرة أيضاً.

(*) مما تجدر ملاحظته أن القضايا التى طرحتها الترجمة الآلية أدت دوراً محورياً فى تطوير أفكار هاريس ومحاولة معالجة اللغة معالجة رياضية منطقية شكلية، يمكن تعامل الآلة معها. غير أن الغموض الذى سببته تراكيب معينة أجبر على اللجوء إلى المعنى والفحوى والموقف لإزالة عوائق أمام التحليل التوزيعى والترجمة الآلية، ولكن ظلت الاستعانة به فى قدر محدود للغاية. ويمكن فى رأيى أن يستخلص من عبارة هاريس: إن اللغات تبدو أكثر تشابهاً فى الجملة النواة أكثر منها فى الجملة المحققة بعد التحويل، توجه واضح نحو السعى إلى الكشف عما أطلق عليه تشومسكى فيما بعد «الكليات». (المترجم)

وقد مهد هاريس من خلال توسيعه للوصف إلى النصوص من جهة، واستكماله المناهج بمجموعة وسائل التحويلات النحوية الطريقَ لفهم جديد للنحو، وجد دعائمه المهمة نظرياً فى النحو التوليدى، فى نماذج ناعوم تشومسكى؛ وفى الفصل الثامن نُقَدِّم نظرة عامة حول تطور هذه النماذج.

٦-٧ الموضع الصحيح لعلم اللغة الوصفى فى علم لغة القرن العشرين

يمكن أن يميز علم اللغة الوصفى أيضاً، أى علم اللغة البنيوى فى الولايات المتحدة الأمريكية، بعلاقته باتجاهات أخرى فى علم لغة القرن العشرين من جهة وبخواص بارزة. وسوف يُتابع الفصل السابع وجهة النظر الأولى. أما الثانية فنُلَخِّص فى هذا الموضع.

يؤدى علم اللغة الوصفى فى تاريخ نظريات علم اللغة فى هذا القرن دوراً مهماً على الرغم من أنه هو نفسه لم يزعم أنه يطور نظريات، فقد قام النحو التوليدى على أساسه، وطور ناعوم تشومسكى نماذجه الأولى بعلاقة مباشرة ببحوث الوصفيين. ومن ثم ما الخصائص البارزة لعلم اللغة الوصفى فى الولايات المتحدة الأمريكية؟

١ ــ مع أنه يعد كذلك مدرسة من المدارس الكلاسيكية فى علم اللغة البنيوى، إذ عالج اللغة فى إطار فهم دى سوسير لها على أنها نظام بنائى، وأقر للوصفية (التزامنية) عند الوصف بالأولية، فإنه يطور خصوصيات مميزة ــ ليس لبعده الجغرافى عن أوربا فحسب. وقد وُجِدَت دوافع لذلك، وبخاصة بحث اللغات غير المكتوبة وغير المدروسة، وهى لغات هنود أمريكا الشمالية. وظل ذلك القرب المكتسب من الواقع العملى محافظاً عليه أيضاً، حين أدخلت الانجليزية

ولغات هندوأوربيــة أخرى فى البحث. ويتجــلى ذلك على سبيل المثال فى جــهود واضحة حول فعالية درس اللغات الأجنبية(٢٣).

155 /٢ ــ درس الوصفيون (المـادة اللغوية) درساً استكشافيـاً، أى أنهم صمموا برنامجــاً للتحليل، مـخططاً من عمليــات، طُبِّق على المواد اللغوية، ويـفضى إلى الكشف عن نحو أية لغة. فعلى البحث اللغوى وفقاً لذلك أن يُجْرَى بوصفه اتباعاً لإجراءات معينة، تعد مستقلة عن أية لغة محددة، ويُعْزَا وصفها للبنية آلياً إلى كل لغة معطاة. إن الحقيقة الوحيدة هى النص(٢٤)(*). وتُجْنَى كل معلومة منه وحده. ومع ذلك فإنه لا يعرف المرء من الـنص شيئاً عن معـانى المفردات، وتاريخ اللغة، والعلاقة الجينية بلغات أخرى والمقـارنة اللغوية، وأشياء أخرى أكثر من ذلك، . . . ولذلك أيضاً لم تكن تلك الموضوعات من برنامج بحث الوصفيين. ففى النص لا توجد إلا عناصره التى يمكن بحث توزيعها . انظر حول ذلك ما يرد تحت ٤ فيما يأتى.

٣ ــ افْتُـرِضَ بناءٌ صارم للمســتويات، من أدنى إلى أعلى: الفونولوجــيا ــ المورفولوجيا ــ النحو. وتُبْنَى وحدات كل مستوى أعلى كاملةً من وحدات المستوى الأدنى لها مباشرةً: فالمورفيــمات تتابعات من الفونيمات (٢٥)، والتراكيب تتابعات

---

(٢٣) توجد فى مؤلفات كثيرة إشارة إلى أن متطلبات الاتصال التى حتمتها الحرب كانت لها صلة (وثيقة) بذلك وأنه بسببها تدفقت أموال أيضاً فى البحث اللغوى، وفى الواقع اشتغل لغويو الولايات المتحدة الأوائل بذلك.

(٢٤) قارن شعارها ،، النص يشير إلى بنيته!،،.

(*) لم يختلف موقف هاريس عن مـوقف أستاذه بلومفيلد قـدر أنملة، انظر مثلاً تصوره لحقيـقة «البنية اللغوية»، فـقد رأى، كما رأى أسـتاذه من قبل أن حـقيقة «البنيـة اللغوية» للنظام «تتمـثل فقط فى التنظيم العلمى» أى فى العـرض المناسب لما يعرفه اللغوى أو لمـا يعتقد أنه يعـرفه عن الكلام. وفى مرحلة لاحقة يجيب عن تساؤل عن حقيقة تلك البنية أهى من إبداع رياضى؟ يجيب بنعم طالما أنها (أى حقيقة البنية) تعبر عن الكثير من الوقائع اللغوية من خلال عدد قليل من القضايا الثابتة، وليس من خلال بنى توزيعـية، يحتمل وجـودها فى ذهن المتكلم. غير أنه يـقبل «بوجود بنى»، يكشفـها الملاحظ لدى المتكلم على أساس أنها نظام مواز من العادات والإبداع اللغوى. (المترجم)

(٢٥) الوحدات إذا نظر إليها نظرة دقيقة، حيث يُنْطَلَق من النص المحدد هى البدائل الصرفية (= متغيرات مورفيمية)، والبدائل الصوتية (= متغيرات فونيمية).

من المورفيمات. ويجب على اللغـوى أن يبدأ على المستوى الأدنى، وأن يحلل كل مسـتـوى مفرد تحليلاً وافيـاً. وبذلك لا يُنْتَهَى إلى تفسيرات خـاطئة، وكان المطلب الرئيسى للوصفـيين هو المطلب المؤدى إلى موضوعية الوصف اللغـوى. ــ غير أنه فى الحقيقة قد أُجْرِىَ البحث بشكل تقريبى.

٤ ــ الوحدات اللغوية بالنسبة لعلم اللغة الـوصفى فئات من وحدات نصية متكافئة توزيعيـاً. ولذلك وقع التوزيع فى قلب الوصف. وتوزيع عنصر ما هو كم (مقدار) كل المحيطات (السياقية) الممكنة، التى يمكن أن يظهر فيها هذا العنصر.

وقد فُرِّقَ بين ثلاثة أنواعه من التوزيع:

ــ توزيع تكاملى؛ ويفضى إلـى الكشف عن البدائل [لوحدة صوتيـة واحدة أو فونيـم واحد]، وفى الاصطلاح الوصـفى هى الوحدات البـادئة بالمقطع بـAllo «بديل» (بديل صوتى «ألوفون» ، وبديل صرفى «ألومورف»).

ــ توزيع تقـابلى؛ ويفضـى إلى الكشف عن الوحدات ذاتهـا(*). [أى بين وحدتين صوتيتين مستقلتين].

ــ ائتلاف حر؛ ويفضى إلى الكشف عن البدائل الحرة.

تلك هى الفروق المعـروفة عن علم اللغة الأوربى أيضاً وبخـاصة عن حلقة براغ.

/ الآن يتطلب وصف وافٍ من وجهة نظر وصفية إجراءً تدريجياً بحيث: ١٥٦

(أ) تُحَدَّد الوحدات الأساسية (النهائية) على كل المستويات و(= التجزئ)، و

(ب) تُخْتَصر الوحدات التى حددت فى فئات (= التصنيف)،

(*) يُسَمَّى التوزيع تقابلياً إذا وقعت وحدة صوتية ما فى المحيط ذاته الذى تقع فيـه وحدة صوتية أخرى بشكل كلى أو جزئى، ويمكن التمييز بين ثلاثة أنواع من التوزيع التقابلى:

١ ــ التوزيع المتطابق "identical distribution"

٢ ــ التوزيع المتعادل "equipollent distribution"

٣ ــ التوزيع الناقص "defective distirbution" (المترجم)

(جـ) تُصَاغ قواعد ائتلاف الفئات (= علاقات سينتجماتية)،

أى قواعد مورفولوجية ونحوية ــ ويطلق فى الاصطلاح الوصفى على المستويات المُنْجَزَة: دراسة تتابع الوحدات الصوتية "Phonotaktik" ودراسة تتابع الوحدات الصرفية "Morphotaktik" أيضاً(٢٦)(*).

فى هذا الوصف لم يكن المعنى المحدد ـ على النقيض من المعنى التوزيعى ــ والشكل الصوتى المعين من البنية اللغوية، ولذلك لم يُعد علم اللغة الوصفى علمَ الأصوات وعلم الدلالة من علم اللغة أيضاً بمفهوم أضيق له.

وقد استخدمت بالنسبة للخطوات من (أ) إلى (جـ) التقنيات الآتية:

بالنسبة لـ (أ) : التجزىء، ومن بين ذلك عن طريق أوجه الاستفهام من مساعدى الحبث والتحليل التوزيعى.

وبالنسبة لـ (ب): الاستبدال، أى تبادل بين وحدات ذات توزيع مماثل؛ هذا محل ذاك، واختبار النتائج على أساس مشروعية لغوية (شكلية).

وبالنسبة لـ (جـ): التحليل وفق المكونات المباشرة، أى ICs.

ومن هذه الوسائل أدرج كل شىء تقريباً فى علم لغة القرن العشرين: ***فالاستبدال والتحليل التوزيعى*** من أدوات كل لغوى يبحث بشكل عملى، ولا محيد عنهما فى الدرس الميدانى اللغوى. فقد اندمج ***تحليل المكونات المباشرة***

---

(٢٦) قدَّمت المصطلحات التى تشير إلى النظام المفهومى المتوافق مع نظام دى سوسير، بين أقواس.

(*) يطبق التوزيعيون المنهج الذى اتبع فى مستوى الفونولوجيا، على المستوى الأعلى (مستوى المورفولوجيا، وأخيراً مستوى النحو)، وكما رأينا حدد هاريس الوحدة الصرفية تحديداً توزيعياً، فهى تتابع من الفونيمات التى تظهر توزيعاً مميزاً محدداً، مخالفاً بلومفيلد الذى حددها بأنها مجموع من السمات الدلالية (السيميمات)، والمدارس اللغوية الأوربية وبخاصة مدرسة براغ التى أفسحت للمعنى فى التعريف مكاناً، فغلب تحديد الوحدة الصرفية بأنها أصغر الوحدات المورفيمية الحاملة للمعنى. (المترجم)

آخر الأمر فى النحو التوليدى، واعـتنى به فيه بمفهوم جدلى(٢٧)، باعتباره يشكل أساس بنية المركبات فى النحو التوليدى(*). والحق أنه قد جاء من طرف التوليديين نقد شـديد إلى عيوب عـلم اللغة الوصفى الموجـودة به بكثرة ولكن (قـارن الفصل الثامن)، بل ربما كـان تطور النحو التوليـدى بدون البحث الممهـد للوصفيين غـير ممكن أو ربما سار فى مسارات أخرى كلية.

٦ ـ ٨ بيانات المراجع:

E. Bense, P. Eisenberg, H. Haberland (Hrsg., 1976): Beschreibungsmethoden des amerikanischen Strukturalismus. München.

L. Bloomfield (1914): An Introduction to the Study of Language.

L. Bloomfield (1923/24): Rezension zu: F. de Saussure, Cours de linguistique générale, Paris [2]1922. In: Modern Language Journal 8 (Wiederabdruck in Hockett 1970).

L. Bloomfield (1926): A Set of Postulates for the Science of Language. In: Language II (deutsch: Eine Grundlegung der Sprachwissenschaft in Definitionen und Annahmen. In: E. Bense et al. 1976).

L. Bloomfield (1933): Language. New York/London.

L. Bloomfield (1936): Languages or Ideas? In: Language XI/2.

L. Bloomfield (1939): Menomini morphophonemics. In: Travaux du Circle Linguistique de Prague 8.

F. Boas (1911/22): Handbook of American Indian Languages, v. I 1911, vol. II 1922. Washington.

---

(٢٧) أى أُبقِى عليه، وأُنكِر، وارْتُقِى به إلى درجة أعلى.

(*) لا أوافق المؤلفة كلية على هذا الكلام لأن تشـومسكى قد عَدَّل مقولة المكونات المبـاشرة كما سنرى بعد قليل تعديلاً جوهرياً مـجاوزاً تعديل هاريس نفسه، كما أنه تجاوز مـفهوم التوزيع لدى هاريس وإن تأثر به بغير شك. أما مقـولة الاستبدال فمقولة كانت موجودة فى النحـو التقليدى أصلاً سواء أقر بذلك التوزيعيون أم لم يقروا، ولكنهم أضافوا إليها تحديداً واضحاً، وأدرجت فى منظومة تضم عدداً من العـمليات إلى جانب الاسـتبدال. ولكن مـا صبت مباشـرة فى المراحل الأولى من نظرية تشومسكى التحويلية التوليدية، فهى مفاهيم هاريس المتطورة وبخاصة التحويل والتوليد. ومن حقنا أن نتوقف عند عبارات لهاريس مـثل: إن بنية لغة ما تتمثل فى مجموعـة جملها النواة، إضافة إلى مجمـوعة التحويلات، ومثل: إن اللـغات تبدو أكثر تشـابهاً فى الجملة النواة أكثر مـنها فى الجملة المحققة بعْد التحويل، وقوله: إن التمييـز بين الصحيح والخطأ فى توليد الجمل انطلاقاً من الجمل ـ النواة ـ يتمثل فى الـلجوء إلى المخبر صاحب اللغـة... إلى آخره، ونتساءل ماذا فـعل تشومسكى بهذه المفاهيم والتصورات؟! (المترجم)

H. A. Gleason (1955, [2]1961): An Introduction to Descriptive Linguistics. New York.
Z. S. Harris (1945): Discontinuous Morphemes. In: Language XXI/2 (Wiederabdruck in Harris 1970).
Z. S. Harris (1946): From Morpheme to Utterance. In: Language XXII/3 (deutsch: Vom Morphem zur Äußerung. In: E. Bense et al. 1976).
Z. S. Harris (1951): Methods in Structural Linguistics. (Neuauflage 1960 unter dem Titel „Structural Linguistics").Chicago.
Z. S. Harris (1952): Discourse Analysis. In: Language XXVIII/1 (deutsch: Textanalyse. In: E. Bense et al. 1976).
Z. S. Harris (1954): Distributional Structure. In: Word 10/2-3 (Wiederabdruck in Harris 1970).
Z. S. Harris (1957): Co-Occurence and Transformation in Linguistic Structure. In: Language XXXIII/3 (Wiederabdruck in Harris 1970 und Plötz 1972).
Z. S. Harris (1965): Transformational Theory. In: Language XLI/3 (Wiederabdruck in Harris 1970 und Plötz 1972).
Z. S. Harris (1970): Papers in Structural and Transformational Linguistics. Dordrecht.
Z. S. Harris (1972): s. u. S. Plötz 1972.
Z. S. Harris (1991): A Theory of Language and Information: A mathematical approach. Oxford & New York.
Ch. Hockett (1958): A Course on Modern Linguistics. New York.
Ch. Hockett (1967): Language, Mathematics and Linguistics. Mouton.
Ch. Hockett (1968): The State of the Art. Mouton.
Ch. Hockett (Hrsg., 1970): A L. Bloomfield Anthology. Bloomington/London.
H. Hoijer (1954): The Sapir-Whorf-Hypothesis. In: Language in Culture. Chicago.
M. Joos (Hrsg., 1957, [4]1966): Readings in Linguistics I. The Development of Descriptive Linguistics in America since 1925. Chicago/London.
E. F. Koerner (1993): Zellig Sabbettai Harris: A comprehensive bibliography of his writings, 1932-1991. In: Historiographia Linguistica XX/2-3.
E. F. K. Koerner (Hrsg., 1984): Edward Sapir, appraisals of his life and work, edited with an introduction by Konrad Koerner. Amsterdam.
R. Longacre (1960): String Constituent Analysis. In: Language XXXVI/1.
B. E. Nevin (1993): A Minimalist Program for Linguistics: The work of Zellig Harris on meaning and information. In: Historiographia Linguistica XX/2-3.
S. Plötz (Hrsg., 1972): Transformationelle Analyse: Die Transformationstheorie von Zellig Harris und ihre Entwicklung. Frankfurt/M.
E. Sapir (1921): Language. New York (deutsch 1961: Die Sprache. Eine Einführung in das Wesen der Sprache. Hrsg. und Übers. von P. Hamburger. München).
E. Sapir (1990 ff.): The collected works (ed. board; editor-in-chief Philip Sapir). Berlin/New York.
O. Szemerényi (1971): Richtungen der modernen Sprachwissenschaft, Teil I: Von Saussure bis Bloomfield 1916-1950. Heidelberg.
J. B. Watson (1913): Psychology as the Behaviorist Views it. In: Psychological Review 20.
J. B. Watson (1968, [2]1976): Der Behaviorismus. Ergänzt durch den Aufsatz „Psychologie, wie sie der Behaviorist sieht". Mit Verzeichnis der Schriften Watsons zum Behaviorismus. Hrsg. und Vorwort von C. F. Grammann. Frankfurt/M.

A. P. Weiss (1924, ²1929): A Theoretical Basis of Human Behavior. Columbus/Ohio.

A. P. Weiss (1925): Linguistics and Psychology. In: Language I/1.

R. S. Wells (1947): Immediate Constituents. In: Language XXIII (deutsch: Unmittelbare Konstituenten. In: E. Bense et al. 1976).

B. L. Whorf (1956): Language, Thought and Reality. Cambridge/Mass. (deutsch 1965: Sprache, Denken, Wirklichkeit. Beiträge zur Metalinguistik und Sprachphilosophie. Hrsg. und Übers. von P. Krausser. Hamburg).

المدارس الكلاسيكية فى علم اللغة البنيوى
أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف

موجـــز

/ من المفيد بعـد العروض المفردة فى الفصـول: الرابع والخامس والسادس، ١٥٩
وقبل الخطوة المهمـة من ناحية تاريخ العلم إلى النحو التوليـدى أن يُضَاف موجز، نُطْرَح فيـه من خلال رؤية جامـعة مقـتضبة أوجـه الاتفاق وأوجه الاخـتلاف بين اتجاهات علم الـلغة البنيوى. وينـبغى أن يقع هذا فى صورة فـرضيـات من خلال مباحث مسلسلة حول المواقع النظرية والمنهجية للمدارس المعالجة إلى الآن.

١ - الخلفية العلمية النظرية

اللغة بالنسبة لجميع الاتجاهات الثلاث - حلقة لغويى براغ، والجلوسماتية وعلم اللغة الوصـفى - نظام بنيوى(*)، أى كل تترابط فـيه الأجزاء بشكل غـير مسـتقل. والأجزاء هى الوحدات اللغوية، ويعنى الربط غير المسـتقل أنها قد وضعت فى سياق بنيوى، وتشغل موقعاً ثابتاً فى النظـام. ويضاف إلى ذلك التركيز الجلى على علاقات تزامنية. تلك هى التصورات التى تُرْبَط بوجه عام بنظرية فردينان دى سوسير اللغوية، وعلى الرغم من أنه ربما كانت معالجة أكثر تنوعاً بمعنى صارم أمراً ضرورياً فإنه ينبغى لذلك أن ينطلق فى هذه النظرة العـامة من أن الاتجـاهات الثلاث المذكـورة آنفاً، التى

(*) ذهب بعض الباحثين إلى أن نظرية دى سوسير البنيوية لم تكن جديدة كل الجدة، ومن ثم يلتمسون لإثبات ذلك تأثير الدراسات اللغوية القديمـة، وكذلك بعض أفكار هيجل وجابلتنتس وهومبولت، وبخاصة الكل الذى تترابط فيه الأجزاء، والشكل الداخلى للغة، والطبـيعة البنائية لها تمييزاً لها عن الكلام أو النشاط الفردى. غيـر أن فضل دى سوسير يتمثل دون شك فى صـياغة تلك النظرية فى بناء منظم متمـاسك، إذ إنه نظر إلى جوهر اللغة على أنه الصلات المتبـادلة بين العناصر المكونة لها الفونيمية والمورفيـمية والنحوية والمعجمية، وأن كل لغة تشكل نظاماً، وأنه مجمـوعة دقيقة الترتيب كل شىء متـماسك داخلهـا.... إلى آخر هذه الأفكار الرائدة التى لا يتـسع المقام لتـفصـيلها. (المترجم)

توصف أيضاً «بالمدارس الكلاسيكية فى علم اللغة البنيوى» عدت نظرية دى سوسير اللغوية أساساً لغوياً لها. حدث ذلك بوضوح بدرجة أكثر أو أقل:

فقد التزم لويس هيلمسليف بها التزاماً مباشراً للغاية، وهو الذى أشار فى بحوثه مراراً إلى قربه النظرى من ف. دى سوسير.

وارتبط لغويو حلقة براغ بدى سوسير بطرق عدة؛ فقد طور مؤسس الحلقة ڤيلم ماتسيوس آراءه، وبخاصة حول المعالجة التزامنية للوقائع اللغوية قبل نشر «دروس فى الألسنية العامة» لدى سوسير، ومع ذلك فسرعان ما أيد ذلك الأخير بعد ذلك بوقت قصير. ويضاف إلى ذلك أن سيرجى كرسيفسكى قد عرف أفكار دى سوسير وقت إقامته فى جنيف، واستطاع أن يثير اهتماماً بها لدى نيكولاى س. تروبتسكوى ورومان ياكوبسون اللذين قد شكلت دروس بودوين (دى كورتينى) لديهما حساً مرهفاً.

/ ونادراً ما يستشعر التأثير المباشر لدى سوسير فى علم اللغة الوصفى فى ١٦٠
الولايات المتحدة الأمريكية. . ومع ذلك فقد أقام ليونارد بلومفيلد من خلال مراجعته لكتاب «الدروس» وصلاته بعلم اللغة الأوربى جسراً(*)، وإن لم يكن من المستطاع تجاهل التطور المتميز فى علم لغة الولايات المتحدة الأمريكية. إجمالاً يسرى على هذه مثلما يسرى على كلتا المدرستين الأخريين الفرض الأساسى بأن اللغة نظام بنيوى.

(*) كان اهتمام بلومفيلد بتعميق الفروق بين نظريته والنظريات الأخرى وراء موقفه من علم اللغة الأوربى، ولم يحل ذلك دون إبداء إعجابه ببعض أفكار دى سوسير، بل إنه يدين له ببعض أفكاره. ففى تقرير له عن الطبعة الثانية لكتاب دى سوسير "Cours..." سنة ١٩٢٢ أشاد فيه بالتمييز الدقيق للغاية الذى أقامه دى سوسير بين الدراسة الوصفية (التزامنية) والدراسة التاريخية (التعاقبية)، وأكد كذلك أن قيمة كتاب دى سوسير تكمن فى الوصف الواضح والدقيق للمبادىء الأساسية فى علم اللغة العام، وأن القضية الجوهرية تتمثل فى أنه كان أول من رسم هنا خارطة عالم لا تحتل فيه القواعد التاريخية للغة الهندوأوربية سوى مقاطعة بسيطة. (مونان، علم اللغة ص ١٢٤). (المترجم)

وتتبين الفروق الواضحة فى النقاط المناقشة فيما يأتى من اثنتين إلى عشرة، مُعلَّلة ضمن ما تعلل من خلال صلات متباينة بنظريات علمية غير لغوية:

فقد أحس هيلمسليف إحساساً قوياً للغاية بالوضعية المنطقية فى شكل حلقة فيينا (قارن حول ذلك الفصل الخامس ٥ ــ ٢). واعتمدت حلقة لغويى براغ وعلم اللغة الوصفى على علم النفس، بل وعلى اتجاهات متباينة. فقد وجد البراغيون فى علم نفس الجشتالت علماً يوجه كذلك فكر نظامى Systemdenken، استطاعوا أن يستخلصوا منه تدليلاً على آرائهم (قارن حول ذلك ما سبق ٤ ــ ٢). وبالنسبة لبلومفيلد فقد صورت معرفته بعلم النفس السلوكى جزءاً من سيرته العلمية وقطيعة مؤقتة مع التراث الأوربى (قارن حول ذلك ما سبق ٦ ــ ٢).

٢ ـ موضوع علم اللغة

كان هدف دى سوسير الموضح أن يُعِد علم اللغة بوصفه علماً، وأن يَحُدُّه عن علوم أخرى بتحديد موضوعه ومناهجه الخاصة. وكانت تلك وقتَ إنشاء «الدروس» مهمة مشروعة لأن الفلسفة أو علم النفس كان يدعى كلاهما باستمرار حقوقاً فى علم اللغة، ويمكن أيضاً أن يُذْكَر بوصفه حالة خاصة جهدُ أَوْجُسْت شلايشر لتقريب علم اللغة من علوم الطبيعة (قارن ما سبق ١ ــ ٢). وحدد دى سوسير موضوع علم اللغة الذى لا يصلح إلا له بداهةً، بأنه ***اللغة*** La langue، أى النظام اللغوى. أما ***الكلام*** La parole، الكلام المحدد فقد استبعده موضوعاً له، لأنه حسب رأيه فردى، وعارض، ودون نظام دخلى(*).

وقد نوقشت إشكالية إبعاد ***الكلام*** فى ٣ ــ ٤ ــ ١

(*) فرق دى سوسير كما أشير فى مواضع مختلفة من معالجته بين اللغة والكلام تفريقاً واضحاً، فاللغة المعينة بمعنى اللسان ليست سوى نظام مختزن فى ذهن كل فرد من أفراد الجماعة اللغوية بخلاف الكلام الذى هو نشاط فعلى الفرد المحدد، ومن ثم يتجلى الفصل بين موضوعية الظاهرة الاجتماعية (اللغة)، وبين ذاتية النشاط الفردى (الكلام). اللغة إذن اجتماعية، حتمية، والكلام فردى، عارض أو اختيار. وينتهى من ذلك إلى أن اللغة تصير بذلك موضوعاً للدراسة العلمية، أما الكلام الخاص أو الفردى والعارض أو الاختيار فيصعب أن يدرس دراسة علمية. (المترجم)

الآن ما القرار الذى اتخذته المدارس البنيوية الثلاث فيما يتعلق بموضوع علم اللغة؟

لم تتبع حلقة براغ ذلك الفرضَ لدى سوسير. فقد احتيج وأجيز أن تكون وقائع ـ **الكلام** موضوعاً للبحث سواء فى بحوثهما حول اللغة الشعرية والبحث اللهجى ومعيارية لغة الكتابة أو على سبيل المثال أيضاً حول صلات الفونولوجيا بعلم الأصوات(*).

١٦١ /أما بالنسبة للجلوسماتية فلم يكن موضوع علم اللغة على العكس مما سبق صراحة إلا النظام اللغوى، ***اللغة***، ولا يجيز علو التجريد فى هذا الاتجاه مراعاة وقائع كلامية معينة.

أما علم اللغة الوصفى فيعرف فصلاً بين مطلب نظرى وإجراء تجريبى. ويزعم الشعار «النص يشير إلى بنيته» أنه لا يجوز أن تدرس سوى وقائع كلامية معينة، بل لا تُصَنف فى البحث اللغوى العملى إلا الوحدات الموجودة فى النص، وفى ذلك تنجز وحدات مجردة، هى وحدات النظام اللغوى.

٣ ـ الهدف: نظرية أم منهج؟

تتجلى فروق واضحة بين المدارس الثلاث بالنظر إلى هذا التساول وكذلك الرأى الفصل المرتبط بذلك حول نظرية البحث اللغوية وتطبيقه.

(*) طبق تروبتسكوى وفونلوجيو مدرسة براغ نظرية دى سوسير فى تطوير مفهوم الفونيم، فأصوات الكلام تنتمى إلى الكلام parole، أما الفونيم فينتمى إلى اللغة Langue، وفى دراسة اللغات بوصفها أنظمة من العناصر المترابطة داخلياً، فإن علماء براغ لم يعاملوا الفونيم بوصفه مجرد طائفة من الأصوات أو بوصفه أداة للوصف، ولكن بوصفه وحدة فنولوجية مركبة تتحقق عن طريق أصوات الكلام. وعلاقة التحقق (التمثيل أو الإنجاز) بين الوحدات على مستوى معين، وبين الوحدات على مستوى آخر علاقة جوهرية فى نظرية براغ، وكل فونيم يتكون من عدد من الملامح المميزة أو «وثيقة الصلة» المستقلة التى تميزه وحدها بوصفه كياناً لغوياً، وكل ملمح مميز يقف فى تقابل محدد مع غيابه أو مع ملمح آخر فى فونيم واحد آخر على الأقل فى اللغة. (روبنز، تاريخ علم اللغة ص ٣٢٥). (المترجم)

لم تستبعد حلقة لغويى براغ أى هدف من هذه الأهداف. فقد أنجزت إسهاماً ملحوظاً فى تطوير النظرية فى كل مجالات علم اللغة، وأنعم المرء التفكير فى الفونولوجيا بوجه خاص بوصفها علماً لأنظمة الفونيمات، بل على وجه الخصوص أيضاً فى المدخل النظرى وهو إمكان الإفادة من نتائج على مستوى من مستويات النظام بشكل منهجى فى مستويات أخرى. وتبعاً لذلك أيضاً فقد طُوِّرت فى حلقة براغ مناهج مميزة فى الوصف اللغوى، وأمثلة ذلك اكتشاف الفونيمات وتوزيعها من خلال السمات الفارقة/ المميزة. ولم يكن البحث اللغوى بالنسبة للبراغيين هدفاً لذاته، بل وَجَّهته حاجات عملية سواء لعلم اللغة نفسه: فى صورة أوجه وصف لنحو لغات مفردة (قارن الأنظمة الفونيمية البيانية [موضحة من خلال رسوم أو أشكال بيانية] لتروبتسكوى، ووصف ياكوبسون للفصائل النحوية وبخاصة للغة الروسية)، أو للجماعة اللغوية ــ ومن المعروف الدور الرائد للغويى براغ فى معيارية (وضع معايير) لغة الكتابة، وفى تحسين تدريس اللغة فى المدارس الثانوية.

أما الجلوسماتية فقد اتخذت مهمة نظرية محض، فكان هدفها تطوير نظرية لغوية(*)، بل فى حقيقة الأمر نظرية فى العلم، ولم تشتمل أفكارها على حاجات عملية، وأشد من ذلك: كانت النظرية بالتحديد مستقلة عن إمكان تطبيقها العملى، وكان عليها أن تكون متماسكة فى ذاتها فحسب. وكانت مناهج البحث اللغوى أيضاً على سبيل المثال المعالجة التناظرية (القياسية) لمستوى التعبير ومستوى المحتوى خاضعة لتطوير النظرية. وهكذا تكونت نظرية بالغة التجريد، نادراً ما مثلت بمواد لغوية حقيقية.

(*) إن أهم ما تتميز به النظرية الجلوسماتية هو تأكيدها القاطع استقلال التحليل اللغوى عن المجالات الأخرى غير اللغوية؛ ومن ثم فإن تركيب اللغة لا يتحدد من معطيات خارج مجال اللغة أو يقوم على أسس بعيدة عن الظواهر اللغوية. وكذلك تأكيدها المميز أن اللغة مرتبطة دائماً باستعمالها، حيث تعد هذه النظرية الإنسان المتكلم منتجَ النص اللغوى فى كل حال، فهو ليس إذن مرتبطاً باللغة مرة واحدة فى أثناء النطق كما تذهب مدرسة براغ إلى ذلك.

(المترجم)

وعلى العكس من ذلك وجه علم اللغة الوصفى عنايته الأساسية شطر تعميق مناهج فى البحث اللغوى، فقد بحث بنهج استكشافى، **وصفَ** اللغة أو ــ بمعنى أدق ــ قدم إرشادات لوصف اللغة.

/ولم يزعم أنه يسهم فى تطوير نظرية فى علم اللغة (قارن ضمن ما تقارن ما ورد تحت ٦ ــ ٦ ــ ١). وقد حددت الحاجات العملية نشأة علم اللغة الوصفى ووضعه لهدفه بقدر حاسم، وذُكِر فى الفصل السادس ٦ ــ ١ قبل كل شىء بحث اللغات الهندية فى شمال أمريكا، وفيما بعد تدريس اللغات (ــ الأجنبية). **١٦٢**

٤ ـ المطالب الرئيسية من البحث اللغوى

يمكن هنا أيضاً أن نُتَعرف بعض فروق:

لم يَضُغ لغويو براغ أية مطالب صريحة من البحث اللغوى، فقد كان المهم إجمالاً بالنسبة لهم أن علم اللغة يجب أن يكون قادراً على وصف ***اللغة وصفاً مناسباً*** angemessen.

أما الجلوسماتية فقد حدت ***الوضوح الشكلى*** مطلباً أساسياً لها. وكان المسار الموجه لذلك «مبدأ التجريب» ومطالبه بعدم التناقض والوصف المستوفى والبساطة التى صاغها هيلمسليف استناداً إلى الوضعيين الجدد فى حلقة فيينا (قارن حول ذلك ٥ ــ ٣ ــ ٣)(*).

وكان المطلب الرئيسى من البحث اللغوى بالنسبة لعلم اللغة الوصفى هو المطالبة **بموضوعية** Objektivität الوصف اللغوى(**) وينبغى أن يُتَوصل إلى

(*) أراد هيلمسليف من نظريته تأسيس نظرية علمية لوصف اللغات؛ نظرية قائمة على مقدمات منهجية، ولا يمكنه تحقيق ذلك من وجهة نظره إلا من خلال إقامة نظريته اللغوية على طريقة علماء المنطق وبخاصة كارناب وفريجه، الذين أعجب بآرائهم أيما إعجاب. ولذا اعتمد المبدأ التجريبى الذى اختصه بتعريف خاص، كما هى العادة مع المبادىء والتعريفات الأساسية التى استعملها، على معايير عدم التناقض والشمولية والبساطة التى نجدها فى أساس كل الصياغات المنطقية الرياضية منذ فريجه. (المترجم)

(**) كثيراً ما يرادف مبدأ الموضوعية مبدأ الاستقلالية. (المترجم)

الموضوعية بالتخلى عن علاقات إدراكية عند الوصف، أى من خلال «الآلية» التى تدرك على أنها اتجاه وضعى. ومن ذلك أيضاً إزاحة الحدس والملاحظة التى ألحقت بسؤال مساعدى البحث، كما وُضّح فى ٦ ــ ٣ و٦ ــ ٦ ــ ١.

٥ ـ التزامنية: التعاقبية

طالب ف. دى سوسير كرد فعل لعلم اللغة التاريخى ــ المقارن الموجه توجيهاً تعاقبياً صارماً فى القرن التاسع عشر، بمراعاة التزامنية، وبخاصة بحث الوضع اللغوى الحالى. وهو نفسه لم يستبعد صراحة دراسات تعاقبية. وإن كان ناشرا كتاب «الدروس. . .» قد يسرا تولد مثل ذلك، ويوضح ذلك تباين مسلك اتجاهات علم اللغة البنيوى من تلك الثنائية(*).

وطرحت حلقة براغ طريقتين للتناول متجاورتين متساويتين من البداية، كما وُضّح فى ٤ ــ ٤ــ ١ و٤ــ٥ ــ ١ بمثال نشوء الفونولوجيا والفونولوجيا التعاقبية.

وبالنسبة للجلوسماتية لا توجد بوجه عام مشكلة التناول المتعلق بزمن البحوث اللغوية، وقد تحدث المرء فى سياقها كذلك عن «زمن عام Panchronie».

أما علم اللغة الوصفى فقد بحث فى زمنه الكلاسيكى بحثاً تزامنياً صراحة؛ وتصور الفقرات الختامية فى مقال ليونارد بلومفيلد: «قائمة من المسلمات. . .» مدخلاً من المداخل القلائل للدراسات التعاقبية،/ حاول فى تلك الفقرات أن ينقل نتائج أوجه الوصف التزامنية لديه فى صورة استنتاجات قياسية إلى وقائع تعاقبية[1]. ١٦٣

(*) يوضح دى سوسير فى كتابه (الترجمة الألمانية ص ١١٩، ١٢٠) تلك الثنائية من خلال تمييز مهمة كل منهما، يقول: إن مهمة علم اللغة التزامنى (أو الوصفى أو السنكرونى) إنشاء الأركان الأساسية للنظام اللغوى الذى يمثل حال اللغة تماماً. إنه يتعرض للصلات المنطقية والنفسية بين الأجزاء المتزامنة (أى المحددة زمنياً) التى تكون نظاماً ما ويلاحظها العقل الجمعى. أما علم اللغة التعاقبى (أو التاريخى أو الدياكرونى) فهو على العكس من ذلك يدرس الصلات الموجودة بين الأجزاء أو الأعضاء المتتالية عبر الزمن، ولا يدركها العقل الجمعى فى وقت واحد، حيث يتعاقب بعضها مكان بعضها الآخر دون أن تشكل نظاماً متسقاً. (المترجم)

(١) ثمة نهج مشابه يمكن أن يلاحظ فيما بعد أيضاً داخل النحو التوليدى.

٦ ـ مستويات النظام اللغوى

إن منطلق كل المدارس الكلاسيكية الثلاث فى علم اللغة البنيوى فى تناول هذا الموضوع:

* معرفة المستويات اللغوية التقليدية. علم الأصوات ـ المورفولوجيا ـ النحو ـ علم المعاجم ـ علم دلالة المفردات/ علم الدلالة.

* معرفة نظام العلاقات لدى دى سوسير المكون من علاقات جدولية (صرفية)، وعلاقات أفقية (نحوية) (انظر ما سبق ٣ ـ ٤ ـ ١).

ولا تكمن الفروق بين المدارس إلى حد بعيد فى الإقرار بهذه المستويات والعلاقات، بل على الأرجح فى التحديد المتباين للمحاور:

عالجت حلقة لغويى براغ كل المستويات، وقد أُنْجِز كذلك بـ «مورفونولوجيا» تروبتسكوى (٤ ـ ٤ ـ٢) مستوى بينى إضافى، ونشأت الفونولوجيا بوصفها نظاماً داخلياً إلى جانب علم الأصوات(*) (٤ ـ ٤ـ ١ و٤ ـ ٥ ـ ١)، وأُجْرِىَ بحث «المورفولوجيا» باعتبارها وصفاً لفصائل نحوية، بمساعدة أوجه تلازم غير متناسقة ومبدأ عدم التغيير (الثبات) (٤ ـ ٥ ـ ٢). وعُدَّ علم الدلالة بوجه خاص بحثاً لمعنى فصائل نحوية (٤ـ ٥ ـ ٢ أيضاً). وفى معالجة النحو بخاصة يبدو إبعاد النحو عن النظام اللغوى لدى ف. دى سوسير: وفى الحقيقة لم يمارس البراغيون البحث النحوى، بل صارت بحوثهم فى المجال

(*) سبق أن أشرت إلى أن تروبتسكوى قد خَلَّص مفهوم الفونيم فى كل تأثير، فهو لديه وظيفى قبل كل شىء، أى يدخل فى تعارض فونولوجى واحد على الأقل، كما أن الوحدة الفونولوجية هى التى لا تقبل، فى لغة ما، التحليل إلى وحدات فونولوجية أصغر ومتتابعة. ويعرف تروبتسكوى بالدقة نفسها طرائق تحديد الفونيمات وتمييز متغيراتها. فقد قام، من أجل تحديد كل مفهوم، بإعداد طرائق لتصنيف التعارضات التى تقوم بينها: الثنائية أو المتعددة أو المنعزلة، السالبة، التدريجية، المتكافئة. وهكذا أصبح من الممكن التعريف الدقيق لكل فونيم على أنه مجموعة من الخصائص الفونولوجية المميزة التى تجعله يتعارض مع كل الفونيمات الأخرى. ويمثل هذا الأمر ـ كما يقول مونان ـ البرهان العلمى على الحدس السوسيرى الذى يرى بأنه «لا توجد فى اللغة سوى الفروق». (مونان: علم اللغة ص ١٠٤، ١٠٥) (المترجم)

الفـاصل بين النظام اللغـوى والعوامل غـير اللغـوية، ذات تأثيـر بالغ، وبخاصـة بحث ف. ماتسيوس «تقسيم واقعى للجملة» كما وُضِّح فى ٤ ــ ٦.

وفى الجلوسماتية أحلت شبكة من العلاقات محل المستويات التقليدية. وقد وُضِّحت فى ٥ ــ ٣ ــ ٢. ومع ذلك فقد حوفظ على التقسيم الرئيسى إلى الشكل الصوتى والمعنى، إذ افْتُرِض التقسيم إلى «مـستوى التعـبير» و«مستـوى المحتوى» منطلقاً (انظر ما سبق ٥ ــ ٣ ــ ١).

وعُنِى الوصـفيـون الأمريكيـون عناية خـاصة بتـقسـيم النظام اللغـوى إلى مسـتويات. فـد افترضـوا بناءً متـدرجاً للنظام، وطمـحوا إلى سريـانه من خلال المستويات من الإدنى إلى الأعلى، وطالبوا كذلك بأنه ينبغى أن يوصف كل مستوى وصفاً مستـفيضاً، قبل جواز الشروع فى وصف المستويـات الأعلى التالية (قارن ما
سبق تحت ٦ ــ ٧). ومع ذلك تتجلى فى الدرس العلمى/ غلبـة واضحة لبحوث ١٦٤
نحوية. وكان ذلك من جهة مشـروطاً بالتحليل الآلى وفق المكونات المباشرة، التى يمكن أن تجرى حـسـب الحاجة حتى المفردات، والمورفـيمات أو الفونيـمات بحيث صار الحـد بين النحو والمورفولوجيـا غير واضح (انظر مـا سبق تحت ٦ ــ ٥)[٢]؛ ومن جهـة أخرى شـغل النحو لذلك مـركز القلب، لأنه لـم يُنَص على مسـتوى خاص لوصف المعنى. وهكذا فمعنى الأشكال الصوتية بالنسبة لعلم اللغة الوصفى وسيلة منهجية فقط[*]، ولم يكن موضوعاً خاصاً للبحث.

---

(٢) على كل حال لم تكن المورفـولوجيا فى البـحوث حول الانجليـزية مهمـة إلى هذا الحد، ولذلك لم يستعمل فيما بعد أيضاً لمدة طويلة على أنها مستوى خاص.

(*) سبق أن بينت موقف بلومفيلد وهاريس من المعنى حين أرادوا من نظرياتهم فى التحليـل اللغوى تجنب العودة إلى المعنى (لاستحالة تقديم وصفى علمى له آنذاك). وإذا كان بلومفيلد قد غلب ذلك التوجـه فى تحليل فإن هاريـس لم يستطع أن يفـعل ذلك باستـمرار، وألجأته بعض مـشكلات فى التحليل الـتوزيعى إلى اعتبارات تتعلق بالمعـنى، وبشكل عفوى ومنتظم، ويدل أن تـكون الطريقة التوزيعية وسيلة تحليل فريدة وشـمولية، وبدل اعتبار المعنى آلية منهجية مسـاعدة بسيطة واختيارية، فإن كل شىء يـجرى وكأن اللجـوء إلى المعنى وسيلة لا مـناص منها، وعلى ارتبـاط وثيق بطبيـعة القضايا اللغوية نفسها، فيما تعتـبر الآليات التوزيعيـة إحدى الإمكانيات المتاحـة للغوى، من بين إمكانيات أخرى، لحل بعض المشكلات وليس كلها. (السابق ص ١٨٥ خصوصاً). (المترجم)

مع ***اللغة***، أى النظام اللغوى، أدخل ف. دى سوسير أيضاً السؤال عن العلاقة بين الوحدات المجردة للنظام اللغوى والوحدات المعينة للكلام ومشروعيتها (قارن فى هذا الفصل ما ورد تحت ٢، «موضوع علم اللغة»). وقد عالجت هذا السؤال كل المدارس الكلاسيكية لعلم اللغة البنيوى، ونوقش تحت عنوان: «هل اللغة شكل أم مادة أم كلاهما؟»، وحُسِم بشكل خلافى:

فقد عَرَّفت حلقة براغ «اللغة بأنها شكل فى مادة، مادة متشكلة»، وبذلك عُدَّ علم اللغة منفتحاً أيضاً على بحث وحدات معينة، وليست البنية فقط، واعتنى البراغيون بالمادة الصوتية ومادة المعنى أيضاً (قارن أساسهم الصوتى لدراساتهم الفونولوجية وبحوثهم الدلالية)(*).

وعَرَّفت الجلوسماتية «اللغة بأنها شكل، وليست مادة». وكما وُضِّح فى ٥ـ٣ـ١ كانت المادة بالنسبة لهيلمسليف متجاوزة للغة المفردة، ومن ثم فهى ليست صالحة لبحث النظام اللغوى الخاص بكل لغة مفردة، وبذلك جُرِّد علم الأصوات وعلم الدلالة من رتبتهما فى علم اللغة ليصيرا مجرد عِلْمَين مساعدين.

أما علم اللغة الوصفى فقد سلك مسلكاً مبايناً، إذ قَبِل الوصفيون المادة الصوتية التى وجدوها فعلاً فى النصوص المعينة، ولكنهم رفضوا مراعاة مادة المعنى.

(*) يذهب هيلمسليف إلى أن لغويى براغ بحثوا الشكل من خلال المادة أو ما يمكن أن يقال بأنهم بحثوا المادة المتشكلة أو المادة داخل الشكل، أى أنهم لم يفصلوا الشكل عن المادة. ومن ثم فإنه يختلف عنهم، إذ إنه فصل المادة عن الشكل، ولم يَعْنِهِ إلا شكل المحتوى وشكل التعبير، إذ ينبغى على علم اللغة من وجهة نظره أن يبحث الشكل منعزلاً عن المادة، ولذا فإنه لا يعنى بالمادة التى تتحقق فيها اللغة قدر عنايته بالشكل الذى وردت فيه هذه المادة، فقد تتحقق اللغة فى مادة منطوقة أو مكتوبة. وانتهى إلى أن تناول مادة المحتوى ومادة التعبير يؤدى حتماً إلى تداخل علوم أخرى مع علم اللغة كالفلسفة وعلم النفس والطبيعة؟!

(المترجم)

٨ ـ «الوظيفة»

ربما لم ينفرج مفهوم المحتوى مع أى مصطلح من المصطلحات البنيوية انفراجاً واسعاً بقدر ما هى الحال مع مصطلح «الوظيفة»:

ينبغى فى هذا الحال ـ انحرافاً عن التتابع الحالى للعرض ـ أن تُقَدَّم وجهات نظر لغويى براغ حول الوظيفة فى خاتمة هذه/ النقطة الفرعية، لأنه يمكن ١٦٥
من خلال ذلك إتمام همزة الوصل بالنقطة التالية بصورة جد طبيعية.

عُدَّت الجلوسماتية «الوظيفة» من خلال فهم رياضى صارم علاقةَ تبعيةٍ بين قطبين؛ علاقة تنشأ بين نقطتين ثابتتين فى هذه العلاقة؛ الدالتين (انظر حول ذلك أيضاً ٥ ــ ٣ ــ ٢)(*). ولا يجوز وفق هيلمسليف أن تُصَنف وحدات لغوية ما إلا حسب وظيفتها وليس حسب معناها.

أما الوصفيون فقد ساوَوْا «الوظيفة» «بالموقع»؛ فوظيفة عنصر ما هى مجموعة المواقع التى يمكن أن يشغلها، وتحددها اختبارات حول التوزيعات الممكنة، انظر حول ذلك بوجه خاص ما ورد تحت «التحليل التوزيعى»(**) فى ٦ ـ ٧.

(*) إن هدف التحليل اللغوى فى النظرية الجلوسماتية إنما هو عرض أو تمثيل التقدير الجبرى على أساس من كل إمكانات الارتباط التى يمكن أن نتوقعها فى النصوص التى لم تُحَلل بعد. وهذا هو القصد من قول هيلمسليف «إن اللغة توجد قبل أن تتحقق فى النص»، ويرتبط بهذا قوله «إن وجود أى نص يفترض بالضرورة وجود نظام لغوى». (المترجم)

(**) تذهب ميلكا افيتش فى اتجاهات البحث اللسانى ص ١٩٧ فى بيان هذه المسألة إلى أن التوزيعيين وكذلك أصحاب الجلوسيمية لم يشاطروا مدرسة براغ اهتمامها الجوهرى بالسمات المائزة للوحدات اللغوية، ولكنهم ركزوا اهتمامهم على توزيع هذه الوحدات، أى على القواعد الحاكمة، على إمكان توارد هذه الوحدات فى سلسلة الكلام. وهكذا فإن صياغة قواعد توزيع الوحدات اللغوية فى سلسلة الكلام لدى التوزيعيين هى المقدمة الوحيدة التى يمكن بعدها تجميع أوفر المعلومات حظاً من الموضوعية والدقة عن وظيفتها داخل النظام. أما من جهة أصحاب الجلوسماتية فهم لا يبدون اهتماماً بالمظهر المادى للغة، بل ينحصر همهم فى تحديد جميع أنماط العلاقات القائمة بين العناصر التى يجرى تنظيمها فى نظام للتواصل. (المترجم)

وأما حلقة لغـويى براغ التى عرفت أيضاً باسم «علم اللغة الوظيـفى»، فقد فهمت «الوظيفة بمفـهوم لغوى عام بأنها ما تستخدم له وحدة ما. فـاللغة تستخدم وسيلةً للتفـاهم بين البشر. ولذلك أيضاً ينتج عن هذه الوظيفة فـى التواصل مهام تتجاوز بحث النظام اللغوى.

٩ ـ اللغة والمجتمع

حين عُدَّت اللغة كما هى الحال فى حلقة لغويى براغ وسيلةً للتفاهم، تحركت بداهة العلاقة بين اللغة وحامليها (أصحابها)، وهى التى تمكن من التفاهم بينهم، معاً إلى مجال نظر الـلغوى. فاللغة تتحـقق متعلقة بارتبـاطها الاجتماعـى. وتبعاً لذلك انتظمت لدى البراغيـين اللهجات والأساليب الوظيفية ولغـة الأدب ومجالات أخرى يوجهها هـدف عملى معاً أيضاً فى علم اللغة، وبُحِـثَت كذلك فى إطار هذه المدرسة (قـارن مـا ورد تحت ٤ ــ ٣). وبذلك تكون حلقـة براغ هى الاتجـاه الوحـيـد من الاتجاهات الداخلة فى الاعتبار، الذى احتوى تلك الجوانب معاً.

أما الجلوسماتية فقد فهمت اللغة على أنها نظام داخلى، مستقل عن تحققه؛ ولذلك لم تَظهر عـلاقاتُ اللغة بحـاملها، موضـوعُ «اللغة والمجتـمع» فى النظرية الجلوسماتية (انظر ما ورد تحت ٥ ــ ٣).

وأما علم اللغة الوصفى فقـد نشأ حقيقةً لحاجات عملـية ضمن غيرها، ولكنه شمل تحقـقه فى المحيط الاجتـماعى فى حد ذاته وليس فى البحث اللغـوى. ويشير (شعار) «النص يشير إلى بنيته» آخر الأمر إلى وصف داخلى للغة أيضاً، مثلما طالبت الجلوسمـاتية بذلك. وصارت عـلاقات اللغة بحـامليها فى علـم اللغة فى الولايات المتحدة الأمريكية فى هذا القرن على الأرجح خارج علم اللغة الوصفى، وإن أُخِذَت فى الاعتبار فى «الاتجاه العقلى» لدى أ. سابير وتلاميذه. (قارن ٦ ــ ١).

١٠ ـ مثال: مفهوم الفونيم

١٦٦ /ينبغى فى خـتام هذه الرؤية الجـامعة أن يوضح مـرة أخرى النهج المتـباين للمدارس الكلاسيكية الثلاث فى علم اللغة البنيوى بمثال تعريفات الفونيم.

والمنطلق فى ذلك مفهوم ف. دى سوسير ***للقيمة*** اللغوية (valeur)(*)، الذى عرفت به وحدات النظام اللغوية تعريفاً سلبياً، فهى موسومة بدقة من خلال ما يفرقها عن وحدات أخرى. وهكذا فالفونيم لديه أيضاً هو فئة صوتية تفترق عن كل الفئات الصوتية الأخرى.

وأيدت المدارس الثلاث هذا التعريف بصورة متباينة، كلٌّ منها حسب دعامتها النظرية والمنهجية الكلية:

فقد عرف لغويو براغ، وبخاصة ن. س. تروبتسكوى الفونيم بأنه أصغر وحدة أفقية فارقة للمعنى فى النظام اللغوى (انظر ما سبق تحت ٤ ـ ٤ ـ ١)، ثم أخذوا بعد ذلك تعريف دى سوسير السلبى، ولكن بتعليق التفريق على ***التفريق فى المعنى*** "Bedeutungsunterscheidung"(٣)(**). ويمكن على سبيل المثال أيضاً أن يُعْرَف الموقف المتباين من المعنى بوصفه معياراً لغوياً، مما أخذته المدارس الأخرى على البراغيين بناءً على أنهم وضعوا أو جعلوا عنصراً لم يحدد بعد تحديداً كافياً، وهو المعنى، مُحَدِّداً للفونيم. ومع ذلك فقد صار تعريف البراغيين للفونيم مَشاعاً فى علم اللغة على الأقل حتى منتصف القرن العشرين.

(*) يرتبط مفهوم «القيمة» لدى سوسير بمفهوم النظام الداخلى للغة، فقيمة أى عنصر لغوى (فونيم أو مورفيم أو كلمة مثلاً) لا تقوم أساساً على المادة التى يتكون منها العنصر (أى نوعية الأصوات) أو تشكيل هذه المادة (راجع تمثيله الأثير بلعبة الشطرنج)، وإنما تكمن القيمة فى علاقة هذه العنصر بغيره من العناصر الأخرى، والوظيفة التى يؤديها فى إطار النظام العام لهذه اللغة. (المترجم)

(٣) ينبغى أن يُتَناول فى هذا الموضع التعريف الآخر للفونيم لدى تروبتسكوى، الذى عد الفونيم مجموعة من الخواص وثيقة الصلة فونولوجيا، ومن ثم حلل الفونيمات إلى أجزاء أصغر ـ سمات.

(**) سبق أن أشير إلى إطلاق تروبتسكوى مصطلح التقابلات الفونولوجية الفارقة (المائزة) على تلك التقابلات الصوتية التى تميز المعنى فى لغة ما؛ لأن التمييز فى المعنى أهم وظيفة يمكن أن يؤديها الصوت فى اللغة، فالكلمات إنما يتميز بعضها عن بعض دلالياً فى لغة ما من خلال مقابلة الأصوات التى تتضمن صفات صوتية، ولها وظيفة فونولوجية؛ وهكذا فالمقابلات تكون فونولوجية فارقة، أى لها وظيفة فونولوجية، أو مجرد مقابلات صوتية لا أهمية لها فونولوجياً. (المترجم).

أما الجلوسماتية فلم تبحث إلا الشكل، وليس مادة اللغة. ونتيجة لذلك لا يُعْرَف فى مفهوم الفونيم أيضاً أى انحراف عن تعرِيف فردينان دى سوسير.

وكان المنهج الأساسى لعلم اللغة الوصفى التحليل التوزيعى. وحُدِّد الفونيم بوصفه وحدة لغوية تحديداً توزيعياً، وبوصفه فئة من الأصوات التى تسلك بالنظر إلى توزيعها مسلكاً واحداً، وظل معنى هذه الفئات الصوتية فى ذلك مستبعداً.

بهذه الرؤية الجامعة خُتِم عرض تاريخ علم اللغة حتى سنة ١٩٥٠م تقريباً فى مسار تطوره المحدد بأنه تيار رئيسى mainstream.

وسوف يقدم الفصل النهائى الثامن نظرة عامة حول نشأة النحو التوليدى ونماذجه الأولى.

الفصل الثامن

ناعوم تشومسكى

/كما أُعلِن فى الفصل السادس، ينبغى فى خاتمة هذا الكتاب أن تقدم نظرة عامة حول النماذج التوليدية لناعوم تشومسكى. وحين يُسَلَّم لواحد من أهم اللغويين الأحياء بفصل نَحيل فقط فإن ذلك يفتقر بداهة إلى تسويغ، ولاسيما فى حالة تشومسكى، ففى سياق أعماله تُحِدِّث كذلك أحياناً عن «تحول كوبرنيكى» فى علم اللغة، وأجبر نحوه التوليدى فى العصر الحاضر كل لغوى ــ تابع ومعارض ــ على تأسيس الموقف الخاص به. غير أن قصد هذا الكتاب قصد آخر: فمن وجهة نظر مؤرخ العلم يقع تضافر استمرار تطور العلم وعدم استمرار، فى الصدارة؛ ويعنى ذلك فى هذه الحال أن يُوَضِّح نشوء النحو التوليدى من البنيوية الأمريكية، التى لا يمكن أن تفهم نظرية تشومسكى النحوية بدونها، ومنها استمرت فى التطور فى الوقت نفسه على هذا النحو من التميز(*). ١٦٧

ويجب كذلك فى غير النظرة الكمية أن يشار إلى عدة قيود أخرى. فى البداية ــ فى هذا الكتاب تحديد مفهوم منه ــ لن يناقش ناعوم تشومسكى إلا

(*) ولد نوام تشومسكى عام ١٩٢٨م، ودرس فى جامعة بنسيلفنيا حيث حصل على الماجستير بأطروحة "Morphophonemics of Modern Hebrew"دراسة مورفوفونيمية «صرفية صوتية» للعبرية الحديثة عام ١٩٥١ على الآلة الناسخة، وعلى دكتوراه الفلسفة عام ١٩٥٥ بأطروحة "Transformational Analysis" التحليل التحويلى، على يد أستاذه زليج هاريس، وبذلك يكون قد تخرج فى مدرسة بلومفيلد وبخاصة فى صورتها المتطورة إذ كان هاريس قد بدأ عام ١٩٥١، أى العام الذى أصدر فيه كتابه Methods، بتأسيس مذهب وصفى يقوم على الطرائق التوزيعية بشكل كامل، وتبلورت لديه كما أشرنا فيما سبق أفكار حول القواعد التحويلية التى تأثر بها تشومسكى تأثراً كبيراً. ثم إن تشومسكى كان قد قدم إلى هارفارد عام ١٩٥١ حيث كان يدرس فيها ياكوبسون فونولوجيا مناقضة للنزعة التوزيعية، فتأثر به أيضاً. كما أثر فيه أيضاً معهد ماسشوتس للتكنولوجيا (M.I.T) الذى كان قد انتقل إليه عام ١٩٥٤، وأسهم التنوع الفكرى فيه حيث تجاورت أعلام فى الرياضيات والمنطق وعلم النفس والسبرانية والترجمة الآلية فى نضجه النهائى. (المترجم)

بوصفه لغوياً. غير أن العدد الأكبر من قراء هذا الكتاب أيضاً ربما سمعوا عن الانحياز السياسى لهذا الرجل. ولذلك نُسجل عند عرض سيرته العلمية تحت ٨ ـ ١ بعض الملحوظات من هذا المجال أيضاً. وفى خاتمة ٨ ـ ١ أُعِدت للقراء المهتمين بذلك سلسلة من البيانات البيلوجرافية حول مجال تأثير تشومسكى هذا؛ وأمكن بذلك الإبقاء على قائمة المراجع فى نهاية الفصل الثامن أكثر إحاطة وأكثر تخصيصاً فى اللغة.

بيد أن كل أعماله اللغوية ذاتها لا يمكن أن تؤخذ فى الاعتبار. ولا تعالج الموضوعات اللغوية الفلسفية إلا بصورة سريعة متلاحقة. وتبعاً لذلك فإن أعمال تشومسكى حول نماذج تصورية، وجهوده لتأسيس علم اللغة بوصفه جزءاً من علم النفس الإدراكى، وحتى إذا كان هذا الجانب بالنسبة لنظريته اللغوية قد زحزح بصورة أقوى دائماً إلى مركز اهتمامه، كل هذا لن يذكر هنا إلا بصورة هامشية، وذلك من ناحية أخرى لأنه لا يحتل الصدارة بادى الأمر فى النماذج المبكرة التى
١٦٨ بُحِثَت هنا وعند رد الفعل على علم اللغة الوصفى. وأخيراً لن يُستمر فى متابعة نهج تشومسكى فى نظرية النحو أيضاً حتى العصر الحاضر. ووفقاً لمطلب هذا الكتاب لن تعالج إلا/ النماذج الأولى للنحو التوليدى، التى يتحقق فيها الاستمرار وعدم الاستمرار المذكورين أعلاه فى تطور الفكر النحوى(*). وتتطلب المتابعة حتى النقاش الحالى لتصوره حول «نحو العناصر الصغرى minimalistische Syntax» فهماً للنظرية أكثر مما يجوز أن يحدد للوسط المتلمس من القراء. ومع ذلك يمكن للقارىء المهتم (والمطلع) بمساعدة مؤلفات تشومسكى المدونة فى قائمة المراجع من زمن مبكر حتى آخر ١٩٩٤م أن يواصل البحث فى هذا الاتجاه.

وهكذا يقع الجانب المتعلق بتاريخ النظريات والمناهج فى قلب هذا الفصل.

(*) يعبر مونان فى كتابه السابق ص ٢٢٦، ٢٢٧ عن هذا النهج فى مقارنة تشومسكى وبلومفيلد وهيلمسليف، إذ يذهب إلى أنه بالمقارنة مع هذين السلفين ومع تناسق مبادئهما وانسجامهما التى تقدم أساساً لكل مناقشة، لا يعتنى تشومسكى بكتابته بل إنه يخطىء فى التعبير، فهو غامض، يقدم القليل من التعاريف، كما أنه متقلب يبدل رأيه من مكان إلى آخر، وتصعب مناقشته لهذا السبب، ونجد لديه دوماً، كما فى التوراة (!)، جملة مستترة، تقول عكس ما استنبط من مذهبه بشكل عام. وهو يتطلب عبقرية حقيقية من أجل فهمه. (المترجم)

٨ ـ ١ سيرة تشومسكى العلمية

وُلِد افرام ناعوم تشومسكى فى ٧/١٢/١٩٢٨م فى فيلادلفيا. والده، عالم الدراسات العبرية فى كلية جراتس هناك أشركه منذ وقت مبكر جداً فى تصحيح تجارب طبع أعماله النحوية، ودرس ناعوم تشومسكى فى جامعة بنسيلفانيا فى فيلادلفيا لدى زليج س. هاريس، واهتم إلى جانب ذلك بأسس الرياضيات والمنطق. ويذكر هاريس فى مقدمة كتابه "Methods in Structural Linguistics" (مناهج فى علم اللغة البنيوى) تعاون تلميذه ن. تشومسكى فى إنجاز أصوله (ظهر سنة ١٩٥١). وفى سنة ١٩٥١ حصل تشومسكى على درجة الماجستير (M.A.) برسالة "Morphophonemics of Modern Hebrew" (دراسة مورفوفونيمية للعبرية الحديثة)، وهو عمل ظل غير منشور فى البداية، ولكنه نشر بعد ذلك سنة ١٩٧٩ فى سلسلة "Outstanding Dissertations in Linguistics" (رسائل بارزة للدكتوراه فى علم اللغة) فى هولندا. وقال تشومسكى فى تَذَكُّر له عن هذا العمل، إنه يتضمن بذور نحوه التحويلى.

وكان تشومسكى من ١٩٥١ ــ ١٩٥٥م زميلا شاباً فى جامعة هارفارد، هناك بدأت على سبيل المثال أيضاً صلاته برومان ياكوبسون وموريس هال، وكتب مع الأخير فيما بعد كتاب "The Sound Pattern of English" (النموذج الصوتى للغة الانجليزية (١٩٦٨))(١)(*).

(١) قارن أيضاص م. هال/ و ر. ياكوبسون (١٩٥٩) فى كتابهما: (النموذج الصوتى للغة الروسية) The Sound Pattern of Russian.

(*) يمكن أن يضاف إلى الهامش السابق ذكره صعوبة تناول أعمال تشومسكى بتقويم علمى موضوعى دقيق، لأنه ما يزال يصدر أعمالاً جديدة تشتمل على تغييرات جذرية فى نظريته التحويلية التوليدية، وتعديلات جوهرية فى المفاهيم والتصورات، وإضافات غير مسبوقة حتمتها أوجه النقد من تيارات أخرى، وعدول عن كثير من الاصطلاحات المنحازة الغامضة. وقد سبق أن وصف مونان هذه الصعوبة حين قال: وتزداد الصعوبة حين نحاول تحديد مكانة الفكر التشومسكى، لأن أبعاد طموحه وتجديده النظرى [المستمر] والصدمة التى أراد أن يحدثها، وأحدثها، كل هذا يضع الباحث، قليل المعرفة بتاريخ علم اللغة، أمام مشكلة لا تجوز محاولة تجنبها، فهى تمثل فى أيامنا هذه المشكلة الأساسية لمادتنا. فإما أن نعتبر شومسكى النتاج الصرف لسلسلة الخصومات هذه أو تلك الموجهة، وإما أن نعتبره سوسور ــ وربما كان فى الوقت نفسه أرسطو وديكارت وهومبولد وسابير وتروبتزكوى وپانينى Panini النصف الثانى من القرن العشرين. وربما لم يكن هذا ولا ذاك؛ إنه فقط فصل معقد من تاريخ علم اللغة فى القرن العشرين. (علم اللغة فى القرن العشرين ص ١٩٣ ــ ١٩٤) (المترجم)

ومنذ سنة ١٩٥٥ يدرس تشومسكى فى معهد ماسشوتس للتكنولوجيا (MIT) فى كيمبردج/ ماسشوتس. وكان فى البداية معلماً للغة الألمانية واللغة الفرنسية، ومن سنة ١٩٥٨ ــ ١٩٦١ «أستاذاً مساعداً»، ومنذ ١٩٦١ «أستاذا». وقد حصلنا على أعماله المبكرة التى صارت مشهورة فى صورة ميكروفيلم أو نسخ، وهى:

(البنية المنطقية للنظرية لغوية) "The Logical Structure of Linguistic Theory"

و(تحليل تحويلى) "Transformational Analysis"

(وبالاشتراك مع ف. لكوف F. Lukoff)

(تركيب المركب الفعلى الألمانى) "Construction of the German Verb Phrase"

وكل مـــا يرجع إلـى سنة ١٩٥٥، وكـــذلك "Logical Syntax and Semantics. Their Linguistic Relevance"(النحو المنطقى وعلم الدلالة. وثاقة صلتهما اللغـوية) نشر فى مجلة: Language اللغة، المجلد ٣١، فى سنة ١٩٥٥ أيضاً. قارن حول الأعمال اللغوية الأخرى المبحث الآتى(*).

١٦٩ / ومنذ النصف الثانى من الستينيات انحاز ناعوم تشومسكى سياسياً بقوة، فى البداية فى الحركة المناهضة للحرب فى فيتنام، وفيما بعد أيضاً ضد سياسة ــ الولايات المتحدة الأمريكية فى منطقة جنوب شرق آسيا بأكملها، وفى وسط أمريكا

(*)جُمِعَت بعضُ أعمال تشومسكى الأولى فى ٦ مجلدات مختصرة لايكاد يتجاوز الواحد منها مئة صفحة وأهمها: الأبنية النحوية ١٩٥٧، وإصدارات معاصرة فى النظرية اللغوية ١٩٦٤، وجوانب النظرية النحوية ١٩٦٥، وموضوعات فى نظرية النحو التوليدى ١٩٦٦؛ أما فى كتابه الذى نشر بعد ذلك، وهو علم اللغة الديكارتى سنة ١٩٦٦، فقد حاول أن يرسم الأصول الفلسفية المثالية التى التزم بها فى درسه اللغوى فى تلك الفترة وأعقبه كتاب: اللغة والعقل (الفكر) سنة ١٩٦٨، وفيه تفصيلات مهمة حول عمل العقل والقدرة الفطرية وفكرة الكليات اللغوية. (المترجم)

وجنوبها، ومنذ وقت قريب فى حرب الخليج. وفى سنة ١٩٧٠ قام على سبيل المثال برحلة إلى هانوي، بوصفه عضواً فى لجنة دولية للمراقبة، مدعواً من «لجنة جمهورية فيتنام الديمقراطية للتضامن مع الشعب الأمريكى».

ومن هذا الانحياز أيضاً حملة تشومسكى على علماء ومثقفين آخرين ساندوا السياسة العدائية للولايات المتحدة الأمريكية وما زالوا يدعمونها، وهى التى أطلق عليها "die neuen Mandarine des Imperium Americanum (الأوصياء الجدد للامبراطورية الأمريكية)(*). ففى مجلد "American Power and the New Mandarins" «القوة الأمريكية والأوصياء الجدد» (١٩٦٧، وبالألمانية ١٩٦٩م)، أهداء «إلى الرجل الشجاع الذى رفض أن يخدم فى حرب إجرامية»، ضُمِّت المقالات الآتية ضمن غيرها:

* «الموضوعية والتعليم الحر».
* «مسؤولية المثقفين»
* «حول المقاومة».

وفى مجلد جامع آخر: "For Reasons of State" (١٩٧٣؛ وبالألمانية ١٩٧٤"Aus Staatsraison" (حول مبررات الدولة) طبعت الدراسات الآتية المميزة لموقفه ونقده الاجتماعى إلى جانب غيرها:

* «على حدود العصيان المدنى»
* «وظيفة الجامعة فى زمن الأزمة»

(*) لا يقل الدور السياسى والاجتماعى الذى مثله تشومسكى وما يزال يمثله أهمية وتأثيراً عن دور نظريته اللغوية، فقد واكب نضاله المدنى النشط المناهض لسياسة بلاده الداخلية والخارجية، وبخاصة فى حروب أمريكا فى فيتنام ولاوس والفليبين وغيرها من بلدان الهند الصينية وحرب الخليج وغير ذلك، نشاطه اللغوى الحماسى وتطوره السريع المتلاحق. وقد رفض الاشتراك فى تلك الحروب رفضاً صارماً وهاجم مبرراتها وقوضها، بل إنه هاجم الأفكار الصهيونية هجوماً صريحاً فى أكثر من موضع ولا يتسع المقام لتفصيل ذلك. (المترجم)

* «علم النفس والايديولوجيا»

(حول عمل ب. ف. سكينر «على الجانب الآخر من الحرية والكرمة»)

* «ملاحظات حول الفوضوية»

* «اللغة والحرية».

وفى مقدمة على لسان غلاف الطبعة الألمانية لهذا المجلد الجامع يُنَص على أن: «ناعوم تشومسكى يعد من العلماء القلائل فى عصرنا، وهو لا يتمتع فى حقله، بوصفه متخصصاً، بل فى المجال العام أيضاً بشهرة كبيرة، فلم يتحرج تشومسكى مطلقاً من أن يشترك فى ا لصراع السياسى اليومى. ويعد نقده الذى ينم عن دراية واسعة وذكاء حاد لقيادة الولايات المتحدة الأمريكية الحرب فى فيتنام مثالاً على ذلك». وفى الحقيقة صار تشومسكى من خلال كتبه ومؤلفاته ومناقشاته ومظاهراته معروفاً لجمهور أمريكى واسع. وقد أجاب أيضاً عن أسئلة الصحفيين التى أقيم فيها علاقة بين ذلك الانحياز وعمله بوصفه لغوياً، قارن:

من المؤكد أنه لا يمكن أن تستنبط استدلالات اجتماعية وسياسية ببساطة من معارف حول اللغة. ولكن ربما يكون ذلك ممكناً، حين يتبدأ فى فهم، بشكل غامض للغاية فقط إلى حين [كذا! بريجيته بارتشت]، إلى أى مدى تقضى أبنية فطرية/ للعقل إلى سعة غير عادية فى الفهم وتؤثر فى الفكر والعمل الإنسانيين **١٧٠**
(١٩٨٥، بالألمانية ١٩٨٨، ٣٣١/٢).

ويمكن للقارىء المهتم أن يطلع على انحياز تشومسكى السياسى بمعاونة المؤلفات الآتية مثلاً:

N. Chomsky (1967) : American Power and the New Mandarins

(القوة الأمريكية والأوصياء الجدد)

وبالألمانية: Amerika und die neuen Mandarine.

Politische und zeitgeschichtliche Essays.

(أمريكا والأوصياء الجدد. مقالات سياسية وفى التاريخ المعاصر)

ترجمة: A. Kamp. Frankfurt/ M.1969

N. Chomsky (1969): Cambodia; Laos; North Vietnam;

كمبوديا، لاوس، شمال ينتام، حول جرائم الحرب On War Crimes

وبالألمانية: Kambodscha, Laos, Nordvietnam. Im

. . . فى الحرب مع آسيا، م٢ Krieg mit Asien BII

ترجمة: J. Behrens، والمجلد الأول بعنوان:

[Indochina and die amerikanische Krise. Frankfurt /M. 1972]
(الهند الصينية والأزمة الأمريكية)

N. Chomsky (1973) : For Reasons of State.

(حول مبررات الدولة)، وبالألمانية: Aus Staatsraison

ترجمة: B. Kroeber. Frankfurt /M.1974

N. Chomsky (1978) : , Human Rights' and American foreign policy Nottingham. (حقوق الإنسان والسياسية الخارجية الأمريكية)

N. Chomsky (1985) : Turning the (تحويل التيار (المد والجزر)) Tide

بالألمانية:

[Vom politischen Gebrauch der Waffen zur politischen Kultur der USA und Perspektiven des Friedens.] من الاستخدام السياسى للأسلحة إلى الثقافة السياسية للولايات المتحدة الأمريكية ومنظورات السلام.

ترجمه S. Harringer وآخرون، برلين ١٩٨٨.

N. Chomsky (1992): Die neue Weltordnung und der Golfkrieg. Grafenau.

(النظام العالمى الجديد وحرب الخليج)

N. Chomsky (1993) : Year 501. The Conquest continues.

عام ٥٠١ الغزو يستمر ، بالألمانية:

[Wirtschaft und Gewalt : Vom Kolonialismus zur Neuen Weltordnung.(الاقتصاد والقوة: من الاستعمار حتى النظام العالمى الجديد)

ترجمة: M. Haupt. Lüneburg 1993

٨-٢ النماذج التوليدية: المرحلة الأولى

فى بداية عـمل تشومـسكى العلمى طور تصـوراته حول مـهام علم اللغـة ومناهج البحث اللغوى، وكانت التساؤلات الثلاثة التى طرحها هى:

* ما الذى يدخل فى علم اللغـة: وبتعبير أدق مـا المجالات التى ينبغى أن يحددها بأنها صالحة له؟

* هل يمكن عند الـبحث أن يفـصل الشكـل عن المادة، أى هل يمكن أن تدرس البنية الشكلية للغة لذاتها:

* بهذا فى هذا الـسياق: هل يمكن أت توصف البنية الشـكلية فى النظرية دون تسمك بالمعنى مؤقتاً على الأقل؟

لقد وجد تشومسكى فى علم اللغة الوصفى مناهج متطورة، يمكن أن يفيد منها على أنهـا نقطة انطلاق لبحثـه الخاص. ومن ذلك بوجه خـاص مفهـوم بنية المكونات والتوزيع(*).

(*) لقد تمسك تشومسكى كذلك بفكرة هاريس الأساسية (وبلومفيلد من قبل أيضاً)، وهى أنه من الممكن وصف النحـو دون اللجـوء إلى المعنى، وهكذا نجـد تشومـسكى فى المرحلة الأولـى أقرب النزعـة الشكلية التوزيعية التى انفرد بها علم اللغة الوصفى الامريكى. (المترجم)

١٧١ / وفى عمله: «دراسة مـورفوفوتيميـة للعبرية الحـديثة» (١٩٥١) رسم هدفه إجمالاً وهو توليـد كم نهائى من الجمل[*]، وذلك من الجمل التى قدمت. وينبغى على النحو المصوغ لذلك أن يكون أداة بالغة الفاعليـة، وشديدة الاقتصاد، وغاية فى اللطف من الناحية الرياضـية. ويتكون مثل ذلك النحو حسب تشـومسكى من أقوال نحوية عن الترتيب المُجَاز للوحدات فى الجمل ــ من قـواعد حول الترتيب المورفيمى ـــ القسم الرئيسى مـن ذلك المؤلف ــ من سلسلة من أقوال مورفوفونولوجـية، تُحَوِّل كل تتابع مـورفيمى فى مـتوالية من الفونـيمات. واستـخدم للتطبيق التـقنى أوصاف العقد، مثل: NP, VP, PP (للمركب الاسمى، والمركب الفعلى، والمركب الحرفى على التوالى)، وغـيرها. وقدم تبعيـة المكونات من خلال أقواس متـباينة الأشكال ــ ()، و[ ]، و ‹ › ــ أى ليس بعد من خلال رسوم شجرية.

وفى سنتى ١٩٥٦ و١٩٥٧م ظهـرت تلك المؤلفات التى أثارت انـتباه عـالم التخصص[٢]، وبخاصة الصياغة الـتى أُعِدت للغويين، وتوفرت لهم أيضاً بشكل أفضل من «الأبنية النحوية Syntactic Structures» (١٩٥٧)[٣]. وهدف الكتاب بناء نحو لتـوليد الجـمل، ووصف خواص الأنحاء، وأخـيراً تأسيس نظريـة للبنية اللغوية دون صلة بلغات مفردة. وقد عالج فيه جمل اللغة الانجليزية. وينبغى على النحو G الذى يطمح إليه أن يكون اليأ، يولد كل الأشكال النحوية، هى وحدها، أى كل الجمل فى L (= لغة مـا)، ولا يولد أية جملة لا ترد فى تلـك اللغة L. وبالنسبة للجمل فى L (= تلك اللغة) يجب أن يوفر G (= النحو) وصفاً للبنية،

(*) أظن أن هدف تشومسكى قد صار بعد ذلك توليد كم غير محدود أو غير نهائى من الجمل من جمل مقدمة، وليس توليد كم محدد أو نهائى، كما ورد لدى المؤلفة حول تلك المرحلة المبكرة من فكره. (المترجم)

(٢) يلاحظ أن الدراسة «المورفوفونيمية» لم توجد إلا فى صورة مخطوط، وعند نشرها سنة ١٩٧٩ كانت ما تزال تستحق انتباهاً تاريخياً فقط.

(٣) ظهرت الترجمـة الألمانيـة ١٩٧٣م ــ وهى من الناحيـة اللغوية فى بعض المواضـع أشد عجـزاً عن العون، أى بعـد ترجمة المؤلف المحـورى فى المرحلة الثانيـة «جوانب نظرية النحـو» (بالألمانية سنة ١٩٧٠م).

ولا يجوز فى ذلك أن يؤتى بالوصف «نحوية» فى علاقة مع «حامل للمعنى» أو «مفيد». وقد صار مشهوراً للغاية مثال تشومسكى المكون من جملتين، كلاهما بلا معنى على نحو مماثل ــ فلا يوجد: "wild schlafende farblose grüne Ideen" (أفكار خضراء عديمة اللون نائمة بغضب) ــ غير أن الجملة الأولى منهما فى هذه المرحلة الأولى من بناء نظرية تشومسكى قد وصفت بأنها نحوية grammatisch:

(1) Colorless green ideas sleep furiously.

(الأفكار الخضراء عديمة اللون تنام غاضبة).

(2) Furiously sleep ideas green colorless.

(غاضبة تنام الأفكار الخضراء عديمة اللون)(*).

ولا يجوز أن يساوى تماماً بين «نحوية» و«ممكنة» أو «واردة ذات معنى إحصائياً»، لأنه من المحتمل ألا تكون قد استعملت أية جملة من الجملتين فى أى وقت من قبل فى كلام انجليزى.

/اختبر تشومسكى فى كتابه «الأبنية النحوية» إذن ثلاثة نماذج لوصف البنية ١٧٢
النحوية؛ ووضحت فى كل نموذج فى الخاتمة جوانب الضعف التى حملته على الانتقال إلى النموذج التالى.

أما النموذج الأول فهو نموذج بسيط خاص بنظرية التواصل، يبحث بعمليات ماركوف A. A. Markov[٤]، أى أنه ***آلة ذاتية الحركة ذات أحوال***

(*) يلاحظ هنا أن الترجمة العربية للجملة الثانية تكاد تكون مثل الجملة الأولى، ومن ثم يمكن أن توصف بأنها نحوية، غير أن تشومسكى يرى فى كتابه «الأبنية النحوية» ص ١٥، أنها مجرد مجموعة من الكلمات المختلطة بغير نظام، ومن ثم فهى غير نحوية فى اللغة الانجليزية. ويجدر الإشارة هنا إلى أنه مما يدعو للأسف أن ذلك الكتاب قد ترجمه إلى العربية د. يوسف يوئيل عزيز الطبعة الأولى بغداد، سنة ١٩٨٧. ومع ذلك لم تجد هذه الترجمة أى صدى، سلباً كان أو إيجاباً، لدى اللغويين العرب. ولا أدرى لماذا؟!

(المترجم)

(٤) سمى باسم عالم الرياضيات الروسى P.P. ماركوف (١٨٥٦ ــ ١٩٢٢)

كثيرة نهائية (محدودة)، تبدأ من حالة البداية، وتتقدم حتى حالة النهاية، وعند كل تغير للحالة تتولد وحدة لغوية. و«الآلة الذاتية الحركة ليست لها «ذاكرة»، اللغة تُتولد منها، ثم إن لغة ذات حالات محدودة (finite state language) لا تتولد إلا على مستوى واحد من خلال توليد يبدأ من اليسار إلى اليمين، هو أمر غير مناسب للغات طبيعية. وينبغي هنا أن يكتفى بتعليل ذلك بأن تلك الآليات الذاتية الحركة معقدة للغاية، وتولد أيضاً ما هو أكثر من الجمل النحوية فقط. وكما أبرز فيت Weydt (١٩٧٦)، توجه جدل تشومسكى بخاصة ضد الصحوة السائدة آنذاك فى معهد ماسشوتس فيما يتعلق بالسبرانية (Kybernetik)(*) التى توسم فيها إلى حين رؤى عميقة فاصلة فى بنية الفكر.

ولما كانت عيوب هذا النموذج الأول لها وزنها انتقل تشومسكى إلى نموذج ثان، وهو ***نموذج بنية المركبات*** Phrasenstrukturmodell(**) واستفيد فى ذلك من معلومات نحو المكونات المباشرة IC - G، أى استغلت بنية المكونات فى التوليد. والاستنباط فى هذا النموذج هو تتابع محدود من السلاسل التى تبدأ بسلسلة S (=جملة)، ويجرى فى المضى فى ذلك بتطبيق قاعدة الاحلال ***(قاعدة إعادة الكتابة*** "rewrite rule") فى خطوات على السلسلة الفعلية المعنية. وتنتج اشتقاقات نهائية جملاً نحوية، وتسم الاشتقاقات غير النهائية/غير القابلة للانتهاء متواليات ليست جملاً نحوية فى اللغة. ولقواعد الإحلال (إعادة الكتابة) الشكل الآتى:

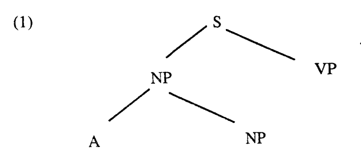
S ⟶ NP + VP   ج ⟵ م س + م ف

(*) ويترجم هذا المصطلح كذلك إلى السيبرناتية والكوبرنيكية وعلم الضبط والتكم والقبطانية، ويعنى الدراسة المقارنة لنظم السيطرة الآلية والاتصال فى الجهاز العصبى والدماغ، وفى الآلات الميكانيكية والكهربائية (كالآلات الحاسبة وآلات الثرموستات)، وبين ذلك الجهاز وتلك الآلات. (معجم بعلبكى اللغوى ص ١٣٢). ويترجم كذلك إلى علم التحكم، وهو علم توظيف الآلات ذاتية الحركة ورد فعلها المنضبط نتيجة المثير محدد. (المترجم)

(**) استخدم تشومسكى هنا أيضاً اصطلاحات ذات أصل تصنيفى أيضاً، مثل: ,P, SN, SV, N, V (DET., etc.)، واللغة نظام شكلى، ومجموع «الجمل» فى نظام قائم فى الرياضيات لغة... إلخ مما يمثل حقيقة كونه امتداداً للوصفية الأمريكية. (المترجم)

م س ⟵ ص + م س. . . . إلخ (٥) NP ⟶ A + NP usw.

والرسم الشجرى:



/ ويقول تشومسكى حول ذلك: للعرض من خلال رسم شجرى فى مقابل الاشتقاق المكتوب بقواعد الإحلال عيبٌ، وهو أنه فى الرسم الشجرى لا يمكن أن يُعْرَض تتابع تطبيقات القاعدة مناسباً للعقد بعضها إلى بعض. ويعد هذا النموذج الثانى أكثر مناسبة لوصف لغات طبيعية من ذلك الذى عُرِض أولاً، غير أن به مع ذلك بعض العيوب. ويناقش تشومسكى إلى جانب بعض النقاط المعروفة مثل استخدام أشكال الاشتراك اللفظى Homonymien(*) بوجه خاص عيوبَ ذات طبيعة تقنية، تنتج عن متطلبات بناء القواعد. ولما كانت تلك قد زالت فى النماذج المتأخرة فإنها لن تسرد هنا. ١٧٣

فقد أمكن التغلب على كل تلك العيوب من خلال النموذج الثالث، ***نموذج التحويل*** Transformationsmodell ذى النظام القاعدى المدمج.

---

(٥) تُقْرَأ الرموز كما يأتى: NP = مركب اسمى (م س)، وVP = مركب فعلى (م ف)، وA= صفة (ص).

(*) يترجم هذا المصطلح أيضاً إلى مجانسة لفظية، وتجانس، وتجانس لفظى، مجانسة ويمثل الاشتراك أو المجانسة اللفظية مشكلة معقدة فى تحليل الجمل التى تحتوى مشترك أو مجانس لفظى، بمعنى أن تكون إحدى كلمتين أو أكثر متماثلتين فى الصيغة، ولكنهما مختلفتان فى المعنى، سواء أكانتا متماثلتين فى الكتابة (نحو bark للنباح، وbark للحاء البحر)، أم مختلفتين فى الكتابة (نحو check وcheque) (انظر معجم البعلبكى اللغوى ص ٢٢٩) (المترجم)

والتحويلات فى هذا النمـوذج ليست علاقات متناسقـة بين جمل جاهزة، بل هى قواعـد تحول سلاسل إلى سلاسل أخـرى. وإذا طبقت «تحويلات إجبـارية» فقط، فإنـه تنشأ جـمل بسيطة جـاهزة، تسمى «الجـمل النواة» "Kernsätze"(*)؛ هذه جمل نحوية فى اللغة L.، وإذا أجريت كذلـك «تحويلات اختيارية»، فـإنه تنشأ جمل ـ نحـوية أيضاً ـ ذات فروق فى البنيـة محددة بدقة مع الجـمل النواة، مثل البناء للمجهـول والاستفهام، والنفى. وحتى يمكن أن توصف تلـك الجمل وصفاً صـحيـحاً، يُحْـتاج إلى مـعلومات حـول مجـرى الاشتـقاق أى حـول «تسلسل التحويل». فالتحويلات فى هذا النموذج إذن غير متناسقة، غير معكوسة.

ويتكون وصف نحو G لغة ما L من المكونات الثلاثة الآتية: بنيـة المركبات ـ بنية التحـويل ـ بنية مورفونيميـة (صرفية صوتية). وتنقل (تحول) قـواعد البنية المورفوفـونيمية سـلاسل من مفردات إلى سـلاسل من فونيمـات، مثل: "take + Präteritum ⟶ / tuk/" (يأخذ + ماض ⟵ / أَخَذَ/). وبينما يجب أن يعرف تسلسل الاشتقاق (الاستباط) بالنسبـة لاستعمال قواعد التحويل، فإنه يكفى لكلا المكونين الآخرين أن تُعْرَف السلسلة المدروسة فى الوقت الحاضر.

وهكذا فإن الأنحاء المفهومة هى

* طبيعية بالنسبة للمتكلم والسامع، وهى وحدها وصف للمنطوقات، دون علاقة بمستخدم اللغة،

* مبنية دون علاقة بمعنى المنطوق.

(*) الفكرة المركزية هنا أن العـدد غير المتناهى من الجمل الصـحيحة الممكنة فى لغـة ما يولد انطلاقاً من عدد محـدود من الجمل الأسـاسيـة أو الجمل النواة kernel sentences ـ راجع مفهـومى الجملة النواة والتحويل لدى هاريس؛ وهو باختصار إن بنية لغة ما تـتمثل فى مجموعة جملها النواة إضافة إلى مجموعـة من التحويلات ـ وذلك من خلال تطبيق القواعد المحـددة (الحذف والإضافة وإعادة الترتيب والاستبدال) عبر تـسلـسل دقيق. إن تشومـسكى فى محاولات حثيثة يسعى إلى أن يقدم للمرة الأولى نظرية لغـوية دقـيقـة البناء على شكل نموذج فـرضى اسـتنتاجى بالمعـنى المنطقى الرياضى. (المترجم)

وأكثر من ذلك: يرفض تشومسكى بوجه عام التساؤل: كيف يمكن أن يبنى نحو **دون رجوع** إلى المعنى؟ باعتباره غير مناسب، لأنه يتبع: يمكن أن يبنى نحو **برجوع** إلى المعنى؛ وهو لا معنى له كذلك. ويأتى تشومسكى بتساؤل مخالف للمنطق ad absurdum فى مجمله، حيث يصوغه فى تساؤل تالٍ، وهو:
١٧٤ «كيف يمكن/ أن يبنى نحو دون معرفة لون شعر المتكلم؟» ولم تصر العلاقات المتبادلة بين البِنية اللغوية والبنية الدلالية وثيقة الصلة إلا باعتبارها موضوع ***نظرية لغوية*** Sprachtheorie عامة، تعنى بالنحو والدلالة والروابط بينهما ــ وفيها ينبغى أن يراعى أيضاً مستخدم اللغة، أى أن ذلك ليس فى نظرية النحو ذاتها.

باختصار يمكن أن يقدم الموضع الصحيح لكتاب «الأبنية النحوية» داخل التصور النحوى لعلم اللغة فى الولايات المتحدة الأمريكية:

قال تشومسكى فى وقت لاحق عن هذه المرحلة من بحثه: إنه بصياغة قواعد بنية المركبات لم يفعل شيئاً أكثر من تعديل إجراءات هاريس المأخوذة من "From Morpheme to Utterance" (من المورفيمات إلى المنطوق)، وبيان «كيف يمكن أن تنتج هذه الأفكار ***نحواً توليدياً***. وفى الواقع أفاد تشومسكى أيضاً من الاستراتيجية العامة، وهى معالجة العلاقات بين المكونات بوصفها عنصراً أساسياً وحيداً، واستنباط كل العلاقات الأخرى منها.

بيد أن الجديد هو أنه لم يعد ***الورود الممكن*** لمنطوق ما هو الفيصل، بل **نحويته** Grammatikalität(*). والجديد أيضاً الاستنباط المُقَعَّد للمنطوقات

(*) لقد أثار مفهوم النحوية أو القواعدية جدلاً كبيراً، إذ أسند الحكم حول الصحة النحوية أو عدم الصحة إلى عنصر غير لغوى، وهو حدس الناطق باللغة native speaker وهو ما قاله هاريس تماماً، غير أنه رأى أنه لا يمكن لهذا المخبر صاحب اللغة أن «يدخل» كعنصر فى نموذج توليدى أو فى آلة حاسبة. على أية حال لقد قادت الفكرة إلى أخرى فى نسق منطقى. لقد انطلق تشومسكى من مفهوم التحويل الذى قاده إلى مفهوم القواعدية، الذى جعل اللجوء إلى حدس المتكلم ضرورياً مما قاد إلى مفهوم الكفاءة. ومن جهة أخرى لقد قاد مفهوم التحويل إلى التمييز بين بنى السطح والبنى العميقة، ولقد قاد وجود البنى العميقة إلى الشموليات الجوهرية والشموليات الشكلية التى اعترف تشومسكى نفسه بعدم قدرته على تفسيرها إلا من خلال فرضية الفطرية. (المترجم)

بمساعدة تحويلات إجبارية واختيارية. غير أن الجديد بصفة خاصة هو الادعاء (المطالبة) بنظرية نحوى: فبينما أراد هاريس أن يدرس «إجراءات الكشف discovery procedures» التى بمساعدتها يُستنبط النحو من المادة اللغوية للنص المقدمة، عَدَّ تشومسكى ذلك غير ممكن، ووضع المطلب الأصعب «بإجراءات تقويم evaluation procedures» تُصيب، بالنسبة لمادة لغوية مقدمة ونحويْن متعلقيْن بها، الاختيار بين هذين النحوين(*).

وهكذا ينظر إلى «الأبنية النحوية» إجمالاً على أنه مثال للاستمرار والانقطاع فى تطوير التفكير اللغوى.

٨ـ٣ النماذج التوليدية: المرحلة الثانية

فى مطلع الستينيات طور تشومسكى من النموذج الثالث فى «الأبنية النحوية» نظرية نحوية أكثر شمولاً، قدمها متصلة فى كتابه "Aspects of the Theory of Syntax" (جوانب النظرية النحوية) (١٩٦٥، وترجمه إلى الألمانية ١٩٧٠م)(**). وعرف «نموذج ـ الجوانب» تحت مصطلح «نظرية المعيار Standardtheorie». وستوضح أهم خصائصها فيما يأتى فى صورة مباحث مرقمة. ويصح فى ذلك أن الأمر فى هذا الفصل لا يدور حول مدخل إلى النحو

(*) وفى مقام المقابلة بين الوصف اللغوى، والوصف البنيوى التصنيفى يرى تشومسكى أن الوصف الذى يستخدمه يتجاوز ذلك للوصف الذى يستخدم «طرائق الاكتشاف» فقط، بل يعارض وصف التحويلات ذلك المفهوم لوصف ويتجاوزه «إن نظام الكفاءة اللغوية مختلف نوعياً عن كل ما يمكن أن يوصف بالطريقة التصنيفية»، وبعبارة أخرى إنه لا يتعامل مع بنى سطحية يُجَزِّىء وحداتها ويعددها ويصنفها، بل يقوم بوصف التحويلات التى توصل إلى البنى السطحية: وتمثل القواعد التحويلية بهذا المعنى وصفاً للكفاءة، وتختلف نوعياً عن الوصف التصنيفى لكونها تفسر من خلال الوصف. (المترجم)

(**) وترجمه إلى العربية مرتضى جواد باقر البصرة سنة ١٩٨٣. وتكرر التجاهل ذاته، فقد لقيت هذه الترجمة أيضاً اهتماماً محدوداً للغاية، برغم جودة ترجمته وسلامة أكثر مصطلحاته وصحة عبارته، فلماذا التجاهل؟ هل لأن بين الأصل والترجمة مدة ما يقرب من عشرين عاماً؟ وما هذا؟! إن كتاب دى سوسير لم يترجم إلى اللغات الأوروبية إلا بعد مدة أطول من هذه، وفى بعض اللغات بعد أكثر من خمسين سنة، ولكن لننظر ماذا كانت ردود أفعالهم وردود أفعالنا تجاه الترجمة!!! هذا هو شأن العلم، أما ما نفعل نحن فأمر آخر، لنسمه أى اسم آخر إلا العلم. (المترجم)

التوليدى ــ ولذلك لا يُتَطلع أيضاً إلى عرض كامل ــ، بل حول نظرة عامة خاصة بتاريخ العلم، تنشيء علاقة بين مراحل مبكرة ومراحل متأخرة من مراحل تطور النظرية، ويلزم أن تيسر التوجه.

١ ـ مكونات النحو وبناء القواعد ١٧٥

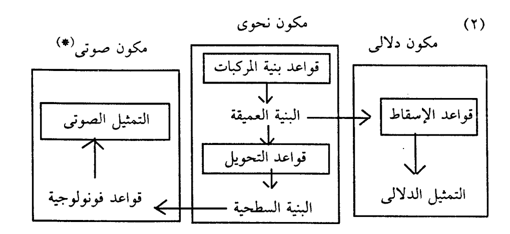
يقع في قلب نظرية المعيار حتى الآن بناء النحو وعمله، أى المكونات التوليدية. والجديد هو بناؤها الداخلى. وقد وُضعت بنيتان نحويتان: مكونات الأساس مع قواعد بنية المركبات (PS - Regeln) تولدها «البنية العميقة» (deep structure). تلك الأخيرة تحول بواسطة قواعد التحويل (T - Regeln) إلى «البنية السطحية» (surface structure). وهكذا تولد مكونات الأساس أبنيةً مجردة، أما البنية السطحية فقط فتطابق الجمل ــ الصحيحة ــ المعينة في اللغة.

ويُرْبَط المكون النحوى الآن فى النموذج الكلى للنظرية النحوية، الذى يراد منه أن يكون نظرية المعيار بمكونات أخرى للنحو. ويحدث ذلك فى هذه المرحلة من تطور النظرية أيضاً من خلال إلحاق أفقى (خطى) لكل مكون جزئى نحوى بكل مكون آخر. ولم يبرز تشومسكى أن الأمر يتعلق حقيقة بشبكة من العلاقات إلا فى نماذج متأخرة. وتحدد البنية العميقة التفسير الدلالى للجملة، وتحدد البنية السطحية التفسير الصوتى. وبذلك يكون للبنية العميقة ربط مزدوج: فهى مُدْخَل لقواعد التحويل التى تنشيء البنية السطحية، ومُدْخَل لقواعد الإسقاط (Projektionsregeln) التى يحصل المرء عند تطبيقها على التمثيل الدلالى(*).

(*) يطرح تشومسكى هنا مفهوماً مرتبطاً بالقواعد التحويلية ألا وهو التمثيل، وهو لديه لا ينفصل عن الوصف والشرح، إذ إن كل وصف هو تمثيل للموضوع المدروس، وينطبق ذلك على الوصف التصنيفى نفسه. ومهما بلغت درجة التجريد فى الوصف التحويلى التوليدى لجملة ما فهو تمثيل لهذه الجملة من وجهة نظر تشومسكى. وهكذا فإن مفهوم التمثيل يدل كما يقول مونان على مفهوم الوصف ومفهوم الشرح، أى مفهوم التنظيم والتفسير. وهو يبتعد بذلك كثيراً عن الاستعمال الرياضى الحديث لكلمة نظرية بالمعنى الدقيق للكلمة، وهو أنها تكوين فرضى استنتاجى، وتتمثل عناصر هذا التكوين فى «عدد قليل من الكلمات التى لا تبتدل»، وفى كون هذه الكلمات «تجتمع حسب نظام يتألف من عدد قليل من القواعد التى لا يمكن خرقها» (علم اللغة... ص ٢١٢، ٢١٦). (المترجم)

فلا تطبق إذن على البنيـة السطحية إلا قـواعد فونولوجـية لإنشاء التمـثيل الصوتى. وبتعبير آخر: ***يتوسط المكون النحوى فى إلحاق الصوت ـ بالمعنى.*** وتبعاً لذلك فإن للنموذج التوليدى الثانى، نظرية المعيار البناء التخطيطى(٦) الآتى:

(٢)



/ لم يُعَيَّن **مكون مورفولوجى.** ومن المعتاد أن يلاحظ ممثلو هذه النظرية ١٧٦ أنه بالنسـبة للغة الانجليـزية الواقعـة آنذاك فى قلب أوجه الوصف التولـيدية أمكن إشراك المعلومات المورفـولوجية القليلة فى المعالجـة من خلال المكون الفونولوجى. ولعل إدخال لـغات أكثـر ثراء فى المورفولوجـيا فقط قـد جعل التـصويبـات أمراً

---

(٦) أُخِذَ الرسم التخطيطى من كتاب: ج. فانسيلو G. Fanselow / وس. فيلكس S. Felix ١٩٨٤، ٤٤.

(*) سواء أُعِدَّ هذا الشكل الذى قدمه تشومسكى للنحو التـوليدى تعديلاً له أو تفسيراً فإنه يتسم بمكوناته الرئيسيـة الثلاثة التى يمثل فيـها المكون النحوى وسيطاً بين المكون الصـوتى والمكون الدلالى، ويعد الأخيران عناصر تفسيرية (راجع فيما سبق مفهوم التمثيل وصلته بالشرح والتفسير)، ويتكون المكون النحوى من أساس وعنصر تحـويلى، ويُنْتِج هذا الأساس البنية العميقة التى تقدم الـتفسير الدلالى، وتتشكل البنية السطحية بناءً على قواعد التحويل، ثم تُسْهِم الـقواعد الفونولوجية فى تقديم التفسير الصوتى للبنية السطحية الخارجية. وقـد أُدْخِل العنصر المورفولوجى ضمن العنصر الفونولوجى كما هى عادة تشومسكى منذ المرحلة الأولى. (المترجم)

ضرورياً. ويبين عمل تشومسكى المبكر «دراسة موروفونيمية للعبرية الحديثة (١٩٥١/ ١٩٧٩) أن الأمر هنا لا يدور حول اللغات المولدة فحسب، بل حول فهم النظرية والإجراء المنهجى بوجه عام أيضاً. وفى ذلك العمل وصفت العبرية الحديثة (= Iwrith «عفريت») الثرية فى المورفولوجيا أيضاً دون مستوى مورفولوجى؛ بقواعد ليس منها القواعد المورفولوجية.

ولم يُعَيَّن كذلك **مكون معجمى** مستقل. وقد أدخلت معلومات معجمية فى البنية العميقة فى صورة قائمة غير مرتبة بكل الوحدات المعجمية التى ترتب إلى جوار المكون الأساس. وفى ذلك تعرض وحدات معجمية من خلال سمات نحوية وسمات فونولوجية أيضاً، يجب أن تراعى عند وضع عناصر لغوية معينة فى العقد النهائية للرسوم الشجرية، وبذلك يمكن أن تنشأ جمل صحيحة فى اللغة.

لم تتناول هنا الأنماط الفرعية المميزة لقواعد مكون الأساس ***(قواعد التقسيم إلى فصائل فرعية*** Subkategorisierungsregeln)(*)، ***وقواعد الاختيار*** Selektionsregeln). ويمكن للقارىء المهتم بذلك أن يقرأ حول ذلك فى كتاب «جوانب النظرية النحوية» نفسه. ومع ذلك يلاحظ إجمالاً أن القواعد يجب أن تستعمل فى تتابع منظم، وأن وضع مادة معجمية أجرى تابعاً للسياق.

ويلى الآن لتصوير ذلك موجز من توليد البنية العميقة لجملة:

Sincerity may frighten the boy,

(إالـ إ إخلاص ربما يرعب الطفل) قارن تشومسكى:

(*) يذهب ايمون باك فى معرض تناوله لشروط النظرية بالمعنى الرياضى الدقيق والمفاهيم التى استخدمها تشومسكى فى نظريته من وصف وتفسير وتمثيل ونموذج ومعايير وقواعد... إلى أنه تشبه القواعد، بالمعنى الذى يفهمه تشومسكى إلى حد كبير، نظرية رياضية شكلية (...) وتظهر هذه النظرية الرياضية على شكل مجموعة مبادىء منسجمة، ومسلمات ومبادىء أولية مجهزة بقواعد واضحة التكوين لكى تسمح باستنتاج فرضيات جديدة وبتعريف تعابير جديدة انطلاقاً من المجموعة الأولى. (المترجم)

«جوانب النظرية النحوية» بالألمانية سنة ١٩٧٠، ص ٨٨، ٨٩(٧):

قواعد إعادة الترتيب:

S → NP AuxVP

VP → V NP

NP → Det N

NP → N

Det → the

Aux → M

/ قواعد التقسيم إلى فصائل فرعية: N → [+ N, ± App] ١٧٧

[+ App] → [± Ind]

[+ Ind] → [± Belebt]

[- App] → [± Belebt]

[+ Bel] → [± Mensch]

[- Ind] → [± Abstr]

المعجم: (Sincerity , [+ N, _ Ind, + Abstr])

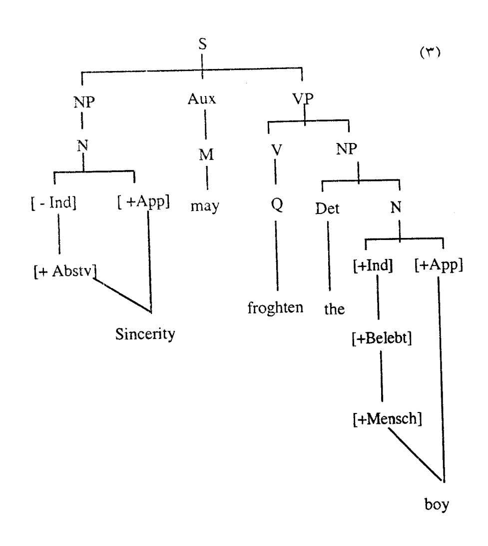
(boy, [+ N, + Ind, + App, Bel, + Mensch])

(may. [+ M])

التمثيل من خلال رسم شجرة (الواسم ــ م)

---

(٧) المختصرات التى لم توضح بعد: Aux (فعل مساعد)، Det (مُحَدِّد)، M (فعل نصيغة)، App (الاسم العام)، Ind (مفرد)، Bel (حى)، Abstr (مجرد)؛ وفى الرسم (٣): Q = فعل مُحَلَّل من خلال قواعد.

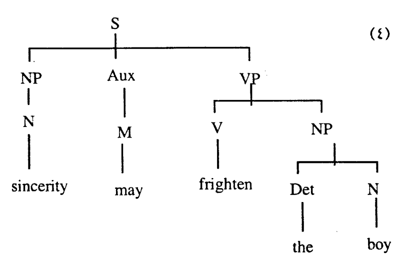


يمثل الرسم البنية العميقة، التى طبقت عليها قواعد التحويل، حتى نحصل من خلال ذلك على البنية السطحية، أى الشكل النحوى لجملة:

Sincerity may frighten the boy.

١٧٨ / وتتضح المناسبة الأكبر لمثل ذلك الوصف للبنية بوجه خاص فى مقابلته بوصف البنية فى «الأبنية النحوية» (انظر ما ورد تحت ٨ ـ ٢). هنا ربما كان يطابق هذه الجملة الوصف النحوى الآتى:

(٤)



٢ ـ عرض الوظائف النحوية

فى النحـو التقليدى توصـف إلى جانب الفصـائل النحوية وظائـف عناصر الجـملة، أى: الفـاعل والمفـعول والمسنـد (المحمـول)... إلخ. النمـاذج الأولى لتـشـومـسكى لم تراع تلك الوظـائف، بخـلاف نـظرية المعيـــار، أى نموذج «الجوانب...». «فالفاعل» يشير هنا داخل النظرية إلى ***وظيفة*** نحوية فى مقابل ***الفصيلة*** النحوية؛ مـركب اسمى (NP). بمعنى أن الفاعل والمفـعول... إلخ ***مفاهيم علاقية*** relationale Begriffe ولذا فهى متـصلة دائماً بالجملة. وهكذا فإن sincerity (الإخـلاص/ الصدق) فى الجـملة المثـال فى المبحث السـابق هى مركب اسمى (م س)، ***وتقوم بوظيفة*** فاعل الجملة. ولما كان يفرق بين وظائف الفصـائل فإنهـا أيضاً بالقـياس إلى الأخيـرة لم تُدْرَج مبـاشرة فى عـمل الرسوم الشجرية، ولا تصف أية عقد؛ ولكن الوظائف موجودة ضمنياً من قبل فى الرسوم (على سبيل المثـال فى الرسم رقم (٣))، وهى محددة من خلال علاقات مـتدرجة للعقد بعضها ببعض كما يأتى:

(i) فاعل ــ لـ : [NP, S]

(ii) محمول ــ لـ: [VP, S]

(iii) مفعول ــ مباشر ــ لـ: [NP, VP]

(iv) فعل رئيسى ـــ لـ : [V, VP][٨]

/ وبالنسبة للمثال (i) يجب أن يُقرأ: فاعل الجملة هو ذلك المركب الاسمى ١٧٩ (م س) الذى تتسلط عليه مباشر الجملة (S). قارن بذلك (iii): المفعول المباشر لجملة ما هو ذلك المركب الاسمى الذى يتسلط عليه مباشرة المركب الفعلى (م ف)، ولا تتسلط عليه الجملة (S) إلا بشكل غير مباشر.

ويشكل استخدام الوظائف النحوية تجديداً مهماً فى تطوير نظرية النحو التوليدى.

٣ ـ كفاية الأنحاء

كما ذكر من قبل فى الفصل الثامن ٨ ـــ ٢ لم يطالب تشومسكى خلافاً لهاريس بإجراءات الكشف (الاكتشاف)، فقد عُدَّ من غير الممكن التوصل إلى نحو عبر تلك الإجراءات من نص ما. وبدلاً من ذلك عَمِل بأوجه تقويم (evaluations)، وقارنَ إذن بين أنحاء بالنظر إلى كفاءتها. وفى نموذج «الجوانب..» المعيار الحاسم فى ذلك، هو كيف يمكن لنحو ما أن يشكل بكفاءة فهمَ متكلم لغة ما عبر ذلك (النحو). ووضع تشومسكى ثلاثة مراتب للكفاية Adäquatheit: كفاية الملاحظة والكفاية الوصفية، وكفاية التفسير. وتشكل المراتب الثلاثة تدرجاً (سلمية)، ليست المرتبة الدنيا فيها أيضاً بأية حال تافهة، لأنه للتوصل إليها يجب أن تبدو المواد الملاحظة صحيحة. ولا تتوصل الكفاية الوصفية إلى نحو إلا حين:

تصف موضوعه وصفاً صحيحاً ـ أى الحدس، الكفاءة اللغوية للمتكلم(*) [انظر ما يرد تحت ٥ ـــ ب. ب. (المؤلفة)]. وبهذا المعنى يكون النحو

---

(٨) من كتاب تشومسكى المترجم إلى الألمانية ١٩٧٠، ص ٧٥.

(*) من الصعب المقابلة بين مفهومى اللغة والكلام لدى دى سوسير ومفهومى الكفاءة والأداء لدى تشومسكى. فثمة فروق دقيقة بينهما، إذ الكفاءة لدى كل متكلم أو مستمع هى المعرفة الحدسية أو المعرفة الضمنية للغة بمعنى القدرة على إنتاج عدد غير محدد من الجمل لم يسمع بها من قبل، وفهمها على حد سواء [وهو ما يسميه أيضاً المظهر الإبداعى للغة]، كما يعنى القدرة على التمييز بين الجمل النحوية والجمل غير النحوية فى لغة ما. فأين الالتقاء بين مفهوم الكفاءة ومفهوم اللغة؟! ومن الممكن كذلك تمثيل كفاءة الناطق باللغة بنظام كامل من القواعد الواضحة والمنظمة والثابتة التى تسمح بتوليد عدد يمكن أن يكون غير محدود من الجمل الصحيحة فى لغة ما، وهذه الجمل فقط. وليس الأداء سوى التمثيل المادى لهذه الكفاءة. (المترجم)

مسوغاً لأسباب **خارجية**؛ لأسباب التطابق مع الوقائع اللغوية. (١٩٧٠، ٣٥).

ويدخل فى ذلك ضمن ما يدخل إمكان معرفة فروق البنية الكامنة تحت أوجه التشابه السطحى.

وأخيراً لا يمكن لكفاية التفسير إلا أن تطالب بنظرية تجيز الاختيار من عدة أنحاء معمثة،

مع مواد لغوية أساسية معطاة، تكون معها كل الأنحاء رهن الاختيار متساوقة. وبهذا المعنى يكون النحو مسوغاً لأسباب ***داخلية***؛ لأسباب علاقته بنظرية لغوية تقدم فرضاً تفسيرياً حول شكل اللغة فى ذاتها. (١٩٧٠، ٣٥).

ومن العسير للغاية الوصول إلى تلك المرتبة العليا من الكفاية، وبالنسبة لتشومسكى لا يكون قادراً على ذلك إلا نحو توليدى. وقد صمم نموذجه فى «الجوانب...» لهذا المطلب.

٤ـ مشكلة الكليات «الشموليات»

يرتبط بزعم كفاية التفسير الزعم أيضاً بإمكان معالجة كليات لغوية، أى خصائص، تشترك فيها كل اللغات الطبيعية. وفى الستينيات بدأ تشومسكى إقامة علاقة بين نحوه التوليدى والإرث الفلسفى للأنحاء العامة فى القرنين السابع عشر
والثامن عشر الميلاديين(*). وكانت نتيجة هذه/ الجهود بادىء الأمر الدراسة التى ١٨٠
تعرضت للنقد فى الغالب بسبب أوجه عدم الدقة الفلسفية، وهى: "Cartesian

---

(*) برز هنا بصفة خاصة نحو بور رويال الذى قام على أسس الفلسفة العقلية للفيلسوف الفرنسى ديكارت فى القرن السابع عشر الذى رد المعرفة الحقيقية إلى العقل مؤكداً الأفكار الفطرية والمبادىء العامة، وبرز كذلك دور المفكر الألمانى فون هومبولت الذى عده تشومسكى صاحب فضل كبير فى ربط اللغة بالعقل، فقد كانت فكرة التوليد واضحة عنده، حيث كان يرى أن اللغة تنتج من وسائل محددة استعمالات غير نهائية، ويدخل كذلك نحو بانينى كما ذكر تشومسكى نفسه فى كتاب «جوانب النظرية النحوية». وقد أطلق على تلك القدرة العقلية للإنسان «الجانب الإبداعى أو الخلاق creative aspect (kreativer Aspekt =) (ص ٩ من الترجمة الألمانية)

(المترجم)

"Linguistics (علم اللغة الديكارتى) (١٩٦٦)، غير أنه قبل ذلك فى نموذج «جوانب النظرية النحوية» عنى تشومسكى بمشكلة الكليات؛ موضوع اهتم به دائماً بدءاً من ذلك الوقت، ووصل فيما بعد إلى ذروته من خلال تعميق «النحو الكلى» (UG).

وفى نموذج «الجوانب...» وضع نمطين من الكليات: ***الكليات المادية، والكليات الشكلية***.

أما ***الكليات المادية*** substantielle Universalien(*) فهى الفصائل والسمات التى تشكل المادة لوصف اللغات، قارن:

وتزعم نظرية للكليات المادية أن وحدات معينة ترد فى كل لغة، استقيت من فئة محددة من الوحدات. (١٩٧٠، ٧٣).

ويذكر تشومسكى مثالاً على ذلك نظرية ر. ياكوبسون للسمات الفارقة (قارن الفصل الرابع ٤ ـ ٥ ـ ١)، كلية مادية فى صورة ١٢ زوجاً من السمات، تختار منها لغات العالم سمات معينة لبناء نظامها الفونيمى

وأما ***الكليات الشكلية*** formale Universalien فعلى العكس مما سبق خواص كلية ذات طبيعة مجردة. تتعلق بأنماط القواعد فى النحو، وإمكانات ربط القواعد. ويعد تشومسكى البناء الداخلى لأنحاء توليدية مثل البناء الداخلى للنحو التحويلى التوليدى مرشحاً للكليات الشكلية. ذلك

يتضمن أن كل اللغات وضعت وفق النموذج ذاته، ولكنه لا يتضمن أنه يوجد تطابق أياً كان حذو النعل بالنعل بين لغات مفردة(**). (١٩٧٠، ٣٧).

(*) للصفة substantielle عدة معان: مادى، جوهرى، موضوعى، مهم... وقد اخترت المعنى الأول لأن لذلك صلة الثنائية اللغوية المعروفة المادة Substanz والشكل Form، ويؤكد ذلك الصفة المقابلة وهى formale (شكلى). (المترجم)

(**) تطلبت فرضية المعرفة الفطرية لدى الإنسان فرضية الكليات أو الشموليات فى اللغات مرحلة منطقية لاحقة، إذ إن الاستعداد الفطرى لا يمكن أن يقوم، فى الواقع، إلا على مجموعة آليات شمولية يسميها تشومسكى linguistic aquisition device L.A.D. «جهاز اكتساب اللغة» يمتلكها الطفل، وتسمح له بتجديد النموذج اللغوى الذى عليه أن ينسجم معه عبر ما يتلقاه من محيطه، وتمثل الخواص المشتركة بين اللغات تلك الشموليات الأساسية، التى لا تكتشف كما يرى تشومسكى إلا من خلال تحويل التنوع الضخم للأبنية السطحية للغات إلى عدد قليل من الأبنية العميقة (الفصائل، والسمات، والوظائف، والقواعد) التى تبدو واحدة فى اللغات معظمها أو كلها. (المترجم)

وفى التطور اللاحق للنظرية درس تشومسكى مشكلة الكليات مرتبطة بتعليم الطفل اللغة بوجه خاص. مثل تلك الأفكار، وكذلك موضوع الكفاءة اللغوية إجمالاً (انظر المبحث الآتى) أفضت بعد ذلك فى السبعينيات والثمانينيات إلى إنشاء النحو الكلى (UG).

٥ ـ الكفاءة اللغوية والأداء اللغوى

يبدأ تشومسكى توضيح هذه الثنائية بالتعريفات الآتية: موضوع النظرية اللغوية فى المقام الأول متكلم ـ سامع مثاليان، يحيان فى جماعة لغوية متجانسة تماماً، ويعرفان لغتهما معرفة ممتازة، وعند استخدام معرفتهما اللغوية فى الكلام الفعلى لا يتأثران بتلك القيود المنفكة الصلة لغوياً، مثل:

/ ـ ذاكرة محدودة ١٨١

ـ شرود واضطراب

ـ انحراف فى الانتباه والاهتمام

ـ أخطاء (عارضة أو نمطية)

[...]. وعند بحث الاستعمال اللغوى الفعلى يجب أن يُتْنَبّه إلى التأثير المتبادل لعدد من العوامل، لا تمثل الكفاءة الأساسية للمتكلم ـ السامع إلا واحداً منها. (١٩٧٠، ١٣).

وبهذا الطريقة وضع حداً بين معرفة المتكلم ـ السامع للغة ما (*الكفاءة* competence) عن الاستعمال الفعلى للغة فى مواقف محدد (الأداء performance)(*). . ويُلاحظ كذلك: أن الأنحاء التوليدية لا تُوضَع نماذجَ

(*) للكفاءة مساحة مهمة فى نظرية تشومسكى اللغوية، فليست مقدرة تفسيرية بقدر ما هى مقدرة توليدية، مقدرة على الإنتاج والفهم والتميز؛ إنتاج جمل غير محدودة من وسائل محدودة، وفهم جمل لم تسمع من قبل، وتمييز بين الجمل النحوية والجمل غير النحوية. ويتوقف الأداء على وجود تلك المقدرة، وإن كان يجب أن يؤخذ فى الاعتبار أن الأداء توجهه ظروف وعوامل غير لغوية مثل معارف الذاكرة وطاقتها المحدودة... إلخ. وقد فرق تشومسكى بينها فى صورة بسيطة حيث قال: نفرق إذن الكفاءة اللغوية، وهى معرفة المتكلم السامع بلغته، واستعمال اللغة (الأداء)، وهو الاستخدام الفعلى للغة فى موقف معين. (انظر التفاصيل فى: ص ١٤ من الترجمة الألمانية لكتاب جوانب النظرية النحوية). (المترجم)

للمتكلم ــ أو السامع، إنها تصف المعرفة اللغوية وصفاً محايداً بالنظر إلى هذا التفريق، الذى لم يَصِر وثيق الصلة إلا مع الاستعمال اللغوى (الأداء). ولذلك أكد تشومسكى (١٩٧٩، ١٩) أن «توليد جملة» هنا لا يجوز أن يفهم أنه متعلق بالمتكلم، بل إن هذا المفهوم[٩] ــ بالنظر إلى المنطق الحديث ــ يعنى فى هذا المعنى «إلحاق بجملة ما وصف لبنيتها».

إن المتكلم ــ السامع المثالى بالنسبة لتشومسكى هو إظهار مثالى (نمذجة) ضرورية، وبمساعدة هذا الفرض المنهجى فقط يمكنه أن يكتشف النظام القاعدى الأساسى، ***النحو*** Grammatik[*] الذى يمتلك بالنسبة له «واقعاً عقلياً»، أى لم ينجزه عالم اللغة، بل هو مُرَكَّب فى النظام الإنسانى للإدراك[١٠].

ويشير فرض الواقع العقلى للكفاءة اللغوية إلى شيئين آخرين من جوانبها، وفى الحقيقة إلى الإبداعية، وإلى شروط إمكانية التعليم:

فالإبداعية بالنسبة لتشومسكى ليست حكماً قيمياً؛ إنه لا يفهمها على أنها إبداعية مصطنعة، بل هى التعامل العادى باللغة، بمفهوم هومبولت أنها «استعمال لا نهائى من وسائل محدودة»، ويكون المتكلمون قادرين على ذلك، أى أنها ظاهرة أنه يمكن أن تبنى من رصيد محدود من وحدات لغوية وقواعد حول ائتلافها منطوقاتٌ لغوية كثيرة جديدة دائماً، ولا نهائية بمفهوم رياضى، وأن تفهم

---

(٩) هو حسب تشومسكى مرادف لمصطلح . ف. هومبولت "erzeugen" (توليد).

(*) هناك أسباب كثيرة جعلتنى استخدم ترجمة نحو للمصطلح "Grammatik"، وليس قواعد كما وردت فى عدد كبير من المؤلفات اللغوية التى عالجت نظرية تشومسكى أو غيره من الأنحاء الأخرى، وأهمها إمكان مجىء كلمة Regeln صفةً أو مضافاً للمصطلح، فهى يصح هنا أن يقال قواعد القواعد أو قواعد قواعدية، كما أن مفهوم قواعد أضيق من مفهوم نحو، إذ يتضمن النحو القواعد، وليس العكس، كما أن مفهوم «نحو» فى التراث العربى وبعض الاتجاهات اللغوية الأوربية يضم القواعد النحوية (التركيبية) والصرفية والصوتية... إلخ. (المترجم)

(١٠) فى كتاب تشومسكى (١٩٧٠ ب) يقول حول ذلك: يجب أن تبحث أنظمة مثالية، وبعد ذلك فقط يمكن للمرء أن يتساءل، كيف تتمثل هذه الأنظمة داخل الأفراد الواقعين، وكيف تتفاعل؟

أيضاً. وصياغة هومبولت هى سبق عبقرى لعملية صار إمكان استعمالها حقيقةً، في الوقت الحاضر فقط، بعد أن حللت أسس بحث/ الرياضيات **عمليات** ١٨٢
تكرارية rekursive Prozesse(*). وليس مستخدم اللغة على وعى بهذه العمليات مثل النحو التوليدى إجمالاً أيضاً، وربما لا يستطيع أيضاً أن يعيها، بل إن اللغوى يشيدها بوصفها نموذجاً للكفاءة اللغوية.

واستخدم تشومسكى بحوثاً حول ***الاكتساب اللغوى*** Spracherwerb معياراً لكفاية نظريته اللغوية. فاكتساب الطفل اللغة، وهو الذى يتمها فى غضون سنواته الخمس تقريباً ـ وفى الحقيقة حتى النضج الدراسى ـ لا يُوَضَّح بنماذج ميكانيكية ـ سلوكية. إن تلك المدة الزمنية قصيرة للغاية، والطفل لا يستطيع فى هذا الوقت أن يسمع إلا مقداراً متدنياً ضئيلاً من كل الجمل الممكنة فى لغة ما. غير أن ذلك يهيئ امتلاك نظام قاعدى يجيز له أن يستخدمه بكفاءة فى كل مواقف اللغة. ولا يمكن أن يفسر ذلك إلا مفهوم «الأفكار النظرية»(١١) الذى عرف منذ القرن السابع عشر الميلادى؛ مبادىء الإدراك المتنقلة وراثياً، التى تنشط عند اكتساب اللغة، وتختصر ذلك الاكتساب ـ إذ ليس ثمة حاجة إلى «يَتَعلم» كل شىء، فالتعلم يعنى تنشيط هذه العمليات التى هى أولاً واحدة من الناحية الوراثية بالنسبة لكل اللغات، وثانياً متشابكة فى المخ مع عمليات إدراكية أخرى(**).

٦ـ موجــز

إن النحو التوليدى فى نموذج «جوانب النظرية النحوية» هو التخطيط الأول لنحو توليدى شامل، وحتى الآن لم تدرس إلا أجزاء من نظرية نحوية، ومن أكثر

(*) إذا كان النحو يتألف من عدد محدود من القواعد التى تعمل من خلال عدد من المفردات، وكانت هذه القواعد قادرة على توليد عدد غير محدود من الجمل، فإن هذا يعنى بالضرورة أن عدداً من هذه القواعد لابد أن يصلح للتطبيق أكثر من مرة، وتسمى مثل هذه القواعد أو التراكيب التى تولد باسم التراكيب أو القواعد المتكررة. (المترجم)

(١١) قارن لايبنتس Leibniz «الأفكار الأصلية».

(**) يقول تشومسكى فى كتابه «مقالات فى نظرية النحو التوليدى ص ٢١: لو كنا قادرين على تطوير مواصفات جهاز اكتساب اللغة من هذا النوع، لأمكن أن نزعم حقيقة أننا قادرون على توفير تفسير للحدس اللغوى، أى القدرة الضمنية، عند متكلم اللغة. (المترجم)

التجديدات ثراءً ضم المكون الدلالى(١٢)، وربطه بالمكونات الأخرى للنحو. وكانت الإشارة إلى الجانب الإدراكى للكفاءة اللغوية وإلى الكليات التى تعد أساساً لها، مُحَدَّدةً أيضاً للتطور اللاحق للنحو التوليدى.

و«بنظرية المعيار» هذه كسب تشومسكى بصورة نهائية انتباه عالم التخصص العالمى، فقد وقف الأتباع والمعارضون على عرض إجمالى لها، استطاعوا أن يشتغلوا به أو يحتكوا به.

٨ ـ ٤ نظرة عامة حول التطور اللاحق

٨ ـ ٤ ـ ١ نظرية عامة حول التطور اللاحق للنظرية النحوية ١٨٣

منذ سنة ١٩٧٠ تقريباً أجرى تشومسكى تغييرات عدة، مهمة أحياناً على نظريته النحوية، وينبغى هنا أن يذكر أشهرها: RST (= Extended Standard Theory)، أى (نظرية المعيار الموسعة)، قارن حول ذلك بوجه خاص كتاب تشومسكى سنة ١٩٧٢(*) ـ و (REST (= Revised EST، أى نظرية المعيار الموسعة المعدلة. ويصف هو نفسه النظريات الموسعة.

ويُسْرَد فيما يأتى بعض التغيرات الأساسية فى نقاط ودون شروح أكثر دقة، حيث يلاحظ مع ذلك أن تلك هى تغييرات فى تعميق ***النظرية النحوية*** Grammatiktheorie، وأنه بالنسبة له قد صارت صلات النظرية النحوية ببناء الإدراك الإنسانى أكثر أهمية، وأن الدافع الحقيقى لتطوير نظرياته هو سعيه إلى إنشاء علم اللغة فرعاً لعلم النفس الإدراكى، ويشار إلى ذلك فيما بعد فى ٨ ـ٤ـ ٢.

ويسرى على المرحلة الأولى من التطور اللاحق ـ EST ـ ما يأتى:

---

(١٢) قارن حول ذلك أيضاً الدراسة التى تناولت الفهم ذاته للنحو لكل من كاتز J.J. Katz/ وبوستال P.M. Postal (١٩٦٤).

(*) تعنى بذلك خاصة مقالة تشومسكى التى هى بعنوان: البنية العميقة، والبنية السطحية والتفسير الدلالى، وهى فى كتابه الذى يحمل عنوان: دراسات حول البحث الدلالى فى النحو التوليدى، المنشور سنة ١٩٧٢ (انظر بيانات المراجع فيما يأتى). (المترجم)

١ ــ بُدِىء تعديل (أو مراجعة) للموضع الصحيح للدلالة (تشومسكى ١٩٧٢. وفى الواقع ظلت البنية العميقة كما كانت من قبل الفيصل فى التمثيل الدلالى، ولكن الآن يمكن للأبنية السطحية أيضاً أن تؤثر فى الدلالة. وظلت تلك لدى تشومسكى تفسيرية interpretativ، وتُوَلِّد كما كانت من قبل فى النحو(١٣).

٢ ــ يحصل المعجم على وضع مكون فرعى خاص داخل المكون الأساسى. وتتكون تقييدات المعجم من سمات فونولوجية، ودلالية، ونحوية، توضع من خلال **تحويلات معجمية** lexikalische Transformationen فى الواسم ـــ م المجرد (P - M) للمكون الأساس، ثم تطبق **تحويلات نحوية** grammatische Transformationen على النتيجة، تلك التحويلات التى تُنْشِىء الأبنية السطحية.

ويسرى على المرحلة الثانية من التطور اللاحق ــ REST ــ ما يأتى:

١ ــ تشكل قواعد الأساس مخطط اكس ــ وصلة - X - Bar „ "Schema،(*) وهى تولد الأبنية العميقة. ولم يعد يوجد أى جزء تحويلى، فكل

---

(١٣) لا يمكن هنا أن تُتَناول النظرية المنافسة فى «علم الدلالة التوليدى» لدى (ج. لاكوف، وج. روس وآخرين)، فهى لم تثبت أركانها أيضاً.

(*) إن القاعدة التوليدية ــ المركبية (B - Rule) ستولد البنية العميقة (D - Structure)، ثم إن *القاعدة التحويلية* (T - Rule) ستحول البنية العميقة إلى البنية الضحلة (S- Structure) إن هذه البنية الضحلة ستتحول إلى بنية سطحية (Surface - Structure) من خلال قواعد مختلفة عديدة. والواقع لقد اقترحت هذه التعديلات الجديدة الطارئة على نظرية النحو التوليدى والتحويلى بأنه ينبغى على القواعد التوليدية ــ المركبية (Base - Rules) أن تُدْمَج فى إطار نظرية مضبوطة سميت نظرية اكس ــ وصلة (X - bar Theory)، تلك النظرية الأكثر دقة وضبطاً للتمثيلات التركيبية الناتجة عن القواعد التوليدية المركبية. وقد اقترحتْ التعديلاتُ الجديدة تخفيضَ القواعد التحويلية العديدة ــ التى تحول البنية العميقة إلى بنية ضحلة ــ إلى قاعدة تحويلية تجريدية واحدة فقط تدعى *حَرِّك ألفا* (Move - α)، حيث إن ألفا هى عنصر مجهول (يمثل س فى الرياضيات). (المترجم)

التحويلات تنكمش فى تحويل وحيد، هو ***حَرِّك ألفا*** moveα، [أى الأثر والعائد إليه] الذى عند تطبيقه تحول الأبنية العميقة إلى أبنية سطحية.

لاحظ: أن هذين/ النمطين للأبنية النحوية لم يعودا متطابقين مع نمطى نظرية المعيار. ١٨٤

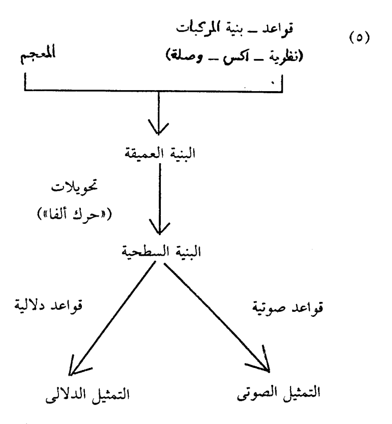
٢ ـ تُفَسر البنية السطحية فى اتجاهين: التفسير الدلالى يتجه إلى المكون الجزئى «للشكل المنطقى» (L F)، والتفسير الفونولوجى يتجه إلى المكون الجزئى «للشكل الصوتى» (PF)(*).

٣ ـ مع هبوط أهمية الجزء التحويلى تصعد أهمية المعجم. ففى نظرية المعيار لم يكن إلا هامشياً، حشداً من الخواص العارضة؛ خواص Idiosynkrasien لغة ما، وصار المعجم منذ نظرية المعيار الموسعة المعدلة دائماً أكثر أهمية. إنه المحور الذى تتلاقى فيه المعلومات من مكونات أخرى، وتتصل فيه بعضها ببعض. وبدءاً من الآن صار المعجم يتعقد تشكيله باستمرار، ويوجد عدد خاص من القواعد التى توجه التنظيم الداخلى.

٤ ـ يمكن أن يُعْرَض نموذج نظرية المعيار الموسعة المعدلة REST فى صورة المخطط الآتى:

(*) يتحدث هنا عن بنية ضحلة أكثر تجريدية من البنى السطحية، إذ إنها تحوى عناصر مفرغة غير مدركة فى البنى العميقة، ولا تقدم البنى السطحية أى شرح دلالى فى الشكل المنطقى (LF) للجملة، ولكن البنى الضحلة نتيجة لتجريدها وعمقها الدال على وجود العناصر المفرغة هى أكثر معقولية وضبطاً وعمقاً لأن تكون مرشحة لعملية التفسير الدلالى للجملة فى الشكل المنطقى (LF). ويفرق هنا بين تحول البنية العميقة إلى البنية الضحلة المرتبطة بالشكل المنطقى (LF) كما قلنا من خلال القاعدة التحويلية العامة (حرك ـ ألفا)، وبين ارتباط البنية الضحلة بالشكل الصوتى (PF) للبنية السطحية الخاضع لقواعد الحذف والتحريك وغير ذلك. (المترجم)

(٥)



٥ ـ تتصل مكونات النحو التوليدى بعضها ببعض بشكل منظم. ولكل مكون فى النحو التوليدى بنيته ووظيفته المستقلتين، وكلها تتفاعل، ولكن بشكل قالبى modular. والمكونات المفردة المستقلة هى قوالب أساسية Module ـ وهو مفهوم منقول عن/ بحث الذكاء الاصطناعى (KI =). ويُبين فى ٨ ـ ٤ـ ٢ كيف 185 ينظر إلى القولبة Modularität عبر النظام اللغوى على أنها مبدأ منظم للفِطَر الإدراكية جميعها للإنسان(*).

(*) فى الواقع يمكننا أن نفترض أنظمة معرفية إدراكية أخرى، وذلك من خلال النموذج النحوى التوليدى التحويلى الذى يراعى المقدرة اللغوية البشرية فى الدماغ البشرى بالرغم من أن المعرفة اللغوية ليست المعرفة المركزية للمعرفة الإنسانية... ويبدو لى أنه ينبغى على نظرية العقل البشرى أن تصاغ من خلال تعيين الأنظمة المعرفية الإدراكية بشكل أولى، ثم دراسة هذه الأنظمة المعرفية دراسة مفصلة لتحديد خواصها وطبيعتها. (ومن أهم المعارف الإنسانية العقلية المعرفة اللغوية والمعرفة الرياضية، والمعرفة السلوكية، والمعرفة الاجتماعية، والمعرفة النفسية، والمعرفة الموسيقية...). ويمكن أن يفترض أن أنظمة المعارف الإنسانية هذه هى أنظمة متداخلة ومتشابكة فيما بينها قادرة على توليد القدرات الإنسانية المختلفة التى تشكل فهمنا الكلى للعالم الفيزيائى المحيط بنا. (راجع تفاصيل المعارف الإنسانية فى القضايا الأساسية ص ٢٧٥ ومابعدها). (المترجم)

وبهذا التغيرات اتخذت الاستعدادات لتوسيع نظرية الحكم النحوى والربط الإحالى (= G.B)، قارن كتاب تشومسكى سنة ١٩٨١، لنظرية الحواجز (Barriers)، قارن أعمال تشومسكى سنة ١٩٨٦/ ١٩٩٠م)، وللتطور الأخير حتى «نحو العناصر الصغرى (الدنيا) "minimalistische Syntax" ,, (قارن أعمال تشومسكى سنة ١٩٩٢ و١٩٩٤م).

٨-٤-٢ النظرية النحوية وقولبة المعرفة الإنسانية

تسم مشكلات اكتساب اللغة والنحو الكلى (الشمولى UG) ومبدأ القولبة هم تشومسكى الحقيقى الذى لم تكن نماذجه إلا أعمالاً (معالجات) تمت على نحو محدد.

وبحث متابعاً فرضياته في نموذج «الجوانب...» مشكلة (قارن بوجه خاص عمل تشومسكى ١٩٧٩)، كيف يوفق الأطفال بخبرات شديدة التباين إلى أنحاء قياسية، بل هى متطابقة فى الحقيقة، وذلك فى فترة زمنية قصيرة مذكورة.

ويفترض تشومسكى أن كل الأطفال لديهم القيود "constraints" المشروطة وراثياً ذاتها بالنظر إلى اكتساب النحو. وهكذا فإن الميزة التراثية توضح أيضاً لماذا يرتبط الاكتساب اللغوى الأول بدرجة محددة من النضج، ولِمَ لم يعد الأطفال الثعالب(*) يتعلمون الكلام، ولماذا يتعلم الكبار لغة ثانية على نحو مغاير للأطفال، ويتحدث هؤلاء (الكبار) بنبرة، وأسئلة أخرى قد ذكرت. وأكد أنه

(*) استخدم Wolfskinder، ويقصد به الأطفال الذين يولدون فى الغابة، وتقوم الثعالب بتربيتهم، ومن ثم لا يتعلمون لغةً، بل أصواتاً تصلح للتعامل مع حيوانات الغابة، وهذا موضوع خيالى فى الأصل، ثم أقيمت حديثاً تجارب على أشخاص نشأوا هذه النشأة، ووجدت صعوبات بالغة فى تعلمهم مبادىء اللغة، وليس لغة كاملة، بل لم يكن من السهل أن يتقبلوا أشكال المدنية الأخرى كالملبس والمأكل ووسائل المواصلات والنظام وقواعد كثيرة أخرى. وقد تناول يسبرسن فى كتابه (أسس علم اللغة العام) مسألة «تعلم الطفل اللغة»، وعرض لاستقصاء مثير فى زمانه حول التفاهم مع «الأطفال الثعالب» والاتصال فيما بينهم. (المترجم)

كان من المفترض بشكل غير منطقى أن ما يكون لدى المرء مع المولد أو ما يراه فقط، المشروط وراثياً؛ أكثر بكثير مما يؤخذ فى الاعتبار.

إن الفِطَر الوراثية وثيقة الصلة بالاكتساب اللغوى بالنسبة لتشومسكى هى ***النحو الكلى*** (الشمولى UG). وهو نظام من المبادىء التى وصلت بمساعدة ***معايير*** Parameter باللغات المحددة. والمعيار فى ذلك هو متغير حددت قيمه من كم معطى على الطريق من النحو الكلى إلى النحو المفرد (الجزئى).

وأخيراً: يريد تشومسكى أن يستعمل النظرية النحوية ــ بكل أوجه التهذيب، التى أجراها هو نفسه أو أجراها مساعدوه وهم مستمرون فى القيام بذلك، وأوجه التهذيب التى صارت ضرورية ولاسيما من خلال تضمين لغات جديدة باستمرار ــ فى دراسة النظام المعرفى الكلى للإنسان. ويعنى التطبيق الصارم «لمبدأ القولبة» السابق ذكره: أن المعرفة الإنسانية بكل تعقدها بنيت بشكل قالبى باعتبار أن الأنظمة الجزئية المستقلة مثل قوالب نظام كلى تتضافر عند تمثيلها. أحد هذه القوالب اللغة، والقوالب الأخرى مثل الأنظمة السمعية وأنظمة الرؤية. ولا يحدد أى
قالب من هذه القوالب من خلال آخر، ولذلك يجب أن تعد مستقلة. /ولكن ١٨٦
تضافرها القالبى فقط كفل معرفة إنسانية؛ قدرة الإنسان على بناء أبنية معرفية. وحمل هذا الفرض تشومسكى على دمج علم اللغة فى علم النفس المعرفى.

٥ـ٨ موجـــز

يعرض الفصل الثامن محاولة تقريب روح مطلب تشومسكى إلى القارىء على الأقل فى مداخل. ويمكن أن يضاف كذلك أنه برغم أصوات نقدية موجودة للأتباع والخصوم فى المستقبل فإنه لم يعد من الممكن التقهقر فى تعميق النظرية النحوية خلف مواقع تشومسكى. وقد حُدِّدت فى موضوعات ٨ ــ ١ و٨ ــ ٢ بوجه خاص جذوره التاريخية فى علم اللغة فى الولايات المتحدة الأمريكية، وأوضحت المباحث من جهة أخرى أيضاً التجديدات الحاسمة فى نماذج تشومسكى، وربطها بالعلوم الإنسانية بوجه عام.

ويمكن لذلك أن يتحقق من مسار التطور الخاص لتشومسكى كيف تحول التفكير اللغوى للوصفيين الذى صاغه علم النفس السلوكى إلى تفكير صاغه علم النفس المعرفى فى النماذج الأخيرة للنحو التوليدى(*).

٨-٦ بيانات المراجع

Die Publikationen Noam Chomskys sind nicht vollzählig aufgenommen, die Auswahl ist durchaus subjektiv; *ein* Kriterium für die Berücksichtigung war z. B. das Vorhandensein deutscher Übersetzungen.

J. Bechert/D. Clement/W. Thümmel/K. H. Wagner (1970): Einführung in die generative Transformationsgrammatik. München.

E. Bense (1973): Mentalismus in der Sprachtheorie Chomskys. Kronberg.

M. Bierwisch (1983): Semantische und konzeptuelle Repräsentation lexikalischer Einheiten. In: Untersuchungen zur Semantik. Hrsg. R. Růžička/W. Motsch. Berlin.

N. Chomsky (1955): Logical Syntax and Semantics. Their Linguistic Relevance. In: Language 31/1

N. Chomsky (1956): Three Models for the Description of Language. In: IRE Transactions on Information Theory, vol. I, T-2, 3.

(*) يجدر بالقارىء أن يستكمل رؤيته الشاملة بالمرحلة التالية لهذه النظرية، وهى ما يعبر عنها بـ (نظرية العامل والربط الإحالى) تلك النظرية التى وضعها وطورها تشومسكى بدءاً من ١٩٨١ ـ ١٩٨٢، وهى تمثل أعلى مراحل التعليل والشرح والكشف عن الفاعليات اللغوية التجريدية الرياضية، ويمكن للقارىء الرجوع إلى كتابىْ تشومسكى:

Lectures on Government and Binding (1981)

محاضرات حول نظرية العامل (الحكم) والربط (الإحالى)

Some Concepts and consequences of the Theory of Government and Binding. (1982)

وباللغة العربية، الفصل الثالث: «نظرية القواعد التوليدية والتحويلية وعلاقتها باللسانيات البيولوجية» من كتاب د. مازن الوعر (قضايا أساسية فى علم اللسانيات الحديث، مدخل)، طلاس ـ دمشق، ط. أولى ١٩٨٨ وكذلك كتاب زميلى الفاضل د. محى الدين حميدى الأحدث والأكثر تفصيلاً وتحليلاً وتطبيقاً، الذى أسماه «الألسنية الحديثة واللغة العربية، دراسة تحليلية تطبيقية لنظرية الحكم النحوى والربط على اللغة العربية»، كتاب الرياض، العدد ٤٠، أبريل ١٩٩٧م.

(المترجم)

N. Chomsky (1957): Syntactic Structures. s'Gravenhage [deutsch: Strukturen der Syntax. Übersetzung von Klaus-Peter Lange. Ianua linguarum, Series minor 182. The Hague/Paris 1973].

N. Chomsky (1962a): A Transformational Approach to Syntax. In: Third Texas Conference on Problems of Linguistic Analysis in English. Ed. by A. A. Hill. Austin/Texas.

N. Chomsky (1962 b): Explanatory Models in Linguistics. In: E. Nagel/P. Suppes/ A. Tarski (eds.): Logic, Methodology and Philosophy of Science. Stanford.

N. Chomsky/G. A. Miller (1963): Introduction to the Formal Analysis of Natural Languages. In: Handbook of Mathematical Psychology, ed. by R. Duncan Luce, Robert R. Bush and Eugene Galanter. New York [deutsch: Die formale Natur der Sprache. In: E. H. Lenneberg (Hrsg.): Biologische Grundlagen der Sprache. Frankfurt/M. 1972]

N. Chomsky (1964a): Current Issues in Linguistic Theory. The Hague.

N. Chomsky (1964b): Categories and Relations in Syntactic Theory. Cambridge/Mass.

N. Chomsky (1964c): The Logical Basis of Linguistic Theory. In: Proceedings of the Ninth International Congress of Linguists, ed. by H. G. Lunt, Cambridge/Mass. 1962. The Hague.

N. Chomsky (1964d): A Review of B. F. Skinner's „Verbal Behavior". In: J. Fodor/J. Katz (1964).

N. Chomsky (1965a): Aspects of the Theory of Syntax. Cambridge/Mass. [deutsch: Aspekte der Syntax-Theorie. Übersetzung v. E. Lang et al.. Berlin 1970, [3]Frankfurt/M. 1983].

N. Chomsky (1965b): On the Notion „Rule of Grammar". In: The Structure of Language, ed. by J. A. Fodor und J. J. Katz. New Jersey.

N. Chomsky (1966a): Topics in the Theory of Generative Grammar. In: Currents Trends in Linguistics, ed. by Thomas A. Sebeok. Vol III: Theoretical Foundations. The Hague/Paris [deutsch: Thesen zur Theorie der generativen Grammatik. Übersetzung v. F. Coulmas u. B. Wiese. Mit einem Interview von H. Parret. Frankfurt/M. 1972].

N. Chomsky (1966b): Cartesian Linguistics. New York [deutsch: Cartesianische Linguistik. Tübingen 1968].

N. Chomsky (1968): Language and Mind. New York [deutsch: Sprache und Geist. Übersetzung v. S. Kanngießer et al. Frankfurt/M. 1973].

N. Chomsky (1970): Remarks on Nominalisation. In: Readings in English Transformational Grammar. Eds. R. A. Jacobs/P. S. Rosenbaum. Waltham/Mass.

N. Chomsky (1972): Deep Structure, Surface Structure, and Semantic Interpretation. In: N. Chomsky: Studies on Semantics in Generative Grammar. The Hague/Paris.

N. Chomsky (1975a): The Logical Structure of Linguistic Theory. The Hague.

N. Chomsky (1975b): Reflections on Language. New York [deutsch: Reflexionen über die Sprache. Frankfurt/M. 1977 = stw 185].

N. Chomsky (1979a): Morphophonemics of Modern Hebrew. Outstanding dissertations in linguistics 12 (bearbeitete Dissertation). New York.

N. Chomsky (1979b): Language and Responsibility. Based on Conversations with Mitsou Ronat. Hassocks [deutsch: Sprache und Verantwortung. Frankfurt u. a. 1981]

N. Chomsky (1980): Rules and Representations. New York [deutsch: Regeln und Repräsentationen. Übersetzung v. H. Leuninger. Frankfurt/M. 1981].

N. Chomsky (1981, [7]1993): Lectures on Government and Binding. The Pisa Lectures. Dordrecht.

N. Chomsky (1982): Some Concepts and Consequences of the Theory of Government and Binding. Cambridge/Mass.

N. Chomsky (^{3}1990): Barriers. Linguistic Inquiry monograph 13.
N. Chomsky (1992): A Minimalist Program for Linguistic Theory. In: MIT Occasional Papers in Linguistics 1. Cambridge/Mass.
N. Chomsky (1994): Bare Phrase Structure. In: MIT Occasional Papers in Linguistics 5. Cambridge/Mass.
G. Fanselow/S. W. Felix (1984): Noam Chomsky. In: Sprache und Literatur in Wissenschaft und Unterricht 54, 15. Jg., 2. Halbjahr.
G. Fanselow/S. W. Felix (^{2}1990): Sprachtheorie. 1. Grundlagen und Zielsetzungen; 2. Die Rektions- und Bindungstheorie. Tübingen (UTB 1441 + 1442).
Ch. J. Fillmore (1968): The Case for Case. In: Universals in Linguistic Theory. Hrsg. E. Bach/R. T. Harms. New York u. a. [deutsch: Plädoyer für Kasus. In: Kasustheorie. Hrsg. W. Abraham. Frankfurt/M. 1971]
J. Fodor/J. Katz (eds., 1964): The Structure of Language. New York.
G. Helbig (1986): Entwicklung der Sprachwissenschaft seit 1970. Leipzig.
J. J. Katz/P. M. Postal (1964): An Integrated Theory of Linguistic Descriptions. Cambridge/Mass.
E. F. K. Koerner/Matsuji Tajima (1986): Noam Chomsky: A Personal Bibliography, 1951-1986. Amsterdam/Philadelphia.
R. B. Lees (1957): Review of N. Chomsky (1957). In: Language XXXIII.
F. J. Newmeyer (1983): Grammatical Theory: Its Limits and Possibilities. Chicago.
J. A. Ney (1993): On Generativity: The History of a Notion that never was. In: Historiographia Linguistica XX, 2/3.
B. F. Skinner (1957): Verbal Behavior. New York.
H. Weydt (1976): Noam Chomskys Werk: Kritik, Kommentar, Bibliographie. Tübingen.

قائمة المصطلحات

A

Abgrenzbarkeit	إمكانية
Abhängig	تابع لـ/ معلق بـ/ غير مستقل
Abhängigkeit	تبعية / تعليق
Abhängigkeitsbeziehung	علاقة تبعية/ تعليق
Abhängigkeitsgrammatik (=Dependenzgrammatik)	نحو / التعليق
Abhängigkeitsstruktur	بنية التبعية
Ablauf	مجرى
Ablaut	تبديل الحركة
Ablautsystem	نظام تبديل الحركة
Ablautverhältnis	علاقة تبديل الحركة
Ableitbarkeit	إمكانية الاشتقاق/ الاستنباط
Ableitung	اشتقاق/ استنباط
Abstrakt	مجرد

(*) لا يضم الكتاب الأصلى قائمة بالمصطلحات التى استخدمتها المؤلفة فى الكتاب، ورأيت أنه من المفيد أن يعرف القارىء الكريم نوع المصطلحات التى استخدمت، ومقابلاتها العربية التى اقترحتُها فى الترجمة ليقف على صورة دقيقة لأداة أساسية مهمة من أدوات البحث اللغوى، ويمكنه بعد ذلك إن أراد أن يستعملها فى ثقة واطمئنان. ويلاحظ أن القائمة لا تضم كل المصطلحات، بل أهم المصطلحات من جهة شيوعها، ويهدف هذا المسرد أيضاً إلى إثراء رصيد المصطلحات اللغوية العربية.

Abstraktheit	تجريد
ad absurdum	مخالف للمنطق/ للمعقول
Adaption	تطويع
Adäquatheit	كفاية
Beobachtungs ~	كفاية الملاحظة
deskriptive ~	كفاية وصفية
Erklärungs ~	كفاية التفسير
Addition	إضافة (عملية تحويلية)
Adjektivphrase	مركب وصفى
Adverbialphrase	مركب ظرفى
Affix	لاصقة
Agglutination	إلصاق
Aktionsart	الجهة
(= Aspekt)	
akustisch	سمعى/ فيزيائى
akzeptabel	مقبول
Akzeptabilität	مقبولية
akzessorisch	عارض/ ثانوى/ إضافى
(≠ wesentlich)	
Algorithmus	اتجاه خوازمى/ جبرى
Allgemeingültigkeit	صلاحية عامة

Allomorph	بديل صرفى (الومورف)
Allophon	بديل صوتى (الوفون)
Alternation	تبديل
amorph	غير مورفى/ بلا صورة
Anagramm	جناس تصحيفى
Analogie	قياس/ مطابقة / تمثيل
Analogiebildung	بناء قياسى
Analogiewirkung	تأثير قياسى
Analyseprogramm	برنامج التحليل
Anarchismus	فوضوية/ إباحية
Anfangskette	سلسلة البداية
(= Satz)	(= جملة)
Anfangszustand	حالة البداية
Angemessenheit	مناسبة
Anhäufung	تراكم
Anlaut	الصوت الأول
Annäherung	اقتراب (اتجاه)
Anordnung	ترتيب
Anthropophonik	انثروبولوجيا صوتية
Antinomie	تناقض
Antonymie	تضـــــاد

Anwendbarkeit	إمكانية التطبيق
Anwendungsbereich	مجال التطبيق
Anzeichen	أمارة/ علامة على
Aphasia	حُبْسَة
Appellfunktion	وظيفة مناشدة/ استدعاء
Appellstruktur	بنية الاستجابة/ التجاوب
Apperzeption	وعى الذات الاستبطانى
Arbiträr	اعتباطى/ جزافى/ عشوائى
Arbitrarität	اعتباطية/ جزافية/ عشوائية
Archiphonem	فونيم أساسى/ رئيسى
Argument	حجة/ مُتَغير (فى المنطق)
Argumentation	حِجاج/ جدل
artikulatorisch	نطقى
artikulierbar	ممكن نطقه
Assimilierung	تماثل/ مماثلة
Assoziation	ترابط/ تداعٍ
Atomismus	المذهب الذرى/ التجزيئ
Aufbau	بنـــاء
stratischer ~	بناء طبقى
Aufeinanderfolge	تعاقب
Auffassung	فهم/ إدراك

analoge ~	فهم مطابق/ قياسى
Ausdruck	تعبير
Ausdrucksebene	مستوى التعبير
Ausdruckseinheit	وحدة التعبير
Ausdrucksform	شكل التعبير
Ausdrucksfunktion	وظيفة التعبير
Ausgangsform	شكل البداية
Ausgangslage	وضع الانطلاق
Ausnahme	استثناء
Ausnahmslosigkeit	لا شذوذ
(der Lautgestze)	(فى القوانين الصوتية)
Ausprägung	تشكيل / صياغة
Äußerung	منطوق
Autorität	سلطان/ مرجعية
unbestrittene ~	~ لا خلاف عليه

B

Barrierentheorie	نظرية الحواجز
Basiskomponente	مكون أساس
Basiswissenschaft	علم أساس
Bedeutung	معنى/ دلالة
funktionale ~	معنى وظيفى

grammatische ~	معنى نحوى
lexikalische ~	معنى معجمى
Bedeutungs differenzierung	تمييز المعنى
Bedeutungserweiterung	توسيع المعنى
Bedeutungskomponente	مكون المعنى
Bedeutungssubstanz	مادة المعنى
Bedeutungsunterscheidung	تفريق فى المعنى
Bedeutungsunterschied	فارق فى المعنى
Begriff	مفهوم
relationaler ~	مفهوم علاقى
Begriffsbestimmung	تحديد المفهوم
Begriffssystem	نظام مفهومى
Behaviorismus	السلوكية/ المذهب السلوكى
behavioristisch	سلوكى
beliebig	عشوائى/ كيفما اتُفق
beliebigkeit	عشوائية
Berechnung	تقدير
Beschreibung	وصف
Beschreibungsapparat	جهاز (مجموعة أدوات أو وسائل) الوصف
beseelt	حى
Besonderheit	خاصية

markante ~	خاصية بارزة
Betrachtung	نظرة
apriorsche ~	نظرة بدهية/ قبلية
geschichtliche ~	نظرة تاريخية
wissenschaftliche ~	نظرة علمية
Bezeichnendes	دال
(= signifiat)	
Bezeichenetes	مدلول
(= signifié)	
Beziehung	علاقة
assoziative ~	علاقة ترابطية
(= paradigmatische)	(= جدولية/ صرفية)
genetische ~	علاقة جينية
harmonische ~	علاقة متناسقة
hierarchische ~	علاقة متدرجة/ هرمية
Anreihungs ~	علاقة ترتيب
(= syntagmatische)	(= تركيبية/ نحوية)
Bezirk	مجال/ نطاق
äuβerer ~	نطاق خارجى
innerer ~	نطاق داخلى
Bewuβtsein	وعى

Bewuβtseininhalt	مضمون الوعى
Bewuβtseinsvorgang	عملية الوعى
Black - Box - Bedeutung	معنى غامض
Black - Box - prinzip	مبدأ الصندوق الأسود
Black - Box - Phänomen	ظاهرة غامضة
bracketing	تقويس/ وضع الأقواس
Binarität	ثنائية
Bindeglied	همزة وصل

C

casus obliqui	حالة غير مباشرة
casus rectus	حالة مباشرة
Charakterisierung	وصف
Charakteristika	خواص
Chauvinismus	شوفنية/ مغالاة فى الوطنية
chronologisch	زمنياً / تاريخياً
Code	شفرة
genetischer	شفرة جينية/ وراثية
constraint	قيد
(= Begrenzung)	
Co - occurrence	وقوع مشترك/ توارد
(= Kookurrenz/ gemeinsames	

Vorkommen)	
co - occurrent	عنصر متوارد

D

Darstellungsfunktion	وظيفة العرض
	(لدى بولر)
Datenkorpus	مادة البحث
(s. Sprachdatenkorpus)	(اللغوية)
deduktiv	استدلالى/ استنباطى
deep structure	بنية عميقة
(= Tiefenstruktur)	
Deklination	تصريف الاسم
Deletion	حذف
(= Tilgung)	
delimitativ	مُحَدِّدة/ مُعَيِّنة للحد
Denken	تفكير/ فكر
kollektives ~	تفكير جمعى
Denkfehler	خطأ فكرى
Denkprozeß	عملية فكرية
Denkschema	مخطط/ قالب فكرى
Denkschrift	بحث
Denkstoß	باعث فكرى

Determiniertheit	تحديد
Derivation	اشتقاق
(= Ableitung)	
diachron	تعاقبى
Diachronie	تعاقبية/ تاريخية
Dialektgeographie	جغرافيا لهجية
Dialektologie	علم اللهجات
Dialektspaltung	انقسام لهجى
Dichtomie	ثنائية
Diminutivum	التصغير
discovery procedures	إجراءات الكشف
(= Entdeckungsprozeduren)	
Diskontinuität	انقطاع/ انفصال
Diskrepanz	اختلاف
Diskursanlyse	تحليل الخطاب
Disposition	تنظيم / ترتيب
distinction	تفريق/ فصل
distinktiv	فارق/ مائز
Distribution	توزيع
Distributionalismus	التوزيعية/ المذهب التوزيعى
distributionell	توزيعى

Distributionsanalyse	تحليل توزيعى
DNS (= DNA)	دنا
Desoxyribose [se] - nukleinsäure	تحليل الأحماض النووية للخلايا الحية
Dokumentierung	توثيق
Doppeleinheit	وحدة مزدوجة
Dynamik	دينامية/ حركة
dynamisch	دينامى

E

Eckpfeiler	حجر الزاوية
Effektivierung	فعالية
Eigenschaft	خاصية
morphologische ~	خاصية صرفية/ مورفولوجية
phonetische ~	خاصية صوتية
phonologische ~	خاصية فونولوجية
semantische ~	خاصية دلالية
syntaktische ~	خاصية نحوية
Eigenständigkeit	استقلال/ تميز
Einbettung	تضمين
Einbindung	ارتباط
soziale ~	ارتباط اجتماعى
Eindeutigkeit	وضوح

formale ~	وضوح شكلى
Eindimenional	أحادى البعد
Eineindeutigkeit	أحادية المعنى/ اللا لبس
Einheit	وحدة
bedeutungstragende ~	وحدة حاملة للمعنى
morphologische ~	وحدة صرفية. مورفولوجية
negative ~	وحدة سلبية
oppositive ~	وحدة تقابلية
phonetische ~	وحدة صوتية
phonolgogische ~	وحدة فونولوجية
relative ~	وحدة نسبية
semantische ~	وحدة دلالية
syntaktische ~	وحدة نحوية
Einheitlichkeit	واحدية / توحد
Einzelkasus	حالة إعرابية مفردة
Einwortsatz	جملة من كلمة واحدة
Empirieprinzip	مبدأ التجريب
Endzustand	حالة النهاية
energeia	طاقة (إبداعية)
(=des zu Erzeugende/ immerwährende Schöpfung)	(= خَلاَّقة/ إبداع دائم)

Engagement	التزام/ انحياز
Enkodierung	تشفير
Entelechie	الكمال الأول
Entfernung	ابتعاد (اتجاه)
Erfahrung	خبرة
ergon	أداة
(= das Erzeugte/ das Geschaffene)	(مولدة/ منتجة)
Erscheinungen	ظواهر
reziproke ~	ظواهر متبادلة
Ersetzungsregel	قاعدة الإحلال
(= rewrite rule)	قاعدة إعادة الكتابة
Erstspracherwerb	اكتساب اللغة الأولى
Ethnolinguistik	علم اللغة العرقى/ الإثنى
evaluation procdures	إجراءات التقويم
(= Bewertungsprozeduren)	
Exegese	**شرح**
regelrechte	**شرح منظم**
Expansion	**توسيع**

F

Fakt	**حقيقة/ واقعة**
positives ~	

Fehlinterpretation	تفسير خاطىء
Fiktion	افتراض
Flexion	تصريف
innere ~	تصريف داخلى
Form	شكل/ صيغة
logische ~	= منطقية
phonetische ~	= صوتية
Formalismus	الشكلية/ المذهب الشكلى
Formassoziation	تداعى الشكل
Formation	تشكيل/ صياغة
Formenbildung	بناء الصيغ
Formklasse	فئة شكلية
Forschungsprogramm	برنامج البحث
Fagetransformation	تحويل الاستفهام
Funktion	وظيفة/ دالة (فى المنطق)
ästhetische ~	وظيفة جمالية
semantische ~	وظيفة دلالية
syntaktische ~	وظيفة نحوية
Funktionalität	وظيفية/ كيفية العمل
Funktionalstilistik	علم الأسلوب الوظيفى
Funktiv	دال (فى المنطق)

Ganzheitsgrundsatz	أساس الكلية
Gebärden	حركات الجسد
Gedankengang	مسار الأفكار
Gedankengut	أفكار
Gedankenanstoβ	باعث فكرى
Gedankenassoziation	تداعى الأفكار
Gedankenaustauch	تبادل الأفكار
Gefügezusammenhang	سياق التكوين
Gegenstandsbereich	مجال الموضوع
Gegenstandsbestimmung	تحديد الموضوع
Gelehrtentum	تعليم
generativ	توليدى
Generierung	توليد
Geräuschlaut	صوت انفجارى
Gerichtetheit	توجه
Gesamtbedeutung	المعنى الكلى
Gesamtsystem	النظام الكلى
Gesetz	**قانون**
laut ~	**قانون صوتى**
physikalisches ~	**قانون فيزيائى**

Gestaltpsychologie	علم النفس الجشتالت
Gestaltqualität	خاصية الكلية
Gestaltwahrnehmung	إدراك كلى
Gleichmäβigkeit	انتظام
Gleichzeitigkeit	تزامن
(= synchronie)	
Glossematik	جلوسماتية
Government	حكم/ عامل نحوى
(+ Bindingtheory "GB")	
Grammatikalität	النحوية
Grammatikerwerb	اكتساب النحو
Grammatiktradition	إرث نحوى
grammatisch	نحوى
Grundanliegen	مطلب أساسى
Grundannahme	فرض أساسى
Grundeinheit	وحدة أساسية
Grrundfunktion	وظيفة أساسية
Grundgedanken	فكرة أساسية
Grundhaltung	موقف أساسى
Grundideen	أفكار أساسية
Grundwahrheit	حقيقة أساسية

H

hart	شديد (للصوت)
Hauptakzent	نبر أساسى
Hauptsatz	جملة رئيسية
Hegemonie	سيطرة/ تسلط
heuristisch	استكشافى
Hilfssprache	لغة مساعدة
Holismus	المذهب الشمولى
homonym	مشترك/ متجانس لفظى
Homonymie	اشتراك/ تجانس لفظى
syntaktische ~	اشتراك نحوى
Hörer	سامع
(= adressat/	(= مستقبل/
empfänger/	متلق
rezipient)	
Hörermodell	نموذج السامع
Hörerstandpunkt	موقف السامع

I

IC - Grammatik	نحو المكونات المباشرة
Idiolekt	لهجة فردية
Idiosynkrasie	خاصية فى البنية

in absentia	غيابياً
immanent	داخلى/ باطنى
impluse	باعث/ حافز
Indianersprachen (= Indigensprachen)	لغات هنود أمريكا
Individualität	فردية
Individualpsychologie	علم نفس الفرد
induktiv	استقرائى
Infix	حشو (دواخل)
Informant	مساعد البحث
Informantenbefragung	استشارة/ الاستفسار من مساعد البحث
Information	معلومة
Informationsverarbeitung	استيعاب/ معالجة المعلومة
Inhalt	مضمون / محتوى
Inhaltsebene	مستوى المضمون
Inhaltseinheit	وحدة المضمون
Inhaltsmerkmal	شكل المضمون
Inhaltsform	سمة المضمون
Inhaltssubstanz	مادة المضمون
innate (ideas)	(أفكار) فطرية

in potentia	طاقة كامنة
in praesentia	حضورياً
Instrument	أداة/ وسيلة
instrumental	أداتى/ وسيلى
Instrumentarium	مجموعة أدوات (وسائل) التحليل
Intelligenz	ذكاء
künstliche ~ (= KI)	ذكاء اصطناعى
Interaktion	تفاعل
Interdependenz	تبعية/ تعليق داخلى
Interpretation	تفسير
phonetische ~	تفسير صوتى
semantische ~	تفسير دلالى
syntaktische ~	تفسير نحوى
Interrelation	علاقة داخلية
Intransitivität	اللزوم
(≠ Transitivität	(≠ التعدى)
Introspektion	استبطان/ ملاحظة ذاتية
Intuiton	حدس
(= Sprachgefühl)	(= حس لغوى)
Invarianz	لا تغير/ ثبات
Invarianzprinzip	مبدأ الثبات/ عدم التغير

Inventar	رصيد/ محتوى
Inversion	قلب
Isolierung	عزل/ فصل

K

Kalkül	حساب
logischer ~	حساب منطقى
kartographiert	موضح برسوم/ بأشكال بيانية
Kartothek	بطاقات الفهارس
Kasus	حالة إعرابية
Kasusgrammatik	نحو الحالات الإعرابية
Kasuslehre	علم الحالات الإعرابية
Kasusrektion	عمل/ أثر الحالة الإعرابية
Kasussynkretismus	توفيق حالة إعرابية
Kasussystem	نظام الحالة الإعرابية
Kategorie	فصيلة/ مقولة
grammatische ~	فصيلة نحوية
morphologische ~	فصيلة صرفية
Kategorieninventar	رصيد الفصائل
Kategorienzugehörigkeit	إلحاق بفصيلة/ بفصائل (نحوية مثلا)
Kausalzusammenhang	ارتباط سببى
Kern	نواة

Kernsatz	نواة الجملة
Klammern	أقواس
Klammerstellung	موقع مُحَدَّد (داخل أقواس)
Klammerung	تقويس/ وضع أقواس
nichtetikettierte ~ (= unlabelled)	تقويس غير موسوم
Klassifizieren	تصنيف
genealogische	تصنيف أُسَرِى/ نَسَبِى
Knoten	عقد
Knotenbezeichnung	وصف/ وسم العُقَد
Kode (= Code)	شفرة
Kodifizierung	تشفير
Koeffizient	معامل
sonantischer ~	معامل صوتى
Kognition	إدراك
Kognitionssystem	نظام الإدراك
Kombination	ائتلاف/ ضم
kombinatorisch	ائتلافى / تكوينى
Kommunikation	اتصال/ تواصل
Kommunikationsmittel	وسيلة اتصال
Kommunikationssituation	موقف الاتصال

kommunikativ	اتصالى/ تواصلى
Kommutation	إحلال
(s. Permutation)	(انظر: إعادة ترتيب)
Kommutationstest	اختبار الإحلال
Kompetenz (Sprachkompetenz)	كفاءة لغوية
Komponente	مكون
phonetische ~	مكون صوتى
semantische ~	مكون دلالى
syntaktische ~	مكون نحوى
Komponentenanalyse	تحليل المكونات
konfrontativ	تقابلى
Kongruenz	مطابقة
Konjunktiv	صيغة الاحتمال
Konsonant	صامت
Konsonantengruppe	مجموعة من الصوامت
Konstellation	تآلف
Konstituent	مكون
Konstituentenanalyse	تحليل المكونات
Konstituentenstrukturgrammatik	نحو بنية المكونات
Konstruktion	تركيب/ بناء
Konstruktionsregeln	قواعد التركيب/ البناء

Kontext	سياق
kontextabhängig	سياقى/ متعلق بالسياق
Kontextabhägigkeit	تبعية للسياق
Kontextualismus	السياقية
Kontinuität	تواصل/ توالٍ/ استمرار
Kontrastdistribution	توزيع تقابلى
kontrastiv	تقابلى
Konverntionalität	توافقية/ عرفية
Kookurrenz	توارد/ وقوع مشترك
Kookurrenzbeziehung	علاقة التوارد
Koordinatensystem	نظام إحداثى/ تناظرى
Koordination	عطف/ ربط
Korrelat	متلازم/ متعالق
Korrelation	تلازم
asymmetrische ~	تلازم غير متناسق
morphalogisehe ~	تلازم مورفولوجى
phonologische ~	تلازم فونولوجى
Korrespondenz	تراسل/ توافق
Kreativität	إبداع/ خلق
Kredo	عقيدة
kulminativ	مميز للقمة

Kultur	ثقافة/ حضارة
geistige ~	~ روحية
materielle ~	~ مادية
Kulturwissenschaft	علم الثقافة/ الحضارة
Kybernetik	سبرانية (علم الضبط/ التحكم)

L

Langue	لسان/ لغة معينة
laryngal (= kehlkopflaut)	صوت حنجرى
Laut	صوت
Lautentwicklung	تطور صوتى
Lautgesetz	قانون صوتى
Lautkomplex	مركب صوتى
Lautphysiologie	فسيولوجيا الصوت (علم وظائف الأعضاء الصوتية)
Lautstilistik	أسلوبية صوتية
Lautsubstanz	مادة صوتية
Lautwechsel	تبديل صوتى
Leerstelle	موقع شاغر
Lexem	وحدة معجمية/ لكسيم

Lexikologie	علم المفردات المعجمية
Lexikonkomponente	مكون المعجم
Linearität	أفقية/ خطية
Logik	منطق
mathematische ~	منطق رياضى
lokativ	مكانى
lokutiv	فعل الكلام/ قولى
(= lokutionär)	

M

Maßstab	مقياس
Materialsammlung	جمع المادة
Mathematisierung	جعل علم اللغة
(der Linguistik)	علماً رياضياً
Maximal	أكبر عنصر/ عنصر أكبر
Mechanismus	الآلية/ الميكانيكية
Mehrdeutigkeit	تعدد المعنى/ الغموض
mehrdimensional	متعدد البعد
Meinungsstreit	خلاف فى الرأى
Menge	كم
endliche ~	كم نهائى/ محدود
unendliche ~	كم لا نهائى/ غير محدود

Mentalismus	الاتجاه/ المذهب العقلانى
Merkmal	سمة
distinktives ~	سمة فارقة
(= differentielles) ~	سمة مميزة
merkmalhaft	ذو سمة/ مُعَلَّم
(= merkmalhaltig)	
merkmallos	بلا سمة/ غير مُعَلَّم
Metasprache	اللغة الواصفة/ ما وراء اللغة
Minderheitensprachen	لغات الأقليات
minimal	عنصر أصغر/ أصغر عنصر
Minuszeichen	علامة ناقص (ــ)
Mischsprache	لغة خليط/ هجين
Mischungspartner	شريك المزج/ الخلط
Mitteilungsfunktion	وظيفة الإخبار
Modell	نموذج
generatives ~	نموذج تحويلى
Modalität	صيغية
Modularität	قولبة
Modularitätsprinzip	مبدأ القولبة
Monopolstellung	مكانة احتكارية
Morphem	وحدة صرفية/ مورفيم

grammatisches ~	
lexikalisches ~	
Morphonem	وحدة مورفونيمية
	(عند تروبتسكوى)
Morphonemvariant	بديل مورفونيمى
Morphonologie	مورفونولوجيا/
(= Morpho - phonologie)	صواتة صرفية
Morphophonemik	تحليل مورفيمى صوتى
Morphotaktik	دراسة تتابع الوحدات الصرفية
Motiviertheit	حافزية
(≠ Arbitrarität)	
move α	حرِّك/ انقل ألفا

N

Nachbarschaft	جوار
sprachliche ~	جوار لغوى
Nachschlagwerk	مرجع
nasal	صوت أنفى
silbische Nasale	أصوات أنفية مقطعية
nasalis sonans	أصوات أنفية مشكلة للمقطع
Naturgesetze	قوانين الطبيعة
Negation	نفى

Negationstransformation	تحويل النفى
Neopositivismus	الوضعية الجديدة
Neuerung	تجديد
Neutalisation	تحييد
Nominalphrase	مركب اسمى
Nominalstamm	جذر اسمى
Normierung	وضع معيار
Notwendigkeit	ضرورة/ حتمية
blinde ~	الضرورة العمياء للطبيعة
Numismatik	علم النُّميات

O

Oberflächenähnlichkeit	تشابه سطحى
Oberflächenstruktur	بنية سطحية
Objektivität	موضوعية/ مفعولية
Objektsprache	اللغة الموضوع/ الموصوفة
Onomatopoetika	الأصوات المحاكية للطبيعة
Opposition	تقابل
äquiollent ~	تقابل ترادفى/ مترادف
graduelle ~	تقابل تدريجى
privative ~	تقابل دال على السلب
Ordinarius	أستاذ كرسى

(≠ Extraordinarius)	
Ordnung	نظام
Organismus	كائن حى
Organonmodell	نموذج الأورجانون
Originalarbeit	عمل أصلى
Originalmanuskript	مخطوط أصلى
Originaltext	نص أصلى
Originalität	أصالة
Orthographie	قواعد الكتابة
Orthographiereform	إصلاح قواعد الكتابة

P

Palatalisation	تحنيك
Panchronie	زمن عام
Parallelismus	التوازى
grammatischer ~	توازٍ نحوى
Parameter	معيار/ مقياس
Paraphrase	إعادة صياغة
parole	الكلام
parol - ereignis	واقعة الكلام
(= Sprechereignis)	
partitiv	تبعيضى

per Dekret	بمرسوم
Performanz	أداء لغوى
(= Sprachverwendung)	
Permutation	إعادة الترتيب
Phänomen	ظاهرة
black - box ~	ظاهرة غامضة
Phonem	وحدة صوتية/ فونيم
Phonematik	علم الوحدات الصوتية/ الفونيمية
Phonembegriff	مفهوم الفونيم
Phonemgehalt	مضمون الفونيم
Phonemsystem	نظام فونيمى
Phonemvariant	بديل فونيمى
Phonologie	فونولوجيا/ علم وظائف الأصوات
diachrone ~	فونولوجيا تعاقبية
synchrone ~	فونولوجيا تزامنية
Phonotaktik	دراسة تتابع الوحدات الصوتية
Phrase	مركب
Phrasenstruktur	بنية المركبات
Phrasenstrukturmodell	نموذج بنية المركبات
Physikalismus	المذهب الفيزيائى/ الطبيعى
Pluralsuffix	لاحقة الجمع

Pluszeichen	علامة زائد (+)
Popularisierung	تعميم
Positivismus	الوضعية
positivistisch	وضعى
Prädikat	محمول
psychologisches ~	محمول نفسى
Prädikation	حمل
Präferenz	خيار
Präfix	سابقة
Präposition	حرف سابق
Präpositionsphrase	مركب حرفى
präskriptiv	معيارى
Praxis	واقع عملى
Praxisorientiertheit	توجه إلى الواقع العملى
Prinzip	مبدأ/ أساس
Prinzipienwissenschaft	علم المبادىء
Projektion	إسقاط
Projektionsregeln	قواعد الإسقاط
Propagierung	بث/ نشر
Prozedur	إجراء
Prozeß	عملية

rekursiver ~	عملية إرجاعية/ تكرارية
Pseudonym	اسم مستعار
Psychophonetik	علم الأصوات النفسى
Publikationsorgan	مجلة النشر/ لسان حال جماعة ما
Publikationssprache	لغة النشر
purport	فحوى / مفاد

R

Reaktion	رد الفعل/ الاستجابة
(= response)	
Realisierung	تحقيق
Rede	كلام
menschliche ~	كلام إنسانى
Redeabsicht	قصد الكلام
Redestrom	تدفق الكلام
(= flow of speech)	
Reduktion	قصر/ إنقاص
Referenz	إحالة
Regel	قاعدة
Regelanwendung	تطبيق القاعدة/ قاعدى
Regelaufbau	بناء القاعدة
Regeln	قواعد

rekursive ~	قواعد إرجاعية/ تكريرية
Regellos	بلا قاعدة
Rhema	حديث
(= Neues / focus)	
Reibelaut	صوت احتكاكى
Reihenfolge	تتابع
freie ~	تتابع حر
gebundene ~	تتابع مقيد
Reihenfolgebeziehung	علاقة التتابع
Reiz	مثير
(= stimulus)	
Reiz - Reaktions - Schema	مخطط المثير ــ ورد الفعل
Rekonstruktion	إعاد بناء
Rektion	عمل/ أثر إعرابى
Relation	علاقة
symmetrische ~	علاقة متناسقة
Relationensystem	نظام العلاقات
Relativitätstheorie	نظرية النسبية
Relevanz	وثاقة الصلة/ أهمية
Repräsentation	تمثيل
phontische ~	تمثيل صوتى

semantische ~	تمثيل دلالى
syntaktische ~	تمثيل نحوى
Rezension	مراجعة/ نقد
Rezeption	تلقٍ
Richtung	اتجاه
genetische ~	اتجاه جينى/ سُلالى
Ruhe	سكون (اتجاه)
Russifizierung	تحويل إلى الروسية

S

Sachverhalt	حال
sprachlicher ~	حال لغوية
Sammelpunkt	نقطة التقاء
sandhi	نحت/ صهر (تغير صوتى/ مورفيمى يصيب الكلمة فى موقع معين)
äuβere ~	ساندهى خارجى
innere ~	ساندهى داخلى
Satz	جملة
fertige ~	جملة جاهزة
Satzart	نوع الجملة
Satzaussage	خبر/ حديث فى الجملة

Satzbauplan	خطة بناء الجملة
Satzform	شكل الجملة
Satzgegenstand	موضوع الجملة
Satzglied	ركن الجملة
Satzgliedfunktion	وظيفة ركن الجملة
Satzperspektiv	منظور الجملة
Satztyp	نمط الجملة
Schallereignis	واقعة صوتية
Schicht	طبقة
Schlussfolgerung	استنتاج
Schlüsselbegriff	المفهوم المفتاح
Schriftsystem	نظام الكتابة
Segmentieren	تجزيء/ تقطيع
Selektionsregeln	قواعد الاختيار
semantisch	دلالى
semantische Komponente	مكون دلالى
semantisches Merkmal	سمة دلالية
Semasiologie	علم دلالة الألفاظ
Semem	سميم/ وحدة دلالية صغرى
Semeologie	علم العلامات
Semiotik	سيميوطيقا/ علم العلامات

Sequenz	تتابع/ توالٍ/ متوالية
Signal	إشارة
Signalfunktion	وظيفة الإشارة
Signalisierung	تأشير
Simplifizierung	تبسيط
Sinnbezirk	مجال/ حيز/ نطاق المعنى
Solidarität	تضافر/ تضامن
Sondersprache	لغة خاصة
Soziolekt	لهجة اجتماعية
spiritus rector	مرشد روحى
Sprachbau	بناء لغوى
Sprachbenutzer	مستخدم اللغة
Sprachbesehreibung	وصف لغوى
taxonomischer ~	وصف لغوى تصنيفى
Sprachbund	رباط اللغة
Sprachdatenkorpus	مادة البحث اللغوية
Sprachdenkmäler	آثار لغوية
Sprachdidaktik	تعليم اللغة
Sprache	لغة
formale ~	لغة شكلية
natürliche ~	لغة طبيعية

poetische ~	لغة شعرية
rituelle ~	لغة مقدسة
rückständige ~	لغة متخلفة
Sprachentwicklung	تطور لغوى/ اللغة
Spracherlernung	تعلم اللغة
Spracherwerb	اكتساب اللغة
Sprachfähigkeit	القدرة اللغوية
Sprachfamilie	عائلة لغوية
Sprachgebiet	منطقة لغوية
Sprachgebrauch	استعمال لغوى
Sprachgefühl	حس لغوى
Sprachgemeinschaft	جماعة لغوية
Sprachgeschichte	تاريخ اللغة/ لغوى
Sprachinhalt	مضمون لغوى
Sprachkarte	خريطة لغوية
Sprachkompetenz	كفاءة لغوية
(= competence)	
Sprachkontakt	احتكاك لغوى
Sprachkünstler	مبدع اللغة
Sprachlaut	صوت لغوى
sprachlos	أعجم/ بلالغة

Sprachmaterial	مادة لغوية
Sprachmischung	خلط/ تهجين لغوية
Sprachperformanz (= performance)	أداء لغوى
Sprachplanung	تخطيط لغوى
Sprachprozeß	عملية لغوية
Sprachschicht	طبقة لغوية
einheitliche ~	طبقة لغوية موحدة
Sprachsoziologie	علم الاجتماع اللغوى
Sprachstandardisierung	نمذجة لغوية
Sprachstörung	خلل/ اضطراب لغوى
Sprachsystem (= langue)	نظام لغوى
Sprachtheoretiker	منظر لغوى
Sprachtheorie	نظرية لغوية
Sprachträger	صاحب/ ابن/ حامل اللغة
Sprachtyp	نمط لغوى
agglutinierender ~	نمط لغوى لاصق
flextierender ~	نمط لغوى متصرف
inkorporierender ~	نمط لغوى مدمج
isolierender ~	نمط لغوى عازل

Sprachtypologie	تنميط لغوى
Sprachveränderung	تغير لغوى
Sprachvergleich	مقارنة لغوية
Sprachverwandtschaft	قرابة لغوية
Sprachverwendung	أداء لغوى
(= Performanz)	
Sprachzustand	حال لغوى
Sprechereignis	واقعة كلامية
Sprechermodell	نموذج المتكلم
Sprecherstandpunkt	موقف المتكلم
Sprechorgane	أعضاء الكلام
Sprechtätigkeit	نشاط كلامى
Stabilät	ثبات
Standardsprache	اللغة المعيار
Stamm	أصل/ جذر
Stammbautheorie	نظرية شجرة النسب
Stellenwert	قيمة موقعية
stimmhaft	مجهور
Stimmlage	وضع الصوت
stimmlos	مهموس
Störung	خلل

Stratum (pl. strata)	طبقة
Strömung	تيار
sprachwissenschaftliche ~	تيار لغوى
Struktur	بنية
archaische ~	بنية ركامية
surface ~	بنية سطحية
(= Oberflächenstruktur)	
Strukturalismus	بنيوية
Strukturmerkmal	سمة البنية
Strukturunterschied	فارق فى البنية
Stummfilm	فيلم صامت
Subjekt	موضوع/ فاعل/ مسند إليه
psychologisches ~	موضوع نفسى
Subjektstellung	موقع الفاعل
Subjektivität	ذاتية/ فاعلية
Subkategorisierung	تفريع/ تصنيف للفصائل
Subkategorisierungsregeln	قواعد ~
Substantiv	اســم
Substanz	مادة/ جوهر
substituierbar	قابل للاستبدال
Substitution	استبدال

Suffix	لاحقة
Symbol	رمز
Symbolfunktion	وظيفة الرمز
Symptom	ظاهرة
(s. Ausdrucksfunktion)	(انظر: وظيفة التعبير)
synchron	تزامنى
Synchronie	تزامنية
synonym	مترداف
Syntagma	وحدة نحوية
[illegible]tisch	نحوى
Syntax	نحــو
minimalistische ~	نحو العناصر الصغرى
Syntaxbehandlung	معالجة النحو
System	نظام
dynamisches ~	نظام دينامى
semiotisches ~	نظام سيميوطيقى
Systemcharakter	خاصية النظام
Systemhaftigkeit	الالتزام بالنظام

T

Tätigkeit	نشاط
psychische ~	نشاط نفسى

psychophysische ~	نشاط نفسى فيزيائى
Tautologie	حشو/ تكرير بلا فائدة
Taxonomie	التصنيفية
Teilbedeutung	معنى جزئى
Teilkategorie	فصيلة جزئية
teleologisch	غائى
Text	نص
Textanalyse	تحليل النص
Textkorpus	مادة نصية
Thema	موضوع
(= Bekanntes / topic)	
Theorie	نظرية
graue ~	نظرية غامضة
Theoriebewuβtsein	وعى بالنظرية
Theorieentwicklung	تطور النظرية
Tiefenstruktur	بنية عميقة
Tilgung (s. Deletion)	حذف
Tonfilm	فيلم ناطق
Tonstufe	درجة النغمة
Topic	موضوع
Transform	صورة محولة

Transformation	تحويل
obligatorische ~	تحويل إجبارى
optionale ~	تحويل اختيارى
Transformationsanalyse	تحليل تحويلى
Transformationsmodell	نموذج تحويلى
Triebfeder	باعث/ دافع/ حافز
Trugschluß	استنتاج خاطىء

U

Übereinstimmung	تطابق / توافق
inhaltliche ~	تطابق مضمونى
übereinzelsprachlich	متجاوز للغة المفردة
Überlegung	تفكير
deduktive ~	تفكير استنباطى
synthetische ~	تفكير تأليفى
Übersetzung	ترجمة
maschinelle ~	ترجمة آلية
spontan ~	ترجمة فورية
wörtliche ~	ترجمة حرفية
Umfang	مجال/ نطاق/ محيط
Umformungsregeln	قواعد تغيير التشكيل
Umgangssprache	اللغة المستعملة

Umgebung	محيط
kontextuelle ~	محيط سياقى
Umgestaltung	تحول/ تغيير
Uminterpretierung	تحوير فى التفسير
Umlaut	إمالة الحركة
Unabhängigkeit	استقلال/ عدم تبعية
unbeseelt	غير حى
Unbeweglichkeit	جمود/ عدم حركة
ungebräuchlich	غير شائع/ نادر الاستعمال
Universalgammatik (UG)	نحو كلى
Universalien	كليات
formale ~	كيات شكلية
substantielle ~	كليات مادية
Universalienprobem	قضية/ مشكلة الكليات
Universalität	كلية/ شمولية
unmotiviert	غير محفز/ غير مبرر
(= arbiträr / beliebig)	
Unterdrückung	اضطهاد / قهر
sprachliche ~	~ لغوى
Unterscheidbarkeit	إمكان الاختلاف
Unterscheidungsmerkmal	سمة تفريق

unverständlich	غير مفهوم
Unzulänglichkeit	قصور
Urheberschaft	ملكية أصلية/ إبداع
Ursprache	اللغة الأصل
utterance	منطوق

V

Variante	بديل
freie ~	بديل حر
kombinatorische ~	بديل ائتلافى/ تآلفى
Variation (s. Varietät)	تنوع
Variationsmöglichkeiten	إمكانات التنوع
Varianz	تنوع
Vagheit	غموض
valeur	قيمة
(= Wert)	
Verbalphrase	مركب فعلى
Vereinigung	اتحاد
Verfallsperiode	مرحلة التدهور
Verhalten	سلوك
(= behavior)	
Verhaltenslehre	علم السلوك

(= Behaviourismus)	
Verknüpfbarkeit	إمكانية الربط
Verknüpfung	ربط
Verletzung	خرق
poetische ~	خرق شعرى
systematische ~	خرق منظم
Verschiedenheit	اختلاف / تنوع
Verschlußlaut	صوت انفجارى
Vertändigungsmittel	وسيلة الإفهام
verständlich	مفهوم
Vitalismus	المذهب الحيوى
Vokal	حركة
Vokalalternation	تبادل حركى
Vokalharmonie	انسجام حركى
Vokalismus	وضع الحركات
Vokalphonem	فونيم الحركة
Vokalsystem	نظام للحركة (للحركات)
Volk	شعب
rückständiges ~	شعب متخلف
Völkerpsychologie	علم نفس الشعوب
Vollkommenheit	الكمال/ التمام

Vorgehen	معالجة/ مقاربة
mehodisches ~	~ منهجية

W

Wahrscheinlichkeit	احتمال/ إمكان
Wechselbeziehung	علاقة تبادل/ متبادلة
weich	لين (للصوت)
Weltanschauung	رؤية العالم
Welthilfssprache	لغة معاونة عالمية
Wende	اتجاه
kopernikanische ~	اتجاه سبرانى/ كوبرنيكى
Wert	قيمة
Widerspruchsfreiheit	اللاتناقض
willkürlich	عشوائى/ جزافى/ اعتباطى
Wissen	معرفة/ علم
Wissenstruktur	بنية المعرفة
Wissensystem	نظام المعرفة
Wissenschaft	علم
induktive ~	علم استقرائى
Wissenschaftshistoriker	مؤرخ العلم
Wissenschaftsmethodologie	منهجية العلم
Wissenschaftstheorie	نظرية العلم

Wort	كلمة
Wortableitung	اشتقاق الكلمة
Wortart	نوع/ قسم الكلمة
Wortbedeutung	معنى/ دلالة الكلمة
Wortform	صيغة الكلمة
Wortgruppe	ضميمة / مركب
(=Phrase)	
Wortschatz	ثروة لغوية
Wortstellung	موقع الكلمة

Z

Zeichen	علامة
auditives ~	علامة مسموعة
visuelles ~	علامة مرئية
Zeichencharakter	خاصية علاماتية
Zeichendepot	مخزن العلامات
Zeichenfunktion	وظيفة العلامة
Zeichensystem	نظام العلامات
Zeichentheorie	نظرية العلامات
Zentralbegriff	مفهوم مركزى/ محورى
Zentrum	مركز/ محور
(≠ Periphere)	(≠ هامشى)

Zerstreutheit	تشتت/ شرود الفكر
Zugehörigkeit	تبعية/ إلحاق
Zuordnungsrelation	علاقة إلحاق/ تبعية
Zusmmenhang	صلة/ علاقة/ سياق
genealogischer ~	صلة نَسَبية
synchroner ~	صلة تزامنية

ترجمات أخرى للمترجم

١ - « جموع التكسير فى اللغات السامية » لـ ا - مورتونن

مترجم عن الإنجليزية، نشر المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة ١٩٨٣م .

٢ - « تاريخ الأدب العربى » لـ كارل بروكلمان

القسم الرابع ٧ - ٨ بالاشتراك، مترجم عن الألمانية، نشر الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٣م .

٣ - « علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات » لـ فان دايك

مترجم عن الألمانية، نشر مكتبة زهراء الشرق ٢٠٠١م .

٤ - « الأساس فى فقه اللغة العربية » لمجموعة من المستشرقين

بإشراف أ. د/ فولفديتريش فيشر، مترجم عن الألمانية، نشر مؤسسة المختار ٢٠٠٢م.

٥ - « القضايا الأساسية فى علم اللغة » لـ كلاوس هيشن

مترجم عن الألمانية، نشر مؤسسة المختار ٢٠٠٣م .

٦ - « مدخل إلى علم اللغة » لـ كارل ديتر بونتنج

مترجم عن الألمانية، نشر مؤسسة المختار ٢٠٠٣م .

٧ - « تاريخ علم اللغة الحديث » لـ جرهارد هلبش

مترجم عن الألمانية، نشر مكتبة زهراء الشرق ٢٠٠٣م .

٨ - « المدخل إلى علم لغة النص » لـ فولفجانج هاينه مان، وديتر ڤيهفجر

مترجم عن الألمانية، نشر مكتبة زهراء الشرق ٢٠٠٣م .

٩ - « مدخل إلى علم النص » مشكلات بناء النص، لـ زتسيسلاف واورزنياك

مترجم عن الألمانية، نشر مؤسسة المختار ٢٠٠٣م .

١٠ ـ « مناهج علم اللغة » من هيرمان باول حتى ناعوم تشومسكى

لـ بريجيته بارتشت، مترجم عن الألمانية، نشر زهراء الشرق ٢٠٠٤م .

١١ - « التحليل اللغوى للنص » لـ كلاوس برينكر

مترجم عن الألمانية، نشر زهراء الشرق ٢٠٠٤م .

تحت الطبع

١ - «دراسات فى العربية » لمجموعة من المستشرقين

مترجم عن الألمانية، نشر مؤسسة المختار ٢٠٠٤م .

٢ - «تطور علم اللغة منذ سنة ١٩٧٠م » لـ جرهارد هلبش

مترجم عن الألمانية .

٣ ـ «النماذج اللغوية للنص» لـ جوليش/ رايبله

مترجم عن الألمانية.

٤ ـ «المعرفة اللغوية الأساسية» لـ دنيلّا كليمون

مترجم عن الألمانية.

٥ ـ «مدخل إلى علم اللغة» لـ هاينتس فاتر

مترجم عن الألمانية.

٦ - « تاريخ الأدب العربى » لـ كارل بروكلمان

القسم الحادى عشر بالإشتراك، مترجم عن الألمانية .

٧ - « مقالات حول جهود المستشرقين فى التراث العربى »

مترجم عن الألمانية .